

المملكة المغربية
القصر الملكي
دار الحديث الحسنية

# دار الحديث الحسنية

رئيس التحرير: الدكتور محمد فاروق النبهان، مدير دار الحديث الحسنية

العدد الثاني
1401 - 1981

تصميم الغلاف: أحمد الرينكة






مجلة « دار الحديث الحسنية »


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مولانا امير المؤمنين جلالة الملـك الحسن الثانـي نصره الله وايـده


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



# تهنئة

بمناسبة مطلع القرن الهجري الخامس عشر، تتشرف أسرة دار الحديث الحسنية بأن ترفع إلى مقام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، أصدق عواطف التهنئة راجية من الله تعالى أن يحقق جلالته فأيدا أمينا لهذه الأمة، غيورا على مقدساتها، وأن يقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب الأمير سيدي محمد، وصنوه الأمير مولاي رشيد، وباقي الأسرة الشريفة.

# تَهْنِئَةٌ

بِمُناسبة مَطْلَعِ القرن الهجْري الخامس عشر، تتشرف أسرة دار الحديث الحسنية بأن ترفع إلى مقام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، أصدق عواطف التهْنِئة، راجية من الله تعالى أن يحقق جلالته في أياما أمينا لهذه الأمة، غيورا على مقدساتها، وأن يقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب الأمير سيدي محمد، وصنوه الأمير مولاي رشيد، وباقي أسرته الشريفة.



# مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آلـــه وصحبـــه أجمعيـــن .

وبعد ، فمن الصدف السعيدة أن يصدر العدد الثانـــي مـــن مجلة دار الحديث الحسنية مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وهو قرن جديد نستقبله بآمال جسام ، وبتطلعات طموحة ، ونأمل أن تظل تلك الآمال والتطلعات على امتداد القرن الجديد متوهجة قادرة على أن تكون مجسمة ومحققة فى أرض الواقع ...

لقد كان القرن الماضي منعطفا حادا فى تاريخ أمتنا الاسلامية، ففي مطلعه واجهت أمتنا تحديات خطيرة ، واستفزازات فى كرامتها، استهدفت اذلالها واستعمارها ، ووقف شعبنا فى كل مكان فى أرض الاسلام يدافع عن عقيدته ، وارضه ، وانتصرت ثورة المستضعفين ، ثورة الجماهير الاسلامية ، وتحررت أرضنا ، ولم تتحرر ارادتنـــا ، وانتصرت امتنا فى معاركها ضد اعدائها ، ولم تنتصر قيم هذه الامة وفضائلها فى تعاملنا مع ذاتنا ، وابتدات الماساة تتسع رويدا رويدا، وانتهى القرن ونحن نحمل فى اكبادنا هموم امة اذلتها خلافاتهـــا ، وارهقتها مراهقتها ..

واليوم نستقبل القرن الجديد ، ونستقبل معه مشاعر مـــن الخوف قد ولدتها سحائب داكنة اللون قاتمة الطلعة عبوسة الوجه ،

تتراءى لنا من بعيد ، وربما لا تحمل معها ما تحمله مطر السماء من عطاء ورحمة ، ففي مجتمعاتنا الإسلامية اليوم رياح غريبة ، مشبوهة الانتماء ، غامضة الاهداف ، لم نالف معالمها من قبل ، وهي وان بدت حينا رياح رحمة وخير ، فان ما تحمله فى ثناياها من غموض وكآبة تدعونا للتامل والحذر والريبة ..

فاعداء الاسلام يتربصون به ، ويراهنون على ان خلافات الدول الاسلامية قادرة على ان تمزق وحدة المسلمين ، وتضعف من قدراتهم ، وتهدم ما يمكن ان يبنى من آمالهم ...

ويقف الضمير الاسلامي الذي تمثله جماهير أمتنا حزينا كئيبا يائسا يذرف الدمع فى صمت ، ويدفن آماله في أعماق كيانه ، متطلعا الى غد قريب ، تصحو فيه الضمائر ، وتستيقظ المشاعر الاصيلة الكامنة فى أعماق هذه الامة ...

وهنا ... تتجه الانظار المخلصة نحو الفكر الاسلامي الاصيل ، بمبادئه وقيمه ، فهذا الفكر يمثل الامل الوحيد ، والمعقل الحصين للدفاع ، عن قيم الاسلام ، لانه قادر على ان ينجب القيادات الفكرية الاسلامية ، الواعية الناضجة ، القادرة على ان تصحح المسيرة عندما تنحرف عن خطها الصحيح ، والمؤهلة لطرح الاسلام الاصيل، اسلام القيم والمبادىء القادر على ان يتعايش ـ من غير انعزال ـ مع القيم الاخلاقية للحضارة المعاصرة .

والمملكة المغربية دولة أصيلة فى الدفاع عن مقدسات الاسلام وحصن منيع من حصون الاسلام ، لا يستسلم ولا يهادن ولا يساوم ، وكان له ماض عظيم فى الجهاد المقدس ، فى معارك مشهورة ومنثورة على امتداد تاريخه المجيد ، واستطاع خلال اكثر من الف عام ان يواجه حملات صليبية قاسية التكوين شديدة الباس ، وانتصرت ارادة الخير ، بفضل المجاهدين المؤمنين المرابطين الذين اكرمهم الله تعالى بعزة الاسلام ، من ابناء هذه الامة ...

واليوم ... تتجدد مسؤولية هذا البلد المسلم ، ويحمل « ملكه » المعبر عن ضمير شعبه مسؤولية الدفاع عن مقدسات الاسلام وقدسه الشريف ، فى سلسلة من الجهود المتتابعة من

مؤتمرات وتوصيات وزيارات واتصالات ، مؤكدة للعالم كله ان مغرب اليوم هو مغرب الامس ، حصن الاسلام المنيع ، وقلعته الشاهقة ذات الكبرياء ، التي تتحطم على اسوارها قوى البغي والعدوان ...

والرسالة العلمية هي الراية الجديرة بان تظل على الدوام موطنا للتشجيع والتقدير ، وذلك لانها تمثل الخط الاسلامي الصحيح ، القادر على اعادة تصحيح المسيرة ، عندما تختلط عليها الدروب ، او تنحرف عن الخط الصحيح ...

واننا نؤمن بان تراثنا الاسلامي يحتاج الى مزيد من الدراسة والعناية ، وان جانبا كبيرا منه لم يكتشف بعد ، وبخاصة ما يتعلق منه بتراث المغرب الاسلامي من تحقيق لمخطوطاته ، او تعريف بشخصياته ، ويشتمل هذا التراث على ثروة عظيمة من المخطوطات النادرة التي تضمها الخزانة الملكية في الرباط ، وخزانة القرويين في فاس ، والخزائن الاخرى المنثورة على امتداد المدن المغربية ..

ولقد اتيحت لي الفرصة من خلال متابعتي لبعض اطروحات الدبلوم والدكتوراه في دار الحديث الحسنية ، وزياراتي لبعض الخزائن العلمية ان اطلع على كثير مما كنت اجهله من تراثنا الاسلامي ، ومدى اسهام العلماء المغاربة فيه ، مما يؤكد ان الجهد المغربي في خدمة الفكر الاسلامي قد طبع هذا التراث في المغرب بطابع متميز ..

واعتقد ان من واجب المؤسسات العلمية المغربية ان تعرف بهذا الجهد الكبير ، وان تدرسه دراسة علمية رصينة ، لكي يكون واضح المعالم محدد الملامح وفاء لاولئك الاعلام من العلماء ، واثراء لتراثنا الاسلامي العظيم ...

والله نسال ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وان يجعل جهدنا مسدد الخطوات مستهدفا خدمة ديننا ... والله الموفق لكل خير ...

الدكتور محمد فاروق النبهان

# ندوة العدد بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري

وجهت رئاسة تحرير مجلة دار الحديث الحسنية بمناسبة مطلع القرن الهجري الخامس عشر ، عدة اسئلة الى عدد من الشخصيات السياسية والفكرية فى العالم العربي حول انطباعاتهم عن القرن الهجري الجديد ...

وقد تفضل عدد من السادة الاجلاء من رجال الفكر والسياسة ، فشارك فى هذه الندوة التي اردنا بها ان نطرح رؤية رجال الفكر للقرن الهجري الراحل ، واهم انجازاته على مستوى العالم الاسلامي ، ورؤيتهم للقرن الجديد ، واهم مطامح هذه الامة لرسم معالمه .

ويسرنا ان نقدم شكرنا الجزيل وتقديرنا الكبير للسادة الاجلاء الذين تفضلوا فاسهموا فى هذه الندوة ، وشاركوا بآرائهم القيمة فى توضيح معالم هذه المناسبة العظيمة ...

وقد اشترك فى هذه المناسبة كل من :

معالي الاستاذ السيد محمد بوستة وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون فى المملكة المغربية .

فضيلة العلامة الاستاذ عبد الله كنون امين عام رابطة علماء المغرب.

سماحة العلامة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية .

سعادة الاستاذ الدكتور منصور التركي مدير جامعة الرياض المملكة العربية السعودية

# كلمة معالي الاستاذ السيد محمد بوستة وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون في المملكة المغربية

لا يستطيع الذين يعلقون كبير الآمال على مـــا سوف يحقق القـــرن الخامس عشر الهجري بالنسبة لمستقبل العالم الاسلامي ـ لا يستطيعون ان يقللوا من اهمية القرن الرابع عشر الذي ينصرم اليوم مـــع انصـــرام السنة الحالية ، وبالنسبة لماضي هذا العالم الاسلامي ايضا .

ولما كانت معظم احداث القرن مسجلة بالتاريخ الميلادي اكثر مـــن التاريخ الهجري فانه تحسن الاشارة الى ان القرن الرابع عشر يستغـــرق الفترة الواقعة بين اواخر 1883 واواخر السنة الميلادية الحالية .

واذا كان قرن من الزمان مدة طويلة في حياة الانسان فانها فتـــرة قصيرة في حياة الشعوب ، ومع ذلك فان القرن الرابع عشر الهجري مضى حافلا بالاحداث والتطورات والوقائع الحاسمة في تاريخ المسلميـــن وفي تاريخ العالم الاسلامي وهو تاريخ طويل لا يمكن استعراضه في عجالة وانما هو جدير بأن يفرد له مجلد ضخم سواء كان الامر يتعلق بالمغرب وحده او بالعالم الاسلامي كله . ولكن هذا لا يمنع من ان نرسم صورة عامة لما مضى وما نتطلع اليه في القرن المقبل مع الاشارة الى المغزى الذي يرمز اليـــه وجوب الاحتفاء بحلول أول سنة من القرن الهجري المقبل في هذه الفترة التي حققت فيها الانسانية عامة ما لم تحقق مثله في التاريخ البشري كله ؛ لان التاريخ الاسلامي اصبح شديد الارتباط بالحضارة الانسانية على نحو لم يسبق لـــه مثيـــل .

حينما يحل القرن الرابع عشر لا نجد فى العالم الاسلامي المترامي والممتد من اندونيسيا الى المغرب الا دولا قد افلت او فى طريق الافول ، وقد اخذت أطرافه الاسيوية تسقط فى يد الاستعمار البرتغالي والهولندي والانجليزي ، وتقلصت أطراف الامبراطورية العثمانية . بعد ان احتلت فرنسا الجزائر نجدها تحتل تونس ، وشرعت انجلترا فى احتلال مصر ، بل لم يبق فى هذه الامبراطورية المنهارة سوى سوريا ولبنان والعراق والاردن والجزيرة العربية واليمن وسوف ينهار ما تبقى منها هي ايضا بعد ان تنضم تركيا العثمانية الى الجانب الالماني فى الحرب الكبرى الاولى ، لتشاركها الهزيمة التي حاقت بها .

ويمكن القول بصفة عامة ان القرن الرابع عشر الهجري كان فترة فاصلة فى تاريخ المسلمين ، فقد كان العالم الاسلامي فى أوله فى حالة انهيار ولكن العقود الاخيرة منه شاهدتهم وهم يكافحون فى سبيل استقلالهم ويحققون هذا الاستقلال ، واذا كانت الحرب الكبرى الاولى قد عززت الاستعمار فقد جاءت الحرب العالمية الثانية ايذانا بتوهين قبضته وتحقيق الاستقلال لا يستثنى من ذلك سوى القطر الفلسطيني الذي تمكنت الصهيونية بعد الحرب الثانية مباشرة من ان تنشأ دولة اسرائيل التي خاضت حروبا متتالية فى الشرق الاوسط ، ولا يزال السرطان الاسرائيلي ينفث سمومه فى المنطقة كلها وتمثل الهزيمة الحقيقية التي حلت بالشرق الاوسط فى اواخر القرن فى اتفاقات كامب دايفد التي اعترفت فيها اكبر دولة عربية باسرائيل وتبادلت معها العلاقة الدبلوماسية على مستوى سفير ، واصبحت الراية الاسرائيلية ترفرف فى سماء عاصمة من اكبر العواصم الاسلامية هي القاهرة ، وهي ماساة القرن دون جدال .

وتتمثل الماساة الاخرى بأواخر القرن فى غزو جيوش روسيا السوفياتية لافغانستان ، ذلك الغزو المباغث الذي يأتي على عتبة القرن الخامس عشر ويصعب التكهن بالعواقب الوخيمة التي سوف يتسبب فيها، سواء بالنسبة للعالم الاسلامي او بالنسبة للموقف الدولي .

كان الاستعمار يحاول ان يدخل فى روع المسلمين ان السبب فى تاخرهم يكمن فى طبيعة الديانة الاسلامية ، وكان من الطبيعي لذلك ان تنشط حركة الاصلاح الديني المعروفة بالسلفية التي كان اقطابها ما

يزالون على قيد الحياة فى أوائل القرن مثل جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضى ، ولا يمكن هنا اغفال ذكر اسم المفكر الاسلامي الكبير علال الفاسي الى جانبهم فانقلبت الى حركات قومية ساند على تقويتها عسف سلاطين آل عثمان واستبدادهم فى حكم ما تبقى من امبراطوريتهم تحت حكمهم ، وترعرت هذه الحركات وامتدت فى سائر انحاء العالم الاسلامي من اندونيسيا الى المغرب ، وهي الحركات التي اشتد ساعدها فى منتصف القرن ، وانتهت باستقلال هذه القوميات وبانتصارها على الاستعمار والقضاء على الامبراطوريات فى العالم كله .

ومن الحوادث البارزة فى القرن الرابع عشر الهجري تكوين الدولة الباكستانية وتقسيم شبه قارة الهند على اساس ديني اسلامي ، تلك الدولة التي حلم بها الشاعر الاسلامي محمد اقبال وتحققت على يد القائد الاعظم محمد علي جناح . ومن ابرزها ايضا انهيار الامبراطورية العثمانية وانتصار قومي مضاد قادة الزعيم اتاتورك فى تركيا ، وكان رد فعل لمظالم آل عثمان ، وجاء انتصار اتاتورك على اثر انتصار اليابان على روسيا ، ثم بعد ذلك انتصار القائد محمد بن عبد الكريم الخطابي هنا فى المغرب حينما هزم جيشا اسبانيا باكمله فى معركة انوال فساعد ذلك كله على اقتلاع عقدة التفوق الاوربي التي كان يروج لها الاستعمار البريطاني بصفة خاصة تحت شعار « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » .

واذا كانت قد عقدت عدة مؤتمرات اسلامية غير رسمية فى القرن المنصرم ، فان أول مؤتمر رسمي عقده ملوك ورؤساء الدول الاسلامية فى التاريخ هو ذلك الذي عقدوه فى مدينة الرباط بدعوة من جلالة الحسن الثاني ملك المغرب للنظر فى موضوع احراق الصهاينة للمسجد الاقصى .

واذا ما توقفنا فى نهاية القرن الرابع عشر الهجري ورجعنا بالبصر الى بدايته مقارنين بين العهدين وجدنا ان المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها قد ساروا ـ بصفة عامة ـ اشواطا فى مختلف مرافق الحياة ، فقد أصبحوا جميعا مستقلين ، واصبح لهم وزنهم فى المجال الدولي ، بعد ان كانت بلادهم مجرد مستعمرات ، وانجبوا خلال ذلك عددا كبيرا من رجال العلم والآداب والفنون ، وبدأوا يبرزون فى ميدان التقنية والتصنيع والاخذ باسباب الحضارة الحديثة ، مع السرعة الملموسة فى تزايد

السكان وانتشار التعلم وتحسين وسائل الزراعة ، وتتوفر هذه البلاد فى مجموعها على ثروات متفاوتة على راسها كميات هائلة من النفط والفوسفاط تستعمل فى سبيل التنمية الاقتصادية وفى سبيل تحقيق الاهداف السياسية ايضا ، ومما يلاحظ فى هذه الفترة من الزمان ان الاسلام ازداد انتشارا وخصوصا فى الصحراء الافريقية التي أصبح له فيها معاقل كما ينتشر فى امريكا وبعض الدول الصناعية فى اروبا ، حيث اعتنق كثيرون الديانة الاسلامية .

* * *

ونجد المغرب من الدل الاسلامية التي كانت فى طريقها الى الافول عند حلول القرن الرابع عشر حينما نجد على عرشه مولاي الحسن الاول الذي كان يقول : « ان عروش السلاطين تتمثل فوق صهوات جيادهم » ، ذلك الملك العظيم الذي كان يبذل صادق الجهد للوقوف فى وجه الاعتداءات الاجنبية وخصوصا فى الميدان الدبلوماسي ، كما يبذل جهدا مضنيا فى سبيل صيانة وحدة البلاد امام الفتن الداخلية التي كانت تحركها هي ايضا مؤامرات المستعمرين واعوانهم الذين اصبحوا يتسربون الى البلاد من الحدود الشرقية بعد ان اصبحت الجزائر فى قبضة الاستعمار الفرنسي ، وان مما يدعونا نحن المغاربة الى التفاؤل والشعور بالتالي والاستمرار ان تجد على عرش المغرب فى آخر القرن جلالة الملك الحسن الثاني ابن حفيد مولاي الحسن الاول وارث همته ، ووارث سر ابيه العظيم محمد الخامس ، وذلك بالعمل على النهوض بالمغرب وتحقيق امانيه القومية فى الوحدة والاستقلال .

وكان مداد معاهدة مؤتمر مدريد لم يجف بعد فى أول القرن وهو المؤتمر الذي دعا المغرب الى عقده لكي تتعهد الدول التي شاركت فيه بوضع حد لنظام الحماية الفردية وكل ما تسبب فيه من فوضى أضعفت سلطة الحكومة المركزية ، فاذا بمؤتمر مدريد ينظم الحماية الفردية تنظيما ضاعف من خطورته وتمكينه من تعميق جذوره فى البلاد ، وسوف تنقض بعد ذلك حملات فرنسا العسكرية على الدار البيضاء ووجدة فى سنة 1907 ، وسوف تتمكن من فرض حمايتها على المغرب كله فى سنة 1912 اى فى الثلث الاول من هذا القرن المنصرم .

وقد ظل المغرب محافظا على استقلاله قرونا طويلة الى هذا التاريخ بالرغم من جميع المتاعب التي خلقها له البرتغاليون والاسبان والاتراك العثمانيون ثم الفرنسيون والحروب الدامية التي شنوها على المغرب دون جدوى ، وكان قد تكبد فى القرن الثالث عشر هزيمتين قاسيتين ، احداهما على يد الجيش الفرنسي فى معركة ايسلي التي دارت فى شرق المغرب ، وثانيهما على يد الجيش الاسباني فى معركة تطوان ، وامتد اثر الهزيمتين الى مفتتح القرن الرابع عشر بحيث اننا نجد حينما يحل القرن رجال الجمرك الاسباني لا يزالون يوجدون فى موانيء المغرب يقاسمون المغاربة مداخيل هذه الموانيء لتسديد الغرامة التي فرضتها اسبانيا على المغرب نتيجة لهزيمته فى معركة تطوان .

وكان المغرب آخر دولة عربية اسلامية يستولى عليها الاستعمار ، ولكنه كان اكثرها تعرضا للتمزيق سواء فى شماله او جنوبه أو شرقه ، الامر الذي سوف يفرض عليه مجهود مقاومة الاستعمار حتى اذا ما استقل اصبح عليه ان يبذل مجهودا اضافيا فى سبيل ازالة اثار هذا التمزيق وهو مجهود شاق سوف ينجح فيه الى حد بعيد فى نهاية القرن الحالي بعد المسيرة الخضراء المظفرة ، وان يكن لم ينجح فى ذلك كله وخصوصا فى ما يتعلق بحدوده الشرقية التي ضمتها فرنسا الى الجزائر يوم كانت تتوهم أن الجزائر اقليم فرنسي ، وخصوصا ايضا فيما يتعلق بمدينتي سبتة ومليلية التي تعتبرهما اسبانيا مدينتين اسبانيتين بالرغم من تاريخهما المغربي وبالرغم من أنهما تقعان فى صميم الاراضي المغربية ، على انه اذا كان النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجري يتسم بطابع افول الدول الاسلامية جميعها فان النصف الثاني منه يتسم بانتشار الانتفاضات القومية التي تنتهي بحصول هذه الدول على استقلالها من المغرب الى اندونيسيا فى بلاد الاسلام مترامية الاطراف .

وعلى الرغم من انهماك الدبلوماسية المغربية فى حماية استقلال المغرب من الضياع ، وذلك عن طريق ارسال البعثات الى مختلف العواصم لاوربية ، فان ذلك لم يشغله عن ارسال مندوبين عنه الى بعض الاقطار العربية والاسلامية ، فكان للمغرب مندوب فى تونس لرعاية مصالح المغاربة هناك ، كما كان للمغرب مندوب فى مصر يرعي التجار المغاربة فى مصر ويأخذ بيد الحجاج ويقوم بارشادهم حين مرورهم بالبلاد فى الطريق الى الحج ، ودارت مفاوضات بين الخليفة العثماني عبد الحميد

الثاني ومولاي الحسن الاول وتبودلت بينهما الرسائل من أجل انشاء تبادل دبلوماسي على مستوى السفارة ولكن ثارت ثائرة القناصل الاجانب فى طنجة ، الامر الذي ادى الى اخفاق هذه المساعي .

* * *

حتى اذا ما وصلنا الى آخر سنة من القرن المنصرم تطلعنا الى القرن التالي من خلال الزيارة التي قام بها جلالة الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن الى قداسة البابا جون بول الثاني فى الفاتيكان بوصفه رئيسا للجنة القدس التي تمثل سائر الدول الاسلامية سعيا منه الى التقريب بين وجهات نظر الديانات السماوية فيما يخص تحرير المدينة المقدسة من طغيان الصهيونيين واحتلالهم ، وللوصول الى حل عادل للمشكل الفلسطيني ، وعسى ان يكون لهذه الزيارة اثرها المحمود بالنسبة لانشاء علاقات ودية بين هذه الديانات فى المستقبل .

وهكذا حينما يكون الحديث عن الماضي تاريخا وذكريات يكون الحديث عن المستقبل آمالا وتمنيات ، تستند الى وقائع الماضي حقا ، ولكنها تستند فى نفس الوقت الى ما يتوقع والى ما يرجى .

لا شك ان المسلمين وهم يعملون على توحيد صفوفهم مع تطور وسائل المواصلات والاتصالات احوج ما يكونون اليوم اكثر من أى وقت مضى الى عقد مؤتمر ، بل مؤتمرات ، لاجل تصفية الاسلام من ما علق به وليس منه ، وتصفية خلافاتهم العقائدية . أولا ، لانه لا سبيل الى توحيد صفوفهم دون ذلك ، وثانيا ، لان هذه الخلافات تمكن الخصوم والكائدين من ان يفسروه بالطريقة التي يشاؤون ويحرفوه وفقا لاهدافهم ، ولذلك نقد آن الاوان لتجريدهم من هذا السلاح .

وان مما نتطلع اليه بهذه المناسبة أيضا ان يعقد مؤتمر ثقافي دوري بين ممثلي البلاد الإسلامية يكون من شأنه ان يتبادل فيه المسلمون ما يمارسونه من نشاط ثقافي وعلمي وفني وتقني على ان يعملوا قبل ذلك على التنسيق والتقريب بين برامج التعليم خصوصا فى مراحله الابتدائية والثانوية ووضع تاريخ اسلامي موحد ومجرد من النزعات والخلافات التي تكيف هذا التاريخ والتي تؤثر بدورها على فهم المسلمين لدينهم وتزج فيه بنزعات ما انزل الله بها من سلطان .

وعلينا ان نبذل صادق المجهود لاجل ان تصبح اللغة العربية لغة سائر البلاد في العالم الاسلامي باعتبارها اللغه التي نزل بها القرءان والتي جاءت بها التعاليم الاسلاميه التي لا يمكن فهمها على وجه الدقه ولا تذوق معجزة بلاغة القرءان دون ذلك ، وعلينا في نفس الوقت ان لا نظل غرباء عن اللغات الشرقية وخصوصا منها الفارسية والتركية لما تشتملان عليه من ثقافة اسلامية رفيعة ، فهما لغتان غنيتان ، وليس من الممكن ان يتفاهم المسلمون تفاهما كاملا وان يوحدوا صفوفهم الا اذا كان في مستطاعهم أن يتفاهموا باللغات التي يتحدثون بها ، وخصوصا في ميدان الاعلام المتبادل .

ومما نحبذه ايضا ان يقوم بين البلاد الاسلامية تنافس في ميدان الالعاب الرياضية وذلك بانشاء دورات رياضية اسلامية مع العمل على تعميم أنواع الالعاب الرياضية المختلفة في سائر دول العالم الاسلامي ، حتى تصبح الرياضة رابطه جديدة بين هذه البلاد .

واننا لنتمنى ان يكون عصر النزاعات الجانبية قد انتهى في القرن الذي نستقبله على اساس المبادىء الاسلامية ، حتى يتسنى للمسلمين ان يتفرغوا لحل مشاكلهم الكبرى الحقيقية ، ذلك ان المستفيد الاول من هذه النزاعات الجانبية هم أولئك الذين يتربصون بهم الدوائر ، بالاضافة الى ان هذه الخلافات الجانبية قد تؤدي الى محاربة المسلم لاخيه المسلم وهذا دون ريب ليس من الاسلام في شيء ، وليس من شأنه ان يحقق اي هدف كبير أو صغير من الاهداف التي يتطلع اليه المسلمون وهم في طريقهم الى مستقبلهم المرموق .

* * *

هذا وانني انتهز هذه المناسبة الكريمة لادعو الى ضرورة قيام الاتفاق بين قادة العالم الاسلامي على اقامة مهرجانات وحفلات ضخمة لا في العواصم الاسلامية فقط ، ولكن في سائر المدن والقرى في هذا العالم من أجل تعميق شعور أصغر طفل في ابعد قرية بان العالم الاسلامي لا يخرج فقط من قرن مضى الى قرن جديد ، وهو لا يغير رقما مئويا فحسب ، وانما هو أيضا على أبواب عهد من المع العهود ازدهارا في تاريخ الاسلام .

# كلمة فضيلة العلامة الاستاذ عبد الله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب

1 ـ نحن الآن فى موقف الوداع للقرن الرابع عشر الهجري ، وهو موقف يتطلب من ان نرجع بصرنا الى الوراء كرات عديدة ، فنتأمل ما حدث أثناء هذا القرن الذي لم ير العالم الاسلامي مثيلا له فى تاريخه على جميع الاصعدة ، سياسة كانت أم اقتصادية أم اجتماعية ، وقبل الانجازات نرى الاسقاطات الكبرى التي تعرض لها المسلمون خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجري ، فقد تم بسط يد الاستعمار على بلد الاسلام باسم الحماية والانتداب أو غيرهما من الاسماء التي تفنن الغرب المسيحي فى ابتكارها ، وسقطت عواصم هذه البلاد تحت ضربات الامبريالية الاوروبية من انجليزية وفرنسية وغيرها كدمشق وبغداد ومصر وفاس وتونس فى أوقات متقاربة .

واسقطت الخلافة العثمانية التي كانت تجمع شمل المسلمين وتقوم حاجزا بينهم وبين الاكتساح النهائي ، على ضعفها وتخلفها ، ولكنها ما لانت قط ولا استسلمت استسلام المسلمين اليوم على ما لديهم من قوة وثروة وطاقة ومعرفة . وزرع فى جسم العالم الاسلامي جسم غريب عنه كان كالسرطان الخبيث الذي لا علاج له ، فأشاع فيه الادواء والعلل من وهن وتخاذل وانهيار ، وهو دويلة اسرائيل التي استولت على أرض فلسطين وحاربت العرب والمسلمين مرارا وهزمتهم فى كل مرة حتى فى المرة التي قالوا انهم انتصروا عليها ، واغتصبت مدينة القدس وعطلت الرحلة الى المسجد الاقصى الذي لا يشد المسلمون الرحلة الا اليه والى الحرمين المكي والمدني الذي هو ثالثهما .

هذا فى الميدان السياسي ، وفى الميدان الاقتصادي أصبح العالم الاسلامي يدور فى فلك الغرب واقتصاده جزءا متمما لاقتصاده ، فخيراته

وثروته الطبيعية نهب لاروبا وامريكا ويده العاملة ، فى خدمة الصناعة الغربية ، بل ادمغته التي تكونت فيما بعد ، هي كذلك اصبحت من المصدرات التي يستفيد منها الغرب المسيحي على حساب المشرق الاسلامي .

وهكذا اضمحلت الصناعة بجميع انواعها فى العالم الاسلامي ، حتى الاولية منها التي كان ما يزال يحتفظ ببعضها فيما قبل هذا القرن ، وذلك تحت وطاة المنافسة القوية وعدم التطور ، وصارت البلاد الاسلامية كلها سوقا مفتوحة لتصريف المنتجات الاوربية الامريكية ابتداء من الخيط والابرة الى المدفع والطيارة ، والادهى من ذلك هو ان العالم الاسلامي خضع للمعاملات الربوية المحرمة تحريما باتا فى نظامه الاقتصادي .لذي جاء باصلاح عظيم فى هذا الباب وصار كثير من قادته يعتقدون انه لا نمو ولا ازدهار بدون اصطناع نظام الفائدة والربا المحرم .

واما فى الحياة الاجتماعية فقد وقع تحول كبير فى نظام الاسرة فخف الترابط بين افرادها ولا سيما بين الاباء والابناء ، ودب الانحلال الى الاخلاق ، وعم التبرج والسفور السفيه وانتشر الخمر فصار المسلمون من منتجيها وبائعيها ، ودخلت البيوت وشربها الاباء والابناء مجتمعين ، وفتحت المواخير فى اكثر من بلد اسلامي ، واقتبست القوانين الوضعية وحلت محل القوانين الشرعية ولا سيما قانون الحريات العامة الذي اباح كثيرا من المنكرات حتى الردة . وانتهكت كثير من الحرمات ، وسب الدين علنا ، وأزيح رجاله اى علماؤه عن مراكز النفوذ الا حين يحتاج اليهم فى حل ما بقي من العقود او ابرام ما لم يأذن به الله من الاحكام ، حتى اللغة العربية احيلت على التقاعد فى الادارة والتعليم وحلت اللغات الاجنبية محلها فى ذلك ، وصار البعض يدعو الى كتابتها بالحرف الاجنبي بدعوى ان الحرف العربي قاصر قصورها فى نظر البعض الاخر .

بازاء هذا الوضع قامت حركات تحريرية عظيمة فى البلاد الاسلامية، خاضت معارك ضارية مع المتسلط تارة باللسان والقلم ، وتارة بالمقاومة والسلاح ، وقد نتج عن ذلك استقلال معظم البلاد التي كانت خاضعة للعدو ، فملكت امرها وانتصبت فيها حكومات نهضت بالتعليم والصحة

والعمران ، وذلك فى النصف الثاني من القرن الذي نودعه ، وفى الناحية المادية يمكن ان نقول ان البلاد الاسلامية تطورت تطورا عظيما ، واخذت من وسائل الحضارة الحديثة ما طعمت به حضارتها العريقة ، والانجازات التي حققتها فى هذا الصدد مما لا يستهان به ؛ ولكنها كلفتها كثيرا من التضحيات المعنوية كما سبق القول ثم انها ما زالت لم تسترد مكانتها التي كانت لها فى الماضي كقوة كبرى لا تدانيها قوة ، بل ولا قوه ثالثة فى مقابل القوتين العظيمتين برغم توفرها على المؤهلات التي تجعلها كذلك ، لانها مختلفة الكلمة ، متفرقة الصف ، فجهودها فى سبيل التنمية تذهب سدى وبذلك يخشى ان ترجع القهقرى ، وهكذا عجزت ان تحل مشكلة وجود اسرائيل على احدى أراضيها المقدسة ؛ وبدات مطامع المستعمرين تنقصها من اطرافها مجددا ، ودخول القوات السفياتية الى أفغانستان مثال بارز على ذلك .

هذه هي النظرة الواقعية الى القرن المنصرم ، ولا أخال ما كسبناه فيه يساوي ما فقدناه فأحرى ان يقاومه ، وليس هذا تشاؤما بل هو الحق المر الذي يتجرعه كل واحد منا الا من يغالط نفسه ولا يصدق حسه .

2 ـ ونحن واقعون على عتبة القرن الخامس عشر الهجري نرحب بمقدمه ونستبشر بمطلعه ؛ نتوقع ان تتراجع الحكومات الاسلامية عن التبعية لاى معسكر اجنبي ، شرقيا كان ام غربيا وتنبذ ما تبنته من انظمة الطرفين فى الحكم والاقتصاد والتربية الوطنية ، وتسهر على حماية المجتمع الاسلامي من مفاسد الحضارة الغربية وفجورها ، ولا سيما الخمر التي هي أم الخبائث وتبرج النساء الذي لا يرضاه الله ولا رسوله والمومنون وتحد من هذه الحرية المطلقة التي فتحت الباب لمهاجمة العقيدة الاسلامية والاستهزاء بالمقدسات وتقويض بناء الاسرة وتغيير أحكام الشريعة الغراء ، وتعمل على الالتحام بشعوبها فانه لا خطر عليها اعظم من الهوة السحيقة التي يعمقها الاجنبي كل يوم بواسطة دعاته والمشحونين باديولوجياته ، بين الحكومات والشعوب فيجعل كلا منهما عدوا للآخر ، وبذلك يسهل عليه تسخيرهما معا والتحكم فيهما كما يريد .

والى ذلك نتوقع ان تتقارب البلاد الاسلامية بتفاهم حكامها بعضهم مع بعض ، وتدرك تمام الادراك أن ما أصابها من نكبات وانتكاسات انما هو

بسبب تخالفها وتفرقها ، فتعمل جاهدة على جمع الشمل وتدشين عهد الوحدة بأى شكل من الاشكال التي يقتضيها العصر ولا تتصادم بالمعوقات المعروفة ، وتقوم حينئذ دولة الخلافة الاسلامية او الولايات المتحدة الاسلامية او الاتحاد الدولي للحكومات الاسلامية او ما شابه ذلك ، فيمسح العار ويحمي العرين ويفرض المسلمون وجودهم ، ويتمكنون من اداء رسالتهم التي تنقذ البشريه مما تتخبط فيه من ظلم وظلام . وتعود الحضارة الاسلامية سيرتها الاولى من المزاوجة بين المادة والروح والعلم والدين والدنيا والآخرة . ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ، ويومئذ يعلو الحق وتسفل الاباطيل ، ويومئذ يعم السلام الارض والسعادة الناس .

3 ) اعلم ان احتفالات عظيمة ستقام فى انحاء الدنيا بحلول القرن الخامس عشر الهجري بل انها قد بدات بالفعل فى هذه السنة التي هي ختام القرن الرابع عشر ، فى الدوحة وفى تونس وفى سيرالانكا ، وكانت ستقام حفلة من هذا القبيل فى الولايات المتحدة الامريكية ولكنها ارجئت وفى الاتحاد السوفياتي سيقوم المسلمون هناك فى آخر هذه السنة باحتفال اعلنوا عنه من الآن ، وقد أعدت الامانة العمة للمؤتمر الاسلامي برنامجا حافلا يشتمل على مهرجانات عديدة لاستقبال القرن الجديد فى مختلف اقطار الاسلام . واني وان كنت أرحب بهذه الاحتفالات واستحسن القيام بها لانه من غير اللائق ان يمر هذا الحدث الزمني بدون اثارة الانتباه اليه ، والوقوف عنده باعتباره مرحلة جديدة من تاريخ الدين الاسلامي الحنيف ، الا انى لا اعلق اهمية كبيرة على هذه الاحتفالات التي الفناها وتعودنا عليها لصبغتها النظرية وصفتها الادبية مهما تنوعت وسائلها واختلفت اساليبها فهي هي ، تكرر نفسها وتعيد واقعها ولا يكون لها من اثر على الناس ولا من صدى فى المجتمع الا ما يدخل فى باب المقارنة بينها ايها كان انجح وايها كان اكثر روادا ومتكلمين ، وايها كانت النفقة عليه أوسع ، وايها غلبت عليه النزعة التحررية وما الى ذلك . ولا يلبث الحديث عنها ان يشمله خبر كان وينسى ما لها وما عليها .

فما لم يكن الاحتفال بالقرن القادم تحركا عمليا على نطاق العالم الاسلامي من ملوكه ورؤسائه وامرائه ، ومن قادته وزعمائه وساسته ، ومن علمائه وأساتذته وطلبته ومن جماهيره وطبقاته الشغيلة وارباب الاعمال

والمال ، لوضع ميثاق انقاذ وعمل يلتزم به الجميع ، بعد حصر المشاكل الكبرى والقضايا الاولى التي تتطلب الحل العاجل والموقف الحازم . والبداءة بها قبل غيرها وتحمل جميع المسؤوليات وبذل كل التضحيات واستخدام سائر الوسائل للكسب والمعركة التي بيننا وبين العدو والخروج من عالم التخلف الذي يصفنا فيه ، بسبب هزائمنا المتكررة وعدم احراز كياننا على ما بيدنا من قوة بل قوى لا تغلب ، اقول ما لم يكن الاحتفال بما هو من هذا الوزن وعلى هذه الشاكلة والعزم المطلوب والحسم الواجب ، فلا غرو ان تبقى دار لقمان على حالها وان القينا الف خطاب وخطاب وانشدنا الف قصيدة وقصيدة ونشرنا من كتب التراث ما شئنا وملأنا الساحات بالهتافات والشعارات ، فنداء واقدساه ، ينتظر مستجيبا من طراز المعتصم وصلاح الدين ويوسف بن تاشفين لا كاتبا من طبقة عبد الحميد ولا خطيبا كقس ولا شيء غير ذلك .

ونسأل الله ان يلهم الامة الاسلامية الرشد ويقيها شر الاعداء ويصلحها ويصلح بها انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير .



# كلمة سماحة الاستاذ الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية

قبل الشروع بمحاولة رسم صورة تقريبية لواقع العالم الاسلامي فى العام الاخير من القرن الرابع عشر الهجري ، يحسن استذكار صورة شبه تقريبية لواقع الفترة الاخيرة من القرن الثالث عشر الهجري ...

ففي هذه الحقبة ، كانت منطقتنا من الخليج الى المحيط محيطا لشعب اسلامي تظلله خلافة اسلامية ذات سيادة ومهابة بما كان لها من جيش ونظام ومؤسسات . وان كانت قد بدات فى الحقيقة تفقد الكثير من عناصر قوتها وسطوتها واصالة انظمتها وتشريعاتها ومؤسساتها ...

كان الحاكم واحدا تقريبا ، والدستور واحدا ، والقانون المعمول به واحدا ، والجيش واحدا ، والنظام لاقتصادي واحدا ، والثقافة متقاربة، والشعارات واحدة ، والهموم واحدة ، والاهداف واحدة ، وفوق كل ذلك كان الاسلام هو المهيمن بشريعته وعقائده وآدابه .

والشعوب الاسلامية الخاضعة للخليفة كانت بصورة عامة فى وضع اجتماعي وثقافي واقتصادي مقبول اذا ما قورن بأوضاع امثالهم من الشعوب فى العالم الغربي والشرقي ... ولولا اطماع للدول الغربية المختلفة فى منطقة الشرق الاوسط وما تختزنه من ثروات فى طباق الارض وما تمثله من واقع جغرافي ومناخي خطير ، وما تبع ذلك من دسائس ومؤامرات وصراعات ظاهرة وباطنة الهت الخلافة ووزعت قواها وطاقاتها وهي فى شيخوختها ، لاستطاعت هذه الشعوب القفز فى مجالات الحضارة قفزات مشهودة .

* * *

اما اليوم ونحن فى ختام القرن الرابع عشر الهجـري وفى عامه الاخير ، فانا نجيل النظرة فى عالمنا هذا الذي كان يدعى العالم الاسلامي، ويخضع للخليفة المسلم فتراه كما يلي :

1 ـ انقسم الى قريب من عشرين دولة ، لكل منها حدودها وسيادتها وحاكمها وشعبها ودستورها وجيشها وسياستها .

2 ـ لكل دولة نظامها الاقتصادي ، فمنها الذي ارتضى النظام الحر ، ومنها من ارتضى النظام الموجه ، ومنها من فرض النظام الاشتراكي، ومنها من ارتضى تقريبا النظام الشيوعي ، ومنها من استمر فى تبني النظام الراسمالي .

3 ـ ومع اختلاف انظمتها الاقتصادية اختلفت هذه الدول فى انظمتها وقوانينها التي شرعتها وحكمت بها شعوبها فكانت الانظمة المستمدة من القانون الانكليزي او الامريكي او الفرنسي او الالماني او السويسري ، وكانت الانمظة المستمدة من القوانين الاشتراكية والشيوعية .

4 ـ وتبع ذلك ايضا اختلاف فى المناهج التربوية واختلاف فى السياسات التي تحكم التاريخ وتجعله بشكل يتفق مع اهدافها واساليبها فى الحكم ، واختلاف فى الانظمة التي تحكم الناس وتفصل فى اقضيتهم ومشاكلهم وختلافاتهم واختلاف فى الاجتماعيات والآداب واساليب التعامل والعيش ، والحلال والحرام فى المطعم والمشرب والملبس والسلوك والتعامل ..

5 ـ تبخر التشريع الاسلامي وزال وجوده فى اكثر هذه الدول وحل مكانه القانون المدني الذي يشرعه المجلس النيابي حسب مقتضيات الزمن وحاجات الشعب ومتطلبات السياسة والحكم ، او يشرعه المجلس الحاكم .

6 ـ واستحدثت الثقافة العلمانية وروجت لها اجهزة الاعلام المتنوعة حتى زحزحت الثقافة الاسلامية عن مكانتها الاصيلة لتلبث فى الظل الى أمد وبعيدا عن افكار الناشئة من أبناء الشعب .

7 ـ وحل محل الاقتصاد الاسلامي الملتزم بحدود الشريعة ، الاقتصاد الحر الذي لا يلتزم سوى بحدود مصلحة الحكم والقائمين عليه فكان التلاعب بجهود الناس وأموالهم بالاساليب المكشوفة والاساليب غير المكشوفة دونما رادع من ضمير وخلق ودونما رادع من حكم ..

8 ـ وحل محل السياسة الاسلامية الموحدة سياسات مختلفة تابعة وملتزمة بما ترسمه السياسة العليا فى البلد المهيمن من بعيد ، سواء كان هذا البلد أمريكا أو روسيا او انكلترا ، او فرنسا او سواها ، فالمنفذ مسلم والمخطط بعيد عن الاسلام وربما عدوله ..

9 ـ واستبدل الجيش الموحد والقائد الواحد والمجلس الحربي الواحد، جيوش وقيادات ومجالس حربية تستنفد اموال الامة وطاقاتها ، لا يربطها نظام ، ولا نوع سلاح ، بل تعمق الفصل بينها الاطماع الخفية للدول التي تستتر وراءها . وتزيد فى اضعاف الامة وهلهلة كيانها حتى تمكنت دولة فتية كاسرائيل من التغلب عليها مجتمعة فى أكثر من معركة ، وانقلبت جميعها تهاب سطوتها وتخشى بطشها .

10 ـ وحل محل الحرية المنبثقة عن القانون والشرع ، حرية ماردة تنبثق من الهوى والمصلحة الشخصية .

كل هذا جعل من هذا العالم الكبير بما هو مهيأ عالما مستضعفا عاجزا تنهشه الاطماع ، ولا يطيق الدفاع عن نفسه ولا صيانة حدوده فيستجدي الحماية من الدول العدوة عند ما تطاوله قوة جائرة ، بل وجعله غير مالك لزمام امره ، وينتظر من الآخرين ان يقرروا له ما يشاءون لينفذه صاغرا مدحورا . وقد قرر له أولئك الاعداء ان تقوم فى صلب منطقته دولة صهيونية عرقية شيطانية واقاموها بالفعل وسلطوها عليه بل على جميع الدول الموجودة فيه واحدثوا لها بوجودها مشكلة المشاكل وعقد العقد وقضية الشرق الاوسط التي لا تحل الا بشرط واحد هو ان توجد الارادة الاسلامية الراغبة فى التحرر ، ولن نكون والشعوب الاسلامية على هذه الحال ...

ومع ذلك ، فانا نتساءل : الم يكن لهذا العالم وهو على هذه الصورة من التفكك انجازات كريمه ؟ !

لا نستطيع في الواقع رغم كل ما سبق ، ان ننسى لهذا العالم على تفككه وتهلهل وضعه بعض المنجزات الهامة التي يمكن ان يكون لها خطرها وقدرها لانتشاله واعادة تماسكه وترسيخ بنيانه وهي :

1 ـ انه انشأ الجامعة العربية ، والامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي، وهما وان لم يتمكنا من تحقيق الهدف المنشود ، قد سارا بالامة فى الطريق الموصل او على الاقل وجدت بهما لديها الارادة للسير على الطريق الموصل .

2 ـ ان هذا العالم على تفككه سلك طريق اقامة العديد من المؤتمرات فى كل مجال واختصاص ، الامر الذي أحيا ظاهر التواصل بين شعوب هذا العالم ، واحيا ارادة الترابط وعمقها فى النفوس ودفع بالجماهير للتطلع الى المزيد منها حتى تنال الامة مقاصدها وتحقق آمالها .

3 ـ اوجد العديد من المؤسسات الصناعية والتجارية ونوعها بحيث تحقق بعض حاجات الامة ومتطلباتها فى حياتها ومعاشها وهي وان كانت لم تحقق كل المقصود الا انها عبرت عن القدرة الكافية فى الامة والامكانية القادرة على الوصول الى الاكمل والاحسن .

4 ـ اوجد العديد من المؤسسات الثقافية والتربوية على اختلاف مستوياتها وكذلك المؤسسات الاجتماعية والصحية ونوعها بحيث مكن للامة وابنائها وناشئتها من الدين والعقيدة والعلم والمعرفة والادب والفن .

5 ـ فيما سبق جميعا احدث لدى الاجيال الصاعدة وعيا حضاريا ويقظة وطنية وتاريخية وتطلعا كيانيا من خلال معطيات ماضيه الحضاري وتاريخه المجيد وتراثه العتيد الفكري والعلمي وفى كل الحقول . وهو امر عظيم اذا ما قيس بالنسبة لما نرنو اليه وبخاصة اذا أحسن الاستفادة منه وتوجيهه ...

اوضحنا فى اجابتنا على السؤال الاول بعض ما حضرنا من الانطباعات والرؤى عن القرن الرابع عشر الهجري فى فترته الاخيرة ، وقلنا بانه شهد

انحرافا خطيرا عن خط الاسلام ، وعن الوضع السليم الذي كان ينبغي ان يكون عليه هذا العالم الاسلامي في المنطقة العربية على الاقل .

اولا : بفقدانه السمة الاسلامية والشخصية الاسلامية في ابرز معالمه الحياتية والسلوكية .

ثانيا : بفقدانه السيطرة على مقوماته الذاتية السلطوية والفكرية والدينية والخلقية والسياسية والاقتصادية والصناعية وغيرها .

ولكنا مع ذلك لم ننس ان نبرز ما كان له من فضل في مجالات الفكر والاقتصاد والصناعة والتربية والاجتماع والسياسة من بعث واستفاقة واسعة بايجاد المؤسسات المختلفة المتنوعة والعديدة في كل مجال ، وانشاء الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، والاكثار من المؤتمرات في كل الاختصاصات التي حركت الهمم واحيت النشاطات وقربت بين المتباعدين وساعدت الى حد بعيد على تخفيف الخلافات وتقصير المسافات والتنسيق بين مختلف الجهات لتحقيق المصلحة العليا الاسلامية ، وفي ضوء هذا يمكننا ان نقتحم الاجابة على السؤال الثاني الذي يطلب ابراز كيفية النظر الى القرن الخامس عشر الهجري واهم مطامحنا فيه لرسم معالمه في تاريخ الاسلام .

ولا ريب ان التغييرات على الساحات الاجتماعية المترامية الاطراف ليست أيسر منها على ذات الفرد ، اذا لم تكن اصعب واكثر تعقيدا .

ولذلك فان اول ما يخطر لنا هو ان التطلع الى تحقيق المتغيرات الاجتماعية والدينية والفكرية والسلوكية والسياسية وغيرها مما نطلبه لمجتمعنا الاسلامي ليصبح في المستوى الكريم العزيز ، أمر لا يتحقق ما بين طرفة عين واخرى ، ولا ما بين عشية وضحاها ، ولا في ايام وليال طوال ، بل في جهد طويل مرير وزمن مديد ، وبعد نضال صابر وثابت يتخلله الكثير من العنت والضيق والمشقة والعذاب بل والصدام الدامي احيانا في وجه المنتفعين والمنافقين المذبذبين ، والخونة العملاء للعدو ، الذين باعوا ضمائرهم وكفاءاتهم وانفسهم للشيطان طوعا وكرها وقصدا وبدون قصد ...

ولكن لابد مع الجهد الصادق والعمل المخلص الجاد من الوصول الى الهدف ، وتحقيق المطامح السامية ، ومن خلال هذه المعاني احـــدد بأن أهم المطامح التي نتطلع اليها فى القرن الهجري الجديد هي ما يلي :

1 ـ ان يتغلب المصلحون المؤمنون على الانحرافات الكثيرة التي الـمت بالشعب المسلم ويغسلوا فكره من اللوثات الشيطانية الماردة التي شحنت فيه بفعل الثقافات الملطخة بالكثيـــر من الشـــر والفساد والباطل بقصد تشويه واضلاله واغوائه ، وان يغسلوا قلبه من الادران الذي حجب عنه النور الذي يكشف به ضياء الحق وجلال الخيــر وجمال الاستقامة والالتزام بحدود الله .

2 ـ ان ينقلب الشعب المسلم من الخليج الى المحيط بفعل هذه التوعية مؤمنا بتراثه وبذاته وشخصيته ومقوماتـــه العقيديـــة والدينيـــة والتاريخية ، وموقنا بكرامته وعزته وبقضاياه المصيرية ، حريصـــا عليها ، ومستعدا للنضال فى سبيلها مهما كان الثمـــن وايا كانـــت النتائج ما دام مستعينا بالله ومتوسلا بالحق والخلق الكريم ...

3 ـ ان يحقق هذا الشعب الذي سينقلب حسب نظرتنا شديد الوعـــي ، دقيق التقدير من خلال الضغوط الحكيمة الصارمـــة على حكامـــه والمسؤولين فيه ، الاتحاد التام بين الشعوب الاسلامية المتقاربـــة على مثال ما هو حاصل بين جمهوريات الاتحاد السوفياتـــي أو على مثال ما هو حاصل بين الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية ...

4 ـ ان يتخلص من الوجود الاسرائيلي نهائيا ، وان يتحقق أمل الشعب العربي بخاصة والاسلامي بعامة ، بالتحـــرر كامـــلا من الوجـــود الاستعماري فى المنطقة كلها سياسيا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا .

انتشر فى السنوات الاخيرة من القرن الرابع عشر الهجري احساس حي ومندفع فى قلوب عامة المفكرين المسلميـــن والمعنييـــن بالشؤون الاسلامية بضرورة توجيه الكثير من العناية الى القرن الهجري الجديد من خلال التذكير بمعاني هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون مسرحـــا لمنجزات اسلامية عظيمة ترتفع لمستوى حاجة الامة ومستـــوى الديـــن الـــذي نحملـــه .

وقد كان هذا الاجماع الرائع الذي نشهده اليوم فى كل منطقة من العالم الاسلامي على ايلاء مطلع هذا القرن ما يستحقه من الاهمية وتخصيص الجهود المخلصة فى كل اختصاص ومن كل الكفاءات لانجاح خطواته الاولى واضفاء ظاهرة التوفيق على اطلالته أملا بأن ينسحب ذلك على القرن الخامس عشر بأجمعه فيفتح الله فيه على المسلمين عامة فتحا مبينا فى كل المجالات ، ويعيد لهم سالف مجدهم وعظيم عزهم .

واني لاتصور بأن وسائلنا للاحتفال هذا لكي تكون فى مستوى الاهداف ومقامها هي :

1 ـ تعميق ظاهرة الاقتداء اولا وبمختلف الوسائل بصاحب الذكرى ورسول الانام محمد عليه الصلاة والسلام .

2 ـ تعميق الاهتمام بالمناسبات التاريخية والدينية والتذكير بما تحمله من معان ومكارم ، وبعث التراث والتاريخ الاسلاميين وحض الناس على قراءتهما والاهتمام بهما اهتماما كبيرا فى البيت والمدرسة والمجتمع والتأسي بأعمال القادة المصلحين والعلماء العاملين والحكام الراشدين .

3 ـ تعزيز التواصل بين الكفاءات والقدرات البشرية وترسيخها والاستفادة منها فى صالح العالم الاسلامي كوحدة .

4 ـ عقد المزيد من المؤتمرات واللقاءات الاسلامية للبحث والمناقشة فى العديد من القضايا المصيرية التي تقض مضاجع المسلمين وخاصة القضايا المشتركة ، ومحاولة الوصول الى نتائج ايجابية مثمرة وفعالة .

5 ـ البحث بجد عن المشاريع والمؤسسات النافعة والضرورية للمنطقة على كل صعيد ، والاجتهاد فى تحقيقها وجعلها امرا واقعا وحيا .

6 ـ تنشيط الكفاءات المهنية فى المنطقة لبعث ظاهرة الابداع لدى الاجيال . هذه الظاهرة التي عليها يعتمد للتفوق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

# كلمة سعادة الاستاذ الدكتور منصور إبراهيم التركي مدير جامعة الرياض

ان النظرة الموضوعية الى القرن الرابع عشر الهجري فى عامه الاخير تحكمها عدة جوانب ، منها جوانب سلبية ، كما أن هناك الجوانب الايجابية، وسوف نتحدث عنها على النحو التالي :

**الجوانب السلبية :**

لقد شهد القرن الماضي الغاء الخلافة الاسلامية بسقوط نظام الخلافة العثماني . وعلى الرغم من تباين وجهات النظر بين المؤرخين حيال الخلافة العثمانية فانها كانت تمثل على الاقل وحدة سياسية بالنسبة للامة الاسلامية ، وان انهيارها يعني عدم وجود اي نوع من انواع الترابط الذي يجمع المجتمعات الاسلامية تحت تمثيل واحد . وكنتيجة لهذا الحدث برزت القوميات كحقائق واصبحت الامة الاسلامية تتمثل فى بلدان مختلفة ، كل بلد منها مستقل عن الآخر فى نظرته ومواقفه السياسية .

وقد ترافق مع ضعف الخلافة العثمانية ثم بالتالي سقوطها خضوع العديد من البلدان الاسلامية للاستعمار الاجنبي فاحتلت عدة بلدان اسلامية سواء فى العالم العربي او غيره من قبل بعض البلدان الغربية وفرضت الوصاية على العديد من بلدان العالم الاسلامي . وان من اخطر هذه الحركات الاستعمارية هو خلق وانشاء الدولة الصهيونية فى قلب العالم الاسلامي واقتطاع جزء هام من اجزاء الوطن الاسلامي هو فلسطين.

ولا يغيب عن التفكير مدى الخطورة التي يشكلها وجود اسرائيل فى هذا الموقع الهام بالنسبة للعالم العربي والاسلامي ، فلقد كان وجودها

يشكل عائقا من العوائق التي تقف فى وجهة العالم الاسلامي لما تمثله من تهديد لاستقلاله السياسي ومصالحه الاقتصادية . وعامل هدم للحضارة والثقافة الاسلامية باعتبار انه تمثل جزءا غريبا فى حضارته وثقافته وسلوكه ، فهي شوكة تقص مضاجع المسلمين أينما كانوا ولا أدل على صدق الخطورة التي تمثله ما قامت به فى نهاية هذا القرن من احتلال لبيت المقدس موطن المسجد الاقصى ثالث الحرمين . وأول قبلة للمسلمين . ان احتلال اسرائيل للقدس يصيب مشاعر المسلمين فى الصميم . وهي الدولة التي لا تحترم قدسية الاماكن المطهرة ودللت على ذلك بإحراقها للمسجد الاقصى سنة 1389 هـ وعرضت المسجد لخطر السقوط بالحفريات المختلفة حول المسجد وطمست معالم المدينة بالمستوطنات والمباني التي تقيمها فيها .

ومن الجوانب السلبية للقرن الرابع عشر ان البلدان الاسلامية قد تعرضت خلال الفترة الاستعمارية الى محاولات عدة من جانب المستعمر لطمس شخصيتها وتضييع معالم حضارتها وتشويه الفكر والثقافة الاسلامية . ومع ان معظم هذه الدول الاسلامية قد استطاعت ان تحقق استقلالها السياسي فانها مع الاسف لم تستطع ان تتخلص مما خلفه الاستعمار فى بلدانها من آثار تحتاج الى جهد كبير لازالتها فقد ادخل حضارته الى البلدان الاسلامية وادخل معها ثقافته وانماط تفكيره ، ولم تكن البلدان الاسلامية فى تلك المرحلة من القدرة بحيث تستقل فى تفكيرها وتأخذ من الحضارة والثقافة الغربية ما يتلاءم مع قيمها وحضارتها مميزة بين الخبيث والطيب . فلقد كان المستوى الثقافي المتدني فى تلك البلدان باعثا اساسيا لنجاح الثقافات الاجنبية فى ان تجد آذانا صاغية وان يسير معظم العالم الاسلامي تحت ذلك التأثير . فمعظم الانظمة التي تطبق فى اغلب بلدان العالم الاسلامي تعود الى مستعمريه ، ناسين أو متجاهلين تحت تأثير الثقافات الاجنبية بأن لها تراثا قانونيا شرعا تستطيع ان تنظم به احوال مجتمعاتها وعلاقة هذا المجتمع بعضه ببعض . كذلك فان معظم انظمة التعليم وبرامجها ومناهجها مبنية بوعي او دون وعي على نمط التفكير والثقافة الاجنبية ، وهذا بلا شك كان له دور رئيسي فى عزل الاجيال الجديدة عن تراثها الكفري والثقافي .

## الجوانب الايجابية :

اما الجوانب الايجابية للقرن الرابع عشر فاننا نلمسها في الجوانب التالية :

لقد جاهدت بلدان العالم الاسلامي جهادا طويلا للتخلص من الاستعمار الاجنبي والحصول على الاستقلال السياسي ، وقد استطاعت معظم الدول الاسلامية التي خضعت للحكم الاستعماري أن تخلص بلدانها من سيطرة الدول الاستعمارية . وهذا بلا شك يشكل عاملا مهما وايجابيا لانه يمكن دول العالم الاسلامي ان تحدد اتجاهها بعيدة عن الخضوع للمستعمرين . وكذلك يمكنها من ان تسير في اتجاه يقربها من الدول الاسلامية الاخرى .

وبعد ان تحقق استقلال الدول الاسلامية عن الاستعمار الاجنبي نشأت في كل بلد من هذه البلدان نشاطات اسلامية متجهة الى خدمة قضايا الفكر والثقافة الاسلامية وتحديد مواقف واضحة من الحضارات والثقافات الاجنبية ، وذلك بالاصرار على التمسك بالعقيدة الاسلامية والتراث الاسلامي ، وقد قام العلماء واساتذة الجامعات في هذه البلدان بجهود علمية مشكورة للعودة الى منابع الفكر الاسلامي ودراسة هذه المنابع ومواجهة المشاكل التي تحيط بالمجتمع المسلم على ضوء ما تقدمه منابع الفكر الاسلامي الاصيل من حلول ، فوجدنا الدراسات الفقهية المتعمقة والمقارنة بالقوانين وتوضيح مدى ما يمكن ان يقدمه الفقه الاسلامي من حلول للمشكلات في الوقت الراهن . كذلك نشطت الدراسات التي تحدد موقف الاسلام من الحضارات الاخرى على اساس دراسة هذه الحضارة ونقدها من منطلق اسلامي ، وتبين ما يمكن قبوله منها ، مما يعتبر موافقا للفكر الاسلامي او غير متعارض معه . وانماط الحضارة والسلوك المرفوضة .

ومن الجوانب الايجابية للقرن المنصرم الدعوات التي انطلقت في اواخر هذا القرن داعية العالم الاسلامي الى مزيد من التقارب والتنسيق دوله لارتباطها الاساسي بالعقيدة الاسلامية ولما يلزمها به هذا الارتباط من ضرورة توحيد وجهات النظر والتكاتف في مواجهة التحديات التي تجابه العالم الاسلامي . فوجدت المنظمات التي تهتم بمثل هذه الامور

مثل رابطة العالم الاسلامي ، ومنظمة المؤتمر الاسلامي . وقد حققت هذه المنظمات والمؤتمرات بعضا من النجاح ، حري به ان يكون اساسا متينا لتطوير العلاقات بين الدول الاسلامية فى المستقبل .

هذه اهم عناصر النظرة الموضوعية للقرن الرابع عشر ، ايجابياته وسلبياته فى المجالات المختلفة .

## النظرة المستقبلية للقرن الخامس عشر الهجري :

اذا اردنا ان نتطلع الى القرن الخامس عشر لرسم معالم قرن جديد يكون فيه الخير والصلاح للعالم الاسلامي فاننا لا بد وان نبني هذا التطلع على اساس نظرتنا للقرن الرابع عشر محاولين ان نطور ايجابياته لتحقيق مزيد من النجاح ، ونوجد الحلول الناجعة لسلبيات القرن الماضي ، فاذا استطاع العلماء وقادة الراي والفكر فى العالم الاسلامي ان يواجهوا تلك السلبيات ويقدموا الحلول المناسبة لها يمكن بالتالي للقرن الخامس عشر ان يكون افضل من القرن الماضي . وانني أرى ان اهم المعالم التي يجب ان يتركز عليها الاهتمام هي على النحو التالي :

## فى الجانب الثقافي والحضاري :

لقد اتضح لنا عند الحديث عن سلبيات القرن الرابع عشر ان معظم البلدان الاسلامية تأثرت بنسب متفاوتة بالفكر والثقافة الاجنبية دون وعي بهذا الفكر ، لذا فان اهم عنصر فى رسم معالم القرن الجديد هو العودة بالفكر فى العالم الاسلامي الى أصالته المبنية على عقيدته الاسلامية . ولا يعني هذا اغلاق الباب امام الثقافات والافكار الانسانية ، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين يجدها ، وانما يجب ان يكون ذلك عن وعي وادراك لما يأخذ ، وأثر هذا الفكر والثقافة فى العالم الاسلامي . اننا نستطيع مثلا الاستفادة من العلم والتقنيات التي طورها المجتمع الغربي ، ولكن فى نفس الوقت تراعي بعين الاعتبار الاسس الاسلامية التي تحكم مجتمعاتنا وعدم تعريضها للخطر او الانجراف نحو التيارات الثقافية والفكرية المتواجدة فى تلك المجتمعات . لا بد ان نعمق الفكر الاسلامي فى نفوس ابناء العالم الاسلامي مما يشكل حصنا منيعا فى هذه النفوس حتى لا نقع

فيما وقعت فيه المجتمعات الاخرى من انحلال وسقوط وتفكك فى الاسر والعلاقات الاجتماعية .

فى رسم معالم القرن الخامس عشر لا بد ان نتجه بكامل قدراتنا الى الشريعة الاسلامية نستلهم منها منهاجا لحياتنا وتنظيما لمجتمعاتنا محاولين التخلص من آثار الاستعمار فى المجالات التشريعية والتنظيمية . فهذه الشريعة الخالدة قادرة بحول الله وارادته على تقديم الحلول المناسبة لمشاكل المجتمعات الاسلامية فى العصر الحاضر والمستقبل ، ولا نحتاج فى هذا المجال الى القوانين والانظمة الغريبة عن مجتمعنا ، فالعالم غير الاسلامي لم يلجأ الى تنظيم مجتمعه عن طريق غير الطريق الذي يتلاءم وبيئته وتراثه الفكري .

ولا بد من أن نعيد النظر فى مناهجنا التربوية ونخلصها من شوائب التبعية للفكر غير الاسلامي ، ونطور مناهج الدراسة والتعليم فى مدارسنا وجامعاتنا بما يربط اجيالنا الحاضرة والمستقبلية بتراثهم الفكري والحضاري .

### فى المجال السياسي والاقتصادي :

لقد وجدت فى نهاية القرن الرابع عشر بعضا من المنظمات والمؤسسات التي تعني بشؤون السياسة والاقتصاد على مستوى العالم الاسلامي ، فلا بد لهذه المؤسسات أن تشهد تطورا خلال القرن الخامس عشر بما يحقق الاهداف التي من أجلها انشئت ، فمثلا منظمة المؤتمر الاسلامي ، والتي تشكل نواة لتوحيد المواقف السياسية بين الدول الاسلامية لا بد وان تتعزز قدراتها وان تحقق نجاحا أفضل فى تقريب وجهات النظر بين الدول الاسلامية بحيث تجعل العالم الاسلامي قوة سياسية يحسب لها ، وينظر اليها نظرة تتلاءم مع ما للعالم الاسلامي من ثقل ووزن على المستوى الدولي . وبالتالي سوف نجد ان المعسكرات السياسية المختلفة فى العالم سوف تنظر بعين الاعتبار لهذه القوة الجديدة . واننا جميعا نتطلع الى ان يكون القرن الخامس عشر قرنا يشهد زوال الدولة الصهيونية من وجودها فى قلب العالم الاسلامي وان تعود القدس مدينة عربية اسلامية حرة يؤمها المسلمون لزيارة المسجد

الاقصى ، كما يؤمها غيرهم لزيارة معابدهم وكنائسهم ، كما حفظها لهم الحكم الاسلامي طيلة الاربعة عشر قرنا الماضية . وان ذلك لن يتم ما لم تتوحد جهود العالم الاسلامي شعوبا وحكومات لاظهار قدرتهم على المطالبة بحقوقهم والجهاد فى سبيل انتزاعها مما يجبر العالم على الاعتراف بهذه الحقوق وتأييدها .

وعلى المستوى الاقتصادي نتطلع الى القرن الخامس عشر آملين ان تتمكن الدول الاسلامية من بناء اقتصادها على الاسس والمبادىء الاسلامية .

وقد ظهرت فى نهاية القرن الرابع عشر دراسات جادة فى مجال الاقتصاد الاسلامي وانه يمكن ان يكون الحل الافضل لكل المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها العالم الانساني فى هذا القرن .

كما ظهرت بعض المؤسسات التي تسير فى تعاملها الاقتصادي على ضوء المنهج الاسلامي مثل البنوك الاسلامية التي انتشرت فى العالم الاسلامي ممارسة نشاطها الاقتصادي وفق منهج يتلاءم مع تعاليم الشريعة الاسلامية .

ونتطلع الى مزيد من التعاون فى المجال الاقتصادي بين بلدان العالم الاسلامي مما يحقق المصالح الذاتية لكل بلد من هذه البلدان ولكي يكون للعالم الاسلامي قوة اقتصادية يكون لها اثرها ووزنها على المستوى الدولي ، وحتى تتكاتف دول العالم الاسلامي لعون ومساعدة بعضها للبعض الآخر لا سيما الدول التي تشكو من قلة مواردها .

## الاحتفال بالقرن الخامس عشر . كيف ولماذا ؟ :

ان الاحتفال بالقرن الخامس عشر من وجهة نظري لا يكون باقامة المهرجانات والقاء الخطب فيها . بل لا بد ان يكون فى نظرة جادة لعلاج المشاكل التي يعاني منها العالم الاسلامي ، وذلك عن طريق عقد ندوات جادة يشترك فيها علماء العالم الاسلامي ومفكروه وقادة الراي ذوي التأثير . ومن خلال هذه الندوات العلمية الجادة البعيدة عن المظاهر تناقش معظم المسائل الملحة . فمثلا تطبيق الشريعة الاسلامية مطلب من مطالب

المسلمين فى مختلف البلدان الاسلامية . ودور علماء الفقه الاسلامي اساسي فى هذه الناحية ، فهم الذين يعود اليهم أولوا الامر حينما يريدون حكم الشرع ، فيجب ان يعمل هؤلاء العلما من خلال اللقاءات الفكرية على وضع الكيفية التي يتم بها تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجتمعات الاسلامية المختلفة . اى احتفل بالقرن الخامس عشر أعظم من اجتماع كبار علماء الفقه الاسلامي ومناقشة امكانية وضع الشريعة الاسلامية على شكل مواد قانونية يسهل على قضاة المحاكم فى سائر بلدان العالم الاسلامي الرجوع اليها والحكم بموجبها .

وكذلك الامر بالنسبة لموضوع الوحدة السياسية بين بلدان العالم الاسلامي لا بد من مناقشتها فى ندوات تقرب وجهات نظر البلدان الاسلامية المختلفة فى نظمها الاجتماعية والسياسية . وتبحث فى كيفية ايجاد المواقف الاسلامية المتحدة مراعية بعين الاعتبار الظروف الموضوعية لكل بلد ساعية الى حث الحكومات الاسلامية الى التقارب فيما بينها لخلق معسكر اسلامي قوي قادر على فرض احترامه وكلمته على المستوى الدولي كما تفعل المعسكرات الاخرى ، مع انه ليس لها من الروابط العقائدية والتاريخية ما للعالم الاسلامي .

ان هذه الندوات التي يقترح عقدها فى كل بلد اسلامي وفى تجمعات اسلامية مختلفة سوف تكون افضل وسيلة للاحتفال بالقرن الخامس عشر . وفى نفس الوقت تحدد افضل السبل لكي يكون القرن الخامس عشر قرنا افضل بالنسبة للعالم الاسلامي .





# دراسات قرآنية



# تأثير أمثال القرآن على أمثال اللغة العربية

## للأستاذ المرحوم أبو بكر المريني

**البـــاب الثالـــث :**

تأثير امثال القرءان على الامثال العربية المعربة والعامية .

ــ **الفصل الاول** : تأثير امثال القرءان على أمثال اللغة العربية المعربة.

ا ــ امثـــــــــال .

ب ــ امثال مستمدة من القصص القرآني .

جـ ــ امثال مستوحاة من آيات الامثال وغيرها .

ــ **الفصل الثاني** : تأثير امثال القرءان على الامثال العامية العربية .

ــ ا ــ الامثال العامية فى البلاد العربية .

ب ــ الامثال العامية العربية المغربية .

ــ **الفصل الثالث** : أمثال اللهجة البربرية المغربية المستوحاة من القرآن

**البـــاب الثالـــث :**

**الفصل الاول :**

تأثير أمثال القرءان على أمثال اللغة العربية .

1 ـ أمثال الحديث الشريف .

2 ـ أمثال اللغة العربية .

أ ـ أمثال عربية مستمدة من قصص القرءان .

ب ـ أمثال مستمدة من مختلف الآيات .

**1 ـ تاثير أمثال القرآن على الامثال العربية المعربة .**

كان لنزول القرءان بالغ الاثر فى اللغة العربية ، فقد نفخ فيها روح الحياة والخلود ، وانقذها من الاضمحلال والاندثار الذي أصاب اخواتها اللغات السامية الاخرى وغيرها من لغات بنت اممها حضارات سادت ثم بادت .

فقد طور القرءان الكريم اللغة العربية ، واعطاها نفسا جديدا لا من حيث قيمة الكلمة ومدلولها ، فقد اخرجها من تحت الخيام ووصف الناقة والنخلة لتشييد اعظم حضارة التاريخ الانساني فى العلم والعمران والاجتماع والاعتقاد جمعت بين الدنيا والدين وحققت للانسان كرامته .

واذا كانت الامثال هي المرآة التي تعكس فكر امة من الامم فان الامثال العربية فى القرون الاولى للاسلام استمدت من القرءان قوة اكسبتها الاستمرار وجعلتها دليلا على الاثر الكبير الذي أحدثه القرءان فى المجتمع العربي فحوله من مجتمع البداوة والجهل والشرك الى مجتمع الحضارة والعلم والتوحيد .

وفى هذا الفصل سنتناول تأثير أمثال القرءان على الامثال النبوية . ثم على الامثال العربية المعربة المستمدة من قصص القرءان والشخصيات المذكورة فيه والامثال المستوحاة من مختلف الآيات القرآنية . التي حفظتها لنا مدونات الامثال العربية وبالاخص الدرة الفاخرة ومجمع الامثال.

**أ ـ امثال الحديث الشريف :**

من الطبيعي أن تكون الامثال التي وصلتنا مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم متأثرة جدا بالاسلوب القرآني فى المثل ، لانه صلى الله عليه

وسلم لا ينطق عن الهوى وما كان يتكلم به في مختلف الموضوعات لم يكن سوى وحي يوحى اليه لانه كان يخطط منهج الحياة للناس كافة . ومن الطبيعي أن لا يكون اختلاف بين وحي القرءان ووحي الحديث في المضمون، وهذا يؤدي الى ان الحديث لا يمنع أن يكون فيه الاثر القرآني واضحا من حيث الصياغة والشكل والاسلوب .

فأمثال الحديث الشريف منهاج قويم يتمم ويوضح الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله لعباده المومنين ، لانه الكفيل باقامة التوازن بين المادة والروح على الارض من اجل ان يسود العدل والمحبة والتكافل والتعاون بين الناس جميعهم ، لا فرق بين ابيضهم واسودهم ، وعربيهم واعجمهم الا بالتقوى . ثم ليحققوا أمانة استخلاف الله للانسان في الارض .

وقبل التطرق الى امثال الحديث لا بد من التعرف على مصادر ومراجع امثال الحديث النبوي الشريف فقد خصص لها الترمذي في في جامعه مكانا بعنوان : « أبواب الامثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن العربي في شرحه لسنن الترمذي : « ولم أر احدا من أهل الحديث صنف فأفرد لها بابا غير أبي عيسى (1) ولله دره فقد فتح بابا أو بنى قصرا او دارا ولكن اختط خطا صغيرا فنحن نقنع به ونشكره » (2) . ولابي محمد بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي كتاب صغير بعنوان ( كتاب أمثال الحديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (3) ) يقول في مقدمته انه روى بسنده عن ابن عمر : « حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم الف مثل » (4) .

وفي مقدمة مجمع الامثال للميداني اشارة الى ان ابي هلال العسكري له كتاب في أمثال الحديث . والميداني نفسه أورد في آخر كتابه جملة من امثال الحديث قام بتخريجها الدكتور عبد المجيد محمود في قائمة كتابه أمثال الحديث » (5) .

---

(1) يعني الترمذي .
(2) سنن الترمذي بشرح ابن العربي ج 10 – ص : 296 .
(3) – (4) امثال الحديث مع تقدمه في علوم الحديث للدكتور عبد المجيد محمد : ص 80 و 89 ( بتصرف ) ويذكر ان هذا الكتاب محفوظ بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية على ميكروفيلم تحت رقم 94 – مادة حديث .
(5) نفس المصدر السابق صفحة 312 الى 326 ، وعدد هذه الاحاديث 58 .

وفي تاريخ التراث العربي (6) لفؤاد سزكين ذكر لكتاب « الامثال السائرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » لابي عروبة للحسنين بن محمد بن أبي معشر الحراني المتوفى سنة 318 هجرية .

ومن المحدثين كتاب الدكتور عبد المجيد محمود الاستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة المشار اليه في الهامش وفيه تحليل لعدد من امثال الحديث ، واخبرنا الشيخ الدكتور محمد الحبيب بلخوجة مفتي الديار التونسية أن طالبا بجامعة الزيتونة يهيىء رسالة جامعية في أمثال الحديث الشريف .

ومظاهر تأثر أمثال الحديث بأمثال القرءان تتلخص فيما يلي :

أولا : استخدام الفاظ التمثيل التي استعملها القرءان في الامثال الظاهرة بحيث نجد المثل النبوي يبتدىء بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان مثلي ومثل » و « انما مثلي ومثل » و « ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل » و « ضرب الله مثلا » « ومثل أمتي مثل » « ومثل المومن كمثل » « وما مثل الحياة الدنيا في الآخرة الا مثل » .

ففي أمثال القرءان استخدام « ان » قبل لفظ التمثيل . وذلك في قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله ... » و « انما » في قوله تعالى : « انما مثل الحياة الدنيا » و « مثل ... كمثل » في قوله تعالى : «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة ... » واستخدام ضرب المثل . وهذه خاصية يتميز بها القرءان في اللغة العربية ووردت في امثال الحديث أيضا ــ كما هو مبين اعلاه مجملا وسنبينه في محله من الحديث بعد هذه الفقرة ــ فالقرءان استعمل الفعل الماضي من الضرب في قوله تعالى : « ضرب الله مثلا للذن آمنوا ... » ولا يوجد في أمثال القرءان لفظ « مثل » مسبوقا بـ « ما » ومتبوعا بأداة الاستثناء « الا » وكذلك لم يرد لفظ « مثل » للمرة الثانية في سياق المثل غير مسبوق بكاف . في الامثال القرآنية .

---

(6) جــزء 1 ــ صفحــة : 442 .
ملحوظا : يوجد أيضا كتاب « الامثال » من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي مطبوعا .

**ثانيـا** : اتباع نفس طريقة العرض التي سارت عليهـا الامثـــال فى القـــــرءان .

**ثالثـا** : التصوير الحي الفني للمعنى المراد تقديمه فى المثل بتنويع الصور التي تبين عاقبة المومن والكافر .

**رابعا** : الاعتماد على المحسوسات فى التمثيل للمعاني . واستخدام الطبيعة والانسان والبيئة الاجتماعية لتقوية المثل وجعله مثيرا للحواس ومنبهـــا للعقـــل .

**خامسا** : يسر الالفاظ وسهولة المعاني حتى تكون فى متناول الجميع والابتعاد عن الاغراب والتعقيد .

**سادسا** : الاعتماد على الواقعية فى المثل . وامكان حدوثه فى كـل جيل وعصر ، مما يعطي للمثل عنصر الاستمرار ويضمن له بقــاء التداول على الالسنـــة .

**سابعا** : ترسيخ عقيدة الايمان بالله . هذا الايمان الدافع الى العمل الصالح والحاث عليه في خير امـــة اخرجت للناس وبيان القيـم التـــي يجب ان تتحلى بها الامة الاسلامية .

**ثامنا** : تقديم وصف للمومن والكافر والمنافق .

**تاسعا** : بيان قيمة الدنيا وغايتها وموقف الاسلام منها .

**وهكذا يمكن** تقسيم امثال الحديث الى قسميـــن : الاول المثـــل القياسي وهو الذي يوافق القرءان في الشكل والمقصود . والثاني المثل المرسل وسنتحدث عنه بعد تقديم نماذج من المثل القياسي .

وهذه جملة من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم اخترناها (7) لبيان مدى تأثرها بأمثال القرءان الكريم على اساس المظاهر التسعة التي قدمناها في بداية هذا الفصل من غير أن ندخل في تعـــداد الرويـــات

---

(7) من كتاب امثال الحديث الذي بهامش صفحة : 309 ، وقدرا جمعتهـا فى المصـــادر المصاحبـــة لهـــا .

واختلافها بالنسبة لكل حديث لان ذلك ليس من موضوع هذه الدراسة بل نقتصر على أصح الروايات مع ايراد الآية القرآنية المستمدة منها المثل الحديثي الشريف والتي نراها مناسبة له .

1 ـ عند الامام البخاري في باب خاتم النبيين ما نصه : « حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار ، عن ابي صالح ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : انا اللبنة وانا خاتم النبيين (8).

والآيات التي ارتكز عليها هذا المثل الشريف هي في قوله تعالى : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » (9) وقوله عز وجل : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »(10) وقوله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط . وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيئون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » (11) وقوله تعالى : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (12) .

2 ـ « روى الامام البخاري في باب الانتهاء من المعاصي من كتاب الرقاق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا . فلما اضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها » (13) .

---

(8) من صحيح البخاري ج 4 ـ صفحة : 186 ـ طبع الاميرية ببولاق 1312 هـ .
(9) النساء .
(10) الاحزاب : 40 .
(11) البقرة : 136 .
(12) سبأ : 28 .
(13) فتح الباري لابن حجر ج 11 صفحة : 272 ـ 273 ، ومسلم بشرح النووي ج 15 ص : 49 ـ واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج 3 صفحة : 121 ـ 122 حديث رقم :: 1472: .

أما الآية التي استمد منها هذا المثل الحديثي فهي قوله تعالى :
« مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ... (14) . والاستمداد هنا فى الشكل وليس فى المضمون كما هو واضح من الحديث والآية .

3 — « عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
« ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا ورعوا، واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به (15) .

والآيات التي استمد منها هذا المثل الحديثي هي فى قوله تعالى :
« وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته ، حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون . والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث لا يخرج الا نكدا ، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » (16) ، وقوله تعالى : « انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون » (17) ، وقوله عز من قائل : « ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك » (18) .

4 — « روى الامام البخاري بسنده عن النعمان بن بشير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. مثل القائم على حدود الله والواقع

---

(14) البقرة : 17 .
(15) اخرجه البخاري ومسلم . صحيح مسلم بشرح النووي ج 15 ص 46 . فتح الباري ج 1 ص : 160 — 162 . واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج 3 ص 120 حديث رقم : 1473 .
(16) الاعراف : 58 .
(17) الانعام : 36 .
(18) فاطر : 27 — 28 .

فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها ، اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان يتركوهم ومن أرادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا » (19) .

وهذا المثل الحديثي مستمد من قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (20) ، وقوله تعالى : « واتقو فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » (21) ، وقوله تعالى : « والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة. ويطيعون الله ورسوله » (22) .

5 – عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء . كحامل المسك ونافخ الكير . فحامل المسك لما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك ، واما أن تجد ريحا خبيثة » (23) .

وهذا المثل الحديثي مستمد من قوله تعالى : « واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » (24) ، وقوله تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا » (25) ؛ وقوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (26) .

---

(19) رواه البخاري فى كتاب الشركة من صحيحه .
(20) البقرة : 195 .
(21) الانفال : 25 .
(22) التوبة : 71 .
(23) متفق عليه ، انظر زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ج 2 ص : 386 .
(24) الانعام : 68 .
(25) النساء : 140 .
(26) الكهف : 28 .

6 ـ روى الشيخان عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المومنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (27) وهذا الحديث الشريف مستمد من قوله تعالى : « والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض » (28) وفى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » (29) .

7 ـ « روى البخاري ومسلم عن ابي عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المومنين كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات ، فقال القوم : هي شجرة كذا ، هي شجرة كذا . فأردت ان اقول هي النخلة فاستحييت فقال هي النخلة » (30) .

والآية المستمد منها هذا المثل الحديثي : « الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي اكلها كل حين باذن ربها » (31) .

8 ـ « روى الامام مسلم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعبر الى هذه مرة والى هذه مرة » وفي رواية تكر في هذه مرة وفى هذه مرة » (32) .

وهذا المثل الحديثي مستمد من قوله تعالى : « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء » (33) وفى قوله تعالى : « كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ايتنا » (34) ، واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » (35) .

---

(27) صحيح البخاري ـ كتاب الادب .
(28) التوبة : 71 .
(29) الفتح : 29 .
(30) رواه البخاري فى عشرة مواضع من صحيحه ، منها ثلاثة فى كتاب العلم .
(31) ابراهيم : 24 .
(32) مسلم بشرح النووي ج 17 ص 128 ـ المطبعة المصرية ومكتبتها .
(33) النساء : 143 .
(34) الانعام : 71 .
(35) البقرة : 14 .

9 ـ عن قيس بن ابي حازم قال : سمعت المستورد اخا بني فهر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما مثل الدنيا فى الآخرة الامثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم ، فلينظر بما يرجع » (36)

وهذا المثل الحديثي مستمد من قوله تعالى : « فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » (37) وقوله تعالى : « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب . وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » (38) .

10 ـ عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ضرب الله مثله صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً لا تتفرجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فاذا اراد أن يفتح شيئا من تلك الابواب قال : ويحك لا تفتحه . فانك ان تفتحه تلجه . فالصراط الاسلام والسوران حدود الله تعالى ، والابواب المفتحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله عز وجل ، والداعي فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم » (39) .

اما الآيات المستمدة منها هذا المثل الحديثي فهي قوله تعالى . « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله » (40) وقوله تعالى : « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » (41) وقوله تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (42) وقوله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » (43) وقوله تعالى : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (44) .

---

(36) سنن ابن ماجة ج 2 ص : 1376 ، ورواه مسلم بزيادة ـ انظر مسلم بشرح النووي ج 17 ص : 192 .
(37) التوبة : 38 .
(38) العنكبوت : 64 .
(39) هذه رواية الامام احمد وقد اخرجه الترمذي فى جامعه ج 10 ص 295 و 297 .
(40) الحشر : 7 .
(41) يوسف : 108 .
(42) الانعام : 152 .
(43) البقرة : 229 .
(44) الطلاق : 1

اما المثل المرسل فى احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوامع كلمه فانه يعبر بدقة عن المعنى المراد تقديمه بايجاز فى العبارة مع سهولة فى اللفظ وقوة فى التشبيه وقد أورد منه الميداني فى مجمع الامثال ثمانية وخمسين مثلا ، كما أورد الدكتور عبد المجيد محمود فى كتابه امثال الحديث خمسة أمثال من هذا النوع ، وقسمها ابن الاثير فى كتابه « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر» الى قسمين : الفاظ تتضمن من المعاني ما لا تتضمنه أخواتها مما يجوز ان يستعمل فى مكانها ، فمن ذلك ما استعمل فى اعجاز كقوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين : « الآن حمى الوطيس » وهذا لم يسمع من احد قبل رسول الله عليه الصلاة والسلام ... واما القسم الثاني من جوامع الكلم ، فالمراد به الايجاز الذي يدل بالالفاظ القليلة على المعاني الكثيرة وجل كلامه صلى الله عليه وسلم جار هذا المجرى » (45) .

ومن هذا النوع نورد الامثال التالية مع الآية المستمدة منها .

1 ـ « ان الله اذا انعم على عبد نعمة أحب أن ترى عليه » (46) .

مستمد من قوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث » (47) .



2 ـ « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » متفق عليه .
مستمد من قوله تعالى : « والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض » (48) .

3 ـ « أهل المعروف فى الدنيا اهل المعروف فى الآخرة » (49) .

---

(45) المثل السائر ص : 31 ـ 32 .
(46) رواه البيهقي عن عمران بن حصين مرفوعا ، ورواه الترمذي بلفظ آخر ، انظر كشف الخفاء ج 1 ص 281 .
(47) الضحى : 9 .
(48) التوبة : 61 .
(49) حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر مرفوعا . انظر كشف الخفاء ج 2 ص : 169 .

## 2 ـ تأثير امثال القرءان على الامثال العربية المعربة :

ليس غريبا ان يكون للقرءان الكريم تأثير على مسار اللغة العربية فى جميع النواحي ، فقد جاء بتنوع الاساليب وابلغها وأهم الاخبار واصدقها، واوضح المسالك وافلحها وأروع القصص وادقهـا ، وأحسن الامثـال وانفعها ، وأقوم الاحكام واعدلها .

وقد وجد العرب فى قصص القرءان وامثاله مادة لارسال امثـال ملخصة لتلك القصص وحاوية لتلك الاخبار لتدل على ما فيها من عبـرة وتوجيه وهذا يدل على مقداراستيعابهم للقرءان . واغترافهم من ينابيعـه التي لا تنضب ابـدا .

وهذا التأثير ينقسم الى قسمين ، الاول ظهور امثال عربية معربـة مستمدة من قصص واردة فى القرءان . أو من شخصيات هـذه القصص تبرز جانبا من جوانبها ، والثاني ظهور أمثال مستوحاة من الآيات القرآنيه التي تتضمن توجيها او ترغيبا او ترهيبا .

### ا ـ الامثال المستوحاة من القصص القرآني :

هذا القسم ياخذ صفة لازمة لصاحب القصة او بجانب من جوانبهـا تهمه ويشتقون منها المثل وأغلب هذه الامثال بالاضافة . او ياخذ صفـة صاحب القصة او الحادثة ويصرفون منها فعل تفضيل او تحقير مع ربطه بالشخص او الشيء الموصوف . والنوع الاول نورد له الامثال التالية مع ذكر الآية المستمدة منها .

| المثل | الآية | رقمها | السورة |
|---|---|---|---|
| — اجهل من هابيل | « قال ياويلتي أعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي » | 31 | الاعراف |
| — نار جهنم | « فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة » | 34 | البقرة |
| — عمر نوح | « فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما » | 14 | العنكبوت |
| — سفينة نوح | « فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين » | 15 | العنكبوت |
| — الطوفان | « فأرسلنا عليهم الطوفان » | 180 | آل عمران |
| — وفاء ابراهيم | « وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين » | 104<br>105 | الصافات |
| — نار ابراهيم | « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » | 69 | الانبياء |
| — برور اسماعيل | « قال ياأبت افعل ما تومر ستجدني ان شاء الله من الصابرين » | 102 | الصافات |
| — ناقة صالح | « هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء » | 73 | الاعراف |
| — قوم لوط | « وما قوم لوط منكم ببعيد » | 89 | هود |
| — قوم تبع | « اهم خير أم قوم تبع » | 37 | الدخان |
| — عاد وثمود | « وانه اهلك عادا الاولى وثمودا فما ابقى » | 51 | النجم |
| — ارم ذات العماد | « ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها فى البلاد » | 7 ـ 8 | الفجر |

| المثل | الآية | رقمها | السورة |
|---|---|---|---|
| — أهل الكهف | « فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا » | 11 | الكهف |
| — وخامسهم كلبهم | « ويقولون خمسة سادسهم كلبهم » | 22 | الكهف |
| — ياجوج وماجوج | « قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض » | 94 | الكهف |
| — سلم من الذئب وقع في الجب | « قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابات الجب » | 10 | يوسف |
| — قميص يوسف | « وجاءوا على قميصه بدم كذب » | 18 | يوسف |
| — حاجة في نفس يعقوب | « الا حاجة في نفس يعقوب قضاها » | 68 | يوسف |
| — دار لقمان (1) | « فخسفنا به وبداره الارض » | 81 | القصص |
| — وصية لقمان | « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه » | 13 | لقمان |
| — هامان | « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب » | 36 | غافر |
| — مال قارون | « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » | 76 | القصص |

1 ـ هي دار قارون ، وانما الناس يقولون دار لقمان .

| المثـــل | الآيـــــة | رقمهـــا | السـورة |
|---|---|---|---|
| ـــ زبـــور داود | « وآتينا داود زبـــورا » | 55 | الاســـراء |
| ـــ جبروت فرعـــون | « فقال أنا ربكـــم الاعلـــى » | 24 | النـــازعـــات |
| ـــ تكلم فقد كلم الله مـــوسى | « وكلم الله موسى تكليمـــا » | 164 | النســـاء |
| ـــ عصـــا مـــوسى | « فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكـــون » | 45 | الشعـــراء |
| ـــ المـــن والسلوى | « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلـــوى » | 57 | البقـــرة |
| ـــ عجل بني اسرائيل | « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا لـــه خـــوار » | 148 | الاعـــراف |
| ـــ مكـــر اليهـــود | « وان كان مكرهم لتزول منه الجبـــال » | 46 | ابـــراهيـــم |
| ـــ قد عبـــر موسى البحـــر | « وجاوزنا ببني اسرائيـــل البحـــر» | 138 | الاعـــراف |
| ـــ صبـــر ايـــوب | « وأيوب اذ نادى ربـــه انـــي مسني الضر وانت أرحـــم الراحميـــن » | 83 | الانبيـــاء |
| ـــ تفرقوا ايدي سبأ | « فأعرضوا فأرسلنا عليهـــم سيل العـــرم » | 16 | سبـــا |
| ـــ دواء سيدنـــا عـــيسى | « وأبرىء الاكمـــه والابرص وأحيي الموتى باذن الله » | 49 | آل عمـــران |
| ـــ اصحاب الفيـــل | « ألم تر كيف فعـــل ربـــك بأصحاب الفيـــل » | 1 | الفيـــل |
| ـــ طيـــر أبابيـــل | « وارسل عليهم طيرا ابابيـــل ترميهم بحجارةمن سجيل» | 3 ـ 4 | الفيـــل |

هناك أمثال اخرى جاءت على صيغة افعل تدخل هي الاخرى فى هذا النوع ومنهـــا :

— افرغ من فؤاد أم موسى .
— اظلـــــم من هابيـــل .
— اكبر من عجوز بني اسرائيل .
— اتيـــه من قــوم مــوسى .
— اخـــرق من ناكثة غزلهـــا .
— اكفـــر مـــن فرعـــون .
— ايسر من لقمان — فى الواقع من قارون ، ولا ندري من أين جاء هـــذا التحريـــف .
— اصبـــــر من ايـــوب .
— اخسر من حمالـــة الحطـــب .
— اتـــب من أبـــي لهـــب .
— العن من بني اسرائيـــل .
— اقرب من حبل الوريد (نفس لفظ الآية ولكنهم حذفوا — اليه —)
— اشـــرب مـــن الهيـــم .
— اخيب من القابض على الماء .
— اضـــل من البهائـــم .
— انقـــى من ليلـــة القـــدر .

والملاحظ أن آيات قرآنية تجر( على الالسنة مجرى المثل ، وهـــي كما بينا فى المثل المرسل تضمها كتب الامثال العربية الفصيحة والعامية على السواء ، وقد حرص مدونو هذه المجموعات على اثبات الآيات التـــي سنقدم بعضها باعتبار انها قوية فى مواطن الاستشهاد والتمثيل .

| الآيـــة | رقمها | السورة | المرجع |
|---|---|---|---|
| « ناقة الله وسقياها » | 13 | الشمس | مجمع امثال الموصل ص 447 |
| « اهم خير أم قوم تبع» | 37 | الدخان | الدرة الفاخرة ج 2 ص 439 |
| « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » | 158 | الصافات | الدرة الفاخرة ج 1 ص 556 |
| « يحيي العظام وهي رميم » | 78 | يس | الامثال البغدادية ج 2 ص 14 |
| « نور على نور » | 35 | النور | الامثال البغدادية ج2 ص146 |
| « الفتنة اشد من القتل» | 191 | البقرة | الامثال البغدادية ج2 ص383 |
| « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود » | 72 | المائدة | الدرة الفاخرة ج 1 ص 440 |
| « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم » | 224 | البقرة | |
| «واهجرهم هجرا جميلا» | 10 | المزمل | |
| « ليقضي الله أمرا كان مفعولا » | 42 | الانفال | امثال فاس ونواحيها لابن سودة |
| « اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم » | 44 | البقرة | |

وهناك امثال اخرى فيها كنايات مستمدة من آيات القرآن الكريم :

1 ـ لا يقرا الا آية العذاب وكتب الصواعق ـ الميداني ص 259
2 ـ رد من طه الى بسم الله ـ الميداني ص 318
3 ـ قل هو الله احد وليست من رجال يس ـ الميداني ص 130
4 ـ اقرا سورة ياسين على قلب كافر ـ امثال العوام بالاندلس ص 96
5 ـ من الحمد للبقر ـ امثال العوام بالاندلس ص 350

## ب ـ الامثال المستوحاة من الآيات القرآنية :

هذا النوع نجده يتركز بصفة عامة على النقط التالية :

- التشهير بالظلم والاسراف والمكر والنفاق والنميمة وما اليها من مساوىء .
- الحض على اتباع الهدى والتزام المحجة البيضاء بسلوك اقوم السبل والتحلي بمكارم الاخلاق .
- ارجاع الامور كلها الى قدرة الله الفاعل المختار .
- التمسك بعقيدة التوحيد .
- التنبيه على حسن استخدام المال فى اغراضه المشروعة .
- الدعوة الى التوادد والتعاون لاقامة مجتمع متكامل طاهر .

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر لاننا خصصنا ملحا صغيرا لهذه الامثال بآخر هذه الدراسة ـ نورد بضعة امثال من هذا النوع من الآية المستوحى منها والمرجع الموجود بها .

| الآية | المثل | المرجع |
|---|---|---|
| « ادفع بالتي هي أحسن » | ـ من وزع المعروف حصد الشكر | الميداني ص 328 |
| « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة | ـ من جال نال | الميداني ص 328 |
| « من يعمل سوء يجز به » | ـ من سل سيف البغي قتل به | الميداني ص 327 |
| « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » | ـ من صدق الله نجا | الميداني رقم 3999 |
| « كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » | ـ كالقابض على الماء | الميداني رقم 3062 |

| الآيــــة | المثــــل | المرجـــع |
| --- | --- | --- |
| « مشـــاء بنميـــم » | ـ سفيـر السوء يفسد ذات البيـــن | الميدانـي ص 357 |
| « المال والبنون زينة الحيـاة الدنيـــا » | ـ زين فى عين والـد ولـد | الميداني رقم 1723 |
| « ان الذين يرمون المحصنات الغفلات المومنات لعنـوا » | ـ دعوا قذف المحصنات تسلم لكـم الامهـات | الميدانـي ص 274 |
| « انها تذكرة فمن شاء اتخـذ الى ربـه سبيـلا » | ـ وعظـت لو اتعظـت | الميدانـي ص 332 |
| « ومن أضل ممن اتبع هـواه بغير هدى من الله » | ـ هلـك من اتبـع هـواه | الميدانـي ص 410 |
| « فأصبح يقلب كفيه على مـا انفـق فيهـا » | ـ يقلـب كفيـه | الميدانـي رقم 4747 |
| « ان الملوك اذا دخلوا قريـة أفسدوهـا » | ـ يبني قصرا ويهدم مصـر | الميدانـي ص 428 |
| « اخذتـه العـزة بالاثـم » | ـ الاثـم حـزاز القلـوب | الميدانـي رقـم 97 |
| « فامسكوهـن بمعـروف أو فارقوهن بمعـروف » | ـ ان لم يكن وفاق ففـراق | الميدانـي رقم 205 |

هذا وقد رأينا ان تاثير القرءان وامثاله على الامثال العربية المعربـة والعامية فى سائر البلاد الاسلامية يحتاج الى دراسة مستقلة لاظهار مدى هذا التاثير فى حياة المسلمين بكيفية أوسع واشمل وادق ، ونعتقـد أن هذه المحاولة التي قمنا بها لبنة أولى لم نسبق اليها . عسى أن تجد من يستغلها خصوصا واننا قد جمعنا فيها عددا مهما من الامثـال العربيـة والعامية وارجعناها الى الآيات المستمدة منها . وما تعرضنا لها فى هذه الرسالة الا من باب التضمين والتنبيه ليس الا .

وخلاصة القول فان الامثال العربية باستثناء امثال الحديث لم تستطع أن تنسخ على الامثال القرآنية الظاهرة ، وبذلك تبقى هذه الآخرة متميزة ينفرد بها القرءان ويبقى التحدي بها لبلغاء العربية ما بقيت الحياة على الارض .

## الباب الثالث

## الفصل الثاني

### تأثير امثال القرآن على الامثال العامية العربية

1 ــ الامثال العامية فى البلاد العربية

2 ــ الامثال العامية المغربية

مبحث خاص ــ الامثال البربرية المغربية

### 1 ــ الامثال العامية فى البلاد العربية :

تلعب الامثال دورا هاما فى الامة ، فهي سجل فريد لاحداثها وعادتها وتقاليدها ومعتقداتها ، لا يتدخل فيه المؤرخ ولا الكاتب الاجتماعي أو غيره الا للدراسة والبحث والتحليل ، وذلك لاستخلاص مقومات الامة من خلال امثالها .

وقد كانت الامثال العربية سيدة الساحة العربية منذ الفتح الاسلامي الى أواخر العصر العباسي من الخليج الى المحيط ، وفى كثير من البلاد الاسلامية الاعجمية . الا انه بعد ان قوي التحام الشعوب الاسلامية ببعضها وانصهار عدد منها فى العربية انصهارا كليا كمصر وشمال افريقيا ، وتداخل البيئات الاجتماعية العربية لم تعد اللغة العربية هي لغة العامة والشارع بل بدات تبدو على الالسنة لغة المولدين . وهذه لم تطل كثيرا . وقد نقل الميداني ــ وهو الوحيد الذي قام بهذا العمل ولم يسبق اليه ــ بجمع عدد من أمثال المولدين في مجمع امثاله من نهاية كل حرف من حروف مجمع الامثال .

والذي حدث نتيجة هذا التفاعل بين الشعوب الاسلامية ــ وخاصة التي استعربت مع مرور الزمن ــ هو ظهور لغة عامية عربية تكاد تكون واحدة من المحيط الى الخليج مع بعض التفاوت فى نطق عدد من الكلمات وفي مفهومها ايضا . وقد تجد الكلمة تختلف معناها من قطر الى قطر واصلها واحد .

وهذه العامية هي اللغة التي سيطرت على البلاد العربيه وبالاخص اثناء وبعد عصر الانحطاط الى يومنا هذا ، وان كانت روحها عربية وجذورها عربية فانها تحمل عددا كبيرا من المفردات التي تخص اللغة الاصلية لكل بلد مستعرب ، وقد يكون هناك نوع من التجاوز باطلاق لغة على البربرية مثلا او غيرها من اللهجات المحلية والاقليمية . ثم هناك عامل آخر وهو عامل الاحتكاك بالغير اما عن طريق الفتح للبلاد المجاورة فتنتقل نتيجة ذلك كلمات ومفردات الى السنة العامية ويطوعونها حتى تستقر على الالسنة وتصبح دلالتها واضحة على ما تطلق عليه ، او عند الخضوع الى حكم يفرض لغته على الناس سواء فى التعليم او الادارة كما حدث فى العهد العثماني الذي دخلت معه مفردات غزيرة الى معجم العامية العربية باستثناء المغرب الذي لم يتأثر باللغة التركية الا فى مفردات قليلة جدا لانه لم يخضع للحكم العثماني . اما فى المشرق فان مفردات كثيرة دخلت العامية العربية من الدول المجاورة لها . ومنها ما يزال من الغزو التتري للبلاد العربية فى المشرق .

ثم هناك عامل جديد فى العامية العربية وهو ما عرفته منذ بداية هذا القرن من تأثر بلغات اجنبيةٍ استعمارية وهي الفرنسية والانجليزية والايطالية والاسبانية ، فالاستعمار وان خرج من البلاد العربية ترك فيها رصيدا لا يستهان به من مفرداته التي احتوتها العامية العربية . وليس هذا غريبا لان الاستعمار مكث ازيد من نصف قرن أو أكثر من قرن فى بعض البلاد العربية حتى ان عاميتها لم تستطع تحصين نفسها من هذا الغزو اللغوي الذي شنه الاستعمار على مختلف البلدان العربية .

ثم ان العامية المسيطرة على الالسنة اليوم هي العامية المصرية وبالاخص فى الشرق العربي ، وذلك بسبب الاطر المصرية المنبثة فى

التعليم بجميع أطواره ، وبسبب الاشرطة السينمائية والاغاني المصرية التي لا تخلو منها اذاعة أو تلفزة عربية .

وعلى أي حال فالعامية العربية سواء كانت في المغرب أو في المشرق فانها خضعت للتأثير الذي قدمناه وان كانت اليوم تتخلص من الرواسب اللغوية الاستعمارية ـ وبدات تتطور وتسمو شيئا ما بفضل انتشار التعليم في المدن والقرى والمداشر . واخذت كثير من البلاد العربية تحاول تبسيط اللغة العربية لتصبح لغة رجل الشارع وترفع العامية من لغة السوقة الى لغة التخاطب السليم المهذب .

ثم ان العامية العربية هي القادرة على التعبير المطلق لخوالج الانسان العربي . والتعبير عما يجيش في نفسه وخاطره لانها طوع لسانه، وبذلك فهي التي تعطي الصورة الحقيقية للانسان العربي متعلما كان او جاهلا . ففيها غنى كبير من المفردات التي تجسم سهولة وسرعة حياة الفقراء والميسورين واهل الحضر والبدو . وأصحاب الجاه والسلطة . وارباب الحرف والصنائع . واهل العلم والدين . فهي قاموس العلاقات العامية لكل الناس . وسيطرتها على الالسنة في مجموع البلاد العربية يرجع الى ضعف تعليم اللغة العربية ومحدوديته ـ ولا يمكن أن تنظر الى التقدم النسبي الحاصل اليوم ـ منذ عصور كثيرة ، ضرب التخلف فيها العالم العربي والاسلامي ضربا عنيفا تحالفت في توجيهه اليه القوى المعادية للاسلام ولا زالت تضاعف من ضرباتها اليوم حتى تحول بين العرب ولغتهم ، لانهم يعلمون ان وحدة العرب في لغتهم وقوة الاسلام في وحدة العرب .

واذا كانت العامية العربية قد احتوت الحياة العامية العربية فان الامثال جزء من هذه الحياة لانها تعبر عما يروج فيها من معاناة وكد وخصومات وتعاون وتواصل وحب وبغض وما الى ذلك .

واذا رجعنا الى مدونات الامثال العامية نجدها اكثر بكثير من مدونات الامثال العربية الفصيحة ، بل وصل عددها الى ما يزيد عن الخمسين مدونة ، وأن ما تضمه هذه المدونات غزير ومتنوع ، وفيه عدد من الامثال المشتركة بين جميع البلاد العربية لفظا ومعنى أو مع اختلاف في نطق اللفظ في غالب الاحيان .

وقد اهتم بجمع الامثال العامية العربية عدد من العلماء ، والمؤرخين ليقينهم بأنها خير معين على معرفة سمات المجتمع العربي فى كل قطر من اقطاره ومن اقدم ما وصلنا من مجموعات الامثال العامية العربية . رسالة الامثال البغدادية التي تجري بين العامية للقاض ابن علـي بن الفضـل الطالقاني جمعها سنة 421 هجرية ونشرها الاستاذ ماسينيسوه وهـي تحتوي على أكثر من ستمائة مثل (50) .

وقد شهد القرن العشرون اهتماما متزايدا بجمع الامثل العاميـة والعربية فنشر المرحوم احمد تيمور باشا كتابا مهما عن الامثال العربيـة العامية وفيه مقارنة بينها وبين الامثال العربية العامية فى البلاد العربية . وقد اقتدى به اسماعيل بن محمد الاكرع فى كتابه الامثال اليمانية . وعبد الرحمن التكريتي فى الامثال البغدادية المقارنة ، ومحمد قنديل البقلي فى فى وحدة الامثال العامية فى البلاد العربية . وغيرهم .

والذي يهمنا من هذا كله هو الوصول الى أن المثل العامي فى البلاد العربية من الوفرة بمكان ويدل على وحدة تفكير الامة العربية رغم محالات الاستعمار تفريقها . واذا تصفحنا هذه الامثال فى المدونات فاننا نعثر على الاثر الاسلامي البالغ فيها . وأنها تستمد فى كثير منها من القرءان الكريم ومن الحديث ومن الاحكام واقوال الفقهاء .

والامثال العامية العربية المستوحاة أو المستمدة من القرءان هـي التي تهمنا فى هذه الدراسة وسنتطرق اليها بنوع من الايجاز ، لاننا نرى ان دراسة هذه الامثال كما قلنا سابقا ، يجب أن تكون مستفيضة للغوص فى أعماقها وبتحليل أوسع ، وتدقيق أشمل ، وبعدد أوفر مع مقارنتهـا بغيرها فى البلاد العربية ، وهذا ما تضيق عنه هذه الرسالة .

فالملاحظة العامة التي نستخلصها مـن الامثال العاميـة العربيـة المستوحاة من القرءان وهي ان اغلب هذه الامثال مستمدة من الآيات التي قلنا بانها مرسلة والآيات التي تجري على الالسنة وليست أمثالا . وقليل منها مستمد من آيات الاحكام أو غيرها .

---

(50) الامثال المغربية باللغة العامية : محمد الفاسي ص : 207 ( مقال ) .

وان ظاهرة تأثر الامثال العامية من القرءان ليست غريبة . فالقرءان يستظهر فى مجموع البلاد العربية وآياته تجري على الالسنة سواء آيات الامثال أو غيرها . وبما ان هذه الآيات تحمل توجيهات صائبة وحكيمة ومعبرة تتفاعل من الناس فان هؤلاء بحكم تقديسهم للقرءان وجعله المثل الاعلى فى كل شيء فانهم وجدوا الاستمداد منه معينا لهم على ترويج المبادىء السامية التي يدعو اليها الاسلام ، والتي لا يمكن تداولها باللفظ القرآني محرفا . ولذلك لجأ واضعوا الامثال من الادباء وغيرهم الى هذا الاستمداد الذي يحفظ قداسة القرآن من جهة ويجنب الناس اثم تحريف كلام الله بالنطق أو غيره من جهة ، ومن جهة ثانية ليجعلوا فى متناول رجل الشارع أمثالا بلغته ولكنها متضمنة للروح القرآنية جامعة للمبادىء التي جاء بها الاسلام .

وهذه الامثال العامية المستوحاة من القرءان فى اغلبها تتجه الى تركيز عقيدة التوحيد . والى التشهير بالاخلاق الجاهلية (51) . والحث على التحلي بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم . والاتجاه الكلي الى الله والاعتماد عليه والتطلع الى الجزاء الاوفى . والحض على الانفاق فى سبيله والنهي عن البخل على ذوي القربى وغيرهم . وما الى ذلك من المضامين الرفيعة التي توجد فى الآيات القرآنية الكريمة .

ففي الموت مثلا . يقولون فى الاردن : « عزرائيل ما يسمع ولا يمهل » . وفى المغرب يقولون : « اللي وفا اجلو يمد رجلو » . وفى مصر يقولون : « اللي ما يموت اليوم يموت بكرة » . وفى السعودية يقولون : « الموت ما منو فوت » . وفى العراق يقولون : « الاجل حارس » . وفى الكويت يقولون : « الموت رقاب العباد » . الى غير ذلك من الامثال المختلفة التي تعبر عن الموت وتدفع الى استخلاص العبرة منها والتسابق فى الخيرات قبل فوات الاوان .

واذا رجعنا الى هذه الامثال نجدها مستمدة من قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » و « اذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون» وفى قوله تعالى : « قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم » وفى قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله » .

---

(51) اخلاق الجاهلية نقصد بها كل ما هو مخالف للاسلام .

وهذه الامثال تدل على مدى الايمان المتغلغل في النفوس بالله عز وجل وان المصير اليه . وللتزود لهذا المصير يقولون في كل البلاد العربية : « الثبات حتى ساعة الممات » « الشكوى لغير الله مذلة » و « اعمل المعروف مع اهله وغير أهله » و « جاك الموت يا تارك الصلاة » و « الصبر مفتاح الفرج » و « يوم القيامة ما تنفع ندامة » و « لا راحة في الدنيا » .

واذا ارجعنا هذه الامثال الى الآيات المستوحاة منها نجدها كما يلي :

— الثبات حتى ساعة الممات : « توفني مسلما والحقني بالصالحين » .

— الشكوى لغير الله مذلة : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم ... » .

— اعمل المعروف مع اهله وغير اهله : « ادفع بالتي هي أحسن .. » .

— يوم القيامة ما تنفع ندامة : « يوم لا ينفع مال ولا بنون ... » .

— لا راحة في الدنيا : « خلق الانسان في كبد ... » .

— جاك الموت يا تارك الصلاة : « أينما تكونوا يدرككم الموت ... » .

وللتنفير من التكالب على الدنيا والغرور بملذاتها وشهواتها يستعملون من القرءان أمثالا تعمق الزهد في متاع الدنيا القليل وتدفع بالنفس الى الاخذ بمقدار من هذه الدنيا وتحذرها من مغبة اللهث وراءها . وهذه جملة أمثال في الموضوع مع الآيات المستمدة منها :

— الدنيا زي الغاوية ترقص لكل واحد شويا — مصر .

— الدهر ميال — كل البلاد العربية .

— يوم لك ويوم عليك — كل البلاد العربية .

— الدنيا تعطي وتقلع — كل البلاد العربية .

— الدنيا دار غرور — العراق .

— اللي يثق فالدنيا حمق — المغرب .

وهذه الامثال ليست للحصر وانما هي للمثال فقط مستمدة من قوله تعالى : « وتلك الايام نداولها بين الناس » و « ما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

وثمة امثال مستمدة من آيات الاحكام ومنها :

— تخفيف ورحمة : « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

— ادخل البيت من بابه : « واتو البيوت من ابوابها » .

— الرهن بيد القصار : « فرهان مقبوضة » .

— معلقة لا مصالحة ولا مطلقة : « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » .

— ايديكصها الشرع متنعاب : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما»

— الخمر أم الكبائر : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان » .

— رضى الاب من رضى الرب : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » .

وهكذا نرى من خلال هذه الامثلة التي قدمناها ان الامثال العربية المستمدة من القرءان تاخذ روح الآية ومعناها .

وتصوغه بلفظ عامي في متناول الجميع ما دام هذا الجميع لم يتمكن من ولوج المدارس والمعاهد للتعلم . وما دام القرءان لا يدرس كما ينبغي ان يدرس ويشرح في المدارس والمعاهد والجامعات . فان الحصار مضروب عليه من طرف البرامج التعليمية الحديثة . ولا يكاد يدرس الا في الاطوار الابتدائية — ويا لها من دراسة ليس لها الا الاسم فقط — وفي بعض الاقسام الثانوية وغالبا ما يزهد في حصته وهذا عار تتحمله جميع البلاد العربية .

وكان بودنا ان نطلع على الامثال العامية أو غيرها في البلاد الاسلامية ولكننا لم نصل الى هذه الغاية ولم نحقق هذا الامال ، فانه ولا شك كما اخبرنا احد الطلبة النيجريين بدار الحديث الحسنية أن في الامثال

النيجيرية ما هو مستمد من القرءان والحديث يدور على الالسنة وان كان قليلا لندرة استظهار القرءان بين المسلمين فى نيجيريا .

ويجد القارى فى نهاية هذه الدراسة ملحقا خاصا بالامثال العامية فيه حوالي مائتي مثل ونيف مختارة اختيارا راعينا فيه تنوع الموضوعات حتى تكون الفائدة منه فائدة لا تخلو من اهمية على ما نعتقد الى أن يقيض الله لهذا الجانب من يوفيه حقه بحثا وتحليلا .

## 2 ـ الامثال العامية المغربية :

العامية المغربية كأخواتها العاميات فى البلاد العربية ، لها خصائصها ولها مميزاتها . فهي تشترك مع كثير من العاميات العربية فى كثير من المفردات معنى ولفظا ، ولكن تختلف أحيانا كثيرة عنها فى النطق سواء من حيث الابتداء الذي يكون بالسكون فى العامية المغربية ؛ وتكاد الحروف العربية كلها تنطق فى المغرب كما هي فى أصلها العربي الا ما كان من حرف الثاء الذي يحرف نطقه ليصبح تاء ، والذال دالا ، والظاء ضادا ؛ والقاف يصبح « ڤ » فى كلمة « البقرة » والجيم الذي يقلب فى بعض الكلمات « چ » ، أما ما عدا ذلك فكل الحروف تنطق سليمة .

واما الامثال العامية المغربية لا تكاد تختلف عن اخواتها فى البلاد العربية فاغلبها لا يختلف الا فى النطق والشكل ، وبالاخص الامثال المستمدة معانيها من الآيات القرآنية .

واذا كانت الامثال فى المغرب لم تظهر مدوناتها كما يجب الى الوجود لتكون أساسا للدراسة والبحث . فلا بأس من الاشارة الى أن للاستاذ محمد الفاسي مجموعة مهمة ولكنها لا زالت فى مكتبة مخطوطة (53) . والاستاذ محمد داود لم يصدر من مجموعته الا الف مثل وهو فصلة من مجلة البحث العلمي (54) . ولابن سودة مخطوط بالخزانة الملكية يضم حوالي اثني عشر مثل مغربي (55) .

---

(52) الامثال المغربية باللغة العامية العربية : محمد الفاسي ص : 209 ـ ( مقال ) .
(53) نشر بعض الامثال فى مجلد مؤتمر مجمع اللغة العربية لسنة 1960 ـ 1961 وهو الذي اعتمدناه والذي اشرنا اليه فى الهامش السابق .
(54) عدد 2 ـ السنة 1 ـ ماي ـ غشت 1964 .
(55) رقـم : 10653 ـ خ . م .

واذا بحثنا من هذه الامثال العامية المغربية المستمدة من القرءان نجدها تدل على مدى تشبث المغاربة قاطبة بدينهم وتقديسهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . والعمل بمقتضى الشريعة السمحة التي جاء بها والدعوة الى التمسك بها وتربية الاطفال على سننها . ويتجلى ذلك في الامثال التي تروج على الالسنة التي كانت في جيلنا ــ عندما كنا اطفالا ــ مادة للتربية الاساسية في البيت بحيث كنا نسمع من آبائنا عددا من الامثال يستشهدون بها أو يضربونها لنا عندما نقوم بأعمال اما صائبة او خاطئة فنتنبه الى ما قمنا به لنعمل على المزيد فيه ان كان صالحا ونتجنبه ان لم يكن صالحا حتى لا نعود اليه . وهذه الظاهرة مع الاسف آخذة في الاضمحلال في المدن بالاخص نظرا لاهمال الامثال من طرف الآباء أو لعدم حفظها عند البعض .

ــ الاستمداد من القصص القرآني . وتكاد تكون الامثال الموجودة في العربية المعربة هي نفسها في الامثال العامية المغربية . مثل : عصا موسى . ودواء سيدنا عيسى . واهل الكهف . وافرغ من فؤاد أم موسى. وهامان . وفرعون وغيرها تنطق كما هي وبنفس المعاني.

ــ آيات قرآنية مع تحريف المعني المقصود في الآية . كقولهم للبليد المتواكل على غيره « ناقة الله وسقياها » وللطويل الفارغ « قاعا صفصفا » وما الى ذلك .

ــ اما الامثال الاخرى فهي تركز على التمسك بعقيدة التوحيد وارجاع الامور كلها الى الله عز وجل في جميع القضايا . كقولهم : « كن مع الله ولا تبالي » و « الرجاء في الله » و « عند الله تجتمع الخصوم » و « الدوام لله » و « اللي خاف الله نجا » و « تق بالله ولا تتق بالعبد » و « اللي عطا ربي كلو مزيان » و « اللي كتبو الله هو اللي يكون » . وما الى ذلك مما يجده القارىء في الملحق بنهاية هذه الدراسة .

ثم هناك قيم قرآنية نقلها المثل العامي المغربي الذي كان يعتبر مدرسة تربوية قائمة بذاتها ، سواء في المعاملات أو العبادات أو غيرها مما يخص الدعوات والتوجه الى العلي القدير .

فهم يقولون : « الدعاء مفتاح الخير » و « من خدم الرب خدماتو العباد » و « النعاس خا الموت » و « عفو الله اكبر من ذنوبنا » و « اللهم

يسر ولا تعسر » و « ارحم ترحم » و « ارض الله واسعة وعريضة »
و « احمد الله سيدي يزيدك » و « الاحسان كيقع اللسان » و « الصبار
كينال الخير » و « الصدقة كتدفع البلا » و « الصلاة بلا فلوس »
و « صلة الرحم من الايمان » و « اللي عمل الخير كيصيبو » و « بهذا
يعرف الله » و « الحمد لله على هذا القسمة » و « الدنيا قنطرا للآخرة »
و « التوبة مفتاح باب الجنة » و « الحق بالحق والباطل كيزهق » .

فهذه الامثال وغيرها تبين مدى تمسك المغاربة بالقيم القرآنية وحرصهم الشديد على التحلي بها والدعوة الملحة على جعلها المثل الاعلى فى الحياة اليومية لكل شخص . وليس هذا غريبا فان المغاربة ولله الحمد لا يعرفون تعدد المذاهب الاسلامية ، فهم جميعا على مذهب واحد وهو المذهب المالكي ، واختيارهم لهذا المذهب يبين مدى حرصهم على ان يكونوا مسلمين مقيدين بالتعاليم الاسلامية الصحيحة رغم ما فى هذا المذهب من تشدد بالنسبة لغيره من المذاهب .

والملاحظة العامة حول الامثال العامية المغربية المستمدة من القرءان الكريم هي سهولة العبارة التي تختار لها مع الحرص على ان تكون قريبة من اللفظ القرآني والحفاظ على المعنى الذي تتضمنه الآية وورود اسم الله عز وجل في اغلب الامثال . وقد أثبتنا في آخر هذه الدراسة ملحقا تحت رقم 6 ضمناه عددا من هذه الامثال مع ارجاعها الى الآيات المستمدة منها ليقف عليها الباحث فى هذه الامثال . وهي على سبيل المثال ، وليس على سبيل الحصر ، لان هذه الدراسة تضيق عن هذا الموضوع ، وقد اثرناه بهذا الايجاز لنشير الى اهميته لمن سيدرس هذه الناحيــة .

## مبحث خاص عن الامثال البربرية المغربية المستوحاة من القرءان :

قد يتبادر الى الذهن عند قراءة عنوان هذا المبحث سؤال لماذا الامثال البربرية ؟ ، احدى اللهجات فى هذه الدراسة الخاصة بالمثل القرآنـي ؟ .

اولا : ان هذا المبحث الخاص عن الامثال البربرية المستوحاة من القرءان ارتأينا ان يكون ضمن هذه الرسالة للاشارة ـ الواجبة ـ الى ان

فئة من المغاربة والتي تستظهر القرءان الكريم لا تتعامل فى تخاطبها اليومي بالعامية وخاصة فى المناطق الجنوبية والجبلية ، فاللهجة السائدة هي البربرية بلهجاتها جميعا . وقد اخترنا اللهجة السوسية باعتبارها اوسع اللهجات انتشارا ولانها مفهومة بين اغلب القبائل الساكنة فى المناطق المذكورة وان كان اهل هذه اللهجات يتكلمون العامية العربية المغربية أثناء التعامل مع الذين لا يعرفون اللهجات من السكان . سواء فى الادارة أو التعليم أو غيرهما من المرافق العامة وحتى التجارية .

ثانيا : لبيان أن هذه الفئة العريضة من السكان هي الاكثر تشبثا بالدين وتقاليده وبالقرءان وتعاليمه لانها تسكن فى مناطق لم يستطع الالحاد أن يغزوها بعد ـ ولن يكون له ذلك ـ لانها صامدة بايمانها الذي لا يتزحزح الا اذا تزحزحت الجبال التي يسكنون قممها . وهذا امر مستحيل لان هذه المناطق هي التي هزمت الظهير البربري الذي حاول فصل البربر عن العرب وهزمت حملات التنصير التي استهدفتها طوال فترة الحماية . وستهزم كل من سولت له نفسه ان يجعل من هذا البلد مستنقعا للالحاد .

ففي هذه المناطق لا زال كتاب الله يستظهر من طرف ابناء وشباب الاهالي بها الى حد انهم يعتقدون انهم مسؤولون عن حفظ هذا القرءان في الصدور .

واذا رجعنا الى الامثال البربرية المستوحاة من القرءان نجد انها فى معظمها مستمدة من آيات الامثال المرسلة . وهذا الاستمداد فى غالب الاحيان يكون ترجمة حرفية للآية تقريبا .

وقد اخبرنا السيد ابراهيم او هدا الذي استعنا به فى هذه المهمة بان هذه الامثال متوارثة عندهم ويحافظون عليها كأنها كنز ثمين ، وانها تدور على الالسنة اكثر من غيرها لان لها قداسة خاصة بالنسبة للامثال الاخرى . وانه لا يمكن الاستشهاد بها الا فى محل الجد وعند التأديب فى غالب الاحيان .

واهل سوس مدار اغلب احاديثهم على الامثال لانهم يطلبون المعنى الكثير من اللفظ القليل . ولذلك يكون كلامهم دائما مركزا فى الموضوع

الذي يتحدثون فيه . وقد نقلنا هذا عن السيد ابراهيم أو هذا وهو ثقة فى حفظ القرءان الكريم وفى اللغة العربية التي ينظم بها شعرا عذبا ويمـزج بين قرض الشعر بالعربية الفصحى واللهجة البربرية « تشلحت » . ويجد القارىء فى الملخص الخاص بهذه الامثال مقدمة عن اللهجة « تشلحت » كتابة ونطقا حتى لا تعترضه صعوبة فى قراءة الامثال التي اخترناها وهي قرابة المائة ، وقد عملنا على شكلها حتى تكون مسيرة للقراءة .

ولا غرابة فى ان تستمد هذه اللهجة من القرءان سواء من امثالـه أو غيرها من الآيات لان اهاليها متشبعون بالروح الاسلامية ومؤمنون بالقرءان ايمان العجائز كما يقولون .

والامثال التي تدور على الالسنة البربرية « تشلحت » لا تعـدو فى مواضيعها عن الامثال العربية المغربية وغيرها الا أنها كما سيتبين للقارىء من الجدول فى الملحق . تتخذ الآيات الخاصة على الصبـر والرادعـة للنفاق والمكر ، والناعية للبخـل والاسراف ، والمرغبـة فى الطاعـة والامتثال ، والمحذرة من الظلم والبغي ، والمنكرة للغيبـة والنميمـة ، والمرشدة الى التوادد والتراحم ، والداعية الى الالتجاء الى الله عز وجل فى كل شيء ، والمنبهة الى سوء العاقبة لمن اتبع هواه .

وهذا ليس غريبا كذلـك لان هؤلاء الاهالـي يعيشون فى تقشف مستمر نظرا لجدب اراضيهم ولمواقعهم في الجبال .. ولعملهم الدؤوب وكدهم الذي يغبطون عليه من اجل مواجهة الحياة بالقناعة التـي تمـلا قلوبهم نتيجة ايمانهم الصادق بالله عز وجل ، وتيقينهم بأن هـذه الدار ليست الا قنطرة للعبور وان المتشبث مغـرور ولا شك ، وخـاسر فى النهاية ، ولذلك فهم يقولون : « من رايكـت اسكر اوفوسنـك » (56) ومعناها اياك أن تهلك نفسك بيدك . وهي مستمدة من قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

(56) انظـر المثـل رقـم : 7 فى الملحـق .

وقولهم أيضا : « لخير يتكل لعار » (57) اي الخير يزجر العـــار ، وهو من قوله تعالى : « وان الحسنات يذهبن السيئـــات » ، ويقولـــون « تكا ألم فكرا اركتن » اي اجعل التبن بين اواني الطين ويريدون بها قوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولـــي حميم » الى غير ذلك من الامثال التي يجدها القارىء في الملحق .

وان القصد من ادراج هذا المبحث على صغره هو لفت لنظـــر الى ما تختزنه هذه اللهجة وغيرها من اللهجات من رصيد اسلامي يجـــب ان يـــدرس بعمـــق .

---

(57) انظـــر المثـــل رقـــم : 33 في الملحـــق .
(58) انظـــر المثـــل رقـــم : 57 في الملحـــق .



# نماذج في تخريج القراءات

د. التهامي الراجي

القرءان الكريم المعجز حجة قاطعة على اللغة ، وليس العكس ابدا (1) ، لذا فلن نحاول ــ وان ظن بعض الناس اننا نفعل ــ اخضاع الكتاب العزيز لمقولات النحو او لنظريات الدلاليين قدامى ومحدثين .

ونحن فى هذه النماذج التي قدمنا منها امثلة عابرة لطلبة شعبة علوم القرءان فى دار الحديث الحسنية ، أثناء درسنا فى تعريف القراءات ، لن نفضل ، كيف ما كان الحال ، قراءة متواترة على أخرى ، لانها كلها في اعتقادنا الراسخ ، قرآن نزل من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم او اذن فيه اليه ، فهي بهذا الاعتبار كلها ، وبدون استثناء حق وصواب .

ومن الممكن ان نتحدث عن قراءة شاذة فنخرجها هي أيضا ، وقد نقدمها ــ على الاقل فى اللفظ ، وان كنا نؤمن انها متأخرة جدا فى الرتبة ــ او نؤخرها . وليس فى تقديمها او تأخيرها دليل على درجة تقييمها ، وانما هو المنهج المرتضى يوسع علينا فى بعض الاحيان ضيقا ، ويضيق علينا في أحيان اخرى واسعا .

واننا لنقصد فى الحالتين معا ، اى مع القراءات المتواترة ومع القراءات الشاذة الى توضيح أمر ذي بال ، وهو ان القرءان معجز حتى وان اخضعناه لآلات حديثة في التحليل .

اما مع القراءات المتواترة فالامر بين ، انه لا يقبل من احد قط ان يعارض القرءان لا برايه ، ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده (2) .

---

0.1 ــ انظر « غرائب القرءان ورغائب الفرقان » لنظام الدين النيسابوري الحسين بن محمد بن الحسيني القمي ( المتوفى سنة 828 هـ الجزء الثامن صفحة 37 ) .

0.2 ــ مجموع فتاوي شيخ الاسلام ، ابن تيمية ــ مقدمة التفسير ج 28/13 .

ومع ذلك ليس هناك ، فى علمنا على الاقل ، ما يمنعنا من التدبر واستخراج العبر ، وهذا ما سنفعله بحول الله وقوته حين نستعين بعلوم حديثة لضبط تخريج القراءات والغوص الى أعماقها الجميلة .

وأما مع القراءات الشاذة فقد دفعنا الى الاهتمام بها وحببنا الاشتغال بقضاياها التقدير الذي يكنه لها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم . قال الامام ابو الفتح عثمان بن جني مبررا اشتغاله بالشاذ من القراءات . « غرضنا منه ان نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذا ، وانه ضارب في صحة الرواية بجرانه ، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه ، لئلا يرى مرى أن العدول عنه انما هو غض منه أو تهمة له » (3) .

وليطمئن اخواننا ، فاننا نعامل هذا الشاذ كما يجب أن يعامل به لا نقرأ به في التلاوة واذن لا نتعبد به ، ولكننا مع ذلك نعتقد انه مما أمر الله تعالى بتقبله ، وأراد منا العمل بموجبه ، قال ابن جني (4) : « ... الا اننا وان لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية ، فانا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا ، وانه مما امر الله تعالى بتقبله ، وأراد منا العمل بموجبه ، وانه حبيب اليه ، ومرض من القول لديه » .

أحب قبل ان نعطي هذه النماذج فى التخريج ان اذكر بالضوابط الثلاثة التي اشترطها ائمة القراء فى القراءة لتكون متواترة .

## 1 ـ الضابط الاول :

## موافقة القراءة للعربية

نقصد بـ « العربية » القواعد الجامعة التي تتحكم فى هذه اللغة بمعنى انه يجب أن تكون هذه القواعد النحوية والصرفية والافرادية (1)

---

0.3 ـ انظر « المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها » لابي الفتح عثمان بن جني ، الجزء الاول ، صفحة 32 ، تحقيق علي النجدي ناصف ، الدكتور عبد الحليم النجار ، الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ـ طبعة القاهرة 1386 هـ .

0.4 ـ بل قال ابن جني قبله : « ومعاذ الله. وكيف يكون هذا والرواية تنميه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه » ( الآية 7 من سورة الحشر ) . وهذا حكم عام فى المعاني والالفاظ ، واخذه : هو الاخذ به ، فكيف يسوغ مع ذلك ان ترفضه وتجتنبه ، فان قصر شيء منه عن بلوغه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن يقصر عن وجه من الاعراب داع الى القسمة والاسهاب » . المحتسب ج 1 ص 33 .

1.1 ـ اقصد بـ « الافرادية » المواد المعجمية .

متلائمة مع النص القرآني المتلو . ولم يتشدد في هذه الملاءمة تشددا مبالغا فيه لان هذه القواعد التي جعلوها معيارا يفرزون به التواتر من الشذوذ ، زيادة على كونها « ملفقة » (2) هي من وضع البشر ، هي اذن « لغة واصفة» ( Métalange ) تحكي عن أزلي ، فهي عاجزة كل العجز في حقيقة الامر عن التحكم في كلام سماوي لا اولية له ولا نهاية . لذا اضطر أئمة القراء أن يوسعوا هذا الضابط اتساعا يكفل لهم شموليته لكل أوجه القراءات المتواترة .

ومن هنا جاز لهم القول : تكون القراءة متواترة حتى وان وافقت العربية بوجه من وجوه النحو فقط . وطبعا يمكن ان يكون الوجه :

1 ـ **افصح** : وهي مرتبة جيدة للغاية في موافقة المعيار الواصف للقراءات الازلية .

2 ـ **فصيح** : وهي مرتبة حسنة في الملاءمة بين اللغة الواصفة والقراءة .

3 ـ **مجمع عليه** : وهي مرتبة مقبولة من الجميع .

4 ـ **مختلف فيه** : اختلافا لا يضير مثله اذا كانت القرءاة مما شاع وذاع . وهي مرتبة معتبرة عندهم ايضا .



وانطلاقا مما ذكر يمكن ان نقول مع الامام الكبير ابي عمرو سعيد الداني : « ان القراءة المتواترة لا تعمل على الافشى في اللغة والاقيس في العربية ، بل على الاثبت في الاثر والاصح في النقل ، والرواية اذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها (3) » .

---

1.2 ـ أرجو الا يرى القارىء الكريم في قولي « ملفقة » أي حكم على هذه القواعد اذ لست اقصد به الا ان القواعد العربية لا « تنظم » « لغة عربية » واحدة ومنسجمة، بل انها تشغل نفسها ب « لغات عربية » كثيرة . منها ، مثلا ما تقنن في نفس الوقت لغة الحجاز ولغة تميم وان كان ما تقننه مختلفا بالضرورة لانه صادر عن لغات تتميز بخصائص متباينة .

1.3 ـ انظر النشر في القراءات العشر ، الجزء الاول ، صفحة 10 وما بعدها .

يمكـــن تلخيص هـــذا الضابط فى الجدول اسفله :

| من حيث انها | لا لـــ | نعم لـــ | لماذا ؟ | النتيجة |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| لغـــة Competencia | الافشـــي Acctuacion | ان لم يكـن الاثبت فى لاثـــر | لان القراءة سنـــة متبعـــة | يلـــزم قبولهـــا والمصيـــر اليهـــا |
| (كفـــاءة). | الاقـــيس ( فعلـيـــة ) | ان لم يكـن الاصح فى النقـــل | | |

## 2 ـ الضابـــــط الثانـــــي :

### موافقتها لاحد المصاحـــف العثمانيـــة

يكفي أن توافق القراءة ما جاء في بعض المصاحـــف دون البعـــض الآخر لتكون متواترة ؛ فان قرا قارىء كما فعل ابن عامر الذي قرأ بما في المصحف العثماني الشامي : « قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والارض ؛ كل له قانتون » (1) بغير [ و ] ؛ كما في المصحـــف الشامـــي (2) .

وكما قرا ايضا : « فان كذبوك فقد كذبت رسل من قبلـــك جـــاءوا بالبينات و ( ب ) الزبر و ( ب ) الكتاب المنير » (3) كما كان يقرأ بهـــذه الزيادة ، على ما جاء في المصحف الشامي القارى هشام . ولما سمـــع الحلواني ذلك شك في الامر فكتب الى هشام يستفسره عن ذلك ، فأجابه أن الباء ثابتة في الحرفين . واما ابن ذكوان فكان ، رحمه الله يقرأ بزيادة الباء في « الزبر » فقط ، بهذا حدث فارس ابن احمد تلميذه الامام الداني؛ وكما قرا ابن كثير : « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، واعد لهم جنات تجري (من) تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ، ذلك الفوز العظيم (5) » بزيادة ( مـــن ) بين ( تجري ) و ( تحتها ) كما هي ثابتة في المصحف المكي .

فان وردت قراءة ما مخالفة لما في المصاحف العثمانية (6) عـــدت شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه ، حتى ولو قرا بها احـــد البـــدور

---

2.1 ـ الآية 1/6 من السورة الثانية ، البقـــرة .
2.2 ـ التيسير في القراءات السبع للامام الداني ، صفحة 76 .
2.3 ـ الآية 184 من السورة الثالثة ، آل عمـــران .
2.4 ـ انظر تفصيل ذلك في التيسير ، صفحـــة 92 .
2.5 ـ الآية 100 من السورة التاسعة ، التوبـــة .
2.6 ـ ومعلوم ان المصاحف العثمانية ثمانية ( الح في تسميتها ب « العثمانية » اما اسم « مصحف الامام » فاخصصه للنسخة التي نشير اليها بالرقم 8 ) ، وزعـــت على الامصار الاسلامية المفتوحة اذ ذاك كما يلي :
1 ـ مصحف أرسل الى البصرة . 2 ـ المصحف الـــذي ارسل الى الكوفـــة . 3 ـ نسخة بعث بها الى الشام . 4 نسخـــة ارسلـــت الى مكة . 5 ـ نسخـــة بعث بها الى اليمن . 6 ـ نسخة ارسلت الى اليمن . 7 ـ تركت نسخة بالمدينة المنورة . 8 ـ أمسك عثمان رضي الله عنه بنسخة من المصحف لنفسه ، وهي التي تسمى عادة ، بمصحف الامـــام .

السبعة (7) أو من هو فوقهم او دونهم . سواء قرأ بها من يعرف عندنا بالمغرب ب « العشر الصغير » أو ب « العشر الكبير » . ومعلوم ان « العشر الصغير » هي الطرق التي تؤدي الى الامام نافع بن أبي رويم عن رواته الاربعة يرمز المغاربة الى « العشر الصغير » كما يلي :

| الراوي عن نافع | الطريق المؤدي الى نافع | عدد القراءات عن كل راو |
| --- | --- | --- |
| ب | محق | 3 |
| ل | قبر | 2 |
| س | و د | 2 |
| ج | يتص | 3 |
| | | 10 |

1 ـ أما الـ « ب » فيشيرون بها الى راوي الامام نافع « قالون » الذي امدنا بطرق ثلاثة هي :

1 ـ طريق ابي نشيط محمد بن هارون المروزي المدني ، أشاروا اليه عندنا ب « م » .

2 ـ طريق أبي الحسن أحمد بن يزيد الحلواني الذي يشير اليه القراء المغاربة والاندلسيون بالحرف ( ح ) . ولقد أعطتنا قراءة الحلواني طريقان هما :

---

**2.7 ـ البدور السبعة هم :**

**1 ـ أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم المتوفى سنة 169 هـ قارىء المدينة .**

=

أ ـ طريق ابي علي الحسن بن العباس الجمال ، يشير اليه ائمة القراء المغاربة بالحرف ( ج ) .

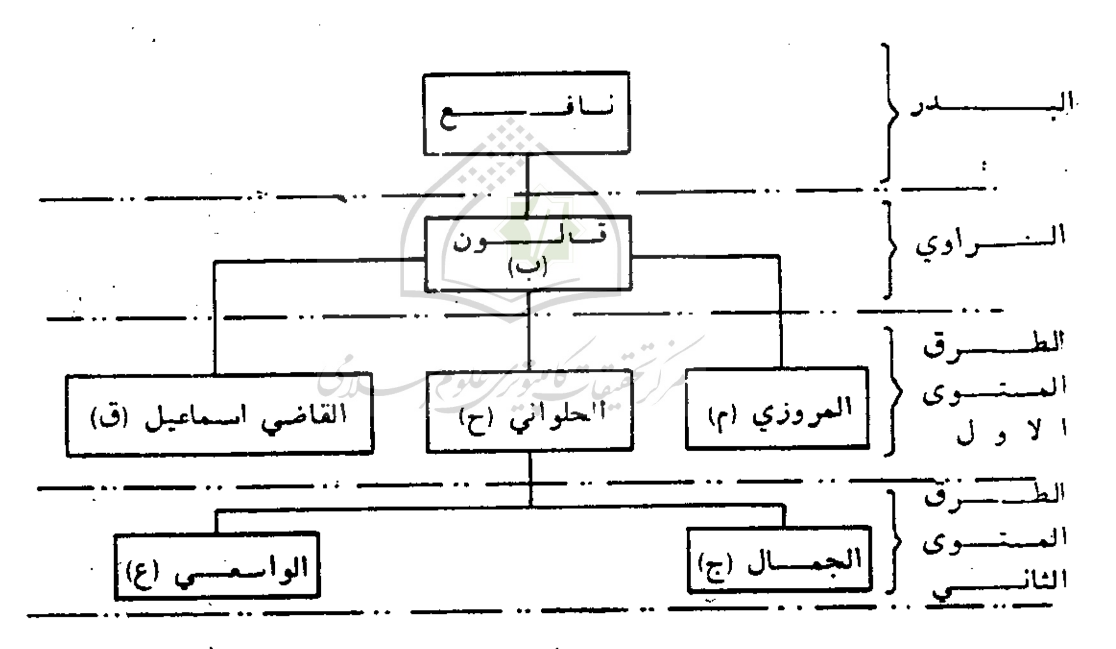
ب ـ طريق ابي عون محمد الواسعي الذي يشير اليه السلف الصالح من القراء المغاربة عندنا بالحرف (ع ) .

يمكن ان نلخص هذه النقطة الاولى كما يلي :

1) ـ {ب} = {م ، ح ، ق}

2) ـ و {ح} = {ج ، ع}

كما يمكن أن نوضح ان هذه النقطة الاولى بالجدول اسفله :




=

2 ـ عبد الله بن كثير ، المتوفى سنة 120 هـ .. قارىء مكة .
3 ـ ابو بكر عاصم بن ابي النجود ، المتوفى سنة 127 هـ .. قارىء الكوفة .
4 ـ حمزة بن حبيب الزيات ، المتوفى سنة 156 هـ .. قارىء الكوفة .
5 ـ علي بن حمزة الكسائي ، المتوفى سنة 189 هـ .. الكوفة .
6 ـ ابو عمر العلاء ، المتوفى سنة 154 هـ .. قارىء البصرة .
7 ـ عبد الله بن عامر اليحصبي ، المتوفى سنة 118 .. قارىء الشام .
بهذا يكون قارىء مدني وآخر مكي وثلاثة كوفيون وبصري وشامي عندنا .

2 ـ واما « ل » فيشيرون به الى الامام اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الانصاري الذي امدنا بطريقين همـــا :

1 ـ طريق ابي جعفر احمد بن فرج البغدادي المفسر الذي يرمـز اليـــه سلفنا الصالح بـ « ف »

2 ـ طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدون الهمداني الضريـــر البغدادي الذي يرمز اليه ائمة القراء عندنا بـ « ز »

يمكن ان نلخص هذه النقطة الثانية كما يلـــي :

3) ـ { ل } = { ف ، ز }

3 ـ واما « س » فيشير المغاربة والاندلسيون به الى الراوي اسحاق ، ابي محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن المسيب الذي تمخض عنـه طريقـــان همـــا :

1 ـ طريق محمد بن اسحاق ، ولد المسيب المذكور أعـلاه أشار اليه ائمة القراء عندنا بـ « و »

2 ـ طريق محمد بن سعدان الضرير النحوي الذي يشـيـر اليـــه المغاربـــة عادة بالحـــرف « د »

يمكن ان نلخص هذه النقطة كمـــا يلـــي :



4) ـ { س } = { و ، د }

4 ـ وأما « ج » فيشير القراء المغاربة به الى الـــراوي ورش . وعنـــه تمخضت ثلاثة طرق هـــي كما يلـــي :

1 ـ طريق ابي يعقوب يوسف الازرق « ى » الذي تمخض عنه هـو بدوره طريقان همـــا :

— طريق ابي بكر عبد الله بن سيـــف .

— طريق اسماعيل بن عبد الله النحاس ومنه خرج طريـــق آخـــر هـــو لاحمـــد بن هـــلال .

2 ـ طريق ابي الازهر عبد الصمد بن عبد الرحمن العتيقي الـــذي نشير اليه بالرمـــز « ت »

3 ـ طريق ابي محمد عبد الرحيم الاصبهاني الذي نشير اليه عادة بالرمـــــز « ص » .

يمكن أن نلخص هذه النقطة الثالثة كمـــا يلـــي :

5) ـ {ج} = {ي ، ث ، ص}

6) ـ {ي} = {ن ، ء} + {ه}

وهكذا يمكن ان نقول ان قراءة البدر نافع هـــي :

7) ـ {قراءة نافع} = {ب ، ل ، س ، ج}

8) ـ {ب ، ل ، س ، ج} = {م ، ح ، ف}
+ {ف ، ز} + {و ، د} + {ي ، ت ، ص}

اما « العشر الكبير » فتتكون من قراءات البدور السبعة التي أشرت الى اصحابها في الحاشية رقم 2 . 7 تضاف اليها قراءة ابي جعفر يزيـد ابن القعقاع الذي نشير اليه عادة بالرمز ( ا ) ويعقوب الحضرمـــي الذي نشير اليه بالرمز ( ح ) . وخلف البزار الذي نشير اليه بالرمز ( ف ) (8).

### 3 ـ الضابـــــط الثالـــــث :

## صحـــــة السنـــــد

صحة السند فى القراءة هي ان يروى القراءة العدل الضابط عـــن مثله وتكون مشهورة عند ائمة هذا الفن الضابطين له غير معدودة عندهـم من الغلط او مما شذ بها بعضهم (1) .

---

2.8 ـ يجعل للتفريق بين الرموز دائرة على حروف التي نرمز بها الى العشر الصغير . خالف الاستاذ خمليش هذه الرموز فاشار بـ « ا » الى اسحاق وبـ « س » الـى ابن سعدان .

فهل يشترط التواتر في هذا الركن ، والحالة هذه ام لا ؟

اعتقد أن الجواب عن هذا السؤال يحتاج الى كثير من التروي . ذلك ان مسألة التواتر ، ان توفرت في النص المثبت بهذه الطريقة أغنت عن غيرها من الشروط . فاذا ما اشترطنا التواتر ، وقررنا أن ما جاء مجيء الاحاد لا يثبت به قرآنا ، ترتب عنه أمر ذوبال . هذا الامر البالغ الاهمية هو ان كل ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان واجب القبول ولزم القطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم خالفه .

هنا تواجهنا الاسئلة الثلاثة التي وضعت على الامام ابي محمد مكي (2) .

**السؤال الاول :** ما الذي يقبل من القرءان فيقرأ به ؟

بين الامام مكي رضي الله عنه فى الجواب عن هذا السؤال أن ما يقرا من القرءان الآن هو ما اجتمع فيه ثلاث خلال .

— **الخلة الاولى :** ان ينقل عن الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم . هذا كما ترى هو الضابط الثالث الذي نتحدث عنه الآن .

— **الخلة الثانية :** ان يكون وجهه فى العربية التي نزل بها القرءان سائغا . وهذا كما ترى هو الضابط الاول الذي تحدثنا عنه سابقا .

— **الخلة الثالثة :** ان يكون موافقا لخط المصحف . وهذا بالضبط الضابط الثاني الذي سبقت الاشارة اليه .

لنا على قضية النقل عن الثقة ملحوظة نرجو الا تزل بها قدمنا ، ان القرءان يقسم من حيث النقل الى ثلاثة اقسام :

---

3.2 — **انظر النشر فى القراءات العشر ، الجزء الاول ، صفحة 13 .**

3.2 — **يظهر انه ولد بالقيروان سنة 355 هـ وتوفي في قرطبة سنة 437 هـ . اشتهر مكي بكثرة التاليف والتفنن فيه . انظر كشفا بكتبه في كتاب « كي وتفسير القرءان الكريم » لصاحبه الدكتور أحمد حسن فرحات .**

3.3 — **اخبرنا ابن الجذري ان الامام ابا محمد مكي ذكر ذلك فى كتاب الحقه بكتاب الكشف، ولقد بحثت فى هذا الكتاب الذي الحقه الامام القيسي بكتاب « الكشف » فلم اعثر عليه . اما كتاب « الكشف » فاسمه الكامل هو : « الكشف عن وجوه القراءات وعللها » .**

— قسم قرىء به نقلا وهو موجود ومنصوص عليه فى الكتب .

— قسم قرىء به واخذ لفظا أو سماعا ولكنه غير موجود فى الكتب .

— قسم لم يقرا به ولا وجد في الكتب ، ولكنه قيس على ما قرىء به اذ لا يمكن فيه الا ذلك عند عدم الرواية في النقل .

**السؤال الثاني** : ما الذي لا يقبل من القرءان ولا يقرا به ؟

كان جواب الامام ابي محمد مكي عن هذا السؤال هو : أما الذي لا يقبل من القرءان ولا يقرأ به فهو ما نقله غير ثقة او نقله ثقة ولا وجه له فى العربية وان وافق خط المصحف . وطبعا فان ما نقله غير ثقة موجود بكثرة فى كتب الشواذ ، وعادة ما يكون هذا المنقول شاذا ضعيفا .

واما ما نقله الثقة ، ولا وجه له فى العربية فهو قليل جدا ، والحمد لله ، وما كان ليصدر عن هذا الثقة الا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط .

يمكن ان نمثل لما نقله غير ثقة بقراءة ابن السمال (4) قرأ « خطوات » (5) بضم الخاء وفتح الطاء يليها واو ممدود بالفتح في قوله تعالى : « يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات (6) الشيطان انه لكم عدو مبين (7) » .

وقرأ « يا أيها المزمل قم الليل » ( الآية 1 من سورة المزمل ) بضم ميم « قم » ، وقرأ « فان زللتم » ( في الآية 103 من البقرة ) بكسر اللام . وقرأ « ما بقي من الربو » ( فى نفس السورة ، الآية 278 ) بضم باء «الربو» واسكان الواو . وقرأ « حتى يلج الجمل » بفتح الجيم واسكان الميم ( في

---

3.4 — انظر ترجمته فى « غاية النهاية » لابن الجزري ، الجزء الثاني ، صفحة 27 .

3.5 — اكتفي هنا بالقراءات التي انفرد بها دون غيره ، ومن اراد المزيد من قراءاته الشاذة فليعد الى مقالنا المنشور بدعوة الحق ، العدد السابع ، السنة العاشرة رجب 1394 ( غشت 1974 ) صحفة 66 .

3.7 — الآيــة : 168 من السورة الثانية ، البقــرة .

3.6 — ذكر ابن عطية فى تفسيره قراءة اخرى عزاها لابن السمال وهي .

الآية 40 من سورة الاعراف ) . وقرا « وما ارسلنا من رسول الا بلسن قومه » بكسر اللام وسكون السين ( فى الآية 4 من السورة الثانية عشرة ابراهيم ) . وقرأ « فحاسوا » بالحاء ( في الآية 5 من سورة الاسراء ) . وقرأ « السجل » بفتح السين وتسكين الجيم ( فى الآية 104 من سورة الانبياء ) . وقراءته الشاذة جدا التي تشبه اللحن وهي :

« غير معجزي الله » بنصب اسم الجلالة ( فى الآية 3 من سورة التوبة ) . وقراءته « ياسين » بكسر النون ، ( الآية الاولى من سورة ياسين ) وغيرها كثير .

## 4 ـ النماذج :

النموذج الاول الذي اخترته لاطبق به الضابط « القراءة الموافقة للعربية ولو بوجه من وجوه النحو » هو قوله تعالى : (1) : « وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد ام كان من الغائبين ، لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ، فمكث غير بعيد : فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين » .

سأهتم :

**أولا :** بقوله « مكث » .

نحن نعرف ان فى هذه المادة قراءتان :

— قراءة بالفتح وهي القراءة التي قرا بها الامام عاصم رضي الله عنه (2) .

— قراءة بالضم وهي التي قرا بها الباقون .

كما اننا نعرف ايضا انه يجب الا نفاضل بينهما لانهما معا متواترتان منزلان من الحق سبحانه وتعالى ، فلا يصح ، مطلقا ان نفضل قرآنا على قرءان ، وانما سننظر اليهما من حيث المقول النحوي ؛ فاذا كان الامر كذلك جاز ان نتحدث عن الاختيار عند النحويين بالنظر الى المستعمل الشائع فى مثل هذه المادة فى اللغة العربية .

---

4.1 ـ السورة 27 « النمل » الايات : 20 ، 21 ، 22 .

4.2 ـ التيسير ، صفحة 167 ، والحجة في القراءات السبعة للامام ابن خالوية ، صفحة 245 .

ولنتمكن من التصور السليم وجب أن نبحث فى هذه المادة من أربع مستويات :

ا ـ مستوى الجذر .

ب ـ مستوى المضارع .

ج ـ مستوى اسم الفاعل .

د ـ مستوى التبرير المعتمد على ورود المادة فى القرءان الكريم.

سيعطينا هذا كله ما يلي :

| المادة | المضارع | اسم الفاعل | التبرير |
|---|---|---|---|
| الضم | الضم | مكيث | ∅ |
| الفتح | الضم | ماكث | السورة 18 الكهف الآية 3 بالنسبة للمستوى الثاني الرعد الآية 17 |



نلاحظ من هذا الجدول ان القرءان الكريم لم يستعمل المادة فى الخط المستقيم المعروف عادة عند النحاة ، الخط الذي تريد اللغة العربية أو كما قال الامام الداني رحمه الله : « الافشى فى اللغة » و« الاقيس فى العربية . والقرءان » . والقرءان قرءان وان خالف الاستعمال الشائع المعروف والقاعدة الجامعة .

لقد استعمل الضم في الماضي في قراءة الجمهور في سورة النمل واستعمل الضم فى المضارع فى سورة الرعد ، ولكنه لم يتم المسلسل فيستعمل « مكيث » فى حين استعمل اسم الفاعل المستعمل فى خط الفتح فى الماضي ، والضم فى المضارع ، استعمل ذلك فى سورة الكهف الآية 3 .

نستخلص من هذا الجدول البيان الآتـــي :

| القــراءة | المضارع | اسـم الفاعـل | صيغة أخرى من المادة |
|---|---|---|---|
| الضـم عاصم وحده مكث | | **مكيــــث** الرزين الذي لا يعمـل وهم المكثاء والمكيثـون Ø | **مكـــــــث** الاناة واللبث والانتظـار المكث والاقامة مع الانتظار والتلبث في المكان والاسم المكث (بالضم) والمكث (بالكسـر) « وقرآنا فرقناه نتقراه على الناس على مكث » الرعـد 13 الآية 106 |
| الفتـح الجمهـور | الضـم أنـزل من السمـاء مـاء فسالـت أوديـة الآيـة 17 سـورة الرعد (17) | **مـاكــث** المنتظر وان لم يكن مكيثا في الرزانة الكهف (18) الآيات 1 ، 2 ، 3 . | |



وفي « مكث » التي وجدناها في الحالة المخصصة لـ « صيغة أخرى من المادة » قراءتان ، كل واحدة منها تناسب ، على المستوى الدلالـي قراءة لقوله تعالى : « فرقناه » التي فيها هي أيضا قراءتان .

أما القراءة المتواترة من قوله تعالى : « فرقناه » فهو التخفيـف . وبهذا سيكون معناها « بيناه وأوضحنـاه وفرقنـا فيـه بين الحـق والباطل » (1) يناسب هذا المعنى قراءة « مكث » بالضم المعتادة ، التي سيكون معناها في هذه الحالة « على ترسل في التلاوة وترتيل » .

2.1 – « الجامع لاحكام القرءان » للقرطبي ، الجزء العاشر ، صفحة 331 .

واما القراءة الثانية ، وهي قراءة شاذة ، لقوله تعالى : « فرقناه » بتشديد الراء ، فتناسب على المستوى الدلالي القراءة الشاذة أيضا لقوله تعالى : « مكث » بالفتح وهي القراءة التي قرأ بها ان محيص ، ومعناها في هذه الحالة عن تشبت وترسل . يمكن أن نلخص ذلك كما يلي :

| اللفظة | فرقناه | مكث |
|---|---|---|
| القراءة | بتخفيف الراء | بضم الميم |
| المعنى | بيناه واوضحناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل | لتقرأه على ترسل في التلاوة وترتيل |
| القراءة | بتشديد الراء | بفتح الميم |
| المعنى | انزلناه شيئا بعد شيء | لتقرأه على تثبت |

بقي ان نقول كلمة قصيرة في الكلمات الاخيرة من هذا الشاهد وهي قوله تعالى : « من سبا بنبا » .

لا يخفى ان قراءة الجمهور هي من « سبا » مصروفا جعل اسم للحي او للموضع او للاب . وهناك قراءة غير شاذة تنسب الى ابن كثير والى ابي عمرو ، وهي « من سبأ » غير مصروف .

لكن هناك من القراء من طبق على هذا المقطع ما يعرف في العربية بـ « الترديد » . والترديد عندهم هو رد اعجاز البيوت على صدورها أو رد كلمة من النصف الاول الى النصف الثاني ويسمى أيضا : « **التصدير** » فمثال الاول قوله :

سريع الى ابن العم يجبر كسره * وليس الى داعي الخنا بسريع

ومثال الثاني قوله :

والليالي اذا نايتم طوال * والليالي اذا دنوتم قصار

ومنهم من سماه « تجنيس التصدير » . و « تجنيس التصدير » هو ان تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الاخرى بحرف . فـ « سبا » لا لا تنفرد عن « نبا » الا بحرف واحد . كما ان « تفرحون » و « تمرحون » في قوله تعالى : « ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » لا تختلفان الا في حرف واحد . كما ان « الخيل » لا تختلف عن « الخير » في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود في نواصيها الخير » الا بحرف واحد هو « اللام » مكان « الراء » .

5 ـ النموذج الثاني أخترته لاطبق به الضوابط الاخرى هو قوله تعالى : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » (1)

نهتم :

**أولا ـ** بقراءة « تساءلون » ، فيها أربع قراءات :

1 ـ « تساءلون » بتاء فسين مشددة بعدها مد فهمزه وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو . ابدلوا هنا التاء الثانية سينا وادغموا السينين ، وهذا عمل أهل المدينة في مثل هذه الاشياء .

2 ـ « تساءلون » ( مخففة ) حذفوا التاء تخفيفا . اما ما هي التاء التي حذفت ففيه اختلاف . اما أهل الكوفة فيرون ان المحذوفة هي الاولى وهي تاء المضارعة ، وأما أهل البصرة فالمحذوفة عندهم هي الثانية . وليس لي ، حتى الآن ضابط أستطيع ان أقدم به هذه النظرية على تلك . ضابط واحد نعرفه لا يحل الاشكال ، ذلك اننا نعرف ان « تاء » تتفاعلون تدغم في لغة وتحذف في اخرى لاجتماع حروف متقاربة . ولله در ابي

5.1 ـ الآية الاولى من السورة الرابعة ـ النساء .

علي الفارسي اذ يقول : « اذا اجتمعت المتقاربة خففت بالحذف والادغام والابـــــدال » .

ومعلوم ان ظاهر تفاعل هو الاشتـــراك ، ، واذن فمعنـــى تساءل : تسأله بالله ويسألك بالله .

3 ـ « تسألون به » مضارع سأل ، قرا بهذا عبد الله .

4 ـ « تسلون » بحذف الهمزة ونقل حركتها الى السين .

**ثانيـــا** : بقراءة « والارحام » ، فيها ثـــلاث قراءات :

1 ـ **الضـم** : ( اي ضم الميم من الارحام ) وهي قراءة عبد الله بن يزيد قرا بالرفع على الابتداء والخبر مقدر تقديره : والارحـــام أهـــل ان توصـــل .

2 ـ **الجر** : قرا به ابراهيم النخعي وقتادة والاعمش وحمزة عطفا على الضمير . اما البصريون فانه لا يجوز عندهم ان يعطف ظاهـــر على مضمر مخفوض ، وحكموا عليه بأنه لحن ، لا تحل القراءة به . كان الزجاج رحمه الله يقول ما مؤداه : يقبح عطف الاسم الظاهـر على المضمـــر في الخفض الا باظهار الخافض ، كقوله : « فخسفنا به وبداره الارض » (2) ، ثم قال نقلا عن المازي : لان المعطوف والمعطوف عليه شريكان ، يحل كل واحد منهما محل صاحبه ، فكما لا يجوز « مررت بزيدوك » كذلك لا يجوز « مررت بك وزيد » .

ورغم انها قراءة قرا بها احد البدور السبعة وهو حمزة ، واذن هـــي بهذا الاعتبار متواترة كان ابو العباس المبرد يقول عنها ، لو صليت خلف امام يقرأ « ما انتم بمصرخي » (3) و « اتقوا الله الـــذي تساءلون بـــه والارحام » لاخذت نعلي ومضيت .

يقول ابن عطية (4) عن هذه القراءة : « ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان : احدهما ان ذكر الارحام فيما يتساءل به لا معنـــى له في

---

5.2 ـ الايـــة 81 من السرة 28 القصـــص .
5.3 ـ الاية 21 من السورة 14 ابدهم ، ويقصد بكسر الياء المشددة .
5.4 ـ « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ، صفحة 9 من الجزء الرابع .

الحض على تقوى الله ، ولا فائدة فيه اكثر من اخبار بأن الارحام يتساءل بها ..... والوجه الثاني ان في ذكرها على ذلك تقريرا للتساؤل بها والقسم بحرمتها ، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله على السلام « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

تصدى الشيخ ابو حيان الغرناطي لراي ابن عطية فرده قائلا : (6)
« واما قول ابن عطية : ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان ، فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه ، اذ عمد الى قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرا بها سلف الامة واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرءان من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت ، وقرا الصحابة ابي ابن كعب ، عمد الى ردها بشيء خطر له في ذهنه . وجسارته هذه لا تليق الا بالمعتزلة كالزمخشري فانه كثيرا ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم . وحمزة رضي الله عنه أخذ القرءان عن سليمان ابن مهران الاعمش وحمدان بن اعين ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد الصادق . ولم يقرأ حمزة حرفا من كتاب الله الا بأثره . وكان حمزة صالحا ورعا ثقة في الحديث . وهو من الطبقة الثالثة ، ولد سنة ثمانين وأحكم القراءة وله خمس عشرة سنة ، وأم الناس سنة مائة ، وعرض عليه القرءان من نظرائه جماعة ، منهم : سفيان الثوري والحسن بن صالح، ومن تلاميذه جماعة منهم : امام الكوفة في القراءة والعربية أبو الحسن الكسائي . وقال الثوري وابو حنيفة ويحيى ابن ادم : غلب حمزة الناس على القرءان والفرائض – وانما ذكرت هذا واطلت فيه لئلا يطلع غمر على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيسيء ظنا بها وبقرائها فيقارب أن يقع في الكفر بالطعن في ذلك . ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم . فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون ، وانما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية لا أصحاب الكنانيش المشتغلون بضروب من العلوم الآخذون عن الصحف دون الشيوخ » .

---

5.6 – « البحر المحيط » ، المجلد الثالث ، صفحة 159 ، ابتداء من السطر الرابع .

3 ـ **النصـب** : قراءة الجمهور ، معطـوف ، أي اتقـوا الله ان تعصوه ، واتقو الارحام ان تقطعوها .

وقع الجميع بين تقوى الله وتقوى الارحـام على اساس القـدر المشترك وان اختلف معنى التقويين لان تقوى الله بالتزام طاعته واجتناب معاصيه واتقاء الارحام بأن توصل ولا تقطع .

اذن « اتقوا » بالحمل على القدر المشترك .

نضـع :

التزام الطاعة ⟷ س

اجتناب المعاصي ⟷ م٢

التقوى ⟷ ت

واذن صلة الرحم التي يمكن ان تشير اليها بـ ص ر هي في الحقيقة

ص ر س

او هـي

ص ر م٢

فاذا كانـت ( ت ) هـي

ت = س + م٢

فانه يجوز أن نقول من باب أولـى

ص ر ت

ص ر ∈ ت

هذا في الحقيقة هو الذي يعطينا القدر المشترك ، وبهذا يستقيم : « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » بالفتح .

نستطيع ونحن نستقرىء القرءان أن ندمج الذين « لا يتقون قطع الارحام » في مجموعات ذكرها القرءان .

نشير الى المجموعة الاولى بـ {ف}

و ( ف ) هم « المفسدون » الموصوفون بـ « الخسران » .

وقعت الاشارة الى عناصر هذه المجموعة في الآية 27 من السورة الثانية ، البقرة .

وهي مجموعة تتكون من ثلاثة عناصر هي :

أ : ـ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .

ب : ـ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل .

ج : ـ ويفسدون في الارض .

واذن فالمجموعة {ف} هي :

{ف} = {أ ، ب ، ج} = الخاسرون

وهي مجموعة سالبة ، لان عناصرها الثلاثة مكونة كلها من المعاصي المنهى عنها ، لذا ختم الحق سبحانه وتعالى ، الآية بما يحكم على العناصر الثلاثة {أ ، ب ، ج} او على مجموعهم {ف} بقوله : « اولئك هم الخاسرون » .

ونشير الى المجموعة الثانية بـ {ح} وهي تجمع العناصر المتوفرة في المؤمن بالوحي الموعود له بعقبى الدار .

وقعت الاشارة الى هذه المجموعة والى عناصرها في السورة الثالثة عشرة ، الرعد في الآيات 20 ، 21 22 ، العناصر الثلاثة لهذه المجموعة وهي :

ا : ـ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق .

ب : ـ والذين يصلون ما امر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء العذاب .

ج : ـ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة .

واذن فالمجموعة {ح} هي :

{ح} = {ا ، ب ، ج} = اولئك لهم عقبى الدار .

واما المجموعة الثالثة فقد سماها الحق سبحانه وتعالى ب « الذين لهم اللعنة » نشير الى هذه الاخيرة ب {ل} وعناصرها :

ا : ـ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .

ب : ـ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل .

ج : ـ ويفسدون في الارض .

وعلى هذا تكون المجموعة {ل} هي :

ل = {ا ، ب ، ج} = اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار .

هذه المجموعة الثالثة في قضية **تقوى الارحام** سالبة كالمجموعة الاولى ، لان عناصرها كلها مكونة مما يجب اجتنابه من المعاصي .
نلاحظ ان المجموعتين السالبتين اللتين اشرنا اليهما ب ( ف ) و ( ل ) تكونان ، لانهما سالبتان قطع الارحام ( ق ر ) ، ولذا جاز كتابتهما ب :

ق ر = ف V ل

واما المجموعة ( ح ) ، فهي لمن يصل الرحم . واذن نكتبها :

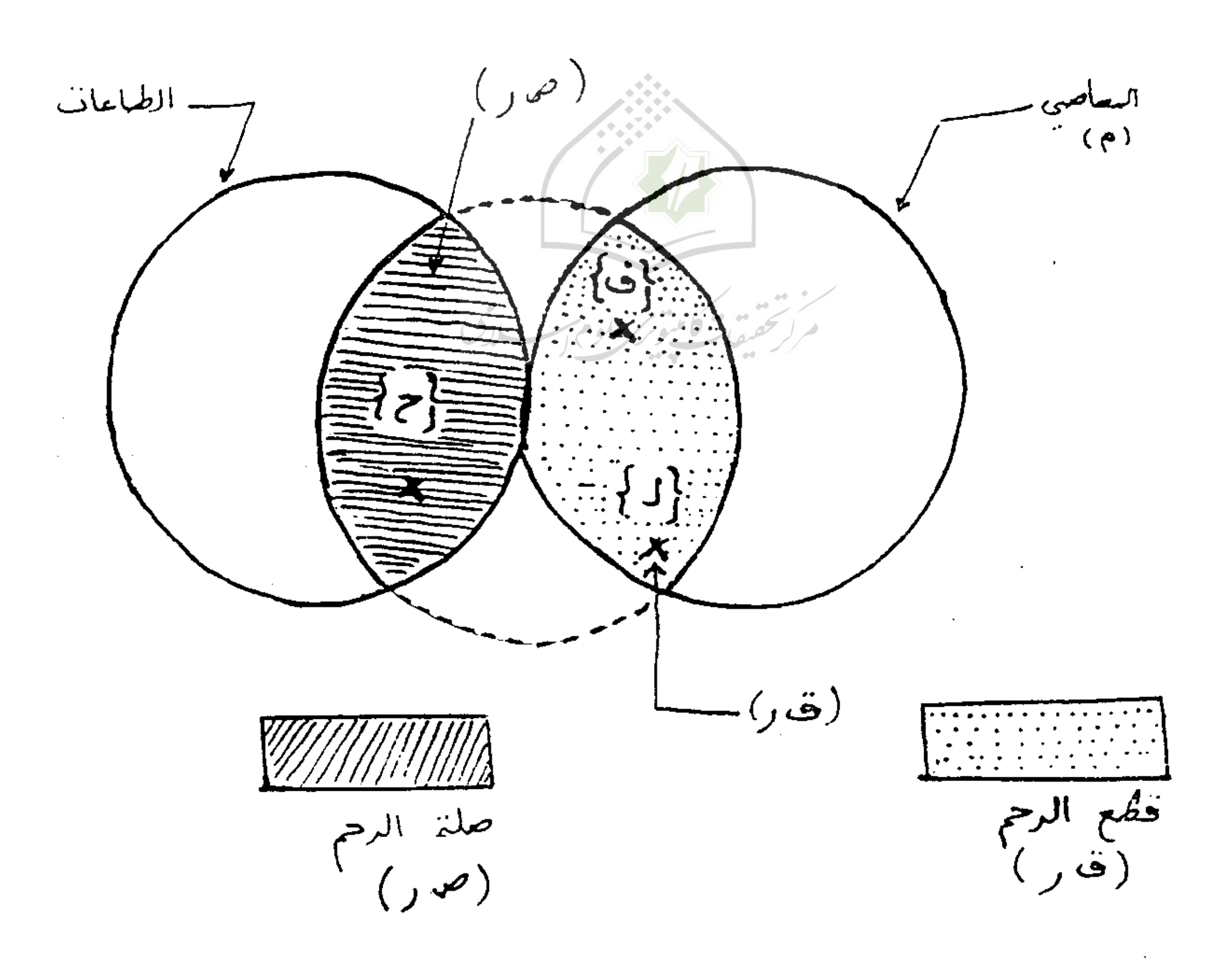
ص ر = {ح}

ومن هنا جاز القول بأن :

ق ر = س

ص ر ⊃ س

واذن فان كلا من قطع الارحام ( ق ر ) وصلة الرحم ( ص ر ) يدخلان في تقوى الله بالحمل على القدر المشترك . يمكن ان نلخص هذا بالرسم البياني اسفله :



الدليل على قطع الرحم ( ق ر ) الذي سمى الحق سبحانه وتعالى من يجترفه بـ « الفاسقون الخاسرون » ( المجموعة ف ) تارة وبـ « الذين لهم اللعنة ولهم سوء الدار » ( المجموعة ل ) تارة اخرى . وسمى الذين يتقونه بـ « أولئك لهم عقبى الدار » ( المجموعة ح ) هو عطفه على اسم الجلالة المنصوب على التعظيم بفضل « اتقوا » . ولذا قرا الجمهور « الارحام » بالفتح .

بل ان الحق سبحانه وتعالى قرن عبادة الله في اخذ الميثاق ، وهو العنصر الموجود في جميع المجموعات التي درسناها بالفعل الحسن المتمثل في صلة الرحم ( وهو عنصر مذكور ايضا في جميع المجموعات ) بعبادة الله في قوله تعالى : « لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى » .

ومن المخرجين لقراءة الفتح هذه من يرى ان « الارحام » نصب عطفا على موضوع « بـه » لان موضوعه نصب . مثال ذلك : مررت بزيد وعمرا . فلما لم يشاركه في الاتباع على اللفظ ، اتبع على الموضوع .

**الرباط : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي**





# دراسات حديثية



# بين أبي طاهر السّلفي وشيوخ الحديث في المغرب

## للأستاذ سعيد أحمد أعراب

ابو طاهر السلفي من القمم الشامخة في الرواية وعلو الاسناد ، اجتمع لديه من روايات الشيوخ بالمشرق والمغرب ، ما لم يجتمع لاحد سواه (1) ، وحدث في الاسلام نيفا وثمانين سنة (2) .

وهو صدر الدين أحمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم سلفه (3) ــ بكسر السين وفتح اللام والفاء ، في آخره هاء ، واليه نسبته ( السلفي ) ، الاصبهاني الاجروآني .

### بلده ومولده :

ولد باصبهان في حدود ( 478 هـ ) (4) ــ بمحلة تدعى جروآن ، وبها نشأ وتعلم ؛ وكان أول سماعه للحديث باصبهان ــ بلده ــ على رئيسها

---

(1) اعني بذلك من حيث جمعه لروايات المشايخ في المشرق والمغرب ، والا فالسمعاني ــ معاصره ــ بلغ عدد شيوخه على ما قيل سبعة آلاف شيخ ، وهو شيء لم يبلغه احد ــ كما يقول الذهبي .
انظر تذكرة الحفاظ 4 / 1316 .

(2) كذا في طبقات السبكي 4 / 44 ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي 4 / 255 والرسالة المستطرفة للكتاني ص 82 .
والذي في معجم أصحاب الصدفي لابن الابار 47 « نيفا وسبعين سنة » ، ولعل ذلك يرجع الى الاختلاف في ميلاده .

(3) وقيل سلفه لقب جده احمد ــ كما يقول الذهبي في التذكرة 4 / 1298 . وانظر في معنى « سلفه » ابن خلكان : وفيات الاعيان 1 / 88 ، والسبكي : الطبقات 4 / 43 ، والمقري : ازهار الرياض 3 / 169 ، والزبيدي : تاج العروس ( سلف ) .

(4) هو الذي رجحه ابن خلكان ، وذهب اليه غير واحد ، وانتقده السبكي قائلا : هو قول ساقط ، فالسلفي جاوز المائة بلا ارتياب . وانظر وفيات الاعيان 1 / 89 ، والطبقات 4 / 43 ، وازهار الرياض 3 / 169 .

عبد الله الثقفي ــ مسند عصره سنة ( 488 هـ ) (5) ، وحدث ــ كما يقول هو عن نفسه ــ سنة ( 492 هـ ) (6) ــ وعمره لا يتجاوز ( 17 ) ؛ فأخذ الناس يكتبون عنه ــ وهو ما زال في طور الطلب (7) ، وعمل معجما لشيوخه الاصبهانيين ــ وهم أزيد من ستمائة (8) .

## تطوافه في طلب العلم :

ثم رحل الى بغداد سنة ( 493 هـ ) ، واخذ عن جملة من مشايخها ، ووضع معجمها كبيرا في مشيخته ببغداد (9) .

وفي حدود ( 497 هـ ) ، ذهب الى الحج ، وسمع في طريقه بالكوفة، كما سمع بمكة والمدينة ؛ وفي سنة ( 500 هـ ) رحل الى البصرة وسمع من علمائها (10) .

ثم طوف على كثير من مدن الجبل ، والدينور ، وقزوين ، وساوه ، ونهاوند ، واذربيجان ؛ ودخل آمد ، وخلاط ، ونصيبين ، وسلمان . وقرى كثيرة في تلك المناطق ، واستغرقت رحلته هذه تسع سنوات .

وفي سنة ( 509 هـ ) دخل دمشق ، وقضى بها قرابة عامين يطلب الحديث (11) .

وفي سنة ( 511 هـ ) انتقل الى صور ، فسمع من علمائها ، ومن الشيوخ المقيمين بها (12) ؛ وفي نفس السنة ، سافر ــ بحرا ــ الى الاسكندرية للسماع من أبي عبد الله بن الحطاب الرازي (13) ؛ « وفي بيته اخترق بلاد المغرب والاندلس ، لياخذ عن أصحاب أبي عمر ابن عبد البر وغيرهم » ــ على حد تعبير ابن الابار (14) .

---

(5) معجم أصحاب الصدفي : 49 . وانظر التذكرة 4 / 1298 ، والطبقات 4 / 43 .
(6) تذكرة الحفاظ 4 / 1299 ، والطبقات 4 / 43 ، وفهرس الفهارس 2 / 339 ــ 342 .
(7) التذكرة 4 / 1298 ، والطبقات 4 / 43 ، والشذرات 4 / 255 .
(8) التذكرة 4 / 1299 ، والطبقات 4 / 43 .
(9) نفس المصدر .
(10) طبقات السبكي 4 / 43 .
(11) تاريخ دمشق 2 / 50 .
(12) التذكرة 4 / 1299 ، الطبقات 4 / 44 .
(13) معجم أصحاب الصدفي 4 / 48 .
(14) نفس المصدر .

وفي سنة (517 هـ) سافر الى مصر – (القاهرة) – سفرته الوحيدة (15)، فروى عن علمائها، واشترى كتبا كثيرة، ثم عاد الى الاسكندرية (16)، وبها وضع معجمه الثالث (معجم السفر) (17)، وقد ضمنه شيوخه فيما عدا اصبهان وبغداد.

## اقامة ابي طاهر بالاسكندرية :

بعد ان طوف ابو طاهر على كثير من البلدان، استقر به المقام – وبصفة دائمة – بالاسكندرية، وذلك – ربما – لعدة عوامل، منها :

1 – ان موقع الاسكندرية، هيأ له لقاء الكثيرين دون الرحلة اليهم، وخصوصا المغاربة والاندلسيين (18).

2 – تزوجه بامراة ذات يسار، مما ساعده على التفرغ الى البحث والدراسة (19).

3 – ان العادل بن السلار بنى مدرسة واسند امرها اليه (20)، فكان يدرس بها وفي المدرسة الصالحية – الحديث، ومسائل الخلاف، وفقه الشافعي (21).

وهكذا ظل ابو طاهر بثغر الاسكندرية معتكفا على العبادة والمطالعة، والبحث والتدريس، ولقاء العلماء، ياخذ ويعطي – مدة خمس وستين سنة أو تزيد (22)، وعاش ما عاش بالاسكندرية دون ان يرى منار

---

(15) طبقات السبكي 4 / 44.

(16) وتذكر بعض الروايات انه عاد الى اصبهان – بلده – فشغله اهلها بالسماع منه والاحسان اليه، واقام بها الى ان مات الرازي سنة (525 هـ)، فخلفه في الاسماع، وطال عمره ليطول به الانتفاع، فكمل له في طلب العلم والتجوال ثمان وثلاثون سنة. انظر معجم اصحاب الصدفي : 49.

(17) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط رقم (350 – ك)، وقد تضمن كثيرا من شيوخ الحديث بالمغرب والاندلس الذين اتصل بهم ابو طاهر، ومن قراءاتي فيه كان منطلقي في هذا البحث.

(18) معجم اصحاب الصدفي : 48.

(19) التذكرة 4 / 1302، الطبقات 4 / 45، الشذرات 4 / 255.

(20) معجم اصحاب الصدفي : 48، التذكرة 4 / 1302، الطبقات 4 / 45.

(21) معجم اصحاب الصدفي : 48.

(22) طبقات السبكي 4 / 45، والشذرات 4 / 255.

الاسكندرية الا من طاقة بيته ، وكان مع ذلك سمح الطبع ، حليما متحملا ، لا تبدو منه جفوة لاحد (23) ؛ وكان اذا جلس للدرس والاملاء ، ياخذ نفسه بالشدة ، فلا يشرب ولا يتورك ، ولا تبدو له قدم (24) ؛ وهو ثقة ، ورع ، حافظ ، متثبت ، متقن (25) ؛ تفرد في الدنيا بالامامة في علم الحديث ، وعلو الدرجة في الاسناد ؛ أخذ عنه أهل الارض جيلا بعد جيل، وسمع الناس على أصحابه ــ وهو لم يبعد عهده بشبابه .. واتفق له في هذا المعنى ، ما لا نعلمه اتفق في الاسلام لاحد قبله ، ولا لابي القاسم البغوي ، مع انه لا يعلم أحد وازاه في قدم السماع (26) .

## الاسكندرية ( محطة ) الوافدين من المغرب :

كانت الاسكندرية عند نزول ابي طاهر بها ( محطة ) الوافدين من المغرب ، بقصد اداء فريضة الحج ، ولقاء العلماء والاخذ عنهم ، وكانت سمعة ابي طاهر قد طارت شهرتها في الآفاق ، فدخلت كل بيت ومدرسة بأقطار المغرب ، فقلما رحل أحد من الاندلسيين والمغاربة الى المشرق لم يزر ابا طاهر السلفي ، وسواء في ذلك العلماء والادباء ، والاعيان والامراء ، والزهاد والصلحاء ، وحتى النساء منهم : ( سمعت مكية بنت عمر بن هانيء التجيبي الاندلسي ــ بالاسكندرية ــ تقول : سمعت الحكيم ابا عبد الله الاشقر الطبيب بالمرية من مدن الاندلس يقول : « من أكل الخبز بالزيت ، لم يحتج ــ أبدا ــ الى طبيب » ــ قال : وكانت مكية هذه امراة صالحة ) (28) .

ومن لم يسعده الحظ بالرحلة الى ارض الكنانة ، كتب اليه يستجيزه ، أو أوصى من يأخذ له عنه : ( قال لي القاضي أبو محمد بن

(23) التذكرة 4 / 1301 .
(24) نفس المصدر .
(25) التذكرة 4 / 1301 ، والشذرات 4 / 255 .
(26) معجم أصحاب الصدفي : 50 .
(27) انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان 1 / 88، وابن الابار : معجم اصحاب الصدفي : 50، والذهبي : تذكرة الحفاظ 4 / 1303 ، والسبكي : الطبقات 4 / 46 ، وابن العماد: شذرات الذهب 4 / 254 ، والمقري : ازهار الرياض 3 / 169 ، وابن تغري النجوم الزاهرة 6 / 87 .
(28) معجم السفر ورقة ( 388 ) .

حبيب الشلبي – حين قدم الاسكندرية – حاجا – سنة ( 527 هـ ) – : وصاني ابو جعفر أحمد بن محمد ابن عبد العزيز بن المرخي – لما ودعني بقرطبة – أن آخذ له منك الاجازة ؛ قال أبو طاهر : نأجزته ، وابن المرخي من أهل المعرفة بالحديث ، وليس بالاندلس – الآن – مثله ) (29) .

وقال – وهو يتحدث عن ابي الوليد القبذاقي – : ( واستجازني للامير تاشفين (30) ابن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي : سلطان المغرب ، وسألني فى كتب كتاب اليه فى معناه ففعلت .. ) (31) .

وكان ابو طاهر – بدوره – يوسع لهم صدره ، ويفتح ابوابه لكل غاد ورائح ، فكانت داره منتدى للعلماء والادباء ، ولا تكاد تخلو مائدته من زائر : ( سمعت ابا بكر ابن حصن – وهو من اعيان بلنسية ؛ ومن كبار كتابها – يقول على رأس السفرة ، ونحن نأكل – : قال حكيم من الحكماء: يكفيك من الفجل الورق ، ومن لحم البقر المرق » (32) .

وقد كان ابو طاهر يفيد من الجميع ، ويقيد عنهم كل شيء ولا يكاد يترك صغيرة ولا كبيرة ، وسواء فى ذلك ما يتصل بالحديث ، وتاريخ الرواة ، أو بالادب والشعر – وخصوصا منه ما كان فى الحكمة ، وشرطه الوحيد الذي كان يتشدد فيه ويلح عليه ، هو ثقة الراوي . وصحة ما يرويه : ( انشدني أبو محمد عبد الله الكناني الحشمي من أهل بياسة – مقطعات من الشعر ، وقال : قرات النحو على ابن طراوة المالقي ، ورأيت ابن عتاب بقرطبة وحضرت مجلسه ، وقرات على أبي اسحاق الخفاجي كثيرا من شعره ؛ فذكرت ما ذكره لابي العباس احمد بن يوسف ابن نام اليعمري البياسي – وكان صدوقا ، فقال : عبد الله كذاب ، لا يعول عليه فى شيء ) (33) .

---

(29) معجم السفر ورقة ( 153 ) .
(30) انظر ترجمته فى الاحاطة لابن الخطيب 1 / 446 – 454 – تحقيق عنان .
(31) معجم السفر ورقة ( 458 ) .
(32) معجم السفر ورقة (      ) .
(33) معجم السفر ورقة ( 144 ) .

## اهتمام ابي طاهر بالتراث المغربي :

كان لابي طاهر اهتمام زائد بالتراث المغربي ، يبحث عن اخباره ، ويتصل برواته ، ويسمع من افواه اصحابه ـ ما وجد الى ذلك سبيلا ؛ وقد قيد كل ما وصلت اليه يده ، حتى اجتمع له منه الكثير والكثير جدا.

ومن اهم الآثار التي اهتم بهـــا :

1 ـ مؤلفـــات ابن حـــزم :

كان ابو محمد عبد الله بن مرزوق اليحصبي الظاهري من صلحاء المسلمين ، وفى أمور دينه من المتنبهين ، وفى أحوال الدنيا من المغفلين ؛ وكانت له عناية عظيمة بتحصيل كتب ابي محمد بن حـــزم الظاهـــري ورسائله ، وقد كتبت انا من نسخه جملة صالحة ) (34) .

2 ـ مؤلفـــات ابن عبـــد البـــر :

( .. كتب ابو الحسن عدل بن محمد الفائقي كثيرا من الحديث عن ابن سكرة ( ابي علي الصدفي ) ونظرائه ـ بالاندلس . وكان حسن الخط ، ضابطا ، ومن جملة ما كتبه « الاستيعاب ، فى معرفة الاصحاب » وهـــو ـ الآن عنـــدي ) (35) .



3 ـ مؤلفات ابي علي الغساني :

رحل ابو عبد الله محمد بن محمد القرقوبي ـ حاجا ، فسمع منـــه ـ بالاسكندرية ـ ابو طاهر السلفي ، وحدث عنه بكتاب « تقييد المهمل ، وتمييز المشكل » (36) ـ لابي علي الغساني (37) .

---

(34) معجـــم السفـــر ورقـــة ( 147 ) .
(35) معجـــم السفـــر ورقـــة ( 313 ) .
(36) توجد نسخة منه مخطوطة بخزانة الجامع الاعظم بمكناس ، وبمكتبة عارف بالمدينـــة المنـــورة .
(37) التكملة لابن الابار 1 / 413 ـ طبع مصر ، ومعجم اصحاب الصدفي : 102 .

### 4 ـ مؤلفات صاعد الطليطلي :

وحدث أبو طاهر عن ابي محمد عبد الله بن مرزوق الآنف الذكر بكتاب « طبقات الامم » ـ عن ابن برال عن صاعد ـ مؤلفه (38) .

بالاضافة الى الروايات الكثيرة ، والسماعات المختلفة ، فى شتى العلوم والفنون ؛ والذي يهمنا فى هذه المجالة ، ما يتصل بالحديث واخبار الرواة .

### ا ـ فى الحديث :

روايات أبي طاهر فى الحديث من طريق المغاربة كثيرة ومتنوعة ، قد يجدها القارىء مبثوثة فى اكثر كتبه ، كالمسلسلات ، والسلفيات ، ومعجم السفر ، والاربعينات ، وسواها .

### منهج ابى طاهر فى الرواية :

ولابي طاهر السلفي منهج خاص فى الرواية ، يمكن اجماله فيما يلي:

1 ـ ايراد الحديث بسنده المتصل ، مع تحديد مكان الرواية .

2 ـ ذكر بطاقة تعريف للراوي ، وتتلخص فى : اسمه ، ونسبه ، والبلد الذي ينتمي اليه ، مع بعض صفاته الخلقية ، والشيوخ الذين يروى عنهم :

( اخبرنا ابو بكر احمد بن مجاهد بن جعفر العثماني المقرىء ـ بديار مصر ، قال : اخبرنا ابو بكر غالب بن عبد الرحمان المحاربي بالاندلس ، اخبرنا ابو عثمان سعيد ابن خلف بن جعد الكلابي ، حدثنا أبو عبد الله بن الناشىء التجيبي ، حدثنا ابو عيسى يحيى بن عبد الله الليثي ، حدثني عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي ، حدثني أبي يحيى بن يحيى الليثي ، عن مالك ، بن انس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة عبد الرحمان ، عن أبي

(38) التكملة 1 / 88 ، ونفح الطيب 2 / 649 .

هريرة ، ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « من ادرك ركعة من الصلاة ، فقد ادرك الصلاة » (39) .

قال ابو طاهر : وابن مجاهد هذا – راوي الحديث – قدم الاسكندرية سنة ( 530 هـ ) – حاجا ، وقال لي : قد رايت ابن الطلاع الفقيه ، وابا مروان بن سراج اللغوي ، وابا علي الجياني الحافظ بقرطبة ، وابا داود المؤيدي بدانية – وبها مولدي ، وابن ابي جعفر بمرسية ، وسكناي – الآن – بغرناطة ، واعرف هناك بمؤدب الشبان ؛ وسمعت على ابن عطية بها الموطأ ، وصحيح البخاري ، وغير ذلك ، وكان من الصالحين ، ومن اهل الاتقان فى القراءات ، كبير السن ، مجتهدا – مع علو سنه – فى طلب العلم ؟ (40) .

3 – تعزيز بعض الروايات برواية أخرى – ان كانت تحتاج الى تعزيز :

( حدثني ابو جعفر عمر بن عبد العزيز بن عبيد الطرابلسي – بالإسكندرية ، انبأنا ابو علي الحسين بن علي بن مناس القيرواني – بطرابلس الغرب ، انبأني ابو القاسم أحمد بن سليمان الباجي – بالاندلس – يقول : قال لنا ابو ذر عبيد بن احمد بن عفير الهروي – بمكة – : كنا فى حلقة الحاكم ابن البيع (41) بنيسابور – اذا اخرج عن السدى فى الصحيح – تتغامز عليه (42) ؛ وذلك انه روى حديث الطير (43) ؛ ولم يتابعه احد عليه ؛ وكان ينسب الى التشيع (44) .

---

(39) موطأ مالك رواية يحيى ص 7 حديث 14 .

(40) معجم السفر ورقة ( 54 ) .

(41) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع ، صاحب التصانيف الكثيرة ، قال فيه الذهبي : الحافظ الكبير ، امام المحدثين ، كان ثقة يميل الى التشيع . ( ت 405 هـ ) . انظر تذكرة الحفاظ 4 / 1039 .

(42) لتساهله في ذلك ، وحرصه على مذهبه – ايثارا لفضل علي على غيره . انظر التذكرة 4 / 1042 .

(43) وقد اخرجه فى المستدرك ، وقال : انه على شرط البخاري ومسلم ، فانكر ذلك عليه اصحاب الحديث ، قال الذهبي : ولكن له طرق كثيرة جدا قد افردتها بمصنف ومجموعها – يوجب ان يكون للحديث أصل . انظر التذكرة 4 / 1042 – 1043 .

(44) وقد بالغ ابن طاهر فذكر عن ابي اسماعيل الانصاري انه رافضي خبيث ، والحق انه شيعي لا رافضي . انظر التذكرة 4 / 1045 .

قال ابو طاهر : كتب الي ابو بحر الاسدي وآخرون من الاندلس ، انبأنا ابو الوليد الباجي ، قال : سمعت أبا ذر الهروي بمكة يقول : كنا فى حلقة الحاكم ــ الحكاية الى آخرها (45) .

4 ــ تفسير بعض معاني الحديث عن طريق الرواية :

( سمعت ابا حبيب نصر بن ابي القاسم الخزرجي الفرناطي ــ بالاسكندرية ــ يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد المومن القاضي بالاندلس يقول : سمعت محمد بن فرج الطلاع بقرطبة ، وروى لنا قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الموطأ : « الخيل لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر » (46) . ــ فقال : الخيول ثلاثة فرس الرحمان ؛ وفرس الانسان ، وفرس الشيطان ؛ فالذي للرحمان : فرس الغازي فى سبيل الله ، المجاهد فى الكفار . وفرس الانسان : الذي يتصرف عليه فى حوائجه بالليل والنهار . وفرس الشيطان : ما يربط للزينة والافتخار، لا للتقرب الى الجبار (47) .

قال ابو طاهر : وحبيب هذا ، اندلسي ، وفد علينا الاسكندرية ، وقرا علي كتاب السيرة لابن هشام . وقابل نسخته بأصلي ؛ ومسند الموطأ للجوهري ، وغير ذلك ، سنة ( 530 هـ ) ، وكان رجل الجد ، ليس للهزل عنده شيء ، يحفظ كثيرا من متون الحديث ، ومسائل الفقه ... وكانت همته مصروفة الى طلب الحديث (48) .

5 ــ الاستشهاد ببعض الابيات الشعرية ، حرصا على النكتة الادبية ، وهي ــ فى نظر أبي طاهر ــ لا تخجل المجلس الحديثي الموقر ــ مهما كان شأنها ، وكيفما كانت شفافتها فى الشعر الغزل :

( حدثني ابو الوليد يوسف بن المفضل بن الحسن الانصاري القبذاقي ــ بالاسكندرية بعد قفوله من الحجاز ــ قال : حدثني ابو يحيى بن محمد

---

(45) اراد أن يعزز هذه الرواية من طريق آخر ، وروايته فيها على وجه الاجازة ــ كتابة ، وقد اعتمدها كثير من علماء الحديث .
(46) الموطأ ص : 294 ، حديث : 966 .
(47) معجم السفر ورقة ( 390 ) .
(48) معجم السفر ورقة ( 458 ) .

ابن زياد القرطبي بها ، قال : حضرت مجلس أبي الحسن سراج بن عبد الملك بن سراج اللغوي ، فقرىء عليه في الموطأ : « لا قطع في ثمر ولا كثر » (49) ، فانشد لصاعد بن الحسن الربعي :

| | |
|---|---|
| ومهفهف ابهى من القمر | قمر الفؤاد بفاتر النظر |
| خالسته تفاح وجنته | فأخذته منه على غرر |
| فأخافني قوم فقلت لهم : | « لا قطع في ثمر ولا كثر » |

قال أبو طاهر : وكان أبو الوليد القبذاقي ـ هذا ـ رجلا صالحا ، سمع بقرطبة نفرا من المتأخرين ، وكان حريصا على الاخذ ، كتب عني جزيات (50) .

ويلاحظ ان اكثر روايات ابى طاهر ـ في هذا الصدد ـ تتصل بالموطأ : رواية يحيى بن يحيى الليثي المصمودي ، التي اشتهرت بالمشرق عن طريق المغاربة ، ولنعرف مدى اهتمام المغاربة برجالات الموطأ من رواية يحيى هذه ، نورد القصة التالية ـ كما يرويها لنا ابن الابار ـ : ( حدثت عن ابي القاسم عبد الرحيم بن عيسى بن ملجوم ، انه حضر جنازة بخارج الربض المشرقي من قرطبة ـ حيث قبور يحيى ، وعبيد الله ، وابي عيسى ، وبقرب منها قبر القاضي يونس بن عبد الله ، وقبر عبد الله بن الطلاء ( الطلاع ) ، وذلك في سنة ( 572 هـ ) ، وحضرها معه القاضي بقرطبة ـ اذ ذاك ـ أبو محمد بن مفيث بن الصفار ، وأبو الوليد بن أبي القاسم بن رشد ، وأمثالهما ، فأفضى بهم التفاوض ان قال احدهم : ان الفقيه أبا جعفر البطرجي ، حضر في هذا الجبان جنازة ، وجرى ذكر مسألة احتج فيها بأن قال : حدثني صاحب هذا القبر ـ واشار الى قبر ابن الطلاء ، عن صاحب هذا القبر ـ واشار الى قبر يونس بن عبد الله ، عن صاحب هذا القبر ـ وأشار الى قبر ابي عيسى ، عن صاحب هذا القبر ـ واشار الى قبر عبيد الله بن يحيى ، عن صاحب هذا القبر ـ واشار الى قبر يحيى بن يحيى ، عن مالك ـ في الموطأ . ـ واتم ابو جعفر حجته بالذي أراد (51) .

(49) الموطا ص : 294 ـ حديث : 966 .
(50) معجم السفر ورقة ( 458 ) .
(51) معجم اصحاب الصدفي ص : 25 ـ 26 .

ويتدخل ابن ملجوم بدوره : فانتدبت فقلت لهم : لم يغب عن هـذا الموضع من سندي في الموطأ ـ غير والـدي ، فاستحسن أصحابنا ذلـك ) (52) .

## ب ـ اخبار الـرواة :

مما يدخل في باب الرواية ، معرفة تاريـخ الرواه ، واخبارهـم وسيرهم ، ومر آنفا ان من منهج ابي طاهر في كل رواية ، التعريف براوي الحديث ، وبلده ، ومكانه ، والشيوخ الذين يروى عنهم ؛ بل هو فـوق ذلك ، يريد ان يسمع حياة الرواة من افواههم ، ولا يقتصر ـ فقط ـ على الحديث ، فهو يسألهم عن كل ما لديهم من روايات ، واخبار ، وملـح ، واشعـار ....

( قال لي ابو زكرياء يحيى بن عبد الله بن خيرة الدروقي المقـرىء بالاسكندرية : اجاز لي ابو محمد عبد الله بن محمد بن اسماعيل القاضي بسرقسطة جميع مروياته ، ومن جملة شيوخه ابو عمر الطلمنكي ، اجاز له في صفره ؛ وسألته عن مولده فقال سنة ( 464 هـ ) ـ بدروقة ، وقرات القرءان على أبي الحسين يحيى بن ابراهيم بن البيار القرطبي ـ بمرسية، ولم أر اعلى اسنادا منه ... ثم انتقلت من الاندلس الى العدوة ، وجدي من موالي بني امية ؛ ـ ذكر لي هذا كله عند قدومه الاسكندرية سنـة ( 529 هـ ) ، وكان يحضر عندي لسمـاع الحديـث ، وفي المواعيـد الجمعية ، ويعظ الناس بعد فراغ المجلس ... توفي بقفط من الصعيد الاعلى ـ سنة ( 530 هـ ) وهو متوجه الى مكة ) (53) .

( قدم ابو محمد عبد الحميد بن محمد بن عبـد الحميد الامـوي البلغي ـ الثغر متوجها الى الحجاز لاداء فرضه ، وكان يحضـر عنـدي فسألته عن مولده ، فقال : ولدت سنة ( 487 هـ ) بمدينة بلغى ـ بشرقي الاندلس ، ثم انتقلت الى العدوة ـ بعد استيلاء العدو على البلاد ، فصرت خطيب مدينة تلمسان ، وقرات القرءان بروايات على أصحاب أبي عبد الله المغامي ، وابي داود المؤيدي ، صاحبي أبي عمرو الدانـي ، وسمعت

(52) نـفس المصـدر .
(53) معجـم السفـر ورقـة ( 454 ) .

الحديث على شيوخ الوقت ، ورأيت أبا العرب الصقلي بجزيرة ميورقة ، وآخرين من الشعراء ، وصحبت كثيرا من الفقهاء ، واخذت عنهم ؛ وانا عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد بن سلمة ، واعرف بابن بريطير البلفي (54) ) .

( انشدني ابو عمران موسى بن محمد بن خطاب السبتي – بديار مصر ، انشدنا أبو محمد يوسف بن عبد الصمد الخولاني – بسبتة لنفسه – من قصيدة طويلة ... طائلة ) .

ويذكر أبو طاهر ان أبا عمران هذا ، كان من أعيان العدوة بالمغرب ، وقد زوجه مروان ابن سمحون اللواتي الطنجي – ابنته ، وسمع الحديث عليه وعلى ابن اسحاق الفاسي ، وانشدنا مقطعات كثيرة من شعر المغاربة الذين رآهم (57) .. سمع كثيرا طول اقامته بالثغر ، وكان شيخا موقرا حسن الادب ، آثار الرياسة بينة عليه ، ورجع الى المغرب ، وهناك توفى (58) .

قد يلاحظ القارئ أن بعض هذه الاخبار ، يتصل بالرواة الادباء ، اكثر من غيرهم ، وهذا غير بدع ، فأقطاب الحديث بالمغرب – أمثال : ابن حزم ، وابن عبد البر ، وابى بكر بن العربي ، والقاضي عياض ، كانوا أدباء وشعراء من الطراز الاول ، وابو طاهر نفسه – كان ميالا للادب ، يقرض الشعر ، ويجيز عليه أسنى الجوائز ، وله روايات كثيرة فى الشعر المغربي والاندلسي ، يطول بنا الحديث لو تتبعناها ؛ او أوردنا نماذج منها ... ونترك ذلك لفرصة أخرى – بحول الله .

وهناك جانب آخر – وهو أسماء بلدان الرواة واماكنهم ، فقد سجل منها أبو طاهر كثيرا ، وأورد في كتابه « معجم السفر » اكثر من اربعين اسما ما بين مدينة وقرية – بالاندلس والمغرب ، حددها بالضبط ، وذكر

---

(54) معجم السفر ورقة ( 379 ) .
( زنباع ) السبتي ، والمرادي المتكلم ، وابي بحر الخولاني .

(57) قال السلفي فى معجم السفر الورقة ( 379 ) أمثال ابي الحسن علي بن بياع .

(58) معجم السفر ورقة ( 379 ) .

اماكنها ، والجهات التي تنتمي اليها ، وهي أخبار على جانب من الاهمية، أفاد منها كثيرا - ياقوت في معجم البلدان (59) .

## حرص ابي طاهر على الاجازات :

ولم يكتف ابو طاهر بالرواية عمن رحل من شيوخ المغرب ، بل كاتب كثيرا منهم يستجيزهم فأجازوه ، وربما أوصى بعض تلاميذه بالاخذ له منهم : ( كان ابو الحسن بن يوسف السرقسطي من أهل المعرفة والحفظ، وبيني وبينه مكاتبة ، وهو الذي تولى لي أخذ اجازات شيوخ الاندلس سنة ( 512 هـ ) (60) ، وهذه بعض أسمائهم : (61)

1 - ابو علي حسين بن محمد بن فيره بن سكرة الصدفي السرقسطي ، قال فيه الذهبي ، الامام الحافظ البارع ، له الباع الطويل في الرجال والعلل ، والاسماء والجرح والتعديل ، مليح الخط ، متقن الضبط ، حافظا للمتن والاسناد ، قائما على اقراء الصحيحين ، وجامع الترمذي (62) ، رحل الى المشرق واخذ عن نحو مائتي شيخ ، وكان ابو طاهر السلفي يعظم امره ، ويعجب من نقاء حديثه ، ونباهة شيوخه (63) ؛ استشهد في وقعة كتندة بثغر الاندلس سنة ( 514 هـ ) (64) .

2 - ابو عمران موسى بن عبد الرحمان بن خلف بن موسى بن أبي تليد الشاطبي ، من اصحاب ابي عمر بن عبد البر ، كثير الرواية عنه ، حدث الناس عنه ، ورحلوا اليه ووثقوه . ( ت 515 هـ ) (65) .

---

(59) كما أفاد منه بالنسبة لاخبار الرواة ، القفطي في « انباه الرواة .. » .
(60) معجم السفر - ورقة (     ) .
(61) ذكرهم ابن الابار في معجمه . انظر ص : 48 .
(62) التذكرة 4 / 1253 .
(63) معجم اصحاب الصدفي : 49 .
(64) انظر في ترجمته الصلة 1 / 141 ، وبغية الملتمس للضبي : 253 ، وتهذيب ابن عساكر 4 / 359 ، وازهار الرياض 3 / 149 ، والنفح 2 / 90 ، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف : 128 .
(65) انظر الصلة 2 / 576 .

3 ـ أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن احمد بن مخلد بن عبد الرحمان بن بقي ، تولى الاحكام بقرطبة مدة طويلة ، من بيت علم وفضل ودين ، حدث ولم تكن له أصول . ( ت 515 هـ ) (66) .

4 ـ أبو القاسم خلف بن محمد بن عبد الله بن صواب اللخمي ، من أهل قرطبة ، كان رجلا فاضلا ، ثقة فيما يرويه ، قديم الطلب للعلم ، عني بلقاء الشيوخ والاخذ عنهم ، كتب بخطه علما كثيرا ، وعمر واسن . ( ت 514 هـ ) (67) .

5 ـ أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمان بن جحدر الانصاري ، من أهل شاطبة ، كان حافظا للفقه ، بصيرا بالفتوى ، ثقة ضابطا ، استقضي ببلده ، وتوفي مصروفا عنه سنة ( 515 هـ ) (68) .

6 ـ أبو الحسن عبد الرحمان بن عبد الله بن يوسف الاموي ، ويعرف بابن عفيف . كان شيخا فاضلا ، شهر بالخير والصلاح ، قال ابن بشكوال : سمع الناس منه ، وروينا عنه واجاز لنا ، ولم يكن بالضابط لما رواه . ( ت 521 هـ ) (69) .

7 ـ أبو بحر سفيان بن العاص بن أحمد بن العاص الاسدي ، سكن قرطبة واصله من مرباطر من شرق الاندلس ، كان من جلة العلماء ، وكبار الادباء ، ضابطا لكتبه ، صدوقا في روايته ، حسن الخط ، جليل التقييد ، من أهل الرواية والدراية .. قال أبو طاهر : كتب الي أبو بحر الاسدي وآخرون من الاندلس : انبأنا أبو الوليد الباجي ، قال : سمعت أبا ذر الهروي بمكة ... ( ت 520 هـ ) (70) .

8 ـ أبو الوليد محمد بن احمد بن رشد ، قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحب الصلاة بالجامع بها ، كان فقيها عالما ، حافظا للفقه ، مقدما فيه على جميع أهل عصره ، من اهل الرياسة فى العلم ، والبراعة والفهم ،

---

(66) انظر الصلة 1 / 331 ـ 332 .
(67) انظر الصلة 1 / 172 .
(68) انظر الصلة 1 / 78 .
(69) انظر الصلة 1 / 333 ـ 334 .
(70) انظر الصلة 1 / 225 ـ 226 ، ومعجم اصحاب الصدفي ص : 7 .

مع الدين والفضل ، والوقار والحلم ، والسمت الحسن ، والهدي الصالح ... ( ت 520 هـ ) (71) .

9 ـ ابو محمد عبد الرحمان بن محمد بن عتاب ، من اهل قرطبة ، آخر الجلة الاكابر بالاندلس في علو الاسناد وسعة الرواية ، وكان من اهل الفضل والحلم والتواضع ، كتب بخطه علما كثيرا ، وكانت الرحلة في وقته اليه ، ومدار أصحاب الحديث عليه ـ لثقته وجلالته ، وعلو اسناده، وصحة كتبه . ( ت 538 هـ ) (72) .

10 ـ ابو الوليد احمد بن عبد الله بن احمد بن طريف ، من اهل قرطبة ، كان شيخا سريا ، كثير السماع من الشيوخ والاختلاف اليهم ، ولم تكن له أصول . ( ت 520 هـ ) (73) .

11 ـ ابو عبد الله محمد بن احمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي ، ويعرف بابن الحاج ، قاضي الجماعة بقرطبة ، من جلة الفقهاء ، وكبار العلماء ، معدودا في المحدثين والادباء ، وكان معتنيا بالحديث والآثار ، جامعا لها ، مقيدا لما اشكل من معانيها ، ضابطا لاسماء رجالها ورواتها ، ذاكرا للغريب والانساب ، واللغة والاعراب ، عالما بمعاني الشعر والسير والاخبار ، قيد العلم عمره كله ، وعني بها عناية كاملة . قتل شهيدا سنة ( 529 هـ ) (74) .

12 ـ ابو الحسن بن يونس بن محمد بن مغيث القرطبي ، كان عارفا باللغة وافر الادب قديم الطلب ، نبيه البيت والحسب ، جامعا للكتب ، راوية للحكايات والاخبار ، بصيرا بالرجال واسمائهم وزمانهم ، وثقاتهم وضعفائهم ، حدث الناس عنه كثيرا . ( ت 532 هـ ) (75) .

---

(71) انظر في ترجمته : الصلة 1 / 546 ـ 547 ، وبغية الملتمس : 44 ، والمرقبة العليا : 98 ، والديباج : 228 ، وشجرة النور : 129 .

(72) انظر في ترجمته : الصلة 1 / 332 ـ 33 ، وبغية الملتمس : 344 ، والديباج ، وشجرة النور الزكية : 129 ـ 130 ، وصحح ان وفاته ( 528 هـ ) ، وفي الصلة ( 531 هـ ) . والذي في بغية الملتمس ، والديباج سنة ( 520 هـ ) .

(73) انظر الصلة 1 / 79 ، وبغية الملتمس ص : 175 ، وفيه وفاته ( 519 هـ ) .

(74) انظر الصلة 2 / 550 ، وشجرة النور : 132 .

(75) انظر الصلة 2 / 649 ـ 650 ، والتذكرة 4 / 1277 ، وشجرة النور : 133 ، وبغية الملتمس : 499 ـ وفيها وفاته ( 531 هـ ) .

13 ـ ابو الحسن شريح بن محمد بن شريح المقرىء ، من اهل اشبيلية وخطيبها ، كان من جلة المقرئين ، معدودا فى الادباء والمحدثين ، سمع الناس عنه كثيرا ، ورحلوا اليه . ( ت 539 هـ ) (76) .

**بعض روايات ابي طاهر فى الميزان :**

لم نرد بوضع بعض روايات ابي طاهر فى الميزان ـ اختلاف الناس فى شأنه ، او الطعن فى حفظه وثقته ، وانما اردت ـ فقط ـ التنبيه على رواية اسندها بعض شيوخ المغرب عن أبي طاهر ، ونقدها البعض الآخر ، وربما عد ذلك طعنا فيه أو مغمزا فى جانبه ؛ وقد أورد الذهبي هذه الرواية فى ميزان الاعتدال ، وخرجها ـ ان صح هذا التعبير ـ على انها رواية بالاجازة ، وهذا لفظه :

احمد بن محمد بن احمد ، الحافظ الثقة ، ابو طاهر السلفي ، ما علمت احدا تعرض له ، حتى ظفرت بشاردة باردة ، أوردها على التعجب ابو جعفر بن الزبير ـ فى ترجمة محمد بن احمد بن اليتيم المندرشي ـ احد الضعفاء ، فذكر فيها انه أسند جامع الترمذي عن السلفي عن ابي الفتح الحداد ، عن ابن نبال ؛ ثم ان السلفي استدرك بأن ذلك بالاجازة ونبه عليه ؛ قال : ومن هنا تكلم أبو جعفر علي بن الباذش فى السلفي كلاما لم يلتفت أحد له ـ على جلالة ابن الباذش ، بل نقد الناس على ابن الباذش (77) .

لكن هذا المبرر الذي ذكره الذهبي عن ابن الزبير لتبرئة ساحة السلفي ـ من انه يرويه اجازة ، قد يرده قول السلفي نفسه فى فهرسته لجامع الترمذي قال : « يقال : كان ابو الفتح الحداد يرويه عن اسماعيل ابن نبال ، عن المحبوبي ، عن الترمذي ؛ وابن نبال أجاز الحداد ولم يسمعه منه ، ثم زاد السلفي يقول : ولم يجز لي الحداد ما أجيز به ، بل اجازني ما سمعه فقط » (78) .

---

(76) انظر الصلة 1 / 229 ـ 230 ، وبغية الملتمس : 305 ، وفيها وفاته ( 537 هـ ) ، وغاية النهاية ( طبقات القراء ) لابن الجزري 1 / 324 ، وشذرات الذهب 4 / 122.
(77) انظر ميزان الاعتدال للذهبي 1 / 155 ـ تحقيق البجاوي .
(78) انظر لسان الميزان للحافظ ابن حجر 1 / 300 .

ـ فهذا يعني أنه لم يروه اجازة ، لان الحداد لم يجز له ما اجيز به، ولا سماعا ، لانه لم يسمع من الحداد .

وعليه فيبقى نقد ابن الباذش قائما ، وان رواية السلفي عن ابـــي الفتح الحداد لا تثبت اطلاقا .

ولله در الحافظ ابن حجر ، ما ادق نظره ! فانه ـ بعدما أورد كلام الذهبي الآنف الذكر ـ اعقبه بنص السلفي ـ بالحرف ، ثم عقب على ذلك بقوله : « فلم يروه السلفي لا بسماع ولا باجازة » (79) .

نعم ، يبقى الكلام مع ابن اليتيم فى أسناده جامع الترمـــذي عـــن السلفي ، من طريق ابي الفتح الحداد ، عن ابن نبال ...

وابو عبد الله ابن اليتيم راوية مكثر (80) ، لكنه مضطرب الرواية ، لا يكاد يسلم من الغلط ؛ قال فيه تلميذه ابن مسدي : تحصل له مـــن السماع ـ ما لا أعلمه تحصل لغيره من اقرانه ، ( لكنه ) لم يكن حافظا ولا بصيراً .. ولم يكن سليما من الغلط ، وكبرت سقطاته .. ثم ذكر عنـــه اشياء ؛ قال : ولا أعلم من علماء الاندلس من شنع عثراته الا ابا الربيع بن سالم (81) ؛ وأورد له ابن الزبير ترجمة مسهبة (82) .. وحاول ابن عبد الملك المراكشي الدفاع عنه وقال : انه كان حسن التصرف فى طريقة الحديث ، عدلا ثقة فيما يرويه ، وقد تكلم بعض المنافسين عليه ، وغمزه بالاضطراب فى روايته ، وذلك مما لا ينبغي الالتفات اليه ، ولا التعريـــج عليه .. ولكنه سرعان ما عاد وقال ـ وكأنه نسي ما قدم ـ : الا انه كان لا يقيم اسنادا ، فقد حدث عليه الوهم فى غير اسناد ، ولعل ذلك سبب التكلـــــم فيـــه (83) .

---

(79) نـــــفس المصـــــدر .

(80) التكملـــــة 2 / 614 .

(81) « ملحق التكملة » طبـــع مجريـــط 2 / 758 ـ 759 .

(82) وعنه نقل الذهبي هذه الرواية ، وقال فيه انه احد الضعفاء . انظر ميزان الاعتدال 1 / 155 .

(83) الذيـــــل والتكملـــــة 6 / 74 .

والخلاصة انه تكاد تتفق كلمتهم على ان ابن اليتيم مضطرب الرواية، لا يكاد يقيم اسنادا ، ولا يسلم من وهم .. ولعل اسناده لجامع الترمذي عن السلفي من هذا القبيل ، وسبحان من لا يضل ولا ينسى .

اما ابو الحسن ابن الباذش ، فهو - كما يقول ابن الخطيب - : واحد زمانه اتقانا ومعرفة ، ومشاركة فى العلوم .. كان حسن الخط ، كثير الكتب ، ترك منها بخطه كثيرا جدا ، مشاركا في الحديث ، عالما بمسائل رجاله ونقلته ، مع الدين والفضل ... حدث عنه القاضي ابو الفضل عياض ، والقاضي ابو محمد بن عطية ، والقاضي ابو عبد الله بن عبد الرحيم ، والقاضي ابو بكر بن يحيى التغلبي ، والقاضي ابو خالد ابن ابي زمنين ، والقاضي ابو الحسن بن أضحى (84) ... وكفاه ذلك فخرا.

وقال ابن الابار : ومن الرواة الجلة الذين حدثوا عنه ، ابنه ابو جعفر ، وصهره ابو عبد الله النميري ، وأبو الفضل بن عياض ، وابو الوليد بن الدباغ ، وابو بكر بن رزق ، وابو القاسم بن بشكوال ، وغيرهم من الايمة (85) .

وتوفي - وقد نيف على الثمانين - فى ثالث عشر محرم سنة ( 528 هـ ) (86) .

ولا ندري لما ذا نقدوا عليه كلامه فى السلفي ، وانه لم يرو جامع الترمذي عن ابي الفتح الحداد ... ولعلهم فهموا انه يطعن فى شخصية السلفي ، ولا اخاله اراد ذلك ، بل نقده يتجه أولا وبالذات الى ابن اليتيم الذي الصق هذه الرواية بالسلفي - وهو منها براء .

ولا نستطيع ان نقول الكلمة النهائية فى الموضوع ، حتى نقف على نص كلام ابن الباذش ، وربما تصرفوا فيه كما تصرفوا فى كلام السلفي ، وحملوه ما لم يتحمل ، والدهر كفيل بذلك ، ولله فى خلقه شؤون .

---

(84) الاحاطة 4 / 101 .

(85) معجم اصحاب الصدفي : 287 .

(86) انظر فى ترجمته : الصلة 2 / 404 ، والتعريف لمحمد بن عياض : 130 ، ومعجم اصحاب الصدفي : 286 - 287 ، والاحاطة 4 / 100 - 101 ، وبغية الوعاة : 326 - 327 ، وشجرة النور الزكية : 131 .

## بين ابي طاهر وابي الفضل عياض :

مر بنا في صدر هذا البحث ، أن الذين استجازوا أبا طاهر من شيوخ المغرب ــ كثيرون ، ومن بين هؤلاء أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، عالم المغرب ، وامام الحديث في وقته (87) ؛ له روايات كثيرة عن السلفي ــ اجازة ، نجدها مبثوثة في كتبه ؛ ولك ان ترجع ــ ان شئت ــ الى كتاب « الالماع ، في الرواية والسماع » ، فقد اورد فيه اكثر من عشرين رواية (88) .

وكانت بينهما مكاتبات أدبية ، كتب اليه عياض بقصيدة يقول فيها :

| | |
|---|---|
| ابا طاهر خذها على البعد والنوى | تحية مرتاح لذكرك شيق |
| طوى لك ما بين الضلوع مودة | يشق صفاءكالزلال المروق |
| يناجيك بالذكرى فيشفي غليله | ويخلص بالود الصحيح ويلتقي(89) |

ويجيبه ابو طاهر بقصيدة أخرى من نفس الوزن والقافية ، جاء في خاتمتها قوله :

فنحن ــ وان لم يقض يا قاض بيننا ــ لقاء فبالارواح ندنو ونلتقي(90)

فرحم الله هذه النفوس الطاهرة ، وتلك الارواح الكريمة ، التي كانت تطفح بالبشر والصفاء ، وتخترق القارات لتلتقي وتعانق ... فتركت بصماتها المشرقة في كل ناد ، ونورها الوضاء على كل أفق :

---

(87) انظر في ترجمته : الصلة 2 / 429 ــ 430 ، والمرقبة العليا 101 ، ووفيات الاعيان 3 / 152 ــ 154 ، وبغية الملتمس 425 ، وقلائد العقيان : 255 ــ 258 ، وتذكرة الحفاظ : 1340 ــ 1307 ، ومعجم اصحاب الصدفي : 306 ــ 310 ، والديباج المذهب 2 / 46 ــ 51 ، وشجرة النور 140 ، وقد الف في ترجمته ولده محمد كتابه « التعريف » ، واستوفى أخباره وسيرته المقري في « أزهار الرياض ، في أخبار عياض » ــ في خمسة أجزاء نشرته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ــ بالمغرب .

(88) انظر الصفحات : 23 ، 27 ، 41 ، 25 ، 64 ، 70 ، 79 ، 86 ، 93 ، 136 ، 137 ، 142 ، 170 ، 184 ، 199 ، 216 ؛ 218 ؛ 223 ؛ 225 ؛ 236 ؛ 242 ــ 243 .

(89) تجدها كاملة في ازهار الرياض ج 4 / 249 .

(90) انظرها كاملة في ازهار الرياض ج 4 / 250 ــ 251 .

فما من ثرى الا بذكـرك عاطـــر ولا افق الا بنـورك مشـــرق

وبعد : فهذا عرض سريع ، يعطينا صورة عن الحيـــاة العلميـــة والاجتماعية فى القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ؛ ويرسم خطوطا عريضة عن مدى الاتصال الوثيق ، والتعاون الكامل ، بين المشرق والمغرب فى الميدان الثقافي والحضاري ، فكلاهما ساهم بقسط وافر ، وكلاهما اقتبس من الآخر ـ يكمل بعضهما البعض : ( كان بالمشرق لغوي، وبالمغرب لغوي ، فى عصر واحد ، ولم يكن لهما ثالث ـ وهما ضريران، فالمشرقي أبو العلاء التنوخي ، والمغربي ابن سيده الاندلسي ، وابـــن سيده أعلم من المعري ، أملى من صدره كتاب المحكم ثلاثين مجلدا ، وما فى كتب اللغة أ حسن منه ) (91) .




(92) معجـــم السفـــر ـ ورقـــة : ( ) .

## مصــــادر البحـــث

1 ـ الاحاطة فى اخبار غرناطة ـ للسان الدين بن الخطيـب ج 4 ـ تحقيق محمد عنان ، الطبعـة الثانيـة .

2 ـ اخبار وتراجم اندلسية ـ لاحسان عباس ، نشر دار الثقافة ـ بيـروت ـ 1963 .

3 ـ ازهار الرياض فى اخبار عياض ـ للمقري ـ جزآن ( 3 ـ 4 ) ـ طبعة فضالة ـ المغرب .

4 ـ الالماع ـ لعياض ، تحقيق أحمد صقـر ـ نشر دار الثقافـة 1389 ـ 1970 .

5 ـ بغيـة الملتمس للضبـي ـ طبـع مجريـط .

6 ـ بغية الوعاة للسيوطي ـ طبعة دار المعرفة ـ بيـروت .

7 ـ تـاج العروس ـ للزبيدي ـ طبع مصر 1306 ـ 1337 .

8 ـ تذكرة الحفاظ ـ للذهبي ج 4 ، الطبعة الرابعة ـ دار احيـاء التراث العربي ـ بيـروت .

9 ـ التعريف لمحمد بن عياض ـ تحقيق د. محمد بنشريفة ، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، مطبعة فضالة المحمدية ـ المغـرب .

10 ـ التكمـلة لابن الابـار ـ طبع مصـر .

11 ـ تهذيب تاريخ دمشق ـ لعبد القادر بدران ج 2 ـ طبع بدمشق 1327 ـ 1329 .

12 ـ حسن المحاضرة ـ للسيوطي ـ المطبعة الشرقية : 1327 هـ .

13 ـ الديباج المذهب لابن فرحون ـ تحقيق د. الاحمدي ، نشر التراث .

14 ـ الذيل والتكملة ـ لابن عبد الملك المراكشي ـ نشر دار الثقافة ـ بيروت .

15 ـ الرسالة المستطرفة ـ لمحمد بن جعفر الكتاني ـ نشر دار الفكر بدمشق : 1383 هـ ـ 1964 م .

16 ـ شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ـ نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت .

17 ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ـ ج 4 ، نشر المكتب التجاري ـ بيروت .

18 ـ الصلة ـ لابن بشكوال ، نشر عزت العطار ، ط. مصر 1374 هـ ـ 1955 م .

19 ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ للسبكي ج 4 ـ المطبعة الحسنية المصرية .

20 ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ـ نشر مكتبة المثنى ـ بغداد .

21 ـ لسان الميزان ـ لابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الثانية 1390 هـ ـ 1971 م .

22 ـ المرقبة العليا ـ للنباهي ـ نشر المكتب التجاري ـ بيروت .

23 ـ معجم اصحاب الصدفي ـ لابن الابار ، نشر دار الكتاب العربي 1387 هـ ـ 1967 م .

24 – معجم السفر – لابي طاهر السلفي – مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : ( 230 ك ) .

25 – معجم المؤلفين لحكالة ج 2 – نشر دار احياء التراث العربي – بيروت .

26 – ملحق التكملة ج 2 – طبع مجريط .

27 – موطأ الامام مالك ، رواية يحيى الليثي – ط. دار النفائس .

28 – ميزان الاعتدال للذهبي ج 1 – تحقيق البجاوي – طبع دار احياء الكتب العربية 1382 هـ – 1963 م .

29 – النجوم الزاهرة – لابن تغرى ، نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي – بمصر .

30 – نفح الطيب لابي العباس المقري ج 2 ، تحقيق احسان عباس، طبع دار صادر 1388 هـ – 1968 م .

31 – وفيات الاعيان – لابن خلكان – مطبعة السعادة 1367 – 1948 .

# الشروح المغربية لصحيح البوخاري

د. يوسف الكتاني

**تمهيـــــد :**

لعل المكتبة الاسلامية لا تعرف كتابا من كتب البشر الدينية اهتم به الباحثون والدارسون والعلماء ووقفوا جهودهم عليه مثلما تناولوا كتاب الجامع الصحيح لابي عبد الله البخاري بالشرح والتعليق والدراسة ، وذلك منذ العصور الاولى منذ الف هذا الكتاب وصدر عن صاحبه للناس .

وقد كانت هذه العناية والاهتمام من لدن الباحثين والدارسين هي التي احلت كتاب البخاري محل الصدارة بين الكتب المؤلفة في المكتبة الاسلامية وجعلته في مقدمتها على الدوام بفضل استمرار الاهتمام وتواصل العناية مما يعتبر مظهرا من مظاهر التقدير والاعتبار لهذا التراث العظيم الخالد الذي عم مشارق الارض ومغاربها .

وقد امتدت العناية به الى العلماء غير المسلمين حيث درس وترجم وكتبت حوله مئات المؤلفات من طرف الكتاب والمستشرقين الاجانب في مختلف اصقاع العالم حتى وضع احد المستشرقين ختمة عليه سماها ختم البخاري (1) .

---

(1) ختم البخاري لجولد تسهير ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الاول ص : 311 .

وبذلك كان كتاب الجامع الصحيح أعظم المؤلفات تقديرا واعلاها منزلة واكثرها شهرة (2) .

ولقد واكبت هذه العناية والاهتمام — من طرف العلماء والباحثين — الجامع الصحيح منذ تأليفه ، فقد ظهر اول شرح له — فيما نعلم — فى منتصف القرن الرابع الهجري وهو المسمى « اعلام السنن » للامام الخطابي المتوفى سنة 388 هـ ، ثم توالت فيما بعد الشروح والحواشي والتعليقات متلاحقة متصلة ودون انقطاع طوال القرون العشرة التي تلت تأليفه الى اليوم حيث لم يتوقف اهتمام العلماء بصحيح البخاري او يفتر انتاجهم حوله ، اذ اخرجت لنا المطبعة فى هذه السنة حاشية عليه للشيخ المرحوم الطاهر بن عاشور (3) .

وقد تمثلت عناية العلماء والدارسين بالجامع الصحيح فى هذا العدد الضخم من الكتب المؤلفة حوله شرحا وتعليقا وحاشية وغيرها حتى عد صاحب كشف الظنون منها اثنين وثمانين (4) ، واوصل العدد الكاندهلوي فى مقدمة اللامع الى نيف وثلاثين ومائة (5) . الى غير ذلك مما ذكره طاش كبري زادة فى مفتاح السعادة وما ذكره فى اتحاف النبلاء والديباج ونيل الابتهاج وغيرها .

الا اننا وجدنا بعد الاستقصاء والبحث فى المكتبة المغربية وحدها ، ان هذا العدد لا يمثل الحقيقة وان ما كتبه المغاربة وحدهم حول الجامع الصحيح يفوق ذلك العدد بكثير مما اكتشفناه وعثرنا عليه من بين تراثنا الضخم المبثوث فى خبايا وزوايا خزائننا العامة والخاصة حول هذا الكتاب الخالد .

اجل لقد شغل المغاربة بكتاب الجامع الصحيح لابي عبد الله البخاري منذ عرفوه ورووه ودرسوه فاهتبلوا به ايما اهتبال ، واعتنوا به اعظم عناية ، واحلوه بعد كتاب الله مكان الصدارة فى حياتهم الدينية والفكرية

---

(2) الجامع الصحيح للامام البخاري ، ابو الحسن الندوي ، منار الاسلام ع 10 ، س 3 . 1398 هـ — 1978 .

(3) صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب عن الدار التونسية للنشر . 1399 هـ — 1979م

(4) كشف الظنون ص : 545 — 554 .

(5) مقدمة اللامع ص : 126 وما بعدها .

والاجتماعية ، وآية ذلك ان ثاني شرح له ظهر في الدنيا ـ فيما نعلم ـ هو شرح مغربي يسمى « النصيحة » لابي جعفر احمد بن نصر الداودي المتوفى سنة 402 هـ ، أي بعد مدة يسيرة من ظهور اعلام السنن ، أول شروح البخاري على الاطلاق .

وقد استمرت عناية المغاربة واقبالهم على صحيح البخاري على الدوام وانصب اهتمامهم عليه من جميع النواحي والوجوه ، فوضعوا له الشروح وكتبوا عليه الحواشي وعلقوا على متونه وأسانيده ، واختصروه ولخصوه وجردوا متونه ، وبحثوا في مشكلاته والفاظه ، ووضعوا له التكملات ، وبحثوا تراجمه ، وفقه ابوابه ، وعرفوا برجاله واسناده ، وكتبوا حوله الافتتاحيات والختمات . ونظموا عشرات القصائد حول ترجمة صاحبه وفضائله ومزايا صحيحه وكتبه ، الى غير ذلك من مئات المؤلفات والكتب التي الفت حول البخاري ، والتي تزخر بها خزائن القرويين وابن يوسف ومكناس والرباط وغيرها ، وما تضمه المكتبات الخاصة كالكتانية والفاسية والناصرية والسودية والسوسية والتي تنتظر العناية والرعاية لاخراجها للناس بعد تحقيقها وطبعها كي يستفيد منها الناس ، وخاصة الجيل الحاضر ليعلم عظيم اهتمام اجداده وكبير عنايتهم بالجامع الصحيح ، مما يدحض دعاوي باطلة واقاويل ملفقة زائفة تزعم للناس ان المغاربة تركوا الاصول واهتموا الفروع ، وانهم تركوا الكليات واشتغلوا بالجزئيات ؛ فلو نشر هذا التراث العظيم حول الجامع الصحيح وحده لعلم الناس جميعا ان المغاربة كانوا دوما في المقدمة في هذا الميدان ، والسباقين في هذا المجال ، وان ما كتبوه والفوه حول البخاري قد يفوق بكثير ما وضعه غيرهم .

وان مسؤولية الوزارات المعنية كوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ووزارة الثقافة في هذا المجال لتعظم وتتضخم مع تقدم الايام وتكاثر الدارسين والباحثين ، وانشاء الجامعات وانتشارها في انحاء البلاد ، وانه لعزيز على بلاد انتجت قرائح ابنائها ما لم ينتج عشره غيرهم ان يلاقي هذا الانتاج العظيم اهمالا واعراضا قد يؤدي الى الضياع والاندثار ، كما لا يجمل بالبلاد التي الف ابناؤها ثاني شرح للجامع في الدنيا الا تطبع بعض شروحه وتنشرها على الناس خاصة وقد عرف هذا القرن وحده في

مفتتحه شرحين مغربيين للجامع يعتبران من اعظم واروع ما كتب حول صحيح البخاري وهما :

« النهر الجاري فى شرح البخاري » للشيخ محمد سالم المتوفى سنة 1302 هـ ، فى سبع مجلدات ضخام ، تخرج فى عشرين جزءا لو طبعت . « الفجر الساطع على الصحيح الجامع » ، للفضيل بن الفاطمي الشبيهي المتوفى سنة 1318 هـ ـ 1900 م ، فى ستة اجزاء .

كما تعتز خزائننا بملكيتها للنسخة السعادية من الجامع الصحيح المنقولة عن الاصل الصدفي الذي يعتبر نفسه ملكا للمغرب بالشراء الصحيح ، ولولا الموانع لكان الى جانب الرواية السعادية يحتل مكان الصدارة فى خزائننا .

واني أتوجه هنا بالدعوة والرجاء الى امير المؤمنين ان يصدر امره الكريم بطبع الاصل السعادي مع احد الشرحين المذكورين ، وفي ذلك احياء لتراثنا وحفظ له واداء لبعض الدين الذي طوق جيدنا به اجدادنا العلماء اعترافا بفضلهم وتقديرا لجهودهم وكدهم ونشرا لعلمهم ، واظهارا لعبقريتهم المغربية التي ظلت حبيسة بين رفوف الخزائن وخبايا الزوايا .

## التعريف ببعض الشروح المغربية

### 1 ) النصيحة لابي جعفر الداودي :

ابو جعفر احمد بن نصر (6) الداودي الاسدي المتوفى بتلمسان سنة 402 هـ الموافق 1011 م ، كان بطرابلس وبها أصل كتابه فى الموطأ ثم انتقل الى تلمسان ، واصله من المسيلة وقيل من بسكرة .

وهو من ائمة المالكية بالمغرب ، وكان فقيها فاضلا متقنا متفننا مؤلفا مجيدا ، له حظ من اللسان والحديث والنظر (7) .

---

(6) سماه القسطلاني فى الارشاد احمد بن سعيد ص : 35 .
(7) ترتيب المدارك 4 / 623 ، طبعة لبنان ، والديباج المذهب ص : 35 .

وكان درسه وحده لم يتفقه فى اكثر علمه على امام مشهور . وانما حصل بادراكه .

**أخذ عنه الجم الكثير من أهل العلم ، منهم ابو عبد الله البوني ، وعليه تفقه ، وأبو بكر بن الشيخ ابي محمد بن ابي زيد وابو علي بن الوفاء وغيرهم .**

وحدث القاضي عياض ان أبا جعفر كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان ، سكناهم فى مملكة بني عبيد ، وبقاءهم بين اظهرهم ، وانه كتب اليهم مرة بذلك فأجابوه : اسكت ، لا شيخ لك ، اي لان درسه كان وحده ولم يتفقه فى أكثر علمه امام مشهور « وانما وصل الى ما وصل بادراكه ويشيرون انه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه لعلم ان بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الاسلام وبقية صالحة للايمان ، وانه لو خرج العلماء عن افريقية لتشرد من بقي فيها من العامة الآلاف ، فرجحوا خير الشرين والله اعلم » (8) .

ولابي جعفر الداودي كتب مهمة وتآليف نفيسة ، منها كتابه النامي فى شرح الموطأ ، والواعي فى الفقه والنصيحة فى شرح البخاري ، والايضاح فى الرد على القدرية وغير ذلك (9) .

على ان اعظم كتبه واهمها كتابه النصيحة فى شرح البخاري الذي يعتبر ثاني شرح البخاري – فيما نعلم – بعد اعلام السنن للخطابي ، وقد ذكرته أمهات المصادر ونقل عنه الشراح كابن التين الذي نقل عنه فى شرحه كثيرا (10) .

فقد أورده القسطلاني فى مقدمة ارشاده التي خصها لذكر شراح البخاري وما كتب حوله من حواشي وتعليقات (11) واورده القاضي عياض وترجمه فى ترتيب المدارك كما نقلنا آنفا عنه واورده صاحب الديباج وذكره صاحب نفحات التسرين والريحان (12) .

---

(8) ترتيب المدارك 4 / 624 .
(9) المصدر السابق 4 / 623 . الديباج ص : 35 . معجم المؤلفين 194/2 و 195 .
(10) القسطلاني ص : 35 . مقدمة اللامع ص : 133 .
(11) الارشاد ص : 35 .
(12) نفحات النسرين والريحان ص 90 .

ونص عليه ونوه به في تاريخ الجزائر العام (13) كما عده من بين شروح البخاري حاجي خليفة في الكشف (14) ومعجم المؤلفين (15) .

واغلب ظني ان كتاب النصيحة لا يخرج وجوده عن احد احتمالين : اما انه موجود من بين كتب القرويين ومخطوطاتها وخرومها التي لم تفهرس بعد . أو انه استعير فيما استعير من مآت الكتب من نفس الخزانة وبقي عند المستعير الى الآن .

وقد بذلت الجهد وما زلت للبحث عنه بأغلب الخزانات المغربية العامة والخاصة ، وكاتبت المشرفين عليها والقيمين ، ولكنني لم أعثر عليه الى الآن ، وحسبي انني نفضت الغبار عن هذا التراث العظيم وسلطت بعض الاضواء على صاحبه الى ان يوفق الله الى العثور عليه ونشره ليستفيد الدارسون والباحثون بنشره وتحقيقه ولله الامر من قبل ومن بعد .

## 2 ) النهر الجاري في شرح البخاري :

### للشيخ محمد سالم المجلسي الحسني

محمد بن محمد سالم المجلسي العلوي الفاطمي الحسني الادريسي المتوفى يوم الجمعة بعد الظهر آخر ذي الحجة عام 1302 للهجرة ، عاش تسعا وتسعين سنة (16) .

تربى يتيما وكانت امه بنت شريف صاحب كشف وكرامات ظاهرة فخرجت به بعيدا عن والدها ليتربى في حضنها حيث سكنت به مع رعاة وكانت تكتب له بينما يظل هو راعيا مؤاجرا فقيرا الى ان أتم تسع سنين ، وقد أصبح في ملكه نحو عشرين من الابل .

---

(13) تاريخ الجزائر العام 1 / 361 .
(14) كشف الظنون ص : 545 .
(15) معجم المؤلفين 2 / 194 و 195 .
(16) اخذت هذه الترجمة عن ولد حفيد المترجم الشيخ العبدة بن بن الجيلالي بيمين ، أحد علماء العيون وامام مسجدها ورئيس محكمة الداخلة حاليا .

ثم بعثته امه نحو حامد بن عمرو الوارتلي وكان صاحب خدمة وقراءة بقي بجانبه ستة اشهر ثم بعثه بعدها نحو « الكرار » حول العيون ليمتار له الشعير على ابل وحضه أن لا تعقل ولا تدلل ، فقام بالعمل وحمل عليها الشعير وهو يسير على قدميه مسافة طويلة فلما بلغ شيخه خاطبه قائلا : ( اذهب الى امك وعند ما تعلم بوصولنا الى ( بجرك ) اتنـــي فثمة هنـــاك سيكون الفتـــح عليـــك ) .

فبقي الى جانب أمه ينتظر وصول الشيخ ، ولما علم بنزولـــه على بجرك ذهب اليه ، فلما لقيه الشيخ ضربه براحته بين الكتفين والثديين .

وعن ذلك يقول الشيخ : « ولم ازل أجد برودتهما على قلبي ، وكنت كلما نظرت الى جهة رايت خليلا مكتوبا بمعناه ، وحتى انني أنظر الورقة من الشجرة فيوسعها الله لحمل خليل ، ووقع لـــي هـــذا مـــع البخـــاري والقـــرءان » .

وقد صار هو الشيخ العام فى موريطانيا والصحراء تضرب اليـــه اكباد الابل فى العلم والعمل (17) ، حيث تفرغ للتأليف والتعليم واقبـــل عليه الناس يروون عنه ويتعلمون منه ويتربون بتربيته ، فكـــان كثيـــر التلاميذ ، وحمل عنه خليل فى الواح الخشب .

والف كتبا مهمة فى أغلب الفنون ، فى التفسير والحديث والفقه ؛ وكان يقول : « لم أؤلف كتابا الا بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما اشتهرت تآليفه وطار صيتها فى الصحراء اتاه شيخه قائلا :

« انما جئت لانظر تأليفك فى الحديث والقرءان والفقه ، فأجابه قائلا: « لم أرعف قلما فى كراسة الا وقد احضرت لما أكتب فى الورقة جـواب الملكين » ، فقال له شيخه : « اعمل واعتمد فهذا اجتهاد حسن » .

ونذكر من أعظم تآليفه :

« لوامع الدرر فى هتك أستار المختصر » فى سبعة أسفار ضخام . و « الريان فى تفسير القرءان » فى سبعة أجزاء ضخـــام . و « التهـــر

(17) تبيين الراغبين فى حياة آل محمد سالم المجلسي ص : 4 ـ ( مخطوط المؤلف ) .

الجاري فى شرح البخاري » فى سبعة اسفار ضخام أيضا (18) . وهذا الاخير اعظم كتب الشيخ واهمها ، تناول فيه شرح صحيح البخاري بأسلوبه الخاص حيث يذكر فيه راي الشراح قبله فى الحديث ثم يذكر اجتهاده الخاص فى شرح الحديث ، وكثيرا ما يقول : ( يقول صاحب هذا الشرح ) وفى القرءان : ( يقول صاحب التفسير ) اشارة الى فهمه الخاص فى القرءان والحديث .

وكثيرا ما ينتقد على الشراح السابقين ويصوب ما يرى تصويبه على ان احب شروح البخاري اليه والتي كثيرا ما ينقل عنها فى شرحه ثلاثة : فتح الباري لابن حجر ، ومراقي السعود ، وشرح السيوطي للبخاري ، الذي اعتمد على الجزء الموجود منه كثيرا ، كما كان ينقل احيانا عن ارشاد القسطلاني وكتاب الشيخ محمد البدالي الشنجيطي فى شرح البخاري .

اما اسلوبه فى شرحه فقد كان يعتمد على الشرح اللغوي للكلمات اولا ، ثم الاعراب ، حيث يهتم باعراب كل كلمة وجملة توطئه للمعنى ، ثم يشير الى شرح القسطلاني او ينقل كلام ابن حجر فى الموضوع ، ويذكر الرأي الفقهي على المذاهب .

ثم يقدم شرحه لمعنى الباب ، ثم الحديث المتكلم عنه ، وأحيانا يذكر الاحاديث الواردة فى الموضوع استدلالا وتأكيدا للمعنى المقصود .

ويتميز هذا الشرح الفريد بكون الشيخ يعتمد كثيرا فيه على اجتهاداته العجيبة التي توافق المعنى واللغة والنحو ، وقد احتبل بهذا الشرح كثير من العلماء المعاصرين فقرضوه واثنوا عليه حتى اجمعت كلمتهم على انه لم يكن شرح يوازيه فى التصحيح .

ونذكر من الذين قرضوه وكتبوا عنه الشيخ ماء العينين ، والشيخ سعد ابيه ، والشيخ سيدي ، والشيخ محمد المامون ، والشيخ محمد الفال ، والشيخ محمد ولد البابا وغيرهم .

---

(18) تبيين الراغبين فى حياة آل محمد سالم المجلسي ص : 5 .

ويوجد هذا الشرح الضخم عند ولد حفيد المؤلف الشيخ العبدة بن الجيلالي بيمين امام جامع مولاي عبد العزيز بالعيون ، وهو في سبعة أسفار ضخام مكتوب بخط المؤلف ، يخرج في عشرين جزءا واكثر لو طبع .

### 3 ) الفجر الساطع على الصحيح الجامع :

للشيخ المحدث المفتي خطيب الحرم الادريسي بزرهون أبو عبد الله محمد الفضيل بن الفاطمي الادريسي الشبيهي الزرهوني المتوفى سنة 1318 هـ ، صاحب شرح البخاري الشهير الذي تحدث عنه صاحب فهرس الفهارس بقوله :

« انفس واعلى ما كتبه المتأخرون من المالكية على الصحيح مطلقا وهو في أربع مجلدات ، انا متفرد الآن في الدنيا بروايته عن مؤلفه ، وقد استدرك في شرحه المذكور على الصحيح ، وانتقد أمورا على الحافظ ابن حجر وفق لها وغفل عنها من قبله من الحفاظ ، مما يعلم منه ان الفتح بيد الله ، وبالجملة فالرجل من مفاخر المتأخرين ، وممن يبتهج به صف شيوخنا رحمهم الله (19) .

ونسخته الاصلية موجودة في الخزانة الملكية في مجموعة الخزانة الزيدانية في ستة أجزاء ، وهي التي اعتمدتها في التعريف بالشرح (20) . وقد افتتح شرحه بمقدمتين :

**الاولى** : في آداب قراءة الحديث الشريف وما يطلب من قارئه ومستمعه وحاضر مجلسه من التعظيم له والتشريف حيث روى أحاديث في الموضوع عن عياض في المدارك ، ملفتا النظر الى ان الاولى لقارىء الحديث ان يصلح النية وان يكون على وضوء ، لان قراءته على غير وضوء تكون مكروهة ، وانه يكره لقارىء الحديث ان يقوم لاحد ، لانه قلة ادب وقلة احترام مع النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(19) فهرس الفهارس 2 / 286 و 287 .
(20) موجودة بالخزانة الملكية تحت عدد : 773 .

ولا ينبغي للقارىء ايضا اذا مر بذكر الله عز وجل او رسوله أو الصحابة ان يقول ، قال الرسول : وانه ينبغي له بأن يعرف النحو واللغة واسماء الرجال .

ثم تكلم عن نقل الحديث بالمعنى وما يطلب من سامع الحديث ان لا يرفع الصوت على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الخ ....

اما المقدمة الثانية فخصصها للتعريف بمؤلف الصحيح وبيان موضوعه وصنيعه فيه وعدد ما اشتمل عليه من الاحاديث والكتب والابواب، وفي ذلك يقول :

« واما صنيعه في جمع الاحاديث وتفريقها في الابواب فانه كما أخذ بالاستقراء ، يعمد الى الحديث الواحد ويستنبط منه ما قدر عليه من الاحكام ويجعل لكل حكم ترجمة يضعها في المحل المناسب لها من الكتاب ثم ينظر فيما اجتمع عنده من طرق ذلك الحديث . فان ساوت الطرق الاحكام أثبت الحديث في كل ترجمة بطريقة من تلك الطرق ، ربما تممه فيها كلها وربما اختصره في بعضها لمعنى له ، وان كانت الطرق أكثر ذكر الحديث في بعض تلك التراجم بطريقتين أو اكثر حتى ياتي على آخرها وان كانت الاحكام اكثر ذكر الحديث في بعض التراجم تاما وفي بعضها مختصرا او معلقا او قال فيه حديث كذا حتى لا يبقى عليه من الاحكام شيء ولا من الطرق التي عنده شيء ، قال الحافظ ابن حجر : فعلم انه لا يكرر الا لفائدة ، وفي التحقيق لا تكرار فيه ولم اره خالف هذا ، يعني يذكر الحديث بمتنه واسناده في محلين ، الا في مواضع نادرة » . الى ان يقول :

« عدد أحاديثه الثلاثيات ، ثلاثة وعشرون ، وهي اقصر احاديثه اسنادا ، واطول سند فيه سند اسماعيل بن ادريس المذكور في باب ياجوج وماجوج فانه تساعي ، واكثر سند ذكرا للصحابة سند ابي سليمان في باب رزق الحكام من كتاب الاحكام ، فان فيه اربعة من الصحابة السائب ومن ذكر بعده .

واطول حديث فيه حديث عمرة الحديبية المذكور في كتاب الصلح ، واكثر ابواب احاديث باب ذكر الملائكة .

واكثر من روى عنه من الصحابة أبو هريرة رضي الله عنه .

واكثر احاديثه تكرارا حديث بريرة فانه كرره أكثر من عشرين مرة .

ثم ذكر بعد المقدمتين سنده الى الامام البخاري عن شيوخه الثلاثة ابي العباس أحمد بن محمد المرنيسي وابي عبد الله محمد بن حمدون بن الحاج السلمي وابن العباس أحمد بن محمد بناني الخ (21) .

ثم ذكر اجازة الشيخ ابي الحسن علي ابن طاهر الوتري الحسيني المدني له بأعلى سند يوجد فى الدنيا (22) ، عن شيخه عبد الغني العمري المدني عن محمد بن يوسف الفربري بسماعه من مؤلفه صاحب الصحيح ، وانه أخذ هذا السند عن شيخه المذكور بضريح قطب الاقطاب ونور الانوار مولانا ادريس عام 1297 هجرية (23) .

وبعد ، ذكر اجازته وسنده الى البخاري بدأ فى الشرح من اول الصحيح بالكلام عن البسملة دون الصلاة ، لانها غير ثابتة فى أصله .

ثم تكلم عن الوحي لغة وشرعا ، وتعريف النبي والرسول ذاكرا سبب البدء بالآية : « انا أوحينا اليك ... » لان البخاري يستدل بالترجمة بما وقع له من قرءان وسنة مسندة وغيرها مشيرا الى الكلام الموجود على نسخة الصدفي والذي هو من زيادة ابي عمران ابن سعادة ذاكرا ان الاولى كان حقه ان يكتب فى الطرة .

ثم عرف بأبي علي الصدفي والباجي وابي در السرخسي والمستملي والكشميهني والفربري الرواة الاولين للصحيح .

ثم اخذ فى اعراب : حدثنا فلان وسمعت فلانا يقول بادئا بشرح الحديث الاول انما الاعمال بالنيات ، متكلما عن موضع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته ، شارحا الفاظه وعباراته ومفرداته ، مبينا معناه ، ذاكرا اقوال الشراح فى هذا الحديث .

---

(21) انظر هذا السند كاملا فى المجلد الاول من الشرح المذكور ص : 13 و 14 .
(22) الفجر الساطع ج 1 ص : 14 .
(23) المرجع السابق ص : 15 .

هذا نموذج باختصار لطريقة شرحه للاحاديث والابواب .

مأما اسلوبه العام في شرحه وطريقته الخاصة فيه فقد اعتمد فيه على بيان معنى الحديث غامضه ومشكله وحل الفاظه واعرابه واعتماد الاقوال والتوجيهات التي يراها في شرحه وبيان مقصود الترجمة وشاهدها على ما ترجح عنده مبينا الاحكام الشرعية مما وافق مذهب الامام مالك متعرضا لاحوال الاسانيد واسماء الرجال ووصل التعاليق تجنبا للتكرار ، ولما سبق اليه في الشروح السابقة التي استمد من اغلبها مستشهدا للمعنى التي يختاره بالحديث كثيرا وبالآية احيانا .

واحيانا ينقل القول منسوبا الى صاحبه دون ذكر الكتاب المنقول عنه مثلا قاله : العلامة ابن زكري او لابن الوقت ، كما جاء في شرحه لاول حديث أو مثل ما قاله الدماميني .

ومن خصائصه انه يهتم باعراب الكلمات عند شرح ليصل الى المعنى المقصود ، وقد وفق فيه الى نكث غريبة وتنقيحات عجيبة وتوشيحات مصيبة وفوائد وغرر فريدة ، وما احسن ما قاله المؤلف عن شرحه في اول مقدمته ننقله تتميما للفائدة واكمالا للصورة :

« وبعد ، فهذا تقييد على الجامع الصحيح الحائز قصب السبق في ميدان التقديم والتفضيل والترجيح تصنيف امير المؤمنين في الحديث وقدوة الحفاظ والنقاد في القديم والحديث المشرق فضله على هذه الامة اشراق الكواكب الدراري ابي عبد الله سيد محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم البخاري ، قصدت به التعلق بأذيال من تعلق الاولون والآخرون بأذياله والانخراط في سلك من تصدى لبيان احوال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقواله وافعاله والتطفل على علماء امته كي ادخل زمرتهم واحتمي بحماهم عند شدائد الموقف واهواله واسكن معهم حظيرة القدس في جوار عروس المملكة صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، سلكت فيه في بيان معنى الحديث وغامضه ومشكله وحل الفاظه واعرابه احسن المسالك ، واقتصرت فيه من الاقوال والتوجيهات والتوقيفات والاجوبة وبيان مقصود الترجمة وشاهدها على ما ترجح عندي في ذلك ، وآثرت فيه عن بيان الاحكام الشرعية ما وافق مذهب امام الائمة وامامنا مالك ،

ولم اتعرض لاحوال الاسانيد واسامي الرجال ووصل التعاليق والمتابعات لتكفيل فتح الباري بجميع ما هنالك ، ثم انني وان كنت مستمدا من تاليف من تكلم قبلي على هذا الكتاب المشارق والنكث والكواكب والبهجة والفصيح والتنقيح والفتح والعمدة والمصابيح والتوضيح والتحفة والارشادين والمعونة والتشنيف والتوشيح ، وغير ذلك من التآليف الموضوعة عليه وعلى غيره ، المرجوع اليها عند الترجيح والتصحيح ، فقد فتح الله علي فيه بنكث غريبة واتحفني سبحانه بتنميحات عجيبة وتوشيحات مصيبة وارشدني وله الحمد والمنة لعيون فوائده وغرر زوائده تقف دونها الافكار وتبذل فى تحصيلها نفانس الاعمار ، فجاء بحمد الله صفر حجمه ولطافة جرمه مشتملا على علم غزير وتدقيق وتحرير يسر الناظر ويريح الخاطر ويغني فى بابه عن مطولاته الدفاتر وسميته « الفجر الساطع على الصحيح الجامع » والله سبحانه اسأل ان يسلك فيه صوب الصواب وان يجري على قلمي فيه اظهار الحق وفصل الخطاب وان يديم به النفع العام للخاص والعام ، وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني بجاه مولانا رسول الله عليه افضل الصلاة وازكى التسليم » .

وهكذا اتم الشيخ الفضيل الشبيهي شرحه العظيم للبخاري ، فبيضه سنة 1313 هـ وأخرجه سنة 1316 هـ وراجعه وصححه سنة 1317 هـ فى ستة اجزاء كما يلي :

**الاول :** من كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى باب استئذان المراة زوجها بالخروج الى المسجد .

**الثاني :** من كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة ، الى المعتكف يدخل راسه السبيت للغسل .

**الثالث :** من كتاب البيوع : باب ما جاء فى قول الله عز وجل : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » - الى القسامة فى الجاهلية .

**الرابع :** باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى باب أصاب القوم غنيمة فذبح بعضهم غنما أو ابلا بغير امر اصحابهم لم يوكل .

**الخامس :** من كتاب الاضاحي ، باب سنة الاضحية الى باب الموعظة ساعة بعد ساعة .

**السادس :** من كتاب الرقاق الى باب قول الله تعالى : « ونضع الموازين . . » .

**هذا وقد كنت وجهت الى السيد مدير الديوان الملكي اثر اطلاعي ودراستي لهذا الشرح النفيس ، رسالة مرفوعة الى جلالة الملك تتضمن رغبتي فى اصدار أمره بطبع ونشر هذا التراث العظيم مع استعدادي لتحقيقه منفردا أو مع غيري من العلماء المتخصصين ، وذلك بالمطبعة الملكية أو ضمن مطبوعات لجنة التراث المشتركة ، فهذا الشرح العظيم احق بالعناية والتقديم من غيره ، واني أؤكد رغبتي راجيا ان يحققها الله قريبا .**

وتمتاز النسخة الزيدانية من هذا الشرح باجازة فريدة نادرة مكتوبة على الصفحة الاولى من السدس الاول بخط المجيز الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الذي انفرد فى الدنيا بروايته عن صاحبه اثر اتمامه وقبل وفاته بقليل ، وقد أجاز للنقيب الشريف مولاي عبد الرحمان بن زيدان بالشرح المذكور وبكل ما أجاز المؤلف المجيز ، وكانت هذه الاجازة الفريدة بتاريخ 1342 ، ونصها كما هو منقول من الجزء المذكور بالحرف .

« الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد ، فقد من الله علي بسماعي لمواضع من هذا الشرح المعجب الآتي فى باب التحرير والتحصيل بما يطرب ومناولة بجمعيه من يد مؤلفه شيخنا ومفيذنا العلامة الفقيه المحدث الاصولي الخطيب المفتي المدرس شامة زرهون ابي عبد الله محمد الفضيل ابن الفاطمي الحسني الشبيهي الادريسي الزرهوني ، وذلك يوم الاثنين 6 جمادى الثانية سنة 1318 هـ بداره بزرهون ، وأجازني به وبكل ما له من مروى وتقييد وتأليف اجازة عامة مطلقة ، وأملي منفردا الآن فى الدنيا برواية هذا الشرح عنه ، لا اعلم من استجازه فيه ولا بقي من يرويه عنه ، اذ مات رحمه الله بعد ذلك بنحو الشهرين ، أى فى شعبان 1318 بزرهون ، وقد شاركته رحمه الله مع كبر سنه وقدم روايته فى شيخه المشرقي الذي روى عنه الصحيح داخله

وهو المحدث المسند الرحال ابو الخير علي بن طاهر الوتري المدني الحنفي ، فانه اجازني عامة مروياته مكاتبة من المدينة المنورة عام 1320، ومات سنة 1322 فى المدينة ، فعاش بعد ذلك المؤلف تلميذه نحو خمس سنوات .

وقد اجزت به وبما اجازني به مؤلفه وغيره حبنا وصفينا بهجة مكناسة الزيتون وزينتها عالمها واديبها وكريمها العلامة النحرير الدراكة الاديب البارع الماجد الشهير النقيب مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي الاسماعيلي نفع الله به العباد والبلاد وادام فضله شرقا الى يوم التناد ، قاله وكتبه خادم الحديث واهله محمد عبد الحي ابن عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني الادريسي بفاس ، لطف الله به وبالمسلمين آمين ، وذلك فى يوم الثلاثاء 27 قعدة عام 1342 بفاس ، وقد كانت صدرت مني اجازة عامة لمؤلفه قديما سنة 1324 والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى » .

## قائمة الشروح :

### النصيحة فى شرح البخاري :

لابي جعفر احمد بن نصر الداودي الاسدي المتوفى بتلمسان سنة 402 .

وهو اول شرح مغربي ــ فيما نعلم ــ للجامع الصحيح ، كما يعتبر ثاني شروح البخاري على الاطلاق بعد اعلام السنن للخطابي ، وهي ريادة عظيمة مغربية فى هذا الميدان ، تذكر بمزيد الاعجاب والفخر للعلماء المغاربة الذين كانوا من السباقين فى هذا الميدان ، وقد فصلنا الكلام على صاحبه فيما قبل وعمن نقلوا عنه وعن المصادر التي ذكرته ونصت عليه .

### شرح البخاري :

لابي القاسم المهلب بن احمد بن اسيد بن ابي صفرة التميمي المري المتوفى سنة 436 هـ ــ 1044 .

وهو شرح موسع قال عن صاحبه ابو الاصبغ : كان من كبار اصحاب الاصيلي وبه حيى كتاب البخاري بالاندلس . وقد ذركه فى مقدمة اللامع صفحة : 33 .

## شرح البخاري :

لابي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك القرطبي المعروف بابن بطال المتوفى سنة 449 هـ ـ 1057 .

ويقع فى عدة اسفار ، وغالبه فى فقه مالك ، نقل عنه الكرماني فى شرحه .

ويوجد بخزانة القرويين كما ذكره بل فى فهرسه تحت عدد 423 ، وبفهرس القرويين تحت عدد : 134 .

كما توجد نسخة منه بخزانة الجامع الكبير بمكناس تحت رقم له 33.

كما توجد نسخة اخرى بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت عدد : 485

وقد ذكره القسطلاني 12 / 41 . وذكره صاحب الديباج بقوله : ( والف شرح البخاري ) . بروكلمان ملحق 1 / 33 . وتاريخ التراث العربي ص : 312 .



## شرح صحيح البخاري :

لابي حفص عمر بن الحسن بن عمر الهوزني الاشبيلي المتوفى سنة 460 هـ .

ذكره القسطلاني 1 / 41 . ومقدمة اللامع ص : 133 . وكشف الظنون 1 / 546 .

## شرح البخاري :

لابي عبد الله محمد بن خلف بن المرابط المري المتوفى بعد الثمانية واربعمائة 480 .

قال عنه في الديباج : له في شرح البخاري كتاب كبير حسن . وقد اختصر فيه شرح المهلب بن ابي صفرة واضاف اليه اضافات وزاد عليه فوائد وهو ممن نقل عنه ابن رشيد السبتي .

مقدمة اللامع ص : 133 . القسطلاني 2 / 35 . معجم المؤلفين 9 / 284 .

**شرح البخاري :**

لابي الاصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الاسدي المتوفى سنة 486 بغرناطة

ذكره صاحب كشف الظنون . ومقدمة اللامع ص : 134 .

**تفسير غريب ما في الصحيحين :**

لابن فتوح محمد الحميدي الميورقي المتوفى سنة 488 .

معجم المحدثين ص : 43 .



**شرح البخاري ، المسمى : المجالس :**

لابي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي المالكي المتوفى سنة 490 .

قال عنه في نيل الابتهاج : شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري فيه من الفوائد والتحقيقات ما يعلمه الا الله .

نيل الابتهاج ص : 329 . مقدمة اللامع ص : 149 . شجرة النور الزكية ص : 231 .

**شرح البخاري :**

لابي القاسم احمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي المري المتوفى سنة 540 .

قال عنه القسطلاني : بانه شرح واسع جدا .

القسطلاني 1 / 42 . مقدمة اللامع ص : 133 . شجرة النور الزكية ص : 134 .

**شرح غريب الصحيح :**

لابي الحسن محمد بن احمد الجياني المتوفى سنة 540 .

كشف الظنون ص : 553 . مقدمة اللامع ص : 132 . السفر السادس من الذيل والتكملة ص : 36 ـ طبع سنة 1973 .

**شرح البخاري ، المسمى : كتاب النيرين فى الصحيحين :**

لابي بكر بن العربي المتوفى سنة 543 .

مقدمة اللامع ص : 132 . كشف الظنون . الديباج . شجرة النور الزكية 136 .

**شرح البخاري ، المسمى : الخبر الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح :**

لعبد الواحد بن عمر بن التين الصفاقسي المتوفى سنة 611 هـ .

وهو شرح متداول نقل عنه ابن حجر فى الفتح واستفاد منه القسطلاني بذكره .

مقدمة القسطلاني على شرح البخاري ص : 40 . مقدمة ابن خلدون ص : 443 . كشف الظنون . شجرة النور الزكية ص : 168 .

**المفهم فى شرح البخاري ومسلم :**

لابي بكر محمد بن اسماعيل بن محمد الازدي الاندلسي المتوفى سنة 636 ـ شجرة النور الزكية ص : 181 .

**تراجم صحيح البخاري ومعاني ما اشكل من ذلك :**

لابي العباس احمد بن رشيق الكاتب المتوفى سنة 646 هـ .

الحميدي في الجذوة ص : 115 . دعوة الحق ع 1 س 17 .

**شرح على صحيح البخاري :**

لاحمد بن محمد بن ابراهيم بن عمر القرطبي الانصاري المالكي المعروف بابن المزين ، المتوفى سنة 656 هـ .

النفح 3 / 371 . الديباج ص : 77 . معجم المؤلفين 2 / 27 . شجرة النور الزكية ص : 188 .

**شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح :**

للشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك النحوي الجياني المتوفى 672 هـ ـ 1273 م ، نزيل دمشق .

وهو شرح لمشكل اعرابه ، يوجد بالقرويين تحت عدد : 709 ، في جزء متوسط ، بخط مغربي .

كشف الظنون ص : 553 . بروكلمان ملحق 1 / 298 . مقدمة اللامع ص : 131 .

**ترجمان التراجم في ابداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري :**

لمحب الدين محمد بن رشيد السبتي المتوفى سنة 721 هـ .

وقد طبع في الهند .

وقد ذكر في كشف الظنون انه لم يكمل .

يوجد مخطوطا بالاسكوريال تحت عدد : 1732 ـ 1785 .

## شرح غريب البخاري :

لابي عبد الله محمد بن احمد اليفرني المكناسي المتوفى سنة 818 .

وهو شرح فى سفر واحد موجود بخزانة القرويين تحت عدد : 145، وفى الخزانة الملكية . وفى خزانة تامكروت . وفى بعض الخزائن الخاصة.

## شـــرح البخــــاري :

لمحمد بن مرزوق الاكبر الجد التلمساني المتوفى سنة 837 هـ .

فهرس الفهارس 1 / 394 . شجرة النور الزكية ص : 253 .

## المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح فى شرح الجامع الصحيـــــح :

لابي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المالكي الحفيد المتوفى سنة 842 هـ ـ 1439 م .

لم يكمل ، وهو موجود فى الخزانة الكتانية تحـت عـدد : 572 ( فى 210 ورقـــة ) .

القسطلاني . مقدمة اللامع ص : 138 . فهرس الفهارس 1 / 397. كشف الظنون ص : 55 . بروكلمان ملحق 2 / 345 .

## شرح صحيـح البخـــاري :

لابي زكرياء يحيى بن عبد الرحمان العجيسي المتوفى سنة 862 .

دعوة الحق ع 1 س 17 . ربيـــع الثانــي 1395 هـ ـ 197 م . مقـــال سعيـــد أعـــراب .

## شـــرح البخــــاري :

لشرف الدين محمد بن عبد الرحمان المغربى الكنـــدي المالكـــي المتوفـــى سنـــة 863 . ـ نيل الابتهاج . مقدمة اللامع ص : 149 .

**شـــــرح البخــــاري :**

للشيخ يحيى بن احمد بن عبد السلام عـرف بالعلمـي المالكـي المتوفـى سنـة 888 هـ .

نيـل الابتهـاج . مقدمـة اللامـع ص : 149 .

**شـــــرح البخــــاري :**

للقاضي ابي عبد الله محمد بن قاسم الانصاري الشهير بالرصـاع المالكـي ، المتوفـى سنـة 893 .

نيـل الابتهـاج . الضوء اللامـع . مقدمـة اللامع ص : 149 .

**شـــــرح البخــــاري :**

لمحمد بن يوسف السنوسي التلمساني المتوفى سنـة 895 .

لم يكمله . وهو شرح عجيب على البخاري ، وصل فيه الى باب من استبرأ لدينه ، ولم يكمله . موجود بالخزانة الكتانية .

نيل الابتهاج ص : 329 و 353 . مقدمة اللامع ص : 149 . فهرس الفهـارس 2 / 343 . شجرة النور الزكية ص : 266 .

**شرح مشكلات البخاري ، في كراسين :**

لمحمد بن يوسف التلمساني السنوسي المتوفى سنة 895 هـ .

يوجد بالخزانة الملكية في مجموع ( تحت عدد : 6414 / 6451 ) .

لابراهيم بن هلال السجلماسي المالكي المتوفى سنة 903 .

نيـل الابتهاج . التراتيب الادارية . مقدمة اللامع ص 149 .

**فتح الباري فى شرح غريب البخاري :**

أبو العباس أحمد بن قاسم ساسي البوني الجزائري . المتوفى سنة 1139 هـ .

فهرس الفهارس 1 / 169 . شجرة النور الزكية ص : 330 .

**شرح البخاري :**

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي المتوفى سنة 1189 .

قال عنه صاحب فهرس الفهارس : وقفت على المجلد الاول منه بمراكش .

فهرس الفهارس 1 / 261 . النبوغ 1 / 300 .

**شرح البخاري :**

محمد المدني بن محمد بن عبد السلام الناصري المتوفى سنة 1238 .

قال عنه صاحب فهرس الفهارس : ( وعندي شرحه بخطه ) .

فهرس الفهارس 1 / 413 .

**شرح البخاري :**

محمد بن محمد العربي بن عبد السلام بن حمدون البناني المكي الفاسي أصلا النفزي ، المتوفى سنة 1245 .

فهرس الفهارس 1 / 163 .

**شرح على البخاري ، في اربع مجلدات :**

لعبد الرحمان التفرغرتي السوسي ، مات آخر الدولة الرحمانية سنة 1276 .

موجود بالخزانة الكتانية .

فهرس الفهارس 2 / 138 .

**شرح البخاري :**

لمحمد بن احمد السوسي التيوتي الروداني ، توفي أواخر دولة مولاي عبد الرحمان حوالي 1276 .

قال عنه صاحب الاعلام : ( وقفت له رحمه الله على الجزء الثالث من شرح البخاري بخط يده أوله في القيام لجنازة اليهودي ) .

الاعلام 6 / 314 .

**شرح على البخاري ، لم يكمل :**

لابي محمد الحاج الداودي التلمساني المتوفى سنة 1271 .

شجرة النور الزكية ص 400 . تعريف الخلف برجال السلف 107/2 اليواقيت الثمينة 1 / 143 . دعوة الحق ع 1 س 17 .

**شرح على البخاري ، في 12 جزءاً :**

لابي الحسن علي الونيسي ( القرن الثالث عشر ) .

تعريف الخلف 2 / 286 . دعوة الحق ع 1 س 17 .

**النهر الجاري في شرح البخاري :**

للشيخ محمد بن محمد سالم ، المتوفى سنة 1302 .

في سبع مجلدات ضخام ، مخطـــوط .

يوجد عند ابن حفيد المؤلف بخزانته بالعيون ، اطلعـت على الجزء الرابـــع منه .

**الفجر الساطع على الصحيح الجامع :**

لابي عبد الله محمد الفضيـل الادريسي الشبيهـي الزرهونـي المتوفـى سنـة 1318 .

في ست مجلدات ، موجود بالخزانة الملكية تحت عدد : 773 .

فهـرس الفهـارس 2 / 286 و 287 .

**شرح صحيـح البخـاري :**

لعبد الجليل برادة الفاسي أصلا ، المدني دارا ومولـدا ومدفنـا المتوفـى سنـة 1327 . ـ رياض الجنـة 2 / 67 .

**شرح على البخـاري :**

محمد بن يحيى بن يحيى الولاتي الشنقيطي المتوفى سنة 1330 .

في أربع مجلدات ، امتاز بالتنبيه على كل حديث تمسك به مالـك في الموطـأ .

شجرة النور الزكية ص : 435 . معجم المحدثين ص : 38 .

**شـرح البخـاري :**

للتهامي بن المدني كنون المتوفى 1331 .

المشرف المصـون لآل كنـون ص : 28 .

**شــــرح البخـــــاري :**

لاحمد بن جعفر الكتاني المتوفــى سنـــة 1340 .

فى ثلاثة اجزاء ، لم يكمل ، موجود عند ولده الاستـــاذ ابراهيـــم بخزانتــــه . ـ النبــــذة اليســــرة .

**كوثر المعاني الدراري فى كشف خبايا صحيح البخاري :**

للشيخ محمد حبيب الله بن مايابا الجكني الشنقيطــي المالكــي المتوفـــى سنــــة 1363 .

تنوير الحوالك . مقدمة اللامع ص : 149 . طبع منه جزء صغيــر فى مصـــر .

**اتحاف قارىء صحيح البخاري :**

لمحمد الفرطاخ التطواني ، طبع فى تطــوان .

موجود بالخزانة الصبيحية بسلا ، تحت عدد : 2109 .

تاريـــخ التـــراث العربـــي ص : 341 .

**الضوء الساري فى افق صحيح البخاري :**

لمحمد بن ابراهيم بن محمد الهلالي المزاري .

مخطوط مصور بالخزانة العامة 1 / 4 . مركز تارودانت جائزة 1971 نسخة مصورة بالخزانة الملكيـــة ، تحت عـــدد : 10937 .

**فك اغراض البخاري المبهمة فى الجمع بين الحديث والترجمة :**

لمحمد بن منصور بن جماعة المفراوي السجلماسي .

وهـــو مائـــة ترجمـــة .

القسطلاني 1 / 43 . كشف الظنون ص : 551 . النبوغ 1 / 210.



# دور الحديث وأثرها في حفظ العلم

## للأستاذ الحسين وجاج

دور الحديث : عبارة عن مدارس خاصة ، ناتجة عن الخلافات المذهبية التي أحدثها التطور الفكري والتعليمي في المجتمعات والمعاهد الاسلامية .. وهي ذات مكانة مرموقة في نفوس المسلمين ، باعتبارها مدارس الحديث النبوي الذي هو العنصر الثاني للتشريع في الاسلام من جهة ، وباعتبارها من جهة أخرى مراكز الثقافة الاصيلة الخيرة ، ومنابع العلم الاسلامي المطبوع بالطهر والعفاف ، والحامل معه في طياته كل ما يبحث عنه عالمنا اليوم من وسائل السعادة والطمانينة والحضارة والسلام.

وفي العصور الاولى من تاريخ الاسلام كان الطابع العام الذي يغلب على عقلية المسلمين وعقائدهم واخلاقهم ، هو طابع القرءان والحديث بفضل نشاط الحركة العلمية القائمة في معاهد السنة أولا ، وصمودها أمام التيارات الدخيلة ثانيا ، فرغم الانتصارات الجزئية التي تصادفها بعض الطوائف على حساب أهل السنة والجماعة ، فقد ظل الطابع السني هو السائد ــ كما قلت ــ الى ما بعد القرن الرابع الهجري ، وبعد هذا التاريخ ، بدات الروح السنية تضعف تبعا لضعف سلطان الجماعة في ميدان السياسة والعلم ، واضحت حركات الطوائف وعقائدها تغزو عقائد الجماعة واخلاقها في الوقت الذي بدات تغزو اراضيهم ، وتستقل بالسلطة من هنا وهناك .

فقد تعرض الجناح الشرقي من العالم الاسلامي لهزات عنيفة ، على

يد الاتراك ، ثم البوهيين ، سهلت على المغول والتتار غزو بغداد ، والقضاء على معالم سلطان العلم والسياسة بها سنة 656 هـ كما تعرض الجناح الغربي منه لهزات مماثلة على يد الخوارج ثم العبيديين الذين تغلبوا على شمال افريقية ومصر ، ومهدوا للصليبيين السبيل للتغلب على أجزاء مهمة من سورية قلب العالم الاسلامي السني .

وهذه الاحداث المتعاقبة على كيان سلطة المسلمين ، وما تركته من اثر سيء فى صفوفهم هي التي حدت بالجماعة السنية الى التفكير فى أسباب مقاومة الاحتلال والانحلال فى المجالين الداخلي والخارجي ، وكان الذي يمثل ما تبقى من سلطان الجماعة باسم بني العباس فى هذا الوقت ، هو نور الدين محمد بن زكي الشهيد .

وهكذا شاء الله ان يضع زمام السلطة السنية فى يد الاسرة الزنكية الطاهرة ، وان يجعلها تفكر بجد فى استرجاع مجد الجماعة والسنة ، وكان لا بد لهذا التفكير من ان يتناول الجبهة الداخلية والخارجية معا ، وان يحارب الاحتلال الخارجي بروح قوية ، وأسلحة مفيدة ، ويقاوم الانحلال الداخلي ، بنشر ثقافة اسلامية اصيلة .

## انشاء دور الحديث

ومن أجل جهاد الاعداء من التتار والصليبيين بدا نور الدين يعد العدة العسكرية بتدريب الجنود ، ومن اجل مقاومة الشيعة الباطنية فكر فى انشاء معاهد علمية خاصة ، لم يسبق لها مثيل فى العالم الاسلامي ، من حيث تنظيمها والغاية منها ، وهذه المعاهد هي التي تحمل اسم « دور الحديث » وأول دار عرفت منها ، ونظمت تنظيما خاصا ، هي دار الحديث النورية بدمشق سنة 569 هـ (1) ثم ظهرت بعدها دار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة 622 هـ ، ثم ظهرت بعدهما دار الحديث الاشرفية بدمشق سنة 626 هـ .

---

(1) المقريزي : الخطط ج 4 ص : 211 - صبحي الصالح : علوم الحديث ص : 73 .

وهذه الدور الثلاثة هي التي استبدت بالاسبقية التاريخية والشهرة العريضة فى العالم الاسلامي ، وان ظهرت بعدها دور للحديث فى مصر والشام والعراق وتركيا : تسير على منوالها ، وتقتفي اثرها ، وتطبق برامجها ، مثل النبيهية والسكرية والظاهرية والمستنصرية والسليمانية وغيرهـا .

ولم تكن هذه الدور لتظهر لاول مرة فى الشام صدفة ، بل ذلك يرجع الى عدة أسباب : منها ان الشام هو مقر الاسرة النورية التي اعتنت لاول مرة بهذا النوع من المؤسسات . ومنها ان الشام واقعة فى الخطوط الامامية لمواجهة الصليبيين بفلسطين والشيعة . ومنها ان الشام يومئذ ديار الحنابلة والشافعية ، وهم أكثر المذاهب اعتناء بالحديث ، والممثلون للمذهب السني ضد الشيعة فى اطارية الاشعري ، والحنبلي الحديثي . ومنها الرغبة فى جمع شتات المذاهب السنية ، ضد العدو الخارجي المتمثل فى « الشيعة والصليبيين » ، وتناسي الخلافات بينها حتى لا يتكرر ما سبق ان وقع بينها فى العراق من العداوة التي ذهبت ضراوتها بسلطان العلم والسياسة معـا (2) .

## الغاية من انشاء دور الحديث :

ولم يكن العالم الاسلامي يوم انشئت دور الحديث خلوا من المؤسسات التعليمية ، ولا فقيرا من العلم والعلماء ، بل كان زاخرا بالمدارس والمكتبات التي انشأها كل من السلاجقة والاتابكة بالعراق ، والفاطميون بمصر ، غير ان هذه المدارس على كثرتها كانت عقيمة ، ذلك لان روح التقليد والتفرقة غلبت على ابحاث العلماء فى هذا العصر ، سواء فى ذلك ما يتصل بالعقائد او الفروع ، فكل راى فى العقيدة له امام من المتقدمين، يتبع من بعض المتأخرين ، فينظر الى آرائه كلها على انها الحق وحدهـا ، وكل مذهب فقهي ، له اتباع يتبعونه على انه صواب كله دون غيره .

وقد توارثت الاجيال التحيز الفكري من القرن الرابع ، بسبب ما دار بين فقهاء الشافعية والحنفية ، ثم الحنابلة من الجدل الفقهي ، وما دار بين المعتزلة والاشاعرة والماتوريدية ، من الجدل الكلامي ، فنتج عن

---

(2) احمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص : 98 .

ذلك كله ان صارت ثقافة اهل هذا العهد عقيمة رغم سعتهـــا ، ومـــن ثم اتجهت انظار الامراء الى انشاء نوع من التعليم ، يستمد روحه من النصوص الاصلية ، والعناصر الاساسية للاسلام ، فكان ما يسمى بدور الحديث .

وعليه فالغاية من انشاء دور الحديث ، كانت الرغبـــة فى انعـــاش الثقافة الاسلامية فى مناهجها أولا ، ثم بعث روح الحماس والجهـــاد فى نفوس المسلمين لمقاومة الاعداء ثانيا وطرح ما كان قد ران عليها من غبار التكاسل والتواجل والتخاذل ثالثا (3) .

## المنشـــؤون لـــدور الحديـــث :

واذا كانت الغاية من انشاء دور الحديث هي تقوية الجبهة السنيـــة فى مواجهة الجبهة الشيعية كما سبق ، فان الجبهة السنية فى نفسهـــا ، منقسمة الى أشعرية وحنبلية فى العقائد ، وشافعية وحنبلية فى الفروع ، ولهذا الانقسام انعكاس على تأسيس وانشاء دور الحديث نفسها (4) فبينما نرى دار الحديث النورية والكاملية والاشرفية ، تؤسس من طرف الامراء الزنكيين والايوبيين الاشاعرة نرى دور أخرى الى جانبها تؤسس من طرف علماء يمثلون الاتجاه الحنبلي فى العقائد والفروع ، أضف الى هذا مـــا يحدث هناك من صراع بين أطراف الجبهة نفسها ، عند ما يراد ترشيـــح شيخ من الشيوخ للاشراف على دار من دور الحديث .

ومن هنا يتجلى ان المنشئين لدور الحديث ، مرة يكونون من الامراء، ومرة من العلماء والموسيرين ، وان الدافع الى انشائهـــا ، وان كان فى الظاهر الانتصار للسنة ضد الشيعة ، الا انه فى باطنه ما يزال يحمل معه رواسب الخلافات القديمة ، على ان هذه الخلافات الجزئية لا تحول دون تسابق السنين العام نحوها انشاء هذه الدور من طرف السلاطين والامراء والاميرات والوزراء والعلماء والقضاة والتجار والاطباء والخدمة والعتفاء ، وغيـــر ذلك ممن لاحظهم التوفيق .

(3) احمـد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص : 99 .

(4) محمد ابو زهرة : حياة ابن تيمية ص : 25 ـ 26 .

## اهميتهـــا وبناءاتهـــا :

وتعتبر دور الحديث مؤسسات تعليمية عليا ، ذات اهميـــة كبـــرى ومقام كبير ، بحيث لا يتولى الاشراف عليها والتدريس الا من عرف بالعلم الغزير والفضل الكبير ، وشهد له بالتفوق على الاقـــران ، واستوفـــى شروط الواقفين والمؤسسين ، ووافق على توليته العلماء والملوك والامراء والناس اجمعون ، وهي تتمتع بالتقدير والاحتـــرام والاستقـــلال مثـــل الجامعات والاكاديميات العصرية وتتوفر على انظمة داخلية ثابتة ، ومناهج تربويـــة مفيـــدة .

وهي الى جانب ما تهتم به مـــن خدمـــة الحديـــث ونشر علومـــه – استمرارا للجهود المبذولة قبلها للدفاع عنه والمحافظة – تقـــوم بدور فعال فى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوجيه وارشاد المسلميـــن وتكوين الاطر الصالحة للدفاع عن مقدساتهم ، وكسر شوكة اعدائهم ونشر مكارم الاخلاق بين مجتمعاتهم . وهي مثل غيرها من المعاهد العليا ، ذات بناءات مهمة ، ومصالح متنوعة ، تضم الى جانب مأوى الطلبة والمنقطعين، وقاعات الدروس والخزانات والمحاضرات والحفلات والضيوف ، مساجد للصلاة ومساكن بعض الشيوخ والموظفين الآخرين ، كل ذلـــك يتـــم فى مجموعات متصلة من الاقســام أو فى بنايات متقاربة ، يغلب عليها النظـــام التربوي والطابع الهندسي العراقي ، باعتبار انها امتداد لمدارس السنة بالعراق ، كالمدرسة النظامية التي تخرج منها الشيـــوخ الاوائـــل لدور الحدث أمثال ابن عساكر بدمشق وابن شداد بهاء الدين بحلب ، وباعتبار ان أكثر بناتها من اقوام نزحوا الى بلاد الشام من نواحي العراق لينشروا فيها الفن المعماري الواضح ، والمتمثل فى مدارسه المتعددات (5) .

ولظروف يرجع بعضها الى ألعزوبة والغربة ، وبعضها الى حب التفرغ للتدريس نجد بعض الشيوخ يسكنون فى دور الحدث أمثال ابن تيمية وابن رجب فى السكرية (6) وابن دحية فى الكاملية (7) والمزي فى الشقشقية

---

(5) للدكتور اسعد اطلس : مجلة المقتطف عدد 4 ، الصادر سنة 1944 .
(6) مجلة المجمع العلمي بدمشق ، المجلد الثاني عشر ، ص : 442 .
(7) عبد الله الهلالي الربغي : المفاخر السنية والمآثر المرضية 31 ( مخطوط ) .

قبل انتقاله الى الاشرافية ، والامام النووي وتقي الدين السبكي وغيرهما بالاشرفية .

ولكون هذه المدارس ربط المجاهدة العلمية ، كانوا لا يرغبون فى السكنى بعيدين عنها فهن المدرسة والمسكن والمسجد والمتهجد فى آن واحد ، وكان تقي الدين السبكي شديد الاعجاب بسكناها ، بحيث يخرج فى الليل الى ايوانها (8) فيتهجد هنا تجاه الاثر الشريف ويمرغ وجهه على البساط وينشد :

وفى دار الحديث لطيف معنى — على بسط اصبو وآوى

عسى انى امس بحر وجهي — مكانا مسه قدم النواوي (2)

## ميزتها وميزانيتها :

كانت الميزة الكبرى التي تميز دور الحديث عن غيرها من المدارس هي ظاهرة الاوقاف الخاصة بتمويلها ، ذلك ان العالم الاسلامي من قبل ، لم يكن يعرف المدارس اصلا ، وانما ظلت رحاب المساجد هي مجالس العلماء والمشايخ ، حتى جاء القرن الرابع فظهر نظام المدارس ، واول ما ظهر بخرسان على يد بعض العلماء كأبي علي الحسيني وابن فورك وغيرهما ثم انتشر على يد نظام الملك ببغداد والموصل والبصرة ونيسابور وهراة، غير ان تلك المدارس تختلف عن دور الحديث فى نظام دراستها العام ونظام الاتفاق عليها ، فمن حيث نظام التعليم ، كانت شاملة لجميع الفنون والعلوم المعروفة يومئذ ، ومن حيث نظام الانفاق كان يتولى الانفاق عليها، اما عالم موسير من ماله الخاص ، واما امير حاكم من بيت المال العام وهذا بخلاف نظام دور الحديث ، فهي تعتمد اساسا فى نفقاتها على الاوقاف الخاصة التي يحبسها عليها المنشيء ، سواء كان اميرا أو غيره من المحسنين ، ويستفاد من نصوص الوقفيات وشروط المحسنين أن هذه الدور كانت مستقلة فى ميزانيتها ، وذات تخصص محصور فى

---

(8) يقصد بالايوب فى اصطلاحهم ، ما يسمى اليوم بقاعة المحاضرات ، فهو مكان خاص بالدراسة والمناقشة ، انظر تاريخ التربية الاسلامية لاحمد شلبي ص : 67 .

(9) ابن السبكي : طبقات الشافعية ج 5 ، ص : 165 .

منهاجها الدراسي ، ذلك لاستقلال اوقافها من جهة ، وتخصيصها بأهل الحديث من جهة اخرى .

وعليه فان نظام المدارس العامة معروفا فى العهد السلجوقي ، فان نظام المدارس الخاصة قد ظهر الى جانبه فى العهد الزنكي والايوبي والمملوكي ، فبقدر ما كان الاول عاما شاملا فى مناهجه ومصادر نفقاته كان الثاني خاصا فى مناهجه ونظام نفقاته .

غير انه لا ينبغي ان يفهم من نظام المدارس السلجوقية ، انها اهملت الحديث بتاتا كما انه لا ينبغي ان يسبق الى الاذهان، ان نظام دور الحديث فيما بعد ذلك مقتصر على الحديث دون العلوم الاخرى المعينة على فهمه، وانما كانت المدارس فى العهد السلجوقي تصرف عنايتها الكبرى الى دراسة الفقه وعلم الكلام ، فكانت بسبب ذلك ضعيفة الانتاج بالنسبة للحديث وعلومه ، والدليل على ذلك ثقافة المتاثرين بذلك النظام ، كالامام الجويني والغزالي والباقلاني والرازى وغيرهم ، ولما جاء العهد الزنكي ، وبعده العهد الايوبى ، عرف العالم الاسلامي نظاما آخر فى التعليم الى جانب هذا النظام الموروث ، ذلك هو نظام دور الحديث الذي ركز جهوده على الحديث وعلومه عكس الاول ، حتى أعاد الى السنة ذلك الازدهار الذي عرفته فى القرون الثلاثة الاولى حفظا ورواية ودراية واستنباطا .

ولو أطلنا التأمل فى هذا النظام ، لوجدناه فى الحقيقة انتصارا جديدا لتيار الحنابلة المحدثين على خصومهم الاشاعرة والماتوريديين كالذي كتب لهم أيام امامهم احمد بن حنبل على خصومهم المعتزلة ، سلف الاشاعرة فى الاعتماد على البراهين العقلية الى حد ما فى ميدان علم الكلام، ومع ذلك فقد كتب النصر لمنهج الاشاعرة فى الاخير ، ويتجلى ذلك فى المنهج الدراسي المتبع فى علم الكلام الى الآن .

ويتاكد استقلال هذه الدور فى ميزانيتها بنظام النظار المشرفين على تنظيم مواردها ومصاريفها ، وتنحصر مواردها فى ربع العقارات المحبسة عليها ، ويتمثل ذلك فى الدور والحوانيت والاسواق والحمامات والحقول والبساتين ، ويتولى الاشراف عليها موظف سام يسمى الناظر ، وتسند هذه النظارة عادة الى شيخ الدار نفسه ، او الى شيخ آخر مقتدر على حفظ الاوقاف وتنميتها وترميم ما اندثر منها ، فأما ضبط الموارد فقد

كان يتعرض كغيره ـ لعوامل النظام مرة ، ولعوامل الفوضى مرة اخرى ، فاحيانا تسند وظيفة الناظر على اوقافها الى العلماء والامناء الصالحين ، امثال الحافظ عبد الرحمن بن رجب (10) والامين الكبير حسن باشا (11) وغيرهما من الذين يخافون الله فتزدهر الدور بسبب ذلك وتنشط الحركة العلمية بها ، وتعمر بكثرة الواردين والصالحين ، واحيانا تسند هذه النظارة الى بعض من لا اخلاق له من الناس ، فينهبها ويصرف ربع الاوقاف حسب هواه فتعجز الدور عن مواصلة سيرها وتصبح بعد حين خرابا ، وما اكثر ما أصيبت أوقاف هذه الدور بنظار ناهبين .

واما ضبط المصاريف فأساسه القانوني راجع الى الشروط التي نص عليها الواقف فى وثيقة الوقف ، وهي شروط تتمتع باحترام كبير فى نظر الشريعة وعرف المسلمين ، لدرجة انهم ينزلونها منزلة النصوص التشريعية التي لا يجوز تغييرها ولا تبديلها .

تنفيذا لهذه الشروط نلاحظ النظار فى كتب الوقفيات يجددون وينفذون بدقة أوجه المصاريف المشار اليها فى شرط المحبس ، لذلك نراه لا يتعدى مثلا المقادير المخصصة لاجور الشيوخ والمعيدين والائمة والمؤذنين والمكافآت العلمية ومنح الطلبة وشراء الحصر والادوات والاوراق والحبر والاقلام والشمع والبخور واستنساخ الكتب ، وما خصص لاعداد الطعام للضيوف والواردين عليها ، والقائمين بالاطعام فيها ، وغير ذلك من أوجه الاحسان المنصوص عليها فى الوثيقة (12) والتي تختم فى الغالب بالعبارة التالية : « من بدل وغير فالله حاسبه » او بالآية الكريمة : « فمن بدله بعد ما سمعه فانما ائمة على الذين يبدلونه » .

ومن الطريف جدا ان نجد فى بعض الوقفيات التنصيص على النصيب المخصص للانفاق على الديوك التي توقظ المؤذنين بالاسحار ، اهتماما منهم بالشؤون الدينية والعلمية .

---

(10) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد التاسع عشر ص : 442 .
(11) المحبي : خلاصة الاثر ج 2 ص : 25 .
(12) ابن بدران : منادمة الاطلال ص : 28 .

## طبقات الموظفين بها :

يستفاد من بعض الوثائق التي عثر عليها ان هناك هيئة مركبة من رجال التعليم والادارة تسير شؤنها ، كل فى دائرته الخاصة به ، وينتمي لهيئة التعليم بها أنواع من الموظفين ، منهم الشيوخ والمعيدون والقارئون والمستملون ، كما ينتمي الى هيئة الاداريين بها موظفون آخرون ، منهم النظار والقيمون والائمة والخزنة والمؤذنون والبوابون والوراقون والطباخون ، واعلى هؤلاء جميعا فى السلم الاداري والاعتبار التعظيمي هم الشيوخ ، لانهم يمثلون دور العلم والمربين لجميع طبقات الشعب ، ومن اشهر الشيوخ الذين تولوا مشيخة دور العلم فى عصور مختلفة ، ابن عساكر وابن دحية وابن الصلاح والنووي وابن السكن وابن دقيق العيد وابن سيد الناس والمنذري والعراقي والذهبي والبرزالي وابن تيمية وابن كثير وابن حجر وغيرهم من رجالات العلم الصحيح والدين المتين والورع الصادق والجهاد المشهور .

## شروط المشيخة بها :

يعتبر مذهب المشيخة فى دور الحديث ، اكبر مذهب تعليمي وديني لان الشيخ هو الذي يترأس المجلس العلمي الذي يستشار ويستفتى فى الامور الصغيرة والكبيرة على السواء ، واحيانا يتسامى هذا المنصب على منصب القضاء والامارة فى نظر المسلمين بوصفه المثل الحقيقي للسلطة الشرعية ، وقد سجل التاريخ للابطال من الشيوخ مواقف رائعة فى الدفاع عن الاسلام والمسلمين ولاهمية هذا المنصب علميا ودينيا واجتماعيا ، كان لا يصل اليد من العلماء الا من فاق اقرانه فى الحفظ والنباهة ، والتمكن من الحديث وعلومه ، حائزا بعلمه وسلوكه رضى الجميع . مستوفيا الشروط التي يشير اليها الواقف فى وثيقة التأسيس للدار .

ومن الشروط العلمية لهذه المشيخة ، ان يثبت علميا تمكين المرشح من علوم الحديث واستحضار متونه ، ومن اجل ذلك يلجاون الى اختبار الشيخ قبل ترشيحه فى ملأ من الناس بأساليب كثيرة فى طليعتها مجموعة من الاحاديث وقلب اسانيدها على غرار ما امتحن به الامام البخاري شيخ

المحدثين ، وقد امتحن ابن دحية المحدث المغربي من طرف الايوبيين بمثل ما امتحن به البخاري ، فاثبت للحاضرين امامته فى الحديث كما اثبتها البخاري لاهل بغداد .

ومن الشروط الاجتماعية والطائفية لهذه المشيخة استراط ان يكون الشيخ أشعريا (13) اذا كان المؤسس أشعريا ، واشتراط ان يكون حنبليا اذا كان المؤسس خنبليا ، كما يتضح ذلك من اوقاف المدرسة الاشرفية بالنسبة للاشاعرة ، والمستنصرية بالنسبة للحنابلة وهلم جرا ، وقد لا يتعرض الواقف فى وقفه لذكر هذا النوع من الشروط او يتغاضى عن ملاحظة مثل هذه الجزئيات ، غير ان العلماء من الطائفين يحرصون كل الحرص على اشتراطه وتطبيقه .

وعلى كل حال فالشرط العلمي ، والكفاءة التدريسية اذا قويت فى الشخص ، غطت على الجوانب الخرى منه ، وحبب الى الناس ، وعلى العكس من ذلك اذا كان الشخص قليل الكفاءة وعين لمشيخة دار الحديث فان العلماء والعامة يظهرون عدم رضاهم به ، ويعلنون سخطهم فى الناس واستنكارهم لذلك فى عبارات شعبية ملحنة ومثيرة مثلما وقع لعلاء الدين مغلطاى ، حينما عين فى مشيخة دار الحديث الظاهرية ، فقابله الناس بالسخرية والاستهزاء ، قائلين ومنشدين : ويه ويه ويه ، تولى تولى درس الحديث مغلطية (14) .



## ورع الاعلام من شيوخها :

ويطبع حياة الاعلام من شيوخها ورع لم يعهد له نظير الا فى رجال القرن الاول والثاني، ذلك انهم يتورعون حتى عما يحل لهم اخذه من الاجور واستعمال المواقف المباحة ، وقد ثبت عن القاسم ابي محمد بهاء الدين ابن عساكر ، وهو من شيوخ دار الحديث النورية ، انه كان لا يتناول عن مرتبة شيئا ، وانه جعله كله لمن يرد على الدارس من الطلبة والعلماء وانه فوق هذا لم يثبت له انه شرب من مائه ولا توضأ منه (15) .

---

(13) ابن السبكي : طبقات الشافعية ج 5 ص : 251 .
(14) المقريزي : السلوك ج 2 ص : 375 .
(15) الدكتور اسعد اطلس : مجلة المقتطف عدد 104 ، سنة 1944 .

ومثله الشيخ الامام النووي رحمه الله ، فقد كان شيخ دار الحديث الاشرفية مدة طويلة ولكن ورعا منه ، لم يثبت انه استغل نفوذه الروحي فى شيء ، من متاعها ، ولا بحث عن مقابل مادي لاعماله ، بـل كان يتـرك مرتبه يجتمع لدى الناظر ، حتى اذا تجمع منه مبلغ لا بأس به اشترى بـه املاكا وكتبا واوقفها على الدار ، وكان الى جانب هذا لا يقبـل من أحـد شيئا الا ممن ليست به علاقة اقراءا او انتفاعا ، قصد الخروج من حديث « اهداء القوس » (16) وكان يقنع بالقليل مما يبعث به اليه والده ، ويرى نشر العلم متعينا عليه ، واخذ الاجرة عن الامور المتعينة مكروه فى نظـر العلماء الورعين أمثال الامام النووي رحمه الله .

وقد تحمل هؤلاء الاعلام فى سبيل العلم ـ الى جانب عبء الورع ـ عبء الانقطاع والملازمة الشديدة للدرس ، عكس ما كان عليه رجال السلف، لانهم ادركوا ان واجب نشر العلم ، اصبح متعينا عليهم بعد ان قل العلماء وقل المخلصون ، ولذلك قيل عن الحافظ ابن عساكـر ، انه لـزم دار الحديث النورية الى حين وفاته ، غير ملتفت الى غيرها ولا متطلـع الى زخرف الدنيا ولا ناظر الى محابس دمشق ومنتزهاتها ، بل لم ينقطـع عن نشر العلم ، والتعبد بأنواع العبادة من صلاة وصيام واعتكاف وصدقة ، وتشييع جنازة وصلة رحم الى ان قبضه الله (17) .

وسيرة الانقطاع للعلم ، لم تكن معروفة عند السلف الاوليـن ، اذا استثنينا منهم أمثال الامام مالك ، لوفرة أهله فى ازمانهم ، وتوفر اسباب التعاون على جميع اوجه الحياة العامة فيما بينهم ، وقلة التكاليف التي تسود مظاهر حياتهم ، ومن ثم نجد أحدهم يتصدى لنشر العلم الى جانب مشاغل أخرى كالتجارة والقضاء والقيادة ، كالذي كان عليه أبو حنيفة وابن المسيب ، وأبو يوسف ، وأسد بن الفرات ، وغيرهم من ائمة السلف .

---

(16) وحديث « اهداء القوس » روى عن جماعة من الصحابة ، وهو ان ابي كعب رضي الله عنه علم رجلا القرءان فاتى اليمن ، واهدى له قوسا ، فذكر ذلك للنبي ( ص ) فقال له : « ان اخذتها فخذ بها قوسا من النار » .

(17) ابن السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص : 277 .

## جهادهــم خارجهــا :

وقد يفهم من انقطاع بعض الشيوخ عن صخب الحياة العامة ، وشدة انصرافهم للتدريس انهم منعزلون بتاتا عن مصالح المسلمين ، وملازمون لحياة الرهبانية ، لا يتجاوزون بنشاطهم المساجد وقاعــات الــدروس ، والواقع انه ان كان بعضهم مضطرا الى نوع من العزلة فرارا بدينه ، فان بعضهم الآخر قد تجاوز نشاطه حدود المدرسة الى مجال الحياة العامة ، وساهم فى الحياة السياسية والعسكرية ، وخير مثال لهذا النشاط العام خارج المدارس ما قام به الامام النوري فى باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومواجهة الجبابر ، والمفسدين بالانكار والنص لهم بالتي هــي احسن (18) ، وما قام به ابن تيمية من الادوار الديبلوماسية مع التتارين والمساعي العسرية مع الصليبيين (19) .

## شهرتهم فى العالم الاسلامي :

ولم يكن انقطاع شيوخ دور الحديث للعمل العلمي الجاد ليحصــر شهرتهم داخل نطاق خاص بل على العكس من ذلك كانت خدمتهم الصادقة للعلم درسا وتأليفا ، العامل الاساسي ، لانطلاق شهرتهم عبــر الآفــاق ؛ ولخلود آثارهم المباركة فى العالم الاسلامي الى الآن ، فقد طلب غيرهم من العلماء الشهرة بالعلم ، فاضمحلت آثارهم بعد موتهم ، أما هم فطلبوا بــه وجه الله ، فخلد بذلك آثارهم فى العالمين الى اليوم ، فقد جاهــدوا فى الله حق جهاده ، وحملوا راية العلم والاصلاح ، وتحملوا المشاق فى سبيل الذب عن الدين ، الفوا الكثير من المجلدات فى مختلف العلوم ، وعبــدوا بذلك طرق العلم والعرفان ، وسهلوا مسالك الرواية الدراية والاستفادة من علوم الاقدمين ، ومن تتبع اسماء المؤلفين فى المكتبات الاسلاميــة وتصفح قوائمها بامعان ، يدرك ان غالب المؤلفين لمجلدتهــا الضخــام ، ولنفائسها الشهيرة ، ينتمون الى الاجيال التي تخرجت من دور الحديث منذ القرن السادس وما بعده ، كما يدرك ان تلك المؤلفات ؛ ما كان ليكتب

---

(18) السنحاوي : ترجمة الامام النووي ، ص : 37 ـ السيوطي : حسن المحاضــرة ج 2 ، ص : 66 .

(19) محمد ابو زهــرة : حيــاة ابن تيميــة ص : 36 .

لها هذا الخلود ، لولا اخلاص المؤلفين لها ، ولولا عناصر الجودة والتنوع التي توفرت عليها ، فهذه مؤلفات ابن عساكر والنووي وابن الصلاح تمهد طريق المحدثين ، وهذه مؤلفات ابن تيمية وابن القيم تستعرض جميع المباحث الاسلامية فى ترتيب وصفاية جديدة . وهذا ابن كثير يبدىء ويعيد فى ميدان التفسير بالمأثور ، وهذا ابن حجر ، والسيوطي يحددان كل ما الف فى مداني التفسير والحديث الى غير ذلك من المميزات التي تزخر بها مؤلفات شيوخ دور الحديث المنتشرة فى انحاء المعمور .

### امتيازهم بظاهرة الحفظ :

وقد انتعشت ظاهرة الحفظ من جديد ، بفضل المناهج المتبعة فى دور الحديث والاساليب التي استعملها شيوخها الابرار ، لاحياء ما عرف به الشيوخ فى القرون الثلاثة الاولى من الحفظ الغزير ، وخاصة بين الطلبة الشبان الذين اقبلوا متنافسين على استظهار الآلاف من الاحاديث بأسانيدها وعللها ، تحدوهم الرغبة فى التقرب الى الله بحفظها والعمل بها حتى برز منهم عشرات من الحفاظ امثال المزي وابن دقيق العيد والسيوطي وابن تيمية والذهبي والعراقي وابن كثير وابن حجر وآخرين . ويؤكد هذا الامتياز باصدار من بعضهم فى حق البعض الآخر من شهادات تدل على علو كعبهم فى هذا الميدان ، فقد قال الحافظ الذهبي بنفسه : « احفظ من رأيت أربعة ، ابن دقيق العيد والدمياطي ، وابن تيمية ، والمزي ، فابن دقيق العيد افقههم فى علوم الحديث ، والدمياطي اعرفهم بالانساب ، وابن تيمية احفظهم للمتون ، والمزي أعرفهم بالرجال » (20) .

وقال تاج الدين ابن السبكي فى الذهبي شاهدا له بالحفظ والتفوق « اشتمل عصرنا على اربعة حفاظ ، المزي والبرزالي والذهبي والشيخ الوالد ، فاما ابو عبد الله ، فهو امام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا ، وشيخ الجرح والتديل ، فهو الذي اخرجنا من هذه الصناعة ، وادخلنا فى عداد الجماعة ، وقال متحدثا عن والده (21 « واستحفافه لمشيخة

---

(20) ابن تيمية : العكاوي الكبرى ج 1 « ى » .
(21) ابن السبكي : طبقات الشافعية ج 5 ص : 216 .

دار الحديث الاشرفية ، ومميزات بعض شيوخها الآخرين ، فالذي نراه انه ما دخلها أعلم منه ، ولا احفظ من المزي ، ولا من النووي وابن الصلاح » (22) .

وقد قال ابن تيمية من بين هؤلاء جميعا درجة من الحفاظ والاطلاع، جعلت العلماء المعاصرين له يتفقون جميعا على التنويه بحفظه واستحضاره الغريب واطلاعه الواسع على ما هو معروف فى عصر من العلوم وفى شأن ذلك يقول الحافظ المزي : «ما رايت مثله ، ولا أرى هو مثل نفسه» وقال الحافظ اليعمري عنه : «انه كان يستوعب السنن والاثار حفظا وقال فيه ابن الزملكاني : « كان ابن تيمية اذا سئل عن فن من الفنون ، ظن الرائي والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن » وقال فيه ابن السبكي : « ابن تيمية غريب المثل فى هذا الزمان بل فى أزمان » وقال فيه الحافظ الذهبي : « كل حديث لم يعرفه ابن تيمية فهو غير صحيح » وقال أيضا عن حفظه : لما كان ابن تيمية معتقلا بالاسكندرية ، التمس منه صاحب سبتة ان يجيز لاولاده ، فكتب فى ذلك نحوا من ستمائة سطر ، منها سبعة احاديث بأسانيدها ، والكلام على صحتها ومعانيها ، وبحث وعمل ما اذا نظر فيه المحدث خضع له من صناعة الحديث عمل ذلك كله من حفظه من غير ان يكون عنده ثبت او من يراجعه » (23) .

وهذه الشهادات فى مجموعها تدل على عدة أشياء بالنسبة للحفاظ فى عصو دور الحديث ، منها :

1 ) ان عدة هؤلاء الحفاظ تجاوز العشرات .

2 ) ان المقصود بحفظهم لا يعني حفظ المتون فقط ، بل يعني استحضار كل ما يتصل بعلوم الحديث الى جانب حفظ المتون ، وهو المفهوم الصحيح للحافظ فى عرف المحدثين الاولين .

---

(22) ابن السبكي : طبقات الشافعية ج 6 ص : 246 .

(23) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 288 – ابن رجب : الذيل على الطبقات ج 2 ، ص : 347 .

3 ) ان هؤلاء الحفاظ وان نالوا جميعا لقب الحافظ الا أنهم يتفاوتون في حفظهم وفي مستوياتهم العلمية ، وفيما يميل اليه احدهم اكثر من غيره .

4 ) ان حفظ هؤلاء رغم ما بينهم من التفاوت ، لا يقل عن حفظ الاوائل من المحدثين اذ كلهم حفاظ ، ولقب الحافظ لا يطلق في عرف المحدثين الا على من استكمل شروطه .

ومما يؤسف له ان توقف الحفظ ، وختمت سلسلة الحفاظ بابن حجر ، وعجز الناس في العصور المتأخرة عن ان تربط حفظها بعصور السلف ، كما فعل ذلك شيوخ دور الحديث ، وقد قال السخاوي في الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر (24) : « والله ما رأيت احفظ من صاحب الترجمة يعني الحافظ ابن حجر ، وهو ما راى احفظ من شيخه ابي الفضل العلائي ، وهو ما راى احفظ من شيخه المزي ، وهو ما راى احفظ من الدمياطي ، وهو ما راى احفظ من المنذري ، وهو ما راى احفظ من ابي الفضل المقدسي ، وهو ما راى احفظ من الحافظ عبد الغني المقدسي ، وهو ما راى احفظ من ابي موسى المديني ، الا ان يكون ابا القاسم ابن عساكر ، لكن لم يسمع منه ، انما رآه وهما ما رايا أحفظ من اسماعيل التميمي ، وهو ما راى احفظ من الحميدي ، وهو ما راى احفظ من الخطيب البغدادي ، وهو ما راى احفظ من ابي نعيم الاصبهاني ، وهو ما راى احفظ من ابي اسحاق ابراهيم بن حمزة ، وهو ما راى احفظ من ابي جعفر بن يحيى بن زهير التستري ، وهو ما راى احفظ من ابن زرعة الرازي ، وهو ما راى احفظ من ابي بكر بن ابي شيبة ، وهو ما راى احفظ من وكيع ، وهو ما راى احفظ من سفيان ، وهو ما راى احفظ من مالك ، وهو ما راى احفظ من الزهري ، وهو ما راى احفظ من ابن المسيب ، وهو ما راى احفظ من ابي هريرة ، وقد أملى ابن حجر في دور الحديث بمصر نحو الف مجلس الى أن مات سنة 852 هـ .

وهذه السلسلة تدل على استمرار سنة الحفظ ووفرة الحفاظ وتفاوتهم في الحفظ الى ايام ابن حجر في أواخر عصر دور الحديث .

---

(24) ابو الاسعاد : فهرس الفهارس ج 1 ص : 238 .

## وسائلهم فى اكتشاف الحفاظ :

وللتعرف على الحفاظ ، اعتاد الشيوخ المحدثون منذ القرن الثالث ان يعقدوا مجالس لاختبار أهل الحديث على ملأ من العلماء وعامة الناس ، وبواسطة هذه المجالس يكتشف مقدار حفظهم للمتون ومدى استحضارهم للاسانيد وعللها ، واشهر من عقد له مجلس من هذا النوع الامام البخاري حين قدم على بغداد عاصمة العلم فى عصره ، ثم ابن دحية المغربي فى المشرق حين جمع له بنو ايوب علماء الحديث ، وقدموا له أحاديث كثيرة، حولوا متونها ، فأعاد المتون المحولة ، وعرف عن تغييرها ، وذكر الاحاديث على ما هي عليه من متونها الاصلية (25) ثم ابن عات الذي امتحن فى بيت الطلبة بمراكش فى كتاب مسلم (26) وغيرهم من الذين برهنوا عن حفظهم واستحقاقهم عن جدارة لقب الحافظ .

وهذه الطريقة نفسها هي التي استخدمها الملوك المؤسسون لدور الحديث فى سبيل اكتشاف الحفاظ وقد سلكها كل من الملك الكامل ، والملك الاشرف مع ابن ابي الرجال اليونيني وتناظرا معه فى فنون من فنون العلم ، حتى أعجب به الكامل ، وارادوه لمشيخة داره ، الا ان الاشرف تحيل على ذلك ، واستبقاه لنفسه ومنعه من الذهاب الى مصر .

والى جانب هذه المجالس التي كانت تعقد لاختبار أهل الحديث واكتشاف الحفاظ ، هناك مجالس اخرى مماثلة ، تعقد للمناقشة العلمية، والمناظرات حول ما يسمى بمسائل الخلاف العالي ، وهذا النوع من المجالس ، يتداول كثيرا بين علماء المشرق ، وقد اثبت منه الامام ابن العربي المعافري نماذج رائعة فى كتابه أحكام القرءان ، كما حكى بالاندلس الامام ابن عبد البر فى كتابه « جامع بين العلم » .

ومن محاسن دور الحديث انها شجعت هذا النوع من المناقشات العلمية التي تستهدف تصحيح الافهام والبحث عن الصواب ، منها المناقشة الواقعة بين أبي عمرو ابن الصلاح ، وبين عز الدين ابن عبد

---

(25) اليافعي المكي : مركبة الجنان ج 4 ص : 155 .
(26) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ، ص : 290 .
(27) الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف ص : 52 ــ 53 .
(28) أبو الاسعاد : فهرس الفهارس ج 1 ص : 398 .

السلام حول صلاة الرغائب والنصف من شعبان فقد اقرها الاول وأنكرها الثاني وسبق كل واحد منهما مسبقا فى الرد على الآخر ، مما أثار تدخل الامام النووي الذي قال فى الموضوع : « قاتل الله واضعها » مع انهما الى هذا الزمان يصليهما أهل اليمن ، ولعمرى انهما لو فعلا فى عهد الرسول ( ص ) واصحابه ، لاستفاض ذلك ، واذا لم يرد فعل ذلك وما تضمنه من الشعائر كان بدعة ينبغي فيها الانكار ، وليس لحسن الظن مدخل فى احداث شعار لم يكن فى الاسلام مؤيدا بذلك التدخل نظرية عز الدين ابن عبد السلام التي نالت استصواب المحققين (29) .

ويشبه هذه المناقشة ما وقع بين الحافظ المزي ، والحافظ الذهبي فى بعض المباحث النظرية والقواعد الكلامية التي يعضد بها الذهبي ما يقرره ويسلكه من الطريقة السلفية فى الفقه الاسلامي (30)

## تحريهم فى الاسماع :

ويفضل التحري الذي اعتاده شيوخ دور الحديث فى الاخذ والتلقين، حفظ العلم ، وبقى السند فى هذه الملة صحيحا سليما ، وكانت ظاهرته معروفة عند المحدثين منذ عصر الصحابة وكان احدهم لا ينال درجة الامام الا اذا كان معروفا به فى السماع والاسماع كالامام مالك ، بل ما علم الليث الا بسبب عدم التحري فى الاسماع ، وما بقي علم مالك الا بفضل التحري المعتاد عنده فى الاسماع .

وللتحري فى الاسماع صور متعددة فى عرف المحدثين ، منها المحاضر التي يستعملها الشيوخ المحدثون ويسجلون فيها كل الذين حضروا مجلس املائهم وسماعهم المملي ، وتاريخ سماعهم ومكانه ضبطا للرواية ، ويؤكد هذا ما عثر عليه فى خزانة الاوقاف ببغداد من مخطوطة من كتاب الشفاء للقاضي عياض تشتمل على المجلد الاول فى نسخة عتيقة مذيلة بالنص الاصلي لسماع جماعة بأسمائهم لسائر الكتاب على ابن جبير، وهو يذيل السماع والاجازة بتوقيعه بالخط الاندلسي (31) .

(29) اليافعي المكي : مراة الجنان ج 4 ص : 155 .
(30) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص 290 .
(31) الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف ص : 52 ـ 53 .

ومن صور هذه المحاضر ما ذكر من ترجمة الشيخ مرتضي الزبيدي الذي يعتبر خاتمة الحفاظ بالديار المصرية ، من انه كان يملي على كل من قدم عليه حديث الاولية بروايته ومخرجيه ، ويكتب له سندا بذلك واجازة وسماع الحاضرين ، وكان اذا دعاه أحد الاعيان من المصريين الى بيوتهم يذهب مع خواص الطلبة والمرئين والمستملئين وكتاب الاسماء ، فيقرا لهم شيئا من الاجزاء الحديثية او بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل واصحابه واحبابه واولاده وبناته ونسائه من خلف الستائر ويكتب الكاتب اسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك « صحيح » (32) .

ومنها ما ذكر فى الفهارس والمشيخات من ان يحيى بن يحيى الليثي كان يروي الموطأ عن مالك ، عدا ما فاته سماعه من مالك ، وهو مقدار يسير يرويه عن زياد بن شبطون عن مالك لا عن مالك ، وما ذكر فى فهرست مسند المغرب ابي زيد عبد الرحمن سقين ، من ان مرجع سنده فى صحيح مسلم ابن عبد الدائم ، يرويه عن ابي صدقة الحرائي قال : سماعا خلا من قوله : ثلاث من كن فيه : وجد حلاوة الايمان ، وكتاب الصوم بكماله ، فاجازة ، قال : كان ابن عبد الدائم يحلف انه اعيد له يعني الفوت المذكور ، على شيخه المذكور (33) .

ومما يتصل بالتحري فى الاسماع أيضا ، اختبار مواهب من طلب الحديث ، والتحقق من مدى استعداده للرواية ، وقد ظل المحدثون يحرصون على هذا النوع من الاختبارات طيلة عهود دور الحديث ، ومن ذلك ما ذكره تاج الدين السبكي من ان ابن دقيق العيد من الحفاظ الذين يتحرون فى الاسماع وانه ما اسمع الامام الذهبي الا بعد ان اختبر ذكاءه وتعرف على استعداده ، اذ قال له بعد ما دخل عليه : من أين جئت ؟ فقال مجيبا : من الشام ، ثم قال له : بم تعرف ؟ فقال له : بالذهبي ، ثم قال له : من أبو طاهر الذهبي ؟ فقال له : المخلص ، فقال أحسنت ، ثم قال له : من أبو محمد الهلال ؟ فقال : سفيان بن عينية ، قال : اقرأ ومكنه من القراءة عليه بعد ما رآه بالاسماع (34) .

---

(32) ابو الاسعاد : فهرس الفهارس ج 1 ص : 398 .
(33) ابو الاسعاد : فهرس الفهارس ج 1 ص : 369 .
(34) ابن السبكي : طبقات الشافعية ج 5 ص : 216 .

ويعتبر هذا بالنسبة لدور الحديث بمثابة الاختبارات التجريبية التي تجري اليوم في المعاهد والجامعات لتوجيه ذوي المواهب من الطلبة الى الشعب التي تأهلوا بها .

## وظائفهم ومهامهم :

ولا يقتصر غالب شيوخ دور الحديث على مهمة واحدة ، وفى مؤسسة واحدة ، بل كانوا يعملون فى عدة مدارس ، ويقومون بمهام اضافية اخرى، وربما ينتقلون من مدينة الى أخرى ، ومن قطر الى آخر ، كما يفعل اساتذة الجامعات فى العصر الحاضر ، فشهاب الدين ابن تيمية رحمه الله تولى وظيفة المدرس والواعظ بجامع دمشق الاعظم الى جانب مشيخة دار الحديث السكرية (35) كما ان الحافظ الذهبي تولى مشيخة الظاهرية والنفيسية والتنكيزية والفاضلية والسكرية والصالحية الى جانب خطابة كفر بطنا ، بحيث لم يتنازل هذا الاخير الا حينما تولى مشيخة دار الحديث الظاهرية ، وكان لغزارة علمه وكفاءته فى الحديث ، يخلف الشيوخ فى مهماتهم الاشرافية على دور الحديث ، فقد خلف الامام ابن تيمية فى مشيخة دار الحديث السكريمة بعد موته عام 728 هـ ، وخلف ابن جهبل فى مشيخة دار الحديث للظاهرية عام 729 هـ كما خلف رفيقه البرزالي فى مشيخته النفيسية وامامتها عام 739 هـ (36) .

## طلبتها :

ينقسم الطلبة بدور الحديث الى طبقات ثلاث :

1 ) طبقة المبتدئين .

2 ) طبقة المتوسطين .

3 ) طبقة عليا .

---

(35) مجلة كلية الامام الاعظم ـ العراق ـ العدد : الاول ص : 316 .

(36) كرد علي : كنوز الاجواد ص : 374 .

فطبقة المبتدئين : تضم الطلاب الذين هم حديثوا عهد بالعلم ، والمتوسط فوق السابقة ، والعليا تشمل طلاب المرحلة النهائية من الدراسة ، ويدل على هذا التقسيم ما ذكره تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى خلال حديثه عن شيخه « المزى » بدار الحديث الاشرفية بدمشق اذ قال : « ولما بلغ المزى ذلك ، أمرهم ان يكتبوا اسمي في الطبقة العليا، فبلغ ذلك الوالد ، فانزعج وقال : خرجنا من الجد الى اللعب لا والله ، عبد الوهاب شاب ، ولا يستحق الآن هذه الطبقة ، اكتبوا اسمه مع المبتدئين ، فقال شيخنا الذهبي ، والله هو فوق هذه الدرجة ، وهو محدث جيد ، هذه عبارة الذهبي ، فضحك الوالد وقال : يكون مع المتوسطين » (37) .

وقد تخرّج من هذه الدور عدد كبير من الطلبة المحدثين ، ومنهم من تولى المشيخة بها مثل الحافظ ابن دقيق العيد والامام ابن تيمية وتقي الدين ابن الصلاح ، والحافظ العراقي ، والسبكي واولاده ، واحفاد ابن عساكر ، وابن حجر ، والسخاوي وغيرهم ، ومنهم من ارتوى من علمها وعمل في المجالات العلمية الاخرى مثل عز الدين ابن عبد السلام وابن القيم واضرابهما من المحدثين والعلماء الذين ملأوا الخزانات العلمية بانتاجهم القيم ، ومؤلفاتهم الطافحة بالعلم والحكمة ورفعوا راية العلم شامخة في أقطار العالم الاسلامي الشرقية منها والغربية .

ورغم ان المراجع التي تصفحتها لا تعين طلبة كل دار على حدة الا نادرا ، فقد استطعت أن أسجل بعض الاسماء اللامعة التي تخرجت من بعضها مثل سلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام الذي أخذ عن فخر الدين ابن عساكر بدار الحديث النورية (38) وتاج الدين ابن السبكي والرافعي والغربي وتاج الدين المراكشي وغيرهم ، الساكنين بدار الحديث الاشرفية ايام مشيخة تقي الدين السبكي بها والذين تحدث عنهم ولده تاج الدين ، اذ قال : « انهم كانوا يطالعون في غالب الليل بها فيخرج والده ويجلس معهم فيسمع قراءة ولده تارة ، وقراءة المزي تارة أخرى (39) .

---

(37) ابن السبكي : الطبقات الكبرى ج 6 ص : 253 .
(38) ابن السبكي : الطبقات الكبرى ج 6 ص : 146 .
(39) ابن السبكي : الطبقات الكبرى ج 6 ص : 143 .

ومن طلبة الحديث المستنصرية جمال الدين ابن الشريش الاندلسي الذي قرأ على شيخها ابي الحسن القطيعي ، وقطب الدين سنجر الرومي الذي اشتراه بدر الدين اياز وغيرهما (40) .

ومن طلبة دار الحديث البهائية بحلب ابن خلكان الذي ذكر انه كان من جملة من سكنوا فيها بقصد الدراسة على شيخها ومؤسسها القاضي بهاء الدين ابن شداد ، وممن يترددون عليه فى داره ايام ضعفه ، ليسمعوا عليه الحديث (41) .

ومن طلبة دار الحديث الكاملية الدمياطي وابن دقيق العيد وغيرهما من الذين يدرسون بها لدى الحافظ عبد العظيم المنذري الذي تولى مشيختها مدة عشرين سنة (42) .

ومن طلبة دار الحديث الاشرفية ايضا عبد الرحيم بن ابراهيم بن كاميار (43) ومحمد بن ابراهيم بن يوسف ابن حامد الشيخ تاج الدين المراكشي الموصوف بالانقطاع بها لطلب العلم الى ان لقي ربه (44) .

ولا ابالغ اذا قلت : ان غالب الذين تمشيخوا فيها من طلبتها النبغاء والمتضلعين فى الحديث وعلومه ، ويظهر هذا جيدا للقارىء الكريم ، حينما يعلم مثلا ان ابن دقيق العيد الذي كان بها طالبا لدى الحافظ المنذري ، تولى مشيختها بدوره وتتلمذ عليه عبد الكافي بن علي السبكي (45) ، ومحمد بن سيد الناس الذي يستملىء بها تصانيفه ويفيد طلبته (46) .

والطلبة في دور الحديث سواسية ، لا فرق بين عجمي وعربي ، وحر ومولى ، وذكر وانثى ، والكل يعمل فى دائرته ، ويلقى الاهتمام الاسلامي فى اطاره ، وخاصة المراة المسلمة التي لعبت دورا كبيرا فى

---

(40) حسين امين : المدرسة المستنصرية ص : 18 .
(41) محمد راغب : اعلام النبلاء ج 6 ص : 419 .
(42) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 228 .
(43) ابن حجر : الدرر الكامنة ج 2 ص : 461 .
(44) ابن السبكي : طبقات الشافعية ج 5 ص : 233 .
(45) ابن السبكي : طبقات الشافعية ج 6 ص : 127 .
(46) ابن حجر : الدرر الكامنة ج 4 ص : 210 .

نقل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرها بين المسلمين ، مــن لدن عصر الصحابة رضوان الله عليهم الى ان قل الاهتمـــام بهـذا الفــن الاصيل ، واذا لم تظهر فى حلقات دور الحديث علانية فذلك راجع الى ان الاسلام يمقت الاختلاط والاختلاء بالاجنبية ، متعلمة او معلمة ، والا فابن عساكر ، وهو اول شيخ لاول دار الحديث ، قد عد من شيوخه احــدى وثمانين امراة ، وهذا كاف فى الدلالة على المشاركة الغير المباشرة التي كانت للمراة المسلمة فى النهوض بدور الحديث (47) بحيث استطاعت ان تواكب الحفاظ الكبار ، وتكون المثل الرائع فى الامانة والعدالة ، وتحرز على بعض اصحاب الحديث ونقادهم مثل الحافظ الذهبي الــذي قال فى كتابه : « ميزان الاعتدال فى نقد الرجال » متحدثا عن أمانة المراة المسلمة وعدالتها قولته المشهورة : « وما علمت من النســاء من اتهمت ولا مــن تركوهـــا » (48) .

ودور المراة المسلمة فى نشر الحديث وعلومه مشهور ومعروف قبل دور الحديث وبعدها ، ومساهمتها فى ميدان التدريس ، لا يحتـــاج الى دليل ، فقد اخذ الامام الشافعي رضي الله عنه عن السيدة نفيسة بنت ابي محمد حسن لما دخل مصر (49) ، واخذ ابن خلكان عن ام المؤيد زينــب بنت الشعري ، كما اخذ العالم المصلح المشهور ابن تيمية الحراني عــن فخر النساء شهدة بنت ابى نصر البغدادية التي لها السماع العالــي فى الحديــث (50) .

على ان المراة المسلمة وان لم يكن لها هذا الدور الواضــح الذي نبحث عنه فى دور الحديث فقد ساهمت مساهمة فعالة فى انشاء هــذه الدور ، وحركت بدورها عاطفة نور الدين الشهيد الذي ربط اسمه بهذا النوع وغيره من المؤسسات التعليمية فى الاسلام ، فقد كان رحمـــه الله معاصر للمحدثة الفقهية فى حلب : فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي ، وكان يستشيرها فى أموره الداخلية ، وياخذ عنها المسائل الفقهية (51) ،

---

(47) احمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية .
(48) الذهبي : ميزان الاعتدال ج 3 ص 395 .
(49) ابن خلكـــان : ج 2 ص : 224 .
(50) ابن خلكـــان : ج 1 ص : 657 .
(51) غنيمة : الجامعات الاسلامية ص : 307 .

الشيء الذي يجعلها تكون من الذين حببوا الى نور الدين الاقبال على نشر الحديث وعلومه بين الناس .

### اقبالهـــم على الحفـــظ :

وقد كان لطلبتها اسوة بشيوخهم المشهورين بالعلم الغزير والحفظ الكثير ، فسادت روح المنافسة بينهم ، واقبلوا بكليتهم على حفظ المتون وكتب الصحاح ، وبذلوا جهودهم فى اتباع طريقة فى البحث عن الاسانيد العالية ، والاساليب التي تمكنهم من التفوق على غيرهم فى ميدان الرواية والدراية ، حتى انهم فى بعض الاحيان يقدمون على الاخطار ، ويستعملون بعض الادوية التي تعتقد فيها انها تشحذ الاذهان ، وتقـوي الحافظـة ، وتمنع النسيان ، ومن ذلك ما رواه أحد شيوخ دار الحديث البهائية مـن انه شاهد وهو طالب بالمدرسة النظامية ، اربعة من طلبتها اتفقـوا على استعمال حب البلاذر (52) ، ليعينهم على الحفظ والفهـم ، فاستشاروا بعض الاطباء الجاهلين ، وشجعهم على استعمال قدر كبير منـه ، فلمـا شربوه جنوا وتفرقوا ، ولم يعلم أحد ما وقع لهم ، الا أن واحدا منهـم دخل على الفقهاء فى المدرسة وهو عريان ، فسأله احدهم عن حاله وقال : « كنا قد اجتمعنا وشربنا حب البلاذر ، فاما أصحابي فانهم جنوا ، ومـا سلم منهم الا أنا وحدي ، مظهر العقل والسلامة مما أصاب اخوانه » (53) .

هذا ومن الشروط التي تشترط فى الطلبة بدور الحديث ، التفرغ لعلوم السنة والانتصار لمذهب أهلها ، والتحلي بالآداب النبوية ، والعمل على رد الاعتبار الذي كان للنص التشريعي على تحكيم العل فى أيام السلف الصالح ، الى جانب شروط اجتماعية أخـرى مثـل المحافظـة على اللحـى (54) .

---

(52) البلاذر : حبوب سامة ، تورث الخبال ، ومن ضحاياها البلاذري ، صاحب كتاب فتوح البلدان ، ويعتقد انها مفيدة للحفظ ، انظر معجم الآداب ج 5 ص : 92 .

(53) مجلة المجتمع العلمي العراقي سنة 1954 .

(54) محمد راغب : اعلام النبلاء ج 3 ص : 222 .

## مكتباتها :

أما مكتباتها فهي عديدة وعظيمة ، وحافلة بالكتب العلمية في مختلف الفنون ، وتعتبر العنصر الاساسي للانشطة الثقافية والانظمة التعليمية بدور الحديث ، وتزود بالكتب من طرف المؤسسين والمحسنين من الملوك والامراء والاغنياء ، ومن بعض شيوخها ممن وقفوا كتبهم لها ، وتنازلوا عن مرتباتهم لصالح مكتباتها ، مثل ما فعل الامام النووي (55) وابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الهندي (56) وأبو العباس احمد بن شمس الدين ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبي (57) ، وغيرهم من الشيوخ الكرام الذين وقفوا كتبهم على دور الحديث .

وللأسف الشديد نهبت تلك المكتبات كلها ، كما نهبت الدور نفسها في المصائب العظمى التي عانت منها الشيء الكثير ، وقد احرق جلها ، وشتت الباقي في خضم الاحداث القاسية ، والفتن الحالكة التي عرفها تاريخ هذه المؤسسات العلمية المليء بالمآسي والفواجع، بحيث لم يبق من آثارها اليوم الا ما تجلى في الظاهرية بدمشق ، والمستنصرية ببغداد (58)

وقد تحدث السيد محمد كرد علي عن فتنة تيمورلنك الواقعة سنة 803 هـ فقال : « ان النار ظلت تحرق دور دمشق ومدارسها وجوامعها في الفتنة التيمورية ثلاث أيام (59) مما ادى الى احراق العدد الكثير من كتب دور الحديث والمدارس المختلفة » .

## مناهجها :

يستفاد من اسم دور الحديث ، ومن الشروط التي يشترطها المحبسون عليها أن نوع التعليم بها عال وتخصصي في آن واحد ، فكونه

---

(55) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 259 .
(56) النعيمي : الدارس من المدارس ج 1 ص : 130 .
(57) النعيمي : الدارس من المدارس ج 2 ص : 141 .
(58) حسين أمين : المدرسة المستنصرية ص : 122 .
(59) محمد كرد علي : خطط الشام ج 6 ص : 178 .

عاليا يقتضي أن لا يقبل بدار الحديث الا من سبق له التعليم في مؤسسات اخرى ، وتزود من العلوم بقدر ما يؤهله للتخصص في علوم الكتاب والسنة وكونه تخصيصا يقتضي ان لا يدرس فيه من المواد الا ما له صلة وثيقة بالحديث وعلومه أو علوم التفسير أو الآلة ، أما فنون الآداب او الفروع الفقهية والمنطق فأهميتها ثانوية في منهاج هذه الدور ان لم تكن ممنوعة ومحرمة كما هو شأن بعض شيوخها بالنسبة للفلسفة والمنطق ، ذلك ان المنطق وان كان في أصله انسانيا ، الا انه في شكله يوناني فهو صنعة عقلية، ذات صلة متينة بالفلسفة ، والفلسفة بطبيعتها تختلف مع مبادىء الدين ، لكونها تعتمد على العقل اعتمادا كليا ، بينما الدين يقيد العقل ويجعله تابعا لا متبوعا .

وقد تأثر الملمون بسلطان الفلسفة والمنطق منذ القرن الثاني . لدرجة ان اعتبره الغزالي بعد ذلك ـ وهو من أساطين العلم في الاسلام ـ معيارا لكل العلوم ، وقال في شأنه : « من لا معرفة له بالمنطق لا فائدة بعلمه » هكذا سيطر المنطق على عقلية بعض علماء الاسلام ، أمثال الغزالي والآمدي والباقلاني والجويني ، وكل الذين لهم صلة بالتيار الاشعري في بعض جوانبه برواسب المعتزلة ، لان ابا الحسن كان معتزليا في اول أمره. وماهرا بافانين كلامهم في الجدل وان خالفهم فيما بعد في الآراء (60) .

واذا كان الغرض من انشاء دور الحديث هو انعاش الحديث ، علمنا من ذلك ان اهل الحديث من أيام أحمد بن حنبل كانوا يمثلون نزعة مضادة لكل الفرق الكلامية التي تتخذ من المنطق السلم الاول في الدفاع عن آرائها ، ولاجل هذه النوعية نرى كثيرا من رجال السلف المتأثرين بتيار المحدثين يكرهون المنطق ، ويمنعون من الاغترار بمقدماته واشكاله كابن حزم وابن ابي زيد القيرواني وابن الصلاح والنووي ، وقد تجدد الخلاف حول المنطق في ايام هذين الاخيرين وقررا رأيهما فيه بالتحريم ، وحكما بضرر المنطق بالعقائد الدينية ، لكنها ، لم يثبتا عقمه وضرره بالبرهان ، ولم يحاولا تقويضه من اساسه ، حتى جاء ابن تيمية فألف كتابا خاصا سماه المنطق ، فكان بذلك آخر من ناصر الاتجاه الحنبلي ضد المنطق ، واول من اكتشف عقمه عقليا قبل ان يكتشفه ( ديكارت ) بما يزيد على اربعة قرون .

---

(60) الغزالي : المستصفى ج 1 ص : 10 .

على ان الشعور بعقمه كان قديما فى رجال السلف الاولين ، واحسن ما يصور لنا ذلك ، المناظرة التي وقعت بين ( متى ) الفيلسوف النصراني، وابن سعيد السرافي فى مجلس الوزير ابن الفرات ، والمناظرة بتمامها فى كتاب ( الامتاع والمؤانسة ) لابي حيان (61) .

وعليه فالمنهج الدراسي فى دور الحديث ، يخالف المناهج المعهودة فى المدارس الكبرى القديمة وان كانت هي التي ترعى الثقافة الاسلامية بصفة عامة ، ولهذه المخالفة مظاهر مختلفة منها :

1 ) التقليل من المنطق الصوري دون التنكر للعقل وادلته .

2 ) الترفع عن الابحاث الفرعية فى القضية ، ومحاولة استنباط لاحكام من النصوص الشرعية راسا .

3 ) الاعتماد الكلي على استقراء النصوص المقابلة بينها ؛ وقد كان لهذا الاتجاه الجديد فى البحث مزايا كثيرة ، تتجلى فى الفكر الذي تتسم به احاديث المحدثين بصفة عامة ، وابحاث ابن تيمية وابن القيم بصفة خاصة.

4 ) الاعتداد الشديد بنقد الحديث سندا ومتنا ، وتقديم ما يستفاد منه من الفقه على المذاهب القائمة (62) .

ومن اجل تركيز المنهاج السلفي فى البحث ، كان لا يسمح بدراسة المواد والكتب التي تتفق وغايتها الخاصة فى الفقه الصحيح فى الكتاب والسنة ، وانما يسمح بدراسة المستوى وكتب اصول الفقه ، وكتب التراجم وكتب أصول الدين « الكلام » وكتب اللغة والصرف ، وما أشبه ذلك مما لا بد منه فى فهم القرءان والحديث .

واشهر الكتب المتداولة فى دور الحديث يومئذ ، كتاب الموطأ والصحيحان ، وجامع الترمذي ، مسند الشافعي ، ومسند الامام أحمد ، ومسند ابن داود وابن ماجة والدارمي، وعلوم الحديث للحاكم النيسابوري، القرءان لابي عبيد ، والجامع بين الصحيحين ، وجامع المسانيد لابن

(61) ابو زهرة : حياة ابن تيمية ص : 245 .
(62) ابن تيمية : القباوي ج 2 ص : 201 .

وابن الصلاح ، ومعجم الطبراني ، ومغازي موسى بن عقبة ، وفضائل الجبوزي ، والحلية والاجزاء بمعرفة الاطراف ، ومعجم البرزالي الذي انشأ فيه الذهبي البيتين المشهورين :

يا طالبا بغية الشيوخ وما راوا ورووا على التفصيل والاجمال ،
دار الحديث انزل تجد ما نبتغي لك بارزا من معجم البرزالي (63)

ويضاف الى هذه المراجع الكتب الاخرى ، التي يؤلفها شيوخ دور الحديث الكبار مثل الحافظ العراقي والحافظ المنذري ، والنووي وابن الصلاح وابن تيمية ، وابن سيد الناس وابن حجر وغير هؤلاء الشيوخ الذين يجمعون املاءاتهم ومحاضراتهم العلمية التي يلقونها على طلبتهم بدور الحديث كما يفعل أساتذة الجامعات العصرية اليوم في مختلف الاقطار .

ويزيد على هذه المواد ايضاحا ، ما ذكره النووي عن نفسه من انه حدث بالصحيحين وسنن ابن داود والدارقطني وشرح السنة للبغوي والرسالة القشيرية وصفوة التصوف والحجة على تارك المحجة وشرح معاني الآثار للطحاوي كلها سماعا وبحثا بدار الحديث الاشرفية (64) . وما نقل عنه الشيخ ابو الحسن العطار من انه قال : انه كان يقرا كل يوم اثنى عشر درسا ، درسا في الجمع بين الصحيحين ، ودرسا في مسلم ، ودرسا في اللمع لابن جنى ، ودرسا في اصلاح المنطق ، ودرسا في التصريف ، ودرسا في أصول الفقه ، ودرسا في أسماء الرجال ، ودرسا في أصول الدين ، ثم خطر لي ان اشتغل في الطب واشتغلت في كتاب القانون ، واظلم قلبي ، فبعت القانون فنار قلبي (65) .

## مجالس التحديث بها :

ومنذ العصور الاولى للتحديث والمحدثون يحرصون على تمييز مجالس التحديث عن غيرها من مجالس المذاكرة العلمية العامة ، ومعنى ذلك ان مجالس التحديث تمتاز عن غيرها بالمزيد من الضبط والامانة والاتقان والمهابة والاحترام ، لانها مجالس الرواية والتبليغ عن رسول الله

(63) ابو الاسعاد : فهرس الفهارس ج 1 ص : 156 .
(64) السخاوي : ترجمة الامام النووي ص : 19 .
(65) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 259 .

صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم كانت لا تعقد الا بين اناس أهلتهم مواهبهم العقلية والنفسية لرواية الحديث .

وقد درج عرف المحدث بتمييز مجالس الحديث باستعمال هيئات خاصة ، والفاظ محدودة ، والتزام كيفيات محدودة ، اما فيما يخص هيئات الشيوخ أثناء التحديث ، فقد اعتادوا التطيب وللباس الحسن والوقار الصادق والتخشع البالغ ، لما يغمر تلك المجالس من الفاظ نبوية كريمة ، واكثر المجالس اقبالا وفائدة ، تلك التي تكون خشوعا وتوقيرا كمجلس الامام مالك الذي وصفه بعض الشعراء بقوله :

| | |
|---|---|
| يأبى الجواب فلا يراجع هيبة | والسائلون نواكس الاذقان |
| ادب الوقار وعز السلطان التقى | فهو المطاع وليس ذا سلطان (66) |

واما الالفاظ ، فقد كان المحدثون يحرصون كل الحرص على الاداء الدقيق بواسطة الفاظ اصطلحوا على دلالة كل واحد منها على حدة ، فلفظ حدثنا مثلا ، ومثله اخبرنا وانبأنا وسمعت يدل على السماع المباشر من الشيخ ، ولفظ بلغني ورويت وعن وأن تحتمل السماع الغير المباشر مرة ، والمباشر مرة اخرى بقرائن يعلمها اهل تلك الصناعة .

واما الكيفيات الخاصة ، فنحو الاستفتاح بآيات من الذكر الحكيم ، ثم البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم التزام التصلية عليه كلما ذكر ، والترضية على أصحابه كلما ذكر احدهم وغير ذلك .

وقد تحدث الامام النووي عن النظام المتبع في دور الحديث فقال : اذا كان الدرس درس حديث أو علم من علومه ، فان الطريقة المتفقة عليها والمعتادة بين المحدثين ، هي ان يبدأ الدرس بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، ثم على الشيخ ما عنده ، ويساعده مهل يردد ما يمليه الشيخ حتى يبلغ السامعين خاليا من شوائب الخطأ واغلاط التصحيف ، كما أشار فيما يخص المدرسة الاشرفية الى الطريقة المستحسن اتباعها فقال :

« يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملاء الحديث ، فانه أعلى الرواية ، ويتخذ مستمليا محصلا متيقظا يبلغ عنه اذا اكثر الجمع على

---

(66) السيوطي : تنوير الحوالك ج 1 ص 4 .

عادة الحفاظ ، ويستملي مرتفعا والا قائما ، وعليه تبليغ لفظه على وجهه . وفائدة المستملي تفهيم السامع على بعد ، واما من لا يسمع الا المبلغ ، فلا تجوز له رواية عن المملي الا ان يبين الحال ويستنصب المستملي الناس بعد قراءة قارىء حسن الصوت شيئا من القرءان ، ثم يبسمل ويحمد الله تعالى ، ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحرى الابلغ فيه ، ثم يقول للمحدث : من أو ما ذكرت رحمك الله ، او رضي عنك وما أشبه، وكلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الخطيب ــ ويرفع به صوته ــ صلى الله عليه وسلم ، واذا ذكر صحابيا قال : رضي الله عنه ، واذا ذكر ابن صحابي قال رضي الله عنهما . ويحسن بالمحدث الثناء على شيخه حال الرواية بما هو أهله كما فعله جماعات من السلف ، والاعتناء بالدعاء ، فهو أهم ، ولا بأس بذكر من يروي عنه بلقب او وصف او حرفة او أم عرف بها ، ويستحب ان يجمع فى امكانه جماعة من شيوخه مقدما أرجحهم ، ويروي عن كل شيخ حديثا أو يختار ما علا سنده وقصر متنه والمستفاد منه ، وينبه على صحته وما فيه من علو وفائدة وضبط مشكل ، وليتجنب ما لا تحتمله عقولهم وما لا يفهمونه ، ويختم الاملاء بحكايات ونوادر وانشادات بأسانيدها ، واولاها فى الزهد والآداب ومكارم الاخلاق ، واذا قصر المحدث أو اشتغل عن التخريج بالاملاء ، استعان ببعض الحفاظ ، واذا فرغ من الاملاء قابله وأتقنه ، والله أعلم (67) على هذه الهيئات ليست مما يلزم شرعا ، وانما وقعت من بعض السلف من غير قصد تركا واستحسانا ، ووقعت من الخلف عرفا واعتيادا مقصودا ، فهي ليست من صلب التعليم الشرعي ، وانما هي من ملح للطعام كما ذهب الى ذلك أبو اسحاق الشاطبي رحمه الله ، ويستفاد من هذا النص أشياء كثيرة بالمجالس التي تعضد خصيصا لاملاء الحديث بدور الحديث ، منها :

1 ) ان الاحتفاظ بهذه المجالس امتداد لما يقتضيه السند من تلقي الحديث بأمانة ، ونشره بين الناس سليما خاليا من الاغلاط .

2 ) ان الخلف كانوا يومئذ يستبرئون لدينهم فى الرواية ، ويجتهدون لتبليغ امانة العلم .

(67) النووي : التقريب ص : 29 .

3 ) هذه المجالس يغمرها جو من العصبية والتعظيم تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه التابعين وكل الشيوخ الذين نقلوا الحديث جيـلا بعـد جيـل .

4 ) ان الرواية عن الشيوخ لا تجوز الا لمن يسمـع الالفـاظ من افواههم بكيفة واضحة .

5 ) ان مجالس الاملاء ، كانت تمتاز عن غيرها من مجالس العلم فى عرفهم بما يتخذ لها من اعداد خاص .

6 ) الحرص على تعدد طرف الرواية ، وتأكيد بعضها ببعض ، مع ذكر ما تمتاز به كل طريقة من المحاسن والمطاعن ، وفاء بما يفرضه النقد العلمي النزيه .

7 ) مراعاة مستوى السامعين فيما يشرح لهم من قواعد التحديث وتحقيق مفاهيمه ، وتنشيط تقوسهم بأنواع من الاحماض بذكر النكـت العلمية وحكايات فى الزهد ومكارم الاخلاق . ومجموع ما استفيد من هذا النص يدل على ان مجالس الاملاء فى دور الحديث يومئـذ تتوفـر على مستوى رفيع من التحري والدقة فى التلقين العليين ، وتتمتع بجو مرموق من الآداب التربوية والقواعد الاخلاقية التي تقصر البيداغوجية الحديثـة عـن بلوغـه (68) .

## شهاداتهـا :

لم تعرف الشهادات الدراسية فى العهد الاول للاسلام ، ومع ذلـك فان مجالس التعليم كانت مرهوبة ، لا يقدم عليها الا من استطاع ان يثبت امام مناقشة الطلبة ، ويروى ان ابا حنيفة كان يلتحق حمـاد بن ابـي سليمان ، ثم احسن ان فى مقدوره ان يستقل عنه ، ويكون لنفسه حلقـة يعلم فيها ففعل ، لكن طالبا سأله سؤالا لم يستطيع ان يجيب عنه ، ففض حلقته وعاد الى حلقة استاذه (69) .

---

(68) ابن حجر : الامالي المصرية ص : 139 ( مخطوط ) رقم 114 بالخزانة العامة .
(69) احمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص : 250 .

هكذا كان الشأن بالنسبة للدروس العلمية . وأما الحديث وروايته فلم يكتف بما اكتفى به مع سواه من العلوم ، ولم يكن المدرس يجرؤ على روايته جراته على تدريس اية مادة أخرى ، ومن أجل الدقة التي يتطلبها الحديث ، وكان المحدثون منذ عهد مبكر ، يعطون طلابهم الذين ياخذون عنهم شهادة بما رووا لهم من احاديث ، ويجيزون لهم روايتها عنهم ، والاجازة تدل على المستوى العلمي لمن منحت له ، اذا الشيوخ ما كانوا يمنحون الاجازة الا لمن كان ذا معرفة تهيئه ان يروي الاحاديث المأذون له في روايتها ، ويشترط لصحة الاجازة ان يكون المجيز عالما بما يجيز به، ثقة في دينه وروايته ، معروفا بالعلم ، وان يكون المستجيز من اهل العلم ، متسما بسمته ، حتى لا يوضع العلم عند غير اهله (70) .

وللاجازات نفس القيمة التي للشهادات اليوم ، فبها تعرف قيمة الطالب وشيوخه الذين اخذ عنهم ، وبها يستطيع أن يثبت لغيره انه في مستوى علمي من شأنه ان يؤهله للعمل على الاقل في بعض المجالات العلمية المرموقة ان لم تكن لديه القدرة الكافية على اثارة الانتباه اليه عن طريق املاءاته ومحاضراته ومؤلفاته .

## ايام الدراسة والعطل بدور الحديث :

ولم نعثر على من حدد أيام الدراسة بدور الحديث اللهم الا ما كان من دار الحديث المستنصرية التي حددت فيها بثلاثة ايام من كل اسبوع، والمدرسة العثمانية بحلب التي حددت فيها بيومين في الاسبوع ، كما ان اوقات الدراسة بها غير محددة ايضا ، بل ترك أمر ذلك للشيوخ الذين لهم الحق في تقدير الوقت الكافي للمواضيع التي يدرسونها ، فالبعض منهم تكفيه ساعة او ساعتان ، والبعض الآخر يستغرق اكثر من ذلك مثل ابي الفرج كمال الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن وريدة الذي يطيل الجلوس في دروسه مع طلبته دون أن يلحقه ملل او ضجر ، ومع هذا فقد رتبت الاوقات الدراسية بها ترتيبا تربويا مفيدا بحيث يكون للطلبة والشيوخ بها على حد سواء اوقات اخرى للمطالعة والتحضير ، ولا تتعطل الدراسة الا في العطلة الاسبوعية الاسلامية وايام الاعياد الدينية (71) .

---

(70) احمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص : 250 .
(71) حسين امين : المدرسة المستنصرية ص : 81 .

## أثر دور الحديث في توحيد الاساليب التربوية :

ولدور الحديث أثر كبير فى توحيد الاساليب التعليمية والانظمة التربوية فى مآثر اقطار العالم الاسلامي ، وتسهيل الاتصالات الثقافية بين الشرق والغرب الإسلاميين ، وذلك بفضل ما خرجته من العلماء والمحدثين المتتسبين لمختلف الاقطار ، والذين نقلوا أساليبها وطرقها الى بلدانهم ، ونشروها فى أوطانهم .

ولها دور كبير ايضا فى التشجيع على البحث العلمي وتحريك همم العلماء واثارتها نحو الانتاج والتأليف فى مختلف البلدان الاسلامية ، وفى مختلف فروع المعرفة ، بفضل ما نشره شيوخها وطلبتها من علوم ، وما ألفوه من مجلدات ضخام ما زالت لحد الآن المراجع الاساسية للدارسين والباحثين فى مختلف الفنون .

وبفضلها اصبح علم الرواية والدراية بالخصوص في متناول الاغلبين ، مع العلم بانه كان قبل عصر صعب المنال ، واصبح الاتصال بالشيوخ والاخذ عنهم بالمشافهة أمرا ميسرا بعد ان كان منذ القرن الهجري الاول يتطلب اقتحام المشاق ومعاناة الاسفار والرحلات .

وبفضلها عبد طريق العلم ، ووثقت الاواصر الثقافية وغيرها بين المسلمين ، والغيت السدود والحدود ، وربط المشرق بالمغرب حتى اصبحا بمثابة المدينة الواحدة بفضل ما قام به رجالاتها الاماجد من جولات واتصالات ادت فى النهاية الى تناسق فى الاعمال ، وتشابه فى المناهج والبرامج وتماثل فى النصوص والتشريعات ، واليها يرجع الفضل فى بلورة التعليم الاسلامي الجامعي وتطوره وتخصصه ورقيه اداريا ، وتربويا ، وهي المؤسسة التعليمية الاولى التي سبقت الى تطبيق كثير من النظريات التي تبحث عنها الانسانية الى الآن ، مثل حرية الفكر ، ومجانية التعليم ، والضمان الاجتماعي ، ونظام المدن الجامعية ، وتكافؤ الفرص والمساواة والمساهمة فى خدمة المواطنين والدفاع عن مصالح المسلمين وحقوق المظلومين وغير ذلك من الا الاغراض التي لم تطبقها الجامعات العصرية لحد الآن التطبيق المطلوب والمفيد (72) .

---

(72) غنيمة : الجامعات الاسلامية ص : 314 .

# الحديث الصحيح وأثره في التشريع

## للأستاذ عبد الصمد العاقل

قبل ان نأخذ انفسنا بدراسة الحديث الصحيح واثره فى التشريع الاسلامي يجمل بنا ان نمهد لهذا الموضوع بجولة سريعة فى رحاب القرءان الكريم ننجلى من خلالها مكانته السابقة بين مصادر هذا التشريع . ونستشف فيها اسلوبه فى صياغة مبادئه وقواعده . ثم نحدد الصلة القائمة بينه وبين ما صح من سنة النبي عليه السلام ثم نمضي فى بيان الدور الذي تنهض به ازاء كتاب الله عز وجل والوظيفة التي تضطلع بها فى مجال ذلك التشريع لنأخذ بعد ذلك فى معالجة موضوعات فى شيء من التفصيل .

فالقرءان الكريم وحي الله انزله على عبده ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليحمل الى كل قلب آمن به نورا والى كل نفس اطمأنت اليه هداية . والى كل صدر وعاه شفاء . والى كل مجتمع ترسم سبيله امنا وسلاما ، وهو الدستور الذي وضعه الله لعباده . كي ينهج لهم بأحكامه سنن معاشهم ومعادهم . ويشق أمامهم بتعاليمه الطريق السوي لرقيهم وازدهارهم . فيمضوا بمصالحهم فى ضوئه وسناه الى كل افق كريم ، ومن ثم كان القرءان الكريم الدليل الاول لشريعة الله والمصدر الاساسي لاحكامه الخالدة والحجة القائمة على عباده الى يوم الدين . ولانه دستور ملة . ونظام دولة . ومنهج حياة وتنزيل رب العالمين ، كان اغنى الدساتير العالمية قديمها وحديثها واوفاها بتحقيق أصح صور السعادة النفسية والسمو الاخلاقي والرقي المادي والمعنوي للآخذين به فى كل جيل وعصر ، وفى كل بيئة ومصر ، دون ان يتسامى احد منهم الى مجاراته فى البيان او يقدر على مصاولته فى الاعجاز او يجرؤ على مواجهته بالنقد ،

او تعقبه بالتمحيص ، او مراجعته بالحذف ، او ملاحقته بالزيـادة ، او معارضته بالبديل ، او اعادة النظر فيه بالتغيير او التبديل اعظاما لشأنه وايمانا بعلو كعبه واستغناء به عن كل ما وضعه الناس للناس .

ولما كان من شأن هذا الدستور أن يتم في كنفه تنظيم حياة المنضوين تحت لوائه تنظيما يكفل اطراد نموهم الاجتماعي وتطورهم الحضاري فقد صبت مبادئه واصوله في قالب فريد في تركيبه ودقة صوغه ونسجت على منوال فذ في رحابة أسلوبه . وسماحة قصده حتى يتسع لكـل ظـرف طارىء ، أو مناسبة عارضة تاركا للمبلغ الاعظم صلى الله عليه وسلـم أن يصدر من البيانات التفسيرية ، والاحكام التوضيحية ، ما يكشف للافهام عن مراد الله في خلقه ، ويحدد المسار الآمن لعباده فيما يضطربون فيـه من شؤون الحياة .

بعث الله رسوله بكتابه الكريم ليبلغه الى الناس أجمعين ، ويبيـن لهم ما احتوى عليه من خير ، ويرشدهم الى الحق الذي رسم لهم طريقه، فكان عليه السلام المبلغ الصادق ، واللسان الناطق ، والمبين الحكيـم ؛ فقد تولى عليه السلام تجلية مقاصده والكشف عن علومه ومعارفه ، كمـا تولى تفصيل مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عامه . وربما ذهب في البيان الى ما لم يتناوله كتاب الله عز وجل مما يدخل في نطاق مهمته الربانيـة كرسول هو أدرى بما تلقاه عن ربه ، واوسع علما بأبعاده واهدافه ، واشد حرصا على حمايته من ذوي الاهواء المضلة ومن المواريـث الدخيلـة المسمومة ، سبيله في ذلك صلى الله عليه وسلم قول يتخاطب به اصحابه معبرا فيه عن قصده ، او فعل يوضح لهم به مراده ، او موقف يدل منـه على الرضا عن فعل صدر من اصحابه في حضرته او بلغه عنهم فيقرهـم عليه برضاه عن ذلك الفعل وسكوته عليه .

فهذه الممارسات الثلاث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمـا يرجع الى البيان هي التي يعبر عنها بالسنة او بالحديث الشريف . وهي التي تحدد طبيعة العلاقة القائمة بين السنة والكتاب . فهي أشبه بالصلة القائمة بين القانون الاساسي المنظم للاحوال العامـة في مجتمـع مـن المجتمعات وبين المراسيم والقرارات المفسرة لمواده المحددة لاهدافه.

ومن هنا يتضح ان دور الحديث في ميدان التشريع دور خطير يتمثل اساسا في تبيان حقيقة الدين واحكام الشرع سواء فيما يرجع الى العقيدة من ايمان واسلام . أو الى العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج . لان القرءان قد اكتفى في ذلك الاصول العامة والقواعد الكلية في ايجاز معجز ومحكم . أما التفاصيل والكيفيات والهيئات والمقادير فقد كانت من مهمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهكذا فيما يرجع الى المعاملات وغيرها من الامور التي تعرض للناس في حياتهم وفيما ينبغي أن تكون عليه علاقة بعضهم ببعض فقد تصدى الحديث الشريف الى بيانها بواسطة اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم او أفعاله أو تقريراته ، مصداقا لقول الله عز وجل : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وهكذا كانت السنة هي الاصل الثاني من أصول التشريع الاسلامي .

والله الذي اصطفى نبيه للرسالة وحمله الامانة . عصمه من الزلل فيما بلغه عن ربه من قرءان وفيما نطق به من قول او صدر عنه من فعل او اقر عليه أصحابه من السنة . لان كل ذلك من عند الله : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » ولذلك أوجب طاعته وقرنها تعالى بطاعته ، فقال عز وجل : « واطيعوا الله واطيعوا الرسول » وقال كذلك : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » ، وحذر الله من مغبة المخالفة لنبيه عليه السلام بقوله : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » ، ونبه عباده الى أن يكونوا عند امر الرسول ونهيه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » واقسم الله لرسوله ألا يكون المؤمنون مؤمنين حقا حتى يرتضوه حكما فيما بينهم وأن يتلقوا حكمه بغاية الاذعان الذي لا تكلف فيه ولا تصنع ، وانما هو نابع عما انعقد عليه القلب من ولاء وتسليم ، فقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وحينما نريد تحديد مفهوم السنة والحديث ينبغي أن نستشير المظان اللغوية والعلمية لنرجع منها بما يفيدنا في هذا المجال :

فالسنة تطلق فى اللغة على الطريقة ويراد بها عند العلماء كل ما يؤثر عن الرسول من قول او فعل او تقرير عند ما تنسب اليه عليه السلام .

أما الحديث فينطلق فى اللغة على ما يقع التخاطب به وينقل بالصوت او الكتابة ، فاذا ما أضيف الى الرسول فقيل مثلا هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المراد ما أثر من اقواله فقط ، فلا يقال لفعله أو تقريره انه حديث فيكون حينئذ اخص من السنة . وذهب فريق من العلماء الى أن الحديث مرادف للسنة وليس أخص منها .

والعلماء يقسمون الحديث باعتبار سنده الى ثلاثة أقسام :

1 ) متواتـــــر .

2 ) مشهـــــور .

3 ) خبر آحاد .

فالاول ما تناقلته ألسنة جمع من الرواة فى كل عصر بدأ من عصـــر الصحابة تحيل كثرة اولئك الرواة وتباعد مواطن أقامتهم ان يتواطئوا على الكذب ، وهذا القسم قطعي الثبوت فيفيد العلم اليقيني ويجب العمل به.

فاذا لم يبلغ رواته من الصحابة حد التواتر ، ولكنه تواتر فى عهـــد التابعين ، فهو المشهور ، وهذا القسم يفيد ظنا قريبا من اليقين لكونــــه قطعي الثبوت عن الصحابي ويجب العمل به .

واما خبر الآحاد فهو ما رواه عدد لا يرقى الى درجة التواتـــر لا فى عهد الصحابة ولا فى عهد التابعين . وقد ذهب العلماء فى مجال الاخذ به مذاهب مختلفة يمكن ايجازها فى الآتي :

1 ـ قال الظاهرية انه يفيد العلم ، وقد اختار هذا القول ابن حزم فى الاحكام واحتج له طويلا .

2 ـ وذهب المعتزلة والخوارج قاطبة الى انه يفيد الظن ولا يفيد علما مقطوعا به لما فيه من احتمال الخطا والوهم والكذب ، ولهذا لا يعتمد

به فى اثبات عقيدة او ايجاب عمل ، اذ لا عمل الا عن علم لقول الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علـــم » .

3 ـ وقال الآمدي وابن الحاجب : « ان خبر الواحد اذا ما احتفت به قرينة افاد العلم بواسطة تلك القرينة لا بنفسه » وقد اختار هذا القول ابن السبكي فى كتابه « جمـــع الجوامـــع » .

4 ـ ويرى الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وابن فورك أن الخبر اذا كان مستفيضا أفاد العلم النظري .

5 ـ وذهب ابو بكر ابن القفال الى أن خبر الواحد يفيـــد العلـــم الظاهر . وقد ناقش الامام الغزالي هذا الراي فى « المستصفى » مناقشة مفيدة بعد ان حلله تحليلا واضحا .

والحق الذي لا يعول على غيره ان خبر الاحاد يفيد العلم والعمـــل جميعا دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع .

فمن الكتاب قول الله عز وجل فى سورة التوبة : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعـوا اليهـــم لعلهم يحذرون » .

فالفرقة فى الآية يراد بها الثلاثة فاكثر والطائفة تصـدق بالواحـــد والاثنين فهي جزء من الفرقة ، ومن ذلك ان الله أمر بتشكيل واحد او اثنين للخروج من كل فرقة تضم ثلاثة افراد من أجل التفقه فى الدين ومن أجل الانذار بعد العودة ، فدل ذلك على صحة أخذ العلم عن خبر الآحاد ، ودل بالتالي على وجوب العمل بـــه .

وقوله تعالى فى سورة الحجرات : « يا أيها الذين آمنوا ان جاكـــم فاسق بنبا فتبينوا » فأمر الله فى هذه الآية بالتأكيد مـــن صحة خبـــر الفاسق يدل على ان خبر الواحد الثقة لا يحتاج فى قبوله الى التاكد مـــن صحته . ومن السنة ما ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلـــم كان يرسل رسله الى الملوك فى مختلف الامصار لدعوتهم الى دين الاسلام ، كما كان

يبعث برسله الى الآفاق لنشر الدعوة الاسلامية وبيان احكام هذا الدين فقاموا بذلك وهم فرادى ، من ذلك :

أ ) ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عن المسور بن محزمة قال: « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله بعثني رحمة للناس كافة ، فادوا عني رحمكم الله » فبعث ابن حذافة الى كسرى ، وبعث سليط ابن عمرو الى هوذة بن علي صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر ابن ساوى صاحب هجر ، وبعث عمرو بن العاص الى جيفر وعبد ابني الجلندى ملكي عمان ، وبعث دحية الكلبي الى قيصر، وبعث شجاع ابن وهب الاسدي الى ابن ابي شمر الغساني ، وبعث عمر بن امية الضمري الى النجاشي فرجعوا جميعا قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم غير عمرو بن العاص » .

فالحديث يدل على أن خبر الآحاد يفيد العلم والعمل معا .

ب ) وما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه الى اليمن : « انك ستأتي قوما اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم ان يشهدوا ألا الاه الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد الى فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم . واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب » .

قال الامام النووي في شرح مسلم « في هذا الحديث قبول خبر الواحد ووجوب العمل به » .

ج ) وما رواه الشيخان عن انس بن مالك ، قال : « كنت اسقي ابا طلحة الانصاري وابا عبيدة بن الجراح وابي بن كعب شرابا من فضيخ — وهو تمر — فجاءهم آت فقال : « ان الخمر قد حرمت » فقال ابو طلحة: « يا ابا انس قم الى هذه الجرار فاكسرها » قال انس : « قمت الى مهراس لنا فضربتها باسفله حتى انكسرت » وهذا لفظ البخاري .

وفي رواية الشيخين : « فو الله ما سئلوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل » .

قال النووي في شرح مسلم فيه العمل بخبر الواحد وان هذا كان معروفا عندهم .

والاحاديث الدالة على قبول خبر الواحد ووجوب العمل به كثيرة منبثة في كتب السيرة وكتب الحديث .

ومن الاجماع ما روى ان ابا موسى الاشعري رضي الله عنه استأذن على سيدنا عمر رضي الله عنه ثلاثا فلم يأذن له . فرجع فاستدعاه عمر ولامه فاستشهد ابو موسى الاشعري بحديث الرجوع بعد الاستئذان ثلاثا فقال عمر : « لتأتيني عليه ببينة او لاوجعن ظهرك واجعلك عظة » فشهد ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك .

فهذه القصة ونظائرها الكثيرة المنبثة في كتب الحديث تدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستوثقون بطلب الدليل والبرهان على صحة الخبر ، كما تشكل في نفس الوقت حجة الاجماع على قبول خبر الواحد متى رواه من يوثق بصدقه وعدالته .

ولضمان مجيء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراط العلماء لصحته ما يأتي :

1 ) ان يكون متصل الاسناد
2 ) أن يكون رواته عدولا
3 ) أن يكونوا ضابطين
4 ) أن يكون متن الحديث خاليا من الشذوذ .
5 ) أن يكون خاليا من العلل القادحة .

وقد تناول العلماء هذه الشروط بالبحث والتمحيص والفوا منها المعيار الدقيق الذي يمكن الدارسين من قياس ما ينسب الى الرسول عليه السلام من الاحاديث ووزنها من جميع الجوانب ومعرفة الوضع الذي يجب أن توضع فيه . والحكم الذي ينبغي أن يصدر بشأنها ، ثم نظروا في الحديث الصحيح فقسموه الى :

1 ) صحيح لذاته وهو ما نشأت صحته من توافر تلك الشروط واجتماعها فيه .

2 ) صحيح لغيره وهو ما صح لامر خارج عنه :

أ ـ اما اشتهار راويه بالصدق والعدالة ولو لم يكن من أهل الحفظ والاتقان لحديث : « لولا أني اشق على امتي لامرتكم بالسواك عند كل صلاة » فهذا الحديث رواه محمد بن عمر أحد المشهورين بالصدق والصيانة مما جعل بعضهم يوثقه ، ولكن سوء حفظه ضعفه عند آخرين غير أن روايته من طريق آخر صححت اسناده والحقته بدرجة الصحيح .

ب ـ وأما لكونه من الاحاديث التي تلقاها العلماء بالقبول كحديث : « أن الله تعالى قد أعطى لكل ذي حق حقه : فلا وصية لوارث » فقد روى هذا الحديث اسماعيل بن عياش عن شرحبيل ، واسماعيل بن عياش هذا متكلم فيه مما يحمل على التحفظ ازاء ما يرويه ، ولكن رواية هذا الحديث عن الشاميين قوية خصوصا وان شرحبيل شامي جعلت الناس يتلقونه بالقبول فحسنه الترمذي لذلك .

ج ـ وأما لكون مقتضاه موضع اجماع كحديث : « ان الماء لا لا ينجسه شيء الا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه » وهو حديث رواه ابن ماجة من طريق رشد بن سعد . قال الحافظ البوصيري في زوائد ابن ماجة « ان اسناده ضعيف لضعف ابن رشدين . فاذا انضم الى ذلك اختلاف العلماء في الاستثناء فيه حصل التردد حينئذ في الاخذ به ولكن الاجماع الذي حكاه الامام الشافعي وابن منذر والبيهقي وابن الهمام المنفي على روايته جعلها رواية صحيحة .

د ـ وأما لكون الحديث جاء موافقا للقرءان او لقاعدة اصولية : كحديث « لا رضاع الا ما كان في الحولين » ففي هذا الحديث كلام من جهة اسناده ولكن موافقته لقول الله عز وجل « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين » جعلت هذا الحديث صحيحا .

وكالحديث الذي رواه مكحول عن ابي هريرة رضي الله عنه « الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان او فاجرا ، والصلاة واجبة عليكم خلف

امام برا كان او فاجرا » قال الدارقطني : « ان مكحولا لم يلق أبا هريرة ـ اى فهو منقطع ـ وفيه مع ذلك كلام فى رجاله لكنه لما كان موافقا فى مضمونه للقاعدة الشرعية « ان كل من صحت صلاته لنفسه صحت لغيره » فقد اعتبر هذا الحديث حينئذ صحيحا .

وفى موضوعنا جوانب مفيدة يقتضي استقصاؤه ان تلم بها فى شيء من التحقيق المستوعب والاسافة الشاملة ، كالبحث فى رواية المبتدع وذكر اسماء المتبدعة الذين روى الشيخان أو احدهما عنهم ثم الاشارة الى اتجاهات العلماء واختلاف وجهات نظرهم فى الاحتجاج برواية المبتدع ثم استقراء اصح الاسانيد وتتبع آراء العلماء ومواقفهم من مختلف الرواة . ثم التصدي لدراسة تاريخ التصنيف فى الصحيح منذ كان الحديث غير مدون فى عهد الصحابة والتابعين مع بيان العوامل التي دعت الى ذلك التصنيف ، ثم دراسة تراجم الامام البخاري دراسة نقدية فاحصة على اعتبار انها فن مستقل جدير بالبحث والتمحيص . ثم ايضاح شرط الامامين ، البخاري ومسلم ومعرفة طبقات الرواة عن راوي الاصل من خلال استنكاره مداركهم ومراتبهم الفكرية والنفسية وشرح معنى قولهم : « على شرط الشيخين » ثم بيان المدلول « المعلق » كمصطلح فني لرجال الحديث توطئة لمعرفة حكم معلقات الشيخين ثم البحث عما اذا كان فى صحيحي الامامين حديث ضعيف وبيان حكم المروي عنهما من حيث افادة الجزم ، ثم القول فى المستخرجات عليها وايضاح موضوح المستخرج وشرطه وفوائده مع الاستطراد الى المستدركات وتحديد مفهوم المستدرك ثم الكلام بعد ذلك على بقية كتب الصحاح وعرض الاقسام السبعة بالصحيح ثم تحديد الموقف الحاسم الذي ينبغي اتخاذه حينما نقع ـ ضمن ما يروى من اجزاء الحديث وغيرها ـ على حديث صحيح الاسناد ولكنه غير موجود فى الصحيحين ولا هو منصوص عليه فى غيرهما من المصنفات المعتمدة المشهورة ثم شرح الطريقة التي ينبغي الجرى عليها فى النقل من الكتب المعتمدة مع بيان المراد من بعض المصطلحات التقنية الواردة فى تلك الكتب كالصحيح والثابت والجيد وابراز الفرق بينها عند اهل الحديث فى ضوء التمثيل الموضح لكل منها ثم الوقوف عند أقسام الثابت وتحديد مجال الأخذ به ثم سرد الكتب التي يبنى عليها الفقه الاسلامي فى قائمة مرتبة حسب اولويتها بالتعظيم ثم بيان فضل الاسناد واهميته وعرض اقوال الائمة فى وجوب العمل بالثابت ثم بحث موضوع

الافتاء بما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل يجوز الافتاء بضد لفظ النص مع ايراد ما قاله العلماء فى ذلك وتحليله ومناقشته ثم الاشارة اخيرا الى ضرورة العناية بمطالعة كتب الحديث ودراستها وتنور ما اشتملت عليه من احكام وما تضمنته من عظيم النفع .

هذه بحوث لها ـ اتصال وثيق بما نحن بسبيله من دراسة للحديث الصحيح واثره فى التشريع الاسلامي وهي بحوث مفيدة جدا لمن يريد بلوغ الشأو فى استيفاء هذا الموضو واستيعابه على نسق متكامل .

ولكننا حجزنا القلم فيها هنا عن وجهه اجتزاء منا بالاشارة دون التفصيل واكتفاء بالعرض دون التحليل ليتخذ منها الدارسون سبيلهم فى البحث ، الراغبون فى الاستقصاء ، والله ولي التوفيق .



# ابن عبد البر حافظ المغرب

للأستاذ محمد بنيعيش

## أولا : عصـــــره :

عاش الحافظ ابو عمر بن عبد البر النمري فى عصر مليء بالاضطرابات والاحداث السياسية والفوضى الشاملة ، والتمزق العـــام فى الدولـــة الاندلسية فشاهد ذبول الخلافة الاموية ، وافول نجمها ، واشتعال نـــار الفتن بقرطبة وافظعها وابشعها الفتنة البربرية التي اتـــت على الاخضـــر واليابس ، والتي شابت الولدان من شدة هولها وقسوتها ، كما شاهد قيام دويلات صغيرة مستقلة سميت فى التاريخ الاندلسي بملوك الطوائف .

وكان المجتمع الاندلسي اذ ذاك يتألف من عناصر مختلفة ، تتفاوت فى الحقوق والاعتبار وهي : العرب والبربر واهل البلـــد الاصليـيـــن ، واليهود والرقيق ، والصقالبة ، وطبقات الفقهاء الذين كان بيدهم الحـــل والعقـــــد .

وكانت المراة الاندلسية تتمتع بنفوذ واسع ، ولها مكانة عاليـــة فى المجتمع الاندلسي ، فقد كانت ذات سلطان واسع وخاصة فى أيام هشام ابن عبد الرحمن (1) ..

اما من الناحية الدينية ، فقد كان بجانب الجد فى القيام بالشعائـــر الدينية ، اللهو والمجون ، وبجانب الزهد والتصوف ، الفسق والفجور .

---

(1) تاريخ الادب الاندلسي ص 25 ـ دار الثقافة ـ بيروت .

وبقدر ذلك الاضطراب السياسي والتباين الاجتماعي فى عصر ابن عبد البر ، كان الازدهار الثقافي والنهوض العلمي قائما على اشده ، فقد ازدهرت الثقافة الاسلامية والادبية والتاريخية والطبية والفلسفية ازدهارا عظيما ، وذلك بسبب التنافس الذي كان بين ملوك الطوائف ، اذ كان حكام الاندلس يجلبون كبار العلماء والشعراء من جميع الاقطار ، وخاصة من الشرق ، ومن أبرز هؤلاء العلماء أبو علي القالي (2) وصاعد الشاعر البغدادي (3) .

وكانت دراسة القرءان والحديث هي الامر المطلوب فى الاندلس ، فنبغ فى ذلك كثير من الاندلسيين ، ومنهم ابن عبد البر ، وكانت العادة فى هذا العصر أن يرحل العلماء الى المشرق للاخذ عن مشايخه ، وهكذا رحل كثير من علماء الاندلس .

## ثانيا : حياته :

### المعلومات الاولية :

### أ ـ اسمه وكنيته :

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، حافظ المغرب ، ومجتهده .

وقد لقبه بعض المؤرخين المحدثين بجمال الدين (4) ، وهذا ربما خطأ ، وذلك من وجهتين :

أ ـ ان جميع كتب التاريخ الاندلسية والمغربية القديمة ، لم يرد فيها ذكر لهذا اللقب .

ب ـ ان هذا اللقب لم يثبت عن أهل الاندلس او المغرب انهم كانوا يلقبون به .

---

(2) البغية ص 216 ـ طبعة مجريط 1884 .
(3) نفس المصدر السابق .
(4) فؤاد افرام البستاني فى دائرة المعارف ج 3 / 339 ـ ط : 1 ، والمرير فى الابحاث السامية ، معهد فرانكو ، ط : تطوان .

وكنيته ابو عمر ، من باب الكنى الاصطلاحية ، لاسم يوسف ، كقولهم لعبد الرحمن ابو زيد ولاحمد ابو العباس ، ولمحمد ابو عبد الله ، لا انه كني بها جريا على عادة العرب ، الذين كانوا يكنون بأسماء اولادهم او آبائهم .

وقد اشتهر ابن عبد البر باسميه العلميين (5) : ابي عمر عبد البر ، او ابن عبد البر ، وقد كان بعض المؤلفين يسميه باسمه الحقيقي يوسف (6)

وفي يوسف ست لغات ، ضم السين وفتحها وكسرها مع الواو وضمها وفتحها وكسرها مع الهمزة عوض الواو ، فالمجموع ست لغات . والياء في اوله مضمومة في اللغات الست .

والنمري بفتح النون والميم ، وبعدها راء ، نسبة الى النمر بن قاسط بفتح النون والميم (7) وانما تفتح الميم في النسبة خاصة ، استحاشا لتوالي الكسرات .

اما في عصرنا الحاضر ، فيعبر عنه بابن عبد البر ، وهذا هو الغالب على الالسن واحيانا يضاف اليه النمري نسبة الى جده الاعلى .



## ب ـ نسبه وأصله :

وينتمي نسب ابن عبد البر الى النمر بن قاسط بن هنب بن اقصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (8).

والنمر بن قاسط قبيلة من قبائل ربيعة ، وهي قبيلة عظيمة ومشهورة بالفصاحة والكرم حتى صار ينتسب اليها كل من يدعي الفصاحة والكرم (9) وقد انتقلت بطون ربيعة الى الاندلس من الشام في مستهل

---

(5) في كنية يعبر هو عن نفسه بابي عمر .
(6) ابن حزم في كتابه المحلى .
(7) وفيات الاعيان ج : 71/7 ـ تحقيق د. احسان عباس ، الديباج المذهب 359/3 ط2.
(8) نفح الطيب ج : 293/1 . تحقيق الدكتور احسان عباس ط : 1 .
(9) سير النبلاء للذهبي ج : 16/2 ـ ط : 1 . وفيات الاعيان ج : 71/7 ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، ط : 1 .

الفتح الاسلامي لها ، ونزلت باقليم وادي آش ، حيث اشتهر هذا المكان باسمهم ، ثم نزلت قبيلة النمر بن قاسط لحصن وضاح من عمل رية .

لكن اذا كانت بطون ربيعة وفروعها نزلت بواد آش وبحصن وضاح ، فمتى انتقل أجداد ابن عبد البر الى مدينة قرطبة ؟

ان التاريخ لا نراه يتحدث عن هذه العائلة الا وهي مستقرة في قرطبة فلم يحدد اسم الرجل الذي رحل اليها ولا تاريخ انتقاله . وكيفما كان الامر فان نسب ابن عبد البر عربي صريح وأصيل في العروبة .

وقد انجبت هذه العائلة عددا كبيرا من العلماء والادباء من بينهم :

أ ـ جد ابن عبد البر : وهو محمد بن عبد البر النمري من اهل قرطبة . وكان من العلماء العاملين ، ومن الزهاد المنقطعين الى الله (10) ولد سنة ثلاثمائة هجرية بقرطبة ، وتلقى العلم والفقه عن يحيى بن مجاهد ابن عوانة الغزالي الفقيه والراوي (11) .

ب ـ ابوه : وهو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، فقيه مالكي وأديب بارع ، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة هجرية بقرطبة ، سمع من احمد بن مطرف ، واحمد بن سعيد بن حزم ، واحمد بن دحيم بن خليل ، وابي بكر بن الاحمر ، ومحمد بن احمد بن قاسم بن هلال وابي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفقيه الذي قرأ عليه المدونة ، ولم يسمع منه، وانما اخذ عنه بالوجادة (12) .

ج ـ ابنه : وهو ابو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله النمري، فانه من أهل الادب البارع ، ومن الكتاب المجيدين ، والشعراء المطبوعين ، استوزره المعتضد بن عباد ولقب بذي الوزارتين ، واخيرا سجنه ، وكاد أن يفتك به ، لولا أبوه الذي انقذه من السجن ، توفي سنة ثماني وخمسين واربعمائة (13) .

---

(10) التكملة لابن الابار ج : 371/1 ، نشر عزت العطار سنة 1375 هـ ـ 1956 م ط : 1
(11) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ص : 190 ـ الدار المصرية للترجمة والنشر .
(12) الصلة لابن بشكوال ، مجلد : 239/1 ـ طبعة مدريد .
(13) نفح الطيب ج : 597/1 ، تحقيق الدكتور احسان عباس ـ دار الفكر ـ بيروت .

د ــ سبطه : وهو ابو محمد عبد الله بن علي بن احمد اللخمي ، وهو من اهل شاطبة ، ولد سنة ثلاث واربعين واربعمائة هجرية ببلنسية ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، روى عن جده ابي عمر بن عبد البر ، وأجاز له رواياته ، وتأليفه سنة اثنتين وستين واربعمائة هجرية .

ولى منصب القضاء بالمغرب فى أغمات ، وحدث بها ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة هجرية (14) .

هـ ــ امه : اما امه فلم يتعرض لها احد من المؤرخين واصحاب السير وربما ذلك راجع الى ان المؤرخين القدامى كانوا لا يعيرون للبيئة والوراثة اية قيمة ، فلنكتف اذا بأنه كانت لابن عبد البر أم حنون ، عنيت به ككل الامهات ، وكذلك لم يذكر لنا التاريخ شيئا عن اخوته او أقاربه .

وابن عبد البر نفسه لم يصرح ولم يلمح بذكر اخوة له ، ولا نريد ان نتبسط هنا ان عدم الذكر يفيد عدم الوجود .

## ج ــ مولده ونشاته :

اختلف المؤرخون واصحاب التراجم ، فى تاريخ ولادة ابن عبد البر وكذلك فى وفاته ، فأما ولادته ، فقال بعضهم ، انه ولد فى رجب سنة اثنتين وستين وثلاثمائة هجرية عام 978 م (15) ، وقال البعض الآخر انه ولد سنة : ثلاث وستين بعد الثلاثمائة من الهجرة (16) ، وذكر البعض الآخر انه ولد فى الرابع أو الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة ثمان وستين وثلاثمائة هجرية ، الموافق للتاسع والعشرين من نونبر من السنة الشمسية ثمانية وسبعين وتسعمائة ملادية .

واذا رجعنا الى تمحيص هذه الاقوال ، ومقارنتها ، نجد ان مولد ابن عبد البر ــ على كل الاحوال ــ ينحصر بين اثنتين وستين وثلاثمائة هـ . وبين ثمان وستين وثلاثمائة هجرية ، ولا يتعدى الستينات بعد الثلاثمائة .

(14) التكملة على كتاب الصلة ج : 821/2 ــ نشر عزت العطار سنة 1375 هـ ــ 1956 م.
(15) الجذوة ص : 344 ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، طبعة القاهرة ــ البغية ص : 474 ، فقرة 1442 ، طبعة مجريط ، بطبع روخس .
(16) الاستيعاب بها من الاصابة .

وبتحليل هذه الاقوال نرى ان المؤرخين اما اتبعوا الحميدي والضبي واما اتبعوا ابن بشكوال وابن فرحون ، لكن الحميدي وبعده الضبي لا يعتمد على اية وثيقة تاريخية ، بينما ابن بشكوال ومن تبعه يعتمد على وثيقة تاريخية ، بينت فيها الحالة المدنية لابن عبد البر ، اذ نقل ابي بشكوال عن تلميذ ابن عبد البر طاهر بن مفوز انه قال : « سمعت ابا عمر يقول : ولدت يوم الجمعة والامام يخطب لخمس بقين من ربيع الثاني سنة ثمان وستين وثلاثمائة هجرية وهو اليوم التاسع والعشرون من نونبر ، قال طاهر ارانيه الشيخ بخط ابيه عبد الله بن محمد رحمه الله » .

فهذه الوثيقة تدل على ان قول بن بشكوال اثبت واصح ، لانه مروي عن ابن عبد البر نفسه ، والقول بالدليل اصح واثبت من القول بلا دليل .

وعليه فابن عبد البر ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة هـ ، الموافق للسنة الثامنة والسبعين وتسعمائة ميلادية بمدينة قرطبة ، حاضر الدولة الاسلامية اذ ذاك في قلب اوربا .

وقد نشأ بقرطبة بين أبوين كريمين ، وفي كنف اسرة مشهورة بالعلم والعرفان ، وعريقة في الخير والصلاح ، اختارت له منذ صباه المنهج الذي سلكته في حياتها وعاشت عليه ، فوجهته منذ وقت مبكر نحو العلم ، وهيأت له كل الاسباب لذلك ، ويسرت له كل السبل والوسائل للوصول الى مبتغاها .

وهكذا نما وترعرع في بيئة خصبة معطاة ، ورغم ان التاريخ لم يذكر شيئا عن تربيته وتعليمه التعليم الاولي ، فاننا نستطيع ان نقول بناء على سلوكه واخلاقه – انه اتبع في تربيته أسلوب التربية التي تلقاها امثاله واترابه من – أولاد الاسر المتدينة والمثقفة كابن حزم المعاصر له ، فلا شك انه كان محاطا بعناية فائقة ، واهتمام كبير ، لانه تربى تربية عالية ، وتلقى تعليما ممتازا على يد اسرته ، وعلى يد المؤدبين والمعلمين .

ومن المرجح ان أبا عمر بن عبد البر اتبع في تعليمه في المرحلة الاولى ، أسلوب التعليم السائد في الاندلس ، حينذاك ، فلقن منذ صباه

بعض الآى من القرءان الكريم سماعا ، ثم الكتابة والقراءة بواسطة لوح من الخشب ، اما على يد أبيه او على يد المعلم .

ولعله عندما توفي ابوه كان قد قطع شوطا بعيدا فى التعليم والتربية الامر الذي مكنه من متابعة مسيرته الثقافية واتمامها بنجاح .

والواقع ان التاريخ لم يشر الى شيء من تعليمه وتربيته فى الصبا وانما اكتفى بأن ذكر موت أبيه سنة ثمانين وثلاثمائة هـ . (17) وانه لم يسمع عنه شيئا .

## طلبه للعلم :

حصل ابن عبد البر فى صباه المبادىء الاولية على يد أبيه وربما جده ، ثم بدأ يطلب العلم والفقه . ويسمع الحديث من كبار شيوخ قرطبة وفقهائها ، وذلك فى حدود سنة ست وثمانين وثلاثمائة هجرية ، أي منذ نعومة اظفاره ، فقد بدأ دراسة العلم وعمره لا يتعدى الحادية عشرة سنة ، على استاذه عباس بن اصبغ الهمذاني ، الذي توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة هجرية ، وعلى استاذه عبد العزيز بن احمد الاخفش الملقب بالنحوي ، وهو اول شيخ سمع منه قبل الاربعمائة من الهجرة .

ومعنى هذا ان ابن عبد البر بدأ يدرس العلم وهو لا زال طفلا صغيرا وهذا ليس غريبا اذا ما نظرنا الى عادة الاندلسيين فى تعليم ابنائهم عند الصبا ، وخاصة هذا النوع من الاسر .

ومن المقرر ان المبتدىء الناشيء فى دراسة العلم لا يبتدىء العلم يلقف من هنا وهناك الا بعد ان يستكمل تكوينه الاولى والاساسي ، اذ يلزم عالما واحدا زمنا طويلا او قصيرا ، حتى يتخرج عليه ، فاذا أخذ ما عنده انتقل الى الآخر ليستكمل ما تعلمه على الاول .

وهكذا لازم ابن عبد البر ابا عمر أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوى ، فقرأ عليه الفقه (18) بكتابه الذي الفه بمشاركة ابي مروان

---

(17) الصلة مجلد : 239/1 ـ طبعة مجريط .
(18) المدارك ج : 808/4 ـ طبعة ـ بيروت .

المعيطي (19) وظل معه مدة طويلة لا تقل عن سبع سنوات ، فكتب بين يديه علما كثيرا (20) .

كما لازم شيخه ورفيقه فى الدراسة أبا الوليد بن الفرضي ، واخذ الفقه والحديث والادب وعلم الرجال (21) . وقد قال عنه ابن عبد البر نفسه : « كان فقيها عالما فى جميع فنون العلم ، فى الحديث وعلم الرجال، وله تواليف حسان ، وكان صاحبي ، ونظيري أخذت معه عن اكثر شيوخه » (22) .

وفى مسجد « متعة » بقرطبة كان يختلف الى مجلس ابي عمر بن عبد الله المعروف بالطلمنكي المقرىء الكبير (23) فأخذ عنه علم القراءات والحديث ، والفقه ، وتاثر به فى الصلاح والتقوى والدفاع عن مذهب اهل السنة ، ومحاربة أهل البدع والاهواء .

وبعد ما اشتد عوده ، وتمكن من هضم القواعد والاصول العلمية من نحو وفقه واصول ، وعلم الحديث ، راح يغشى مجالس العلم بدون استثناء ، وخاصة مجالس المحدثين ، التي كانت تعقد بجامعة قرطبة ومساجدها المختلفة ، وفى منازل العلماء فى قرطبة وخارجها (24) .

تلقى ابن عبد البر دراسته كلها تقريبا بقرطبة مسقط راسه ، حيث كانت تموج بالعلماء الذين اختلفت مشاربهم ، وتباينت آراؤهم ، وزخرت بأنواع العلوم والمعارف والفنون ، فيها القراء والمحدثون ، وفيها الفقهاء والمتصوفون ، وفيها الادباء والمتفلسفون .

فى هذا الجو الثقافي الممتاز اقبل ابن عبد البر يعب المعارف ، ويكرع العلوم على كبار علمائها ، والوافدين عليها ، يلازمهم ويأخذ عنهم كل ما يلائم اتجاهه وميوله ، حتى نبغ فى الحديث والفقه والاخبار والانساب .

---

(19) هو كتاب كبير فى أقاويل مالك على شاكلة الكتب التي الفت فى اقاويل الشافعي .
(20) الجذوة ص : 123 ـ المدارك ج : 808/4 ـ طبعة ـ بيروت .
(21) الجذوة ص : 23 ـ طبعة القاهرة .
(22) الصلة ، مجلد : 248/1 ـ طبعة مجريط .
(23) الجذوة ص : 106 ـ طبعة القاهرة ـ الصلة : 48/1 ـ طبعة مجريط .
(24) انظر رسالتي فى ابن عبد البر لنيل الديبلوم فى العلوم الاسلامية ، تجد المساجد التي كان يختلف اليها .

وهكذا ، تكون قرطبة هي مدرسته الابتدائية ، وهي ثانويته وجامعته، لكنه كان احيانا ينتقل الى مدينة اشبيلية ، يرفقه صديقه ونظيره ابن حزم، للدراسة والسماع من علمائها (25) .

ظل ابن عبد البر فى قرطبة يقتطف من أشجارها ما لذ وطاب من فنون العلم وانواع الآداب الى حدود السنة الثالثة بعد الاربعمائة اى الى قيام الفتنة البربرية ، وقد كفته الرحلة الى المشرق ، حيث كانت مهوى افئدة العلماء الوافدين اليها من الاندلس أو من بلاد المشرق ، الذين عوضوه عن الرحلة الى المشرق .

## خروجه من قرطبة وتجوله فى الاندلس :

ظل ابن عبد البر بقرطبة الى ان قامت الفتنة البربرية ، فرحل منها الى غيرها من المدن الاندلسية شرقا وغربا ، أو على الاصح فر منها الى غيرها من المدن الاندلسية ، اذ كانت حوادث هذه الفتنة من القسوة والهمجية ما تقشعر منه الجلود ، بحيث دفعت كثيرا من العلماء وجمهرة الناس الى الرحيل العاجل ، كان من بينهم ابو عمر بن عبد البر .

ففي سنة 403 هـ : جلى ابن عبد البر عن وطنه قرطبة (26) موليا وجهه نحو جهات مختلفة من بلاد الاندلس ، ولم يشر المؤرخون الى سبب جلائه، امن هول هذه الفتنة ؟ او من اجل مشاركته الامويين فى الحكم ؟ ومن اجل الفلسفة .

ان التاريخ لم يذكر شيئا من ذلك ، فلم يثبت عن ابن عبد البر انه شغل منصبا سياسيا او قضائيا على عهد الامويين او خلفائهم العامريين مثل صديقه ابن حزم ، ولم يثبت انه كانت له علاقة بالامويين ؛ اللهم الا من حيث ان اباه كان فقيها ، وهو نفسه كان فقيها اذ ذاك ، ومعلوم ان الفقيه فى هذا العصر كان يتمتع بمركز اجتماعي يوازي مركز الامير ، الفقهاء كان لهم فى الدولة الاموية بالاندلس نفوذ قوي ، اذ بيدهم الحل والعقد ، ومعظم المشورة في شؤون الدولة ، ومن هنا يمكن أن نقول ان الفقهاء

---

(25) نفح الطيب ج : 82/2 ، تحقيق الدكتور احسان عباس ـ دار الفكر ـ بيروت .
(26) الصلة ، مجلد : 618/2 ـ طبعة مجريط .

كان البرابرة والثائرون يعتبرونهم من انصار الحكم القائم ، ولكن هذا الاحتمال يتلاشى عند ما نرى ان ابن عبد البر لم يرجع الى قرطبة بعد استقرار الاوضاع ، وخاصة عند ما استولى على الحكم فقيه مثله وهو ابو الحزم بن جوهر .

اما اشتغاله بالفلسفة ، فغير وارد ، ولا يمكن ان يكون سببا فى جلاء ابن عبد البر ، مع العلم انه كان يكره الفلسفة التي لا تقوم على الكتاب والسنة .

والواقع ان ابن عبد البر كان يميل الى الهدوء والاستقرار ، ولذا لما وجد من يوفر له ذلك لازمه واستغنى عن قرطبة .

رحل ابن عبد البر من قرطبة ، واتجه نحو غرب الاندلس ، فاقام باشبيلية مدة ، وكان ربما قصد الاستيطان بها ، ولكن تلقى فيها معاملة غير ملائمة وخاصة ممن كان يظن أنهم اصدقاؤه (27) .

ولما لم يلق به المقام فى اشبيلية ، رحل الى دانية ، والقى بها عصا التسيار ، حيث وجدها خير مكان طالما بحث عنه ، فاتصل بأميرها مجاهد ابن عبد الله العامري فكرمه واحاطه بعطفه وعنايته ، اذ كان يمتاز هذا الامير بحبه الشديد للعلم والعلماء ، وجمع الكتب ، فاجتمع بيديه جملة من مشايخهم أمثال ابي عمرو الداني (28) وابن سيدة (29) وقد ظل ابن عبد البر بدانية الى حدود سنة 432 هـ اى الى ان توفي ابو الجيش مجاهد العامري ثم رجع الى غرب الاندلس ، فاتصل بالمظفر بن الافطس صاحب بطليموس (30) ، فولاه منصب القضاء فى لشبونة وشنترين (31) .

وبعد وفاة المظفر بن الافطس سنة 434 هـ رجع الى شرق الاندلس، فقضى هناك البقية الباقية من عمره ، متنقلا بين دانية وبلنسية وشاطبة (32) ، وذلك فى أوقات مختلفة .

---

(27) بهجة المجالس ج : 243/1 -
(28) نفح الطيب ج : 386/1 ، تحقيق د. احسان عباس - دار الفكر - بيروت .
(29) البغية ص : 405 - طبعة مجريط .
(30) وفيات الاعيان ج : 68/7 ، تحقيق الدكتور احسان عباس .
(31) نفس المصدر السابق .
(32) الصلة مجلد : 618/2 - طبعة مجريط .

وتعد الفترة التي قضاها ابو عمر بن عبد البر في دانية من اجمل ايامه واسعدها ، اذ فيها اشتهر وظهر علمه ، وفيها وجد راحته والهدوء الذي كان يبحث عنه (33) .

وخلال تنقله في ربوع الاندلس ومدنها شرقا وغربا ، كان يقوم بالتدريس والتأليف ، والاتصال بالعلماء ، فيسمع منهم الحديث وياخذ عنهم العلم .

وكان التدريس والتأليف وهدايا الامراء والملوك من مصادر رزقه وعيشه ، لان العلماء في عصره كانوا ياخذون الاجرة على التعليم والتحديث (34) فكانوا يتكسبون بعلمهم ويعانون بعد الفقر ويشتهرون بعد الخمول (35) .

## ثالثا : شيوخه وتلامذته :

### ا ـ شيوخه :

ان ابن عبد البر قديم السماع ، كثير الشيوخ (36) فلا يمكن للدارس ان يحصيهم ويعدهم كلهم ، لكن ما لا يدرك كله ، لا يترك جله ، لذا سأحاول ان أضع قائمة لشيوخه الذين استطعت العثور عليهم في بطون مؤلفاته وفي كتب التراجم والسير : وهاكم بعض شيوخه في سطور :

1 ) أبو الوليد عبد الله بن يوسف المعروف بابن الفرضي (37) رحل الى المشرق وله تآليف عديدة ، قرأ عليه ابن عبد البر تاريخ وكتاب المؤتلف والمختلف في اسماء الرجال ، ورسالة ابن ابي زيد القيرواني في الفقه ، وكتاب المنبه ، لابي الحسن القابسي (38) .

---

(33) المغرب ج : 407/2 .
(34) الصلة ص : 48 ـ طبعة مجريط .
(35) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ص : 278 ـ الدار المصرية
(36) الجذوة ص : : 344 ، تحقيق بن تاويت الطنجي ـ مكتبة نشر الثقافة الاسلامية ـ القاهرة .
(37) انظر ترجمة كافة في رسالة محمد بنيعيش لنيل دبلوم الدراسات العليا الاسلامية من دار الحديث الحسنية .
(38) الجذوة ص : 238 ـ طبعة مجريط .

2 ) ابو عمر احمد بن محمد الطلمنكي ، امام فى القراءات وثقة فى الروايات (39) رحل الى المشرق اخذ عنه ابن عبد البر علم الحديث وعلم القــــراءات .

3 ) احمد بن فتح الرسان ابو القاسم ، له رحلة الى المشرق ، كان حافظا للحديث وعالما بالقراءات ، والف كتبا حسنة منهـــا كتــــاب فى الفرائض . قرأ عليه ابن عبد البر كتاب « الـــدار » و « مقتل عثمـــان » لعمر بن شيبة النمـــري (40) .

4 ) ابو القاسم خلف بن سهل ، له رحلة الى المشرق ، كان عالما بالقراءات وتجويد القرءان ، حافظا للحديث وعالما بطرقه (41) والف كتبا حسنة فى الزهد ، وخرج من كتب الائمة « حديث مالك » ومسند شعبة ابن الحجاج ، واسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين ، وكتاب « الخائفين » و « اقضية شريح » و « زهد بشر بن الحاج » (42) .

5 ) ابو العباس احمد الاقليشي ، له رحلة الى المشرق ، محدث فقيه ، قرا عليه ابن عبد البر حديث علي بن الجعد . وسمع منه منثـــورا كثيـــــرا (43) .

6 ) ابو علي اسماعيل بن عبد الرحمن القرنين ـ رحل الى مصر ، محدث ، فقيه ، قرا عليه ابن عبد البر « مختصر ما ليس فى مختصر ابن عبد الحكم » وكتابه فى « الاشربة وفى النساء » (44) .

7 ) سلمة بن سعيد الاستجي ، فقيه محدث ، رحل الى المشرق، سمع منه ابن عبد البر كتاب « التأمين خلف الامام » و « شرح قصيدة ابن ابـــي داود من تأليفـــه .

---

(39) الصلــــة ص : 106 ـ طبعــة مجريـــط .
(40) الجـــــذوة ص : 132 ـ طبعـــة مصـــر .
(41) تاريخ علماء الاندلس لابي الفرضي ص : 138 ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة .
(42) نــــفس المصـــــدر .
(43) الجـــــذوة ص : 133 ـ الطبعة الاولى ـ مصـــر .
(44) الجـــــذوة ص : 153 .

8 ) ابو محمد عبد الله التجيبي المعروف بابن الزيات ، رحل الى المشرق رحلتين ، كان كثير الحديث ، مسندا صحيحا للسماع (45) .

9 ) ابو المطرف عبد الرحمن القنارعي ، رحل الى المشرق ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث والتفسير ، الف « كتاب الشروط » على مذهب مالك ، وله « شرح الموطأ » واختصار تفسير ابن سلام (46) .

10) ابو القاسم عبد الرحمن الهمذاني ، المعروف بالحراز ، رحل الى المشرق ، محدث فقيه وكان رجلا صالحا يحب العزلة (47) .

11) ابو زيد عبد الرحمن العطار ، له رحلة الى المشرق ، محدث، فقيه ، قرا عليه ابن عبد البر « جامع ابن وهب » (48) .

12) ابو الاصبع عبد العزيز النحوي ، ويعرف بالاخفش ، رحل الى المشرق ، نحوي ولغوي (49) .

13) ابو عمر احمد بن عبد الله المعروف بابن الباجي ، له رحلة الى المشرق ، عالم ، محدث ، كان يحفظ غريب الحديث لابي عبيدة وابي قتيبة (50) قرا عليه ابن عبد البر « المنتقى » لابي الجارود ، وكتاب « الضعفاء والمتروكين » للمؤلف نفسه .

14) ابو الوليد سليمان الباجي ، القاضي باشبيلية ، رحل الى المشرق ، فقيه ، ومحدث ، روى عنه حافظ المغرب ابن عبد البر ، وحافظ المشرق ، الخطيب البغدادي .

15) ابو الاصبغ عيسى المقري ، رحل الى المشرق ، محدث ، فقيه ، اديب (51) .

(45) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ص : 247 ـ الدار المصرية للترجمة والنشر .
(46) الاعلام للزركلي ج : 112/4 ـ الطبعة الثانية .
(47) الصلة ص : 311 ـ طبعة مجريط .
(48) الجذوة ص : 261 ـ الطبعة الاولى ـ مصر .
(49) الجذوة ص : 269 ـ الطبعة الاولى ـ مصر .
(50) الجذوة ص : 120 ـ الطبعة الاولى ـ مصر
(51) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ص : 336 ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة .

16) ابو عمر احمد بن هشام ، رحل الى المشرق ، محدث ، وكان رجــلا فاضــلا .

17) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون ، فقيه مالكـي ، من رجال الحديث ، رحل الى المشرق .

18) ابو عبد الله محمد بن البقري ، رحل الى المشرق ، له حــظ وافـــر من العلـــم .

19) ابو عبد الله محمد بن خليفة ، رحل الى المشرق ، من رجال الحديث ، وكان رجلا صالحا يتبرك به .

20) ابو عبد الله محمد الاموي ، رحل الى المشرق ، فقيه ، ومن رجال الحديث والآداب (52) .

21) ابو بكر الرازي بن عبد الوارث ، قــدم الى الاندلس مـــن المشرق ، محدث وفقيه (53) .

22) ابو عبد الله محمد بن رشيد المكتــب ، ويعرف بالسراج ، رحل الى المشرق ، كان من رجال الحديث ومن قراء القرءان (54) .

23) ابو عبد الله محمد بن عمروس ، رحل الى المشرق ، فقيـــه محدث ، ولي الاحباس بقرطبة (55) .

24) ابو الوليد هشام بن فتحون ، رحل الى المشرق ، فقيه ومن رجال الحديث .

25) ابو محمد مسلمة البتري ، من رجال الحديــث ، رحـــل الى المشرق ، قرأ عليه ابن عبد البر كتابه فى « فضل طلب العلم » .

---

(52) الصلـــــة ص : 372 ـ طبعـــة مجريـــط .
(53) الصلـــــة ص : 543 ـ طبعـــة مجريـــط .
(54) الجــــــذوة ص : 52 ـ الطبعـة الاولى ـ مصر .
(55) الصلـــــة ص : 469 ـ طبعـــة مجريـــط .
(56) الجــــــذوة ص : 234 ـ الطبعة الاولى ـ مصـــر .

26) ابو محمد عبد الله بن اسد الجهني ، رحــل الى المشـرق ، محدث ، قرأ عليه ابن عبد البر « مصنف النسائي » (56) .

27) ابو عبد الله محمد بن الحذا ، رحل الى المشرق ، فقيــه ، حافظ ، ومن رجال الحديــث (57) .

28) ابو الحسن على الشرازي ، قدم من المشرق الى الاندلس ، فقيــه ، محــدث ، .

29) ابو عبد الله محمد بن يحيى ، رحل الى المشرق ، محدث ، فقيـــــه .

30) ابو العباس احمد بن الدلائي ، كان من رجال الحديث الكبار ، عالـــي السنـــــد (58) .

31) ابو القاسم احمد بن الرسان ، رحل الى المشرق ، كان فقيها فرضيا ، ومن اهــل الحديــث (59) .

32) ابو عثمان سعيد بن نصر ، ويعرف بابن الفتح ، رحـــل الى المشرق ، شيخ محدث ، أديب ، فصيح ، كان من الملازمين لقاسم بـــن اصبغ البياني ، درس عليه ابن عبد البر « كتاب المجتبــى » لقاسم بـــن أصبـــــغ (60)

33) ابو الفضل احمد الطاهري ، رحـــل الى المشرق ، فقيـــه ومحدث ، قرأ عليه ابن عبد البر كتاب « فضائل الجهـــاد » و « صريـــح السنـــة » لابن جرير الطبري (61) .

34) ابو الوليد يونس بن الصفار ، فقيه مالكي ، وعالم بالحديث ، متصوف واديب وشاعر (62) .

---

(57) البغيـــــة ص : 136 ـ طبعــة مجريــط .
(58) الصلـــــة ، مجلد : 69/1 ـ طبعة مجريـط .
(59) الصلـــــة ، مجلد : 69/1 ـ طبعـة مجريـط .
(60) الجــــــذوة ص : 218 ـ الطبعة الاولى ـ مصـــر .
(61) الجــــذوة ص : 132 ـ الطبعة الاولى ـ مصـــر .
(62) الجـــــــذوة ص : 362 ـ الطبعة الاولى ـ مصـــر .

35) ابو عمر بن الجسور . حافظ . فقيه . عالم بالانساب واسماء الرجال ، قرا عليه ابن عبد البر كتاب « ذيل المذيل » لابن جرير الطبري (23) .

36) ابو الاصبح بن بحت ، من رجال الحديث ، قرا عليه ابن عبد البر « كتاب العلم » لابن حزم أحمد بن سعيد ، ومصنف أبي عبد الرحمن النسائي .

37) ابو عثمان يعيش بن سعيد الوراق ، محدث ، فقيه ، له كتاب « مسند حديث ابي بكر بن معاوية القريشي » (64) .

38) ابو الحزم وَهب الشذوني ، شيخ صالح ، محدث ، فقيه ، حافظ للراى ، قرا عليه ابن عبد البر كتاب : « غرائب حديث مالك » (65)

39) ابو اسحاق ابراهيم بن شاكر فقيه مالكي ، محدث ، ذو فضل وصلاح (66) .

40) ابو عبد الله عبيد الله بن محمد . محدث . فقيه (67) .

41) ابو المطرق عبد الرحمن بن فطيس ، حافظ للحديث ، عالم بعلله ورجاله ، كان قاضيا للجماعة بقرطبة (68) .

42) ابو المطرف عبد الرحمن بن نصر الرفاء ، فقيه ، محدث ، كتب اليه من المشرق ابو يعقوب بن الداخل ، وابو القاسم السقطي (69) .

43) أبو بكر عباس الهمذاني الحجازي شيخ من رجال الحديث . ضابط (70) .

---

(63) الجذوة ص : 101 ـ الطبعة الاولى ـ مصر .
(64) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي :/199 ـ الدار المصرية للترجمة والنشر .
(65) الجذوة ص : 338 ـ الطبعة الاولى ـ مصر .
(66) الجذوة ص : 146 ـ الطبعة الاولى ـ مصر .
(67) نفس المصدر السابق .
(68) الصلة : 303/5 ـ طبعة مجريط .
(69) الصلة : 303/5 ـ طبعة مجريط .
(70) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي : 298/1 ـ الدار المصرية للترجمة والنشر .

44) ابو حفص عمر بن نمارة ، فقيه مالكي ، محدث . روى عنه ابن عبد البر تاريخ ابي عبد الله ابن عبد البر فى فقهاء قرطبة ، وكتابه فى القضاء (71) .

45) ابو عبد الله محمد بن المكتب ، فقيه ، محدث (72) .

46) ابو عبد الله محمد بن ابي القرامية ، فقيه من رجال الحديث وعلمائه ، ومن كتبه : « كتاب فى كلام ابي زكرياء بن معين » فى ثلاثين جزءا .

47) ابو جعفر محمد الاسدي . أديب ، ومن رجال الحديث وعلمائه (73) .

48) ابو القاسم احمد بن عصفور ، أديب شاعر من اهل الفضل والصلاح (74) .

49) ابو العاصي امية بن غالب الموررودي ، شاعر ، محدث ، اديب (75) .

50) ابو نصر هارون القيسي ، عالم من رجال الحديث والادب(76)

51) ابو عمر يوسف بن عمروس ، فقيه ، حافظ للمسائل ، رئيس المقتبس ، محدث ، مؤدب (77) .

52) ابو بكر يحيى بن مسعود ، من رجال الحديث . فقيه مالكي ، قرا عليه ابن عبد البر ما خرجه محمد بن وضاح فى الصلاة فى النعلين (77)

53) ابو محمد قاسم بن عسلون ، فقيه ومحدث ، اخذ عنه ابن عبد البر تاريخ الرازي الاوسط ، وأجاز له رواياته (79) .

---

(71) الجذوة ص : 284 – الطبعة الاولى – مصر .
(72) الجذوة ص : 38 – الطبعة الاولى – مصر .
(73) الصلة : 474/1 – طبعة مجريط .
(74) الصلة ص : 32 – طبعة مجريط .
(75) البغية ص : 227 – طبعة مجريط .
(76) الصلة ص : 595 – طبعة مجريط .
(77) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ص : 208 – للدار المصرية .
(78) الجذوة ص : 354 – الطبعة الاولى – مصر .
(79) الصلة ص : 459 – طبعة مجريط .

54) خلف بن المنفوخ ، فقيه ، محدث ، مالكي ، روى عنه ابن عبد البر مسند علي بن عبد العزيز (80) .

55) خلف بن احمد المعروف بابن ابي جعفر ، فقيه ، عالم بالتعديل والتجريح ، سمع منه ابن عبد البر التاريخ الكبير فى التعديل والتجريح لاحمد بن سعيد (81) .

56) ابو علي بن عبد الله البيجاني ، فقيه مالكي ، محدث ، روى عنه ابن عبد البر « الواضحة » لعبد المالك بن حبيب (82) .

57) ابو محمد عبد الغني المصري الازدي ، شيخ ، حافظ بمصر فى عصره اخذ ابن عبد البر عنه بالمكاتبة .

58) ابو ذر الهروي ، عالم بالحديث ، من الحفاظ ، ومن فقهاء المالكية (83) روى عنه بالمكاتبة .

59) ابو القاسم السقطي من مكة ، كاتب ابن عبد البر (84) .

60) ابو الفتح بن سيحت ، كاتبه (85) .

61) ابو محمد بن النحاس من مصر ، كاتبه (86) .

62) احمد بن نصر الدراوردي من مكة ، كاتبه (87) .

### ب ـ تلاميذه :

لقد كثر تلاميذ أبي عمر بن عبد البر كثرة يصعب على المرء ان يحيط بهم جميعا ، وذلك نظرا لمكانته العلمية ، ولعلو سنده ، وتهافت

---

(80) الجذوة ص : 194 ـ الطبعة الاولى ـ مصر .
(81) نفس المصدر .
(82) الجذوة ص : 83 ـ الطبعة الاولى ـ مصر .
(83) الاعلام للزكلي ج : 4 ص : 41 ـ الطبعة الثانية .
(84) الصلة ص : 459 ـ طبعة مجريط .
(85) تذكرة الحفاظ ، مجلد : 1128/3 ـ الطبعة الرابعة .
(86) الصلة ، مجلد : 616/2 ـ طبعة مجريط .
(87) الصلة ، مجلد : 616/2 ـ طبعة مجريط .

طلاب العلم عليه ، وطول عمره ، الذي قضاه كله في خدمة العلم . وساقتصر في هذه النبذة على ذكر اهمهم وهم :

1 ـ ابو محمد علي بن حزم ، الفقيه ، المحدث ، المجتهد ، الفيلسوف ، الاديب ، المؤلف الكبير (88) .

2 ـ ابو محمد عبد الله بن عبد البر ابنه ، اديب ، بارع ، ذو الوزارتين (89) .

3 ـ ابو محمد عبد الله اللخمي سبطه ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، روى عن جده واجاز له رواياته وتاليفه (90) .

4 ـ ابو عبد الله محمد بن فتحون الحميدي ، من رجال الحديث ، فقيه ، حافظ ، مؤلف ، كان فريدا في عصره (91) ، كان ظاهريا على مذهب ابن حزم (92) .

5 ـ ابو زيد عبد الرحمن بن الحشا ، فقيه عالم ، قاضي طليطلة (93) .

6 ـ ابو بكر بن القدرة ، فقيه ، مستشار ببلنسية ، ومن رجال الحديث (94) .

7 ـ ابو الحسن بن مفوز ، فقيه ، محدث ، من رجال الادب هو الذي صلى على ابن عبد البر عند وفاته (95) .

8 ـ ابو بحر الاسدي ، امام في الحديث ، اديب ماهر (96) .

---

(88) سير النبلاء للذهبي ، جزء خاص بترجمة ابن حزم للاستاذ سعيد الافغاني ـ دار الفكر بيروت ـ 1389 هـ ـ 1969 م .
(89) دائرة المعارف اللبنانية ج : 334/3 ـ بيروت .
(90) التكملة على كتاب الصلة ج : 821/2 ، نشر عزت العطار ، 1375 هـ ـ 1956 م .
(91) الصلة ، مجلد : 274/1 ـ طبعة مجريط .
(92) نفح الطيب ج : 113/2 ، تحقيق الدكتور احسان عباس ـ دار الفكر ـ بيروت .
(93) البغية ص : 370 ـ طبعة مجريط . الصلة : 334/5 ـ طبعة مجريط .
(94) البغية ص : 370 ـ طبعة مجريط . الصلة : 364/5 ـ طبعة مجريط .
(95) البغية ص : 314 ـ طبعة مجريط .
(96) البغية ص : 291 ـ طبعة مجريط .

9 – ابو علي الحسن الغساني ، شيخ من شيوخ الحديث ، حافظ ، عالم بالرجال (97) ، ومن كتبه : « تقييد المهمل وتمييز المشكل»

10 – ابو عمران موسى بن ابي تليد ، فقيه حافظ ، محدث مشهور، من تلاميذه ابو الوليد بن الدباغ الحافظ (98) .

11 – ابو محمد بن ثابت ، محدث ، خطيب بشاطبة (99) .

وهذا قليل من كثير ، اذ بلغ تلاميذه المآت ، يصعب على الباحث ان يجمعهم في بحث مخصص للمجلات كهذه ، ومن اراد المزيد فليرجع الى ذلك ، في رسالتي التي خصصتها لنيل دبلوم الدراسات العليا الاسلامية.

## رابعا : آثاره :

لم يرحل ابو عمر بن عبد البر للقاء ربه ، حتى خلف وراءه ثروة علمية هائلة ، وتتمثل هذه الثروة العلمية في مؤلفاته العلمية الضخمة ، وفتاويه وشعره وفقهه ، وقد ترك كثيرا من المصنفات ربما ضاع او فقد ، ولهذا فمن الصعب الجزم بأن ما سأذكره هو كل الكتب والمصنفات التي الفها ، ومن ثمة فانني لا أستطيع أن أقول اني جمعت كل اثاره ، ولكن حاولت ان اضع لها قائمة تقريبية ، كما انه من الصعب جمع تلك المصنفات في فئات حرفية على حسب مادتها ، لان الكثير منها متداخل ، ومختلف الموضوعات، ولكن مهما كانت حقيقتها ، فاننا نستطيع ان نصنفها على التغليب كالتالي :

### ا – في علوم القرءان :

من كتبه في علوم القرءان :

1 ) كتاب البيان عن تلاوة القرءان ، جزء واحد (100) .

---

(97) المدارك ج : 808/4 ، 809 – طبعة بيروت .
(98) الصلة ص : 515 – طبعة مجريط .
(99) البغية ص : 441 – طبعة مجريط .
(100) الجذوة ص : 345 – الطبعة الاولى – القاهرة .

2 ) كتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وابي عمرو بن العلاء (101) .

3 ) كتاب الانصاف فيما فى بسم الله من الخلاف ، كتاب صغير عبارة عن فتوى (102) .

4 ) « التجديد الى علم القراءة بالتجويد » جزآن ، ذكره الحميدي (103) .

## ب ـ فى الحديث والفقه :

5 ) كتاب التمهيد لما فى الوطا من المعاني والاسانيد ، وهو كتاب ضخم يضم عشرة اسفار او عشرين مجلدا ، أو تسعين جزءا ، وهو عبارة عن موسوعة ابن عبد البر ، ودائرة للمعارف الاسلامية ، جمع فيه من الحديث والفقه ما لا يوجد فى غيره ، وهو فريد فى منهجه واسلوبه ، أو هو عبارة عن كشكول من المعارف .

6 ) الاستذكار لمذاهب الامصار ، فيما تضمنه الموطأ من معاني الراي والاثار ـ اربعة أجزاء .

7 ) التقصي لما فى الموطأ من حديث رسول الله والتجريد ـ اربعة أجزاء .

8 ) كتاب فى حديث مالك خارج الموطأ (104) .

## ج ـ فى الفقه :

9 ) الكافي فى الفقه على مذهب اهل المدينة ـ ستة عشر جزءا (105) .

---

(101) الجذوة ص : 345 ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة .
(102) مطبوع ضمن الرسائل المنيرية .
(103) الجذوة ص : 345 ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة .
(104) ذكره القاضي عياض فى ترتيب المدارك ج : 84/2 ـ الطبعة الاولى لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ المغرب .
(105) الجذوة ص : 345 ـ طبعة القاهرة .

10) كتاب اختلاف اصحاب مالك بن أنس واختلاف رواياتهم عنه ـ أربعة وعشرون جزءا (106) .

11) كتاب الاجوبة الموعبة فى الاسئلة المستغربة (107) .

## فى العلوم المختلفة :

12) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي فى روايته وحمله ـ جزآن

13) كتاب الشواهد فى اثبات خبر الواحد (108) جزء واحد .

14) الاشراف فى الفضائل (109) .

15) اختصار التحرير واختصار التميز لمسلم (110) .

## د ـ فى التاريخ والسير :

16) الانباه على قبائل الرواة ـ كتاب صغير .

17) الاستيعاب فى طبقات الاصحاب ـ اثنا عشر جزءا .

18) كتاب الدرر فى اختصار المغازي والسير ـ ثلاثة أجزاء .

19) اخبار ائمة الامصار ـ سبعة أجزاء .

20) العضد والامم فى التعريف بأنساب العرب والعجم ـ كتاب صغير .

21) كتاب اسماء المعروفين بالكنى ـ سبعة أجزاء .

---

(106) الجذوة ص : 345 ـ طبعة القاهرة .
(107) المدارك للقاضي عياض ج : 809/4 ـ طبعة بيروت .
(108) التمهيد لابن عبد البر ج : 1 ، ص : 2 ـ الطبعة الاولى ـ المغرب .
(109) المدارك ج : 809/4 ـ طبعة بيروت .
(110) مقدمة البهجة لعلمي النجدة ـ طبعة القاهرة .
(111) الجذوة ص : 345 ـ طبعة مجريط .

22) الانتقاء فى فضل الثلاثة الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة جـزء واحـد (112) .

23) اخبار ائمة الامصار (113) ـ سبعة اجزاء .

24) جمهرة الانساب (114) .

25) اختصار تاريخ احمد بن سعيد (115) .

26) فهرس شيوخه .

## هـ ـ فى الادب :

27) بهجة المجالس وانس المجالس ـ مجلدان كبيران (116) .

28) نزهة المستعين ورضة الخائفين (117) .

29) العقل والعقلاء وما جاء فى أوصافهم عن الحكماء والعلماء ـ جـزء واحـد .

30) الابتهال بما فى شعر ابي العتاهية من الحكم والامثال (118)

31) رسالة أدب المجالسة وخوض اللسان (119) .

32) شرح زهديات ابي العتاهية .



## خامسا : علمه وخلقه :

من العسير ان يصور الباحث مدى ثقافة ابن عبد البر ، لتشعب هذه الثقافة وشمولها لجميع أنواع المعرفة فى عصره ، فهو عبارة عن كشكول من المعارف المختلفة ، اذ كان يلهتم كل ما وجد فى طريقه من

(112) مطبوع ، وهو كتاب ترجم فيه ابن عبد البر الائمة الثلاثة .
(113) ذكره الحميدي والضبي .
(114) كتاب صغير ذكره ابن فرحون فى الديباج المذهب .
(115) ذكره الحميدي والضبي والقاضي عياض .
(116) طبع القسم منه بالقاهرة من طرف لجنة احياء التراث ـ الدار المصرية .
(117) لا زال مخطوطا بالفاتكان .
(118) طبع ذكره عمر كحالة فى المنتخب ، من محفوظات المدينة المنورة .
(119) مخطوط فى دار الكتب المصرية .

العلوم والفنون مثله في ذلك مثل الجاحظ ، لكن مع فارق بينهما . فالجاحظ كان يميل الى العلوم التجريبية ، وابن عبد البر كان يميل الى العلوم الاسلامية وخاصة علوم الحديث .

فقد كان مشاركا في جميع العلوم والمعارف ، من حديث ، وفقه ، وتاريخ ، وأدب ، وعلم الكلام ، والنحو واللغة ، والطب ، والهندسة ، والموسيقى ، واللغة الاجنبية .

ففي الحديث كان من الحفاظ الكبار ، ومن النقاد العظام ، الذين اتجهوا الى تمحيص الرواية ، واستخراجها من بين الدخيل ، وتمييز الخبيث من الطيب ، فدرس رواة الحديث ورجاله واحوالهم ، وعرف الامين الضابط للرواية الفاهم من غيره ، حتى بلغ فى ذلك الذروة حيث وضع قواعد ومصطلحات للحديث ، لم يسبقه اليها احد ، كما جمع حديثا كثيرا بسنده يمكن ان نسميه بمسند الحافظ ابن عبد البر .

وفي الفقه وصل الى درجة الاجتهاد ، حيث رجع فى استنباط احكامه الى الاصول التي استنبط منها الائمة والسلف الصالح قديما ونبذ التقليد ورجع الى طريق السلف ، وهي الاخذ من الكتاب والسنة مباشرة وبدون واسطة ، فاستنبط ، وصحح ورجح واختار ، وقارن المذاهب بعضها ببعض ، واتى بالشواهد والحجج والبراهين ، فخلف باستنباطاته وترجيحاته ، فقه السنة المقارن أو فقه المذاهب المقارن .

وكان فى فقهه مرنا ، متفتحا على جميع المذاهب بدون تعصب لهذا فهو مع الحق والصواب الذي يعطيه النص المقدس .

ورغم انه كان يعمل فى اطار المذهب المالكي ، فهو يميل الى المذهب الشافعي واحيانا الى الحنفي ، او الحنبلي ، والواقع انه كان فوق المذاهب ، يستقي فقهه ، من منابعه الاصلية بل احيانا كان يعارض الامام مالكا ، ويبدو ذلك جليا فى فتاويه واجتهاداته .

ويمتاز فقهه بالواقعية وعمق التفكير ، والاستقلالية ، وسعة الاطلاع ، ومن هنا فهو صالح لكل عصر ومكان .

وبجانب الحديث وعلومه ، والفقه واصوله ، كان من القراء المجيدين، اذ كان له اطلاع واسع بالقراءات ، والقراء .

واما التفسير فلم يخصص له كتابا ، ولكنه يمكن ان نقول له تفسير آيات الاحكام ، حيث ملا كتابه التمهيد والاستذكار وغيرهما من كتبه بآيات مفسرة ومؤولة بتفسيراته وتأويلاته ، فكل مسألة فقهية الا واستشهد عليها بآية مفسرة من عنده .

وهذه الآية المفسرة المنثورة هنا وهناك ، لو جمعت ، لتكون منها احكام القرءان .

وقد خاض في الكلام والتصوف ، وجال جولات لا يستهان بها بل يمكن ان نجعلها اصولا لعلم الكلام والتصوف السني .

وفى التاريخ والجغرافية كان من المؤرخين الكبار ومن الجغرافيين البارعين ، وخاصة الجغرافية المكانية .

وفى الادب واللغة العربية ، اديب بارع ، وديوان ضخم من الشعر ، وناقد ماهر ، وقاموس محيط ، ونحوي مقتدر لا يقل عن النسائي والفراء وسبويه ، ورغم انه لم يؤلف كتابا فى النحو فقد ملأ جميع مؤلفاته، بنظريات وتحليلات عميقة فى النحو وقواعد اللغة العربية كما كان له نظريات فى الطب والهندسة والفلك والموسيقى (120) .

وبجانب هذه المعارف المتنوعة ، والثقافة الواسعة ، كان له على الاقل المام باللغة الاجنبية من لاتينية وفارسية .

وكان ابن عبد البر يمتاز بقدرات عقلية هائلة ، اهلته لان يحتل المكانة الاولى فى المغرب العربي الاسلامي ( الاندلس والمغرب ) ؟ اذ حباه الله بالذكاء الوقاد ، والحافظة القوية والذاكرة الواعية ، والعقل الجبار ، والصبر والجلد والاخلاص فى طلب العلم وحبه الشديد له .

وكان يجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق ، ومع حسن المعاشرة ولين الكنف ، وكثرة الاحتمال وكرم النفس والاباء ، ومهابة العلماء والاتقياء .

(120) انظر كتابة جامع بيان العلم وفضله ج : 47/2 وما بعدها ـ دار الفكر ـ بيروت .

## سادســـــا : آراؤه :

### ا ـ في العقائـــــد :

يرى ابن عبد البر ان العلم الاعلى هو علم الدين ، ومنـــه معرفـــة التوحيد ، ولا يتوصل الى هذه المعرفة الا بواسطة النبي ( ص ) وبما جاء فى القرءان من الصفات الدالة على الله .

ويرى ان الجدل فى صفات الله وفى العالم الغيبي مذمـــوم ، وان القول فى ذلك بالراي والظن والقياس على غير أصل ممنـــوع (121) لان ذلك توقيفي ، فلا مجال لاستعمال العقل فيه كما فعل أهل البدع .

والايمان عنده هو الشهادة باللسان والاقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ، وبأن محمداً عبده ورسوله ، وأن له ملائكة ورسلا وأن الانسان سيبعث فى اليوم الآخر .

ويرى ان علم الله قديم وواحد وشامل ، ازلي ، ابدي ، وجميـــع المخلوقات يجرون فى علمه وارادته وقدرته ، فلا يخرج شيء من خلقه عن ذلك ، وأن كل ما هو كائن وما سيكون سبق فى علم الله وارادته (122) .

ويقول ابن عبد البر بالجهة ، اذ يعتقد ان الله يقع جهة الاعلى ، ومن ثم فهو يقول بالفوقية .



اما القضاء والقدر عنده هو سر من أسرار الله ، لا يدرك بجدال ولا نظر ، وحسب المومن من القدر ان يعلم ان الله لا يقوم دون ارادته ، ومن ثم فأفعال الانسان كلها من عند الله وانها سبقت فى علم الله الازلي (123)

ويرى ان التداوي والمعالجة ، انما هي مباحة وليست بواجبة ، وان القدر هو العلاج (124) .

---

(121) جامع بيان العلم وفضله ج : 49/2 ـ دار الفكر ـ بيروت .

(122) التمهيد ج : 138/3 ، 139 ، 140 ـ الطبعة الاولى ـ المغرب .

(123) التمهيد ج : 62/6 ، 63 ، 138 ، 139 ، 140 ـ الطبعة الاولى ـ المغرب .

(124) التمهيد ج : 278/5 ـ 279 ـ 138 ـ 139 ـ 140 ـ الطبعة الاولى ـ المغرب .

ويرى ان مرتكب الكبيرة مومن ، لكن الطهارة والصلاة لا يكفران عنه ولا ينفعانه ، الا اذا تاب ونوى عدم الرجوع اليها (125) .

اما الوعد والوعيد فيقول انه لا يتحتم على الله فيهما لا ثواب ولا عقاب ، فهو حر في ارادته ومشيئته (126) .

والقرءان عنده كلام الله ، وما فيه حق من عند الله يجب الايمان بجميعه واستعمال محكمه وليس بمخلوق ، وان من يقول بخلقه مبتدع ومخالف للسنة .

والجدال والمراء في القرءان والمناظرة فيه لا يجوز ، ويرى ان ذلك كفر (127) ، اما الجدال في احكامه ومعانيه ، فيرى ابن عبد البر انه جائز (128) .

ويرى ان الجنة والنار ، مخلوقتان موجودتان الآن ، وانهما لا تبيدان، واننا سنرى الله يوم القيامة ، وسننظر اليه كما ننظر البدر ليلة تمامه وكماله (129) .

اما عذاب القبر والدجال والشفاعة والحوض ، فمذهبه فيها هو مذهب اهل السنة ، وهو انه يجب التصديق بها ، وانها ستقع لا محالة (130) .

ويرى ان الروح والنفس شيء واحد ، لكن العقول تنحسر عن ادراكها وتعجز عن سبر غورها وكنهها (131) .

### د ـ في السياسة :

وفي السياسة كان رجلا واقعيا ، فبالنسبة للخلفاء الراشدين يرى انهم كلهم افضل الناس بعد رسول الله ( ص ) ويذكرهم على الترتيب ،

(125) التمهيد ج : 44/4 ـ 45 ـ 138 ـ 139 ـ 140 ـ الطبعة الاولى ـ المغرب .
(126) التمهيد ج : 12/6 ـ 13 ـ 14 ـ 138 ـ 139 ـ 140 ـ الطبعة الاولى ـ المغرب.
(127) جامع بيان العلم وفضله : 13/18 ـ دار الفكر ـ بيروت .
(128) نفس المصدر السابق .
(129) جامع بيان العلم وفضله ج : 169/2 ـ دار الفكر ـ بيروت .
(130) التمهيد ج : 191/2 ـ الطبعة الاولى ـ المغرب .
(131) التمهيد ج : 246/5 ـ الطبعة الاولى ـ المغرب .

لكنه يعتبر فى فلك الترتيب ، الترتيب الزمني لا الترتيب القيمي . فلا فرق بين الخلفاء الاربع فى الفضل غير ان كلام الحرورية ضلالة ، وكلام الشيعة هلكة (132) .

وبالنسبة لاختيار الخليفة ، فيرى انه يجب ان يختار من اهل الفضل والعدل والاحسان والدين ، فان لم يكن هذا فالصبر على طاعة الخليفة الجائر الظالم اولى بالخروج عليه ، لما فيه من استبدال الامن والخوف واراقة الدماء ، وشن الغارات والفساد ، وذلك اعظم من الصبر على جوره وفسقه (133) .

ويرى ان مخالفة العلماء للسلطان شيء مطلوب ، ومن اعمال البر (134) .

## ح ـ فى الاجتهاد والراي :

يقول انه يجب على العالم ان يجتهد ، اذا فقد النص ، ولا يجوز له ان يقلد أحدا لان ذلك عنده مذموم ، ويرى ان التقليد بدون دليل شر ، لا يحفل به ، وصاحبه لا فرق بينه وبين البهيمة ، ومن هنا فقد ابطل التقليد ، واجاز الاتباع ، والاتباع عنده هو الرجوع الى قول عليه الدليل والحجة ، ويرى ان الاتباع جائز ، أما التقليد وهو الرجوع الى قول لا حجة لقائله فهو ممنوع فى الشريعة .

والاجتهاد عنده هو الاجتهاد الذي يقوم على الاصول لا على التقليد الاعمى ، ولهذا فالمجتهد هو من يرجع الى الكتاب والسنة والاجماع ويستنبط منها الاحكام باستعمال عقله وفكره طبق القواعد والاصول المتفق عليها ، لا من يرجع الى أقوال الفقهاء وتقليدهم تقليدا اعمى .

ويرى ان اختلاف العلماء ليس بحجة ، ولا يعتمد عليه ، فاذا استوت الادلة يجب الميل الى الاشبه بكتاب الله وسنة رسوله ، ويرى انه لا يجوز القطع الا بيقين (135) .

---

(132) جامع بيان العلم وفضله ج : 224/2 ـ دار الفكر ـ بيروت .
(133) شرح الزرقاني ج : 9/3 ـ ط 12 ـ المغرب .
(134) جامع بيان العلم وفضله ج : 223/1 ـ دار الفكر ـ بيروت .
(135) جامع بيان العلم وفضله ج : 99/2 ـ دار الفكر ـ بيروت .

## سابعـــا : مناهجـــه :

تابع ابن عبد البر فى نشاطه الفكري اسلوبا فريدا من نوعه ، اعترف به الاعداء قبل الاصدقاء وهو اسلوب يتسم بالجمع بين منهج العقلانييـــن الذي يعتمد على الاستقراء والاستنباط ، وبين منهج المحدثين الذيـــن يعتمد على النقل والرواية ، وهذا الاسلوب الذي يعتمد على الازدواجيـة هو منهج ابن عبد البر . وقد قسمته الى اربعة أقسام :

### اولا ـ منهجه فى العقيدة :

ففي العقيدة يقوم على الاتباع وعدم الاجتهاد واستعمال العقل ، لانها توقيفية ولا مجال للعقل فيها ، ولا مكان للقياس فى صفات الله تعالـى ، فالقياس يكون فى الاحكام لا فى العقيدة .

ومن ثمة فمنهجه فى العقيدة هو منهج القرءان ، منهج الفطرة النقية والذوق السليم ، المنهج الذي اتبعه السلف من الصحابة والتابعين ، وهو المنهج الذي يعتمد على الرواية والنقل ، والرجوع الى منابع الدين سهلا صافيا لم تكدره آراء اهل البدع والاهواء .

### ثانيا ـ منهجه فى الفقه والاحكام الشرعية :

اما فى الفقه والاحكام الشرعيـــة ، فمنهجـــه يقوم على الاجتهـــاد واستعمال القياس والتوسع فى استنباط الاحكام من القرءان والحديث ، والتقيد الشديد بالنصوص ، فما يعطيه النص حسب القواعد الاصولية ، فهو الحق ، فان صادف رايه احد المذاهب صوبه او رجحه او اختاره أو ايده ، وان خالف رايه فى ذلك راى احد الائمة ، رده وعارضه ، مؤيـــدا قوله بالحجج والبراهين النقلية والعقلية والواقعية .

ومن هنا فان منهجه الفقهي منهج ازدواجي ، نقلي وعقلي ، اذ يقوم على الاجتهاد المقيد بالنصوص والتمسك بعمل السلف الصالحين ، وعدم التقليـــد .

والاسس التي بني عليها هذا المنهج هي : الكتاب والاجماع والقياس المبني على الكتاب والسنة ، والنقد المعلل والذرائع والمصالح المرسلة، والتاويـــل واللغـــة .

### ثالثا ـ منهجـــه فى الحديـــث :

اما منهجه فى الحديث وعلومه فهو منهج المحدثين او المنهج النقلي، وهو المنهج الذي يعتمد على الرواية والسماع ، لكن ابن عبد البر يطعم هذا المنهج بالمقارنة ، والنقد المعلل خاصة فى الجرح والتعديل ، كمـا يعتمد على الوقائع التاريخية ، والاحداث المتصلة بالرواية والرواة ، ومن هنا فهو ازدواجي ايضا ، نقلي وعقلي .

والاسس التي بني عليها منهجه فى الحديث والعلوم النقلية هـي : السماع والقراءة والوجادة والاجازة ، والمكاتبة .

### رابعا ـ منهجه فى التاليف والتدريس :

اما فى التاليف والتدريس فكـان منهجـه يقـوم على البرهنـة والاستشهادات الكثيرة وعلى اسلوب الاقناع والمنطـق والاستطـرادات وهو منهـج فريـد من نوعـه .

فهو بعد ان يعقد الباب بمسألة من المسائل الفقهية او الادبيـة او بمعنى من المعاني المسوقة من الحياة ، او بشيخ من الشيوخ كما فعل فى التمهيد ، ياتي بالحديث الذي يناسب الموضوع او يأتـي من القـرءان الكريم او بأبيات من الشعر العربي ، ثم ياتي بالطرق الاخرى التـي روى بها هذا الحديث ، وفى حالة نقدها ياتي بها جميعا ولو وصلت ما وصلت وذلك لتصحيح حديث الباب ، او لتأييد الفكرة التي عقـد لها البـاب . فيقابلها ويقارنها .

وعند دراسته لحديث الباب او لفكرة من الافكار ، لا يترك لا صغيرة ولا كبيرة الا واشبعها بحثا ودراسة ، وقتلها قتلا ، فيبدأ بجمع الطـرق المختلفة التي روى بها الحديث او المعنى ويناقشهـا مناقشة علميـة ومنهجية ليطلع القارىء على الفرق بينها ، ثم يتناول رجال السنة فيفعل

معهم مثل ما فعل بالطرق ، من الدراسة والتنقيب عن احوالهم وامكنتهم ويربط الاحداث والوقائع بعضها ببعض .

ثم يكر بعد ذلك بالنقد والتمحيص متنا وسندا ، فاذا قضى وطره من ذلك اقبل على الحديث فيبين ما اشتمل عليه من احكام فقهية ؛ وقواعد اخلاقية .

ولا يفوته عند الحاجة ان يفسر الغريب من مفردات الحديث او الشعر ، ويمكن تلخيص منهجه فى التأليف كما يلي :

1 ـ تقسيم المؤلف الى مقدمة وموضوع ، ثم تقسيم الموضوع الى ابواب وفصول .

2 ـ يعنون الابواب اما بصاحب السند كما فى التمهيد ، او بمعنى من المعاني الذي يتعلق بالاحكام الشرعية او بموضوع فى الاخلاق والحياة .

3 ـ جمع كل ما روى وقيل فى الباب او الموضوع ، من حديث او آى او شعر او حكم .

4 ـ ترجمة الرواة وتعديلهم او تجريحهم .

5 ـ شرح ما استعجم من الالفاظ .

6 ـ وصل كل مقطوع او مرسل من الاحاديث ، المعقود لها الباب .

7 ـ مناقشة الفكرة مناقشة دقيقة وعميقة .

8 ـ اعطاء النتائج والاحكام التي توصل اليها .

**ثامنا ـ مكانته بين العلماء :**

استطاع ابن عبد البر بحبه الشديد للعلم ، ان يتربع على كرسي الحفاظ فاطلق عليه لقب **حافظ المغرب** ، وبالعمل المتواصل ان يبلغ درجة الاجتهاد فى عصره ، وان ينال شهادة العلماء وثناءهم عليه بعلمه

ومؤلفاته وان ينتزع تقديرهم واحترامهم له . ومن بين هؤلاء : ابن حزم الذي قال فيه وفي كتابه التمهيد : « لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا ، فكيف أحسن منه » (136) وما أدراك ما ابن حزم ، وابو الوليد الباجي الذي قال فيه أيضا : « لم يكن بالاندلس مثل ابي عمر ابن عبد البر في الحديث » (2) وزاد ايضا قائلا : « ابو عمر احفظ أهل المغرب » (137) مع العلم انه كان بين الباجي وابن عبد البر تنافر وتنافس على سؤدد العلم .

ويكفي للاستدلال على منزلته ومكانته ان ننقل هذا النص للفتح بن خاقان الذي قال فيه : « ابو عمر بن عبد البر الفقيه الامام العالم الحافظ، امام الاندلس وعالمها الذي التحات به معالمها صحح المتن والسند ، وميز المرسل من المسند ، وفرق بين الموصول والمنقطع ، وكسا الملة منه نور ساطع حصر الرواة ، واحصى الضعفاء منهم والثقات ، وجد في تصحيح السقيم ، وجدد ما كان منه بالكهف والرقيم ، مع معلقات العلل وارهاق ذلك العلل والتنبيه والتوقيف ، والاتقان والتنقيب وشرح المقفل، واستدراك المغفل ، وله فنون هي للشريعة رتاج ، وفي مفرق الملة تاج ، اشتهرت للحديث طبي وفرعت لمعرفته ربي ، وهبت لتفهمه شمالا وصعبا ، وكان ثقة والانفس على تفضيله متفقة » .

واما ادبه فلا تعبر لججه ولا تدحض حجته ، وله شعر لم نجد منه الا ما نفث به انفه (138) .

وقال فيه ابن العماد : « هو العلامة العالم الحافظ لو عمر احد الاعلام ، وصاحب التصانيف وليس لاهل المغرب احفظ منه ، مع الثقة والدين والنزاهة والتبحر في الفقه والعربية » (139) .

وهذا قليل من كثير اقتصرت عليه خوفا من التطويل .

وكان لابن عبد البر تأثير كبير فيمن جاء بعده من الفقهاء والمحدثين والمؤلفين ظهر في افكارهم وعلى صفحات مؤلفاتهم ومن هؤلاء : الزرقاني

(136) نفح الطيب ج : 767/2 ، تحقيق د. احسان عباس ، توزيع دار الفكر ـ بيروت .
(137) وفيات الاعيان ج : 66/7 ، تحقيق د. احسان عباس ـ دار الفكر ـ بيروت .
(138) نفح الطيب ج : 29/4 ـ 30 ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
(139) شذرات الذهب ج : 314/3 ـ 313 ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر ـ بيروت.

فى شرح موطأ مالك ، وجلال الدين السيوطي فى تنوير الحوالك ، والحافظ بن حجر فى شرحه لصحيح البخاري ، وابن رشد فى بداية المجتهد ، والشاطبي فى الموافقات ، والقرطبي فى تفسيره الجامع لاحكام القرءان ، وابن العربي فى احكام القرءان ، والقسطلاني فى شرح صحيح البخاري ، ارشاد الساري ، وابن القيم الجوزية فى اعلام الموقعين عن رب العالمين ، وغيرهم كثيرون .

كما كان لافكاره وكتبه دور كبير فى تهييء الافكار لقبول دعوة الموحدين الى توحيد الاتباع ونبذ النقلة التقليد ، والحكم بما انزل الله (140) .

وهذه المتانة الرفيعة ، وتلك القمة الشامخة أحرز عليها بعلمه الواسع بالعلوم الاسلامية والاخبار والانساب وبعلو سنده وصحته ، وكثرة تآليفه وقيمتها العلمية والادبية . وتمسكه بمنهج السلف الصالح وبشخصيته القوية التي لا تخاف فى الله لومة لائم ، وبعمره الطويل الذي قضاه كله فى البحث عن العلم والمعرفة .

وبالجملة فان ابن عبد البر ، احتل مكانة ممتازة فى الثقافة الاسلامية والادبية ، وخاصة فى الحديث وعلومه ، حيث احرز على لقب حافظ المغرب ، ومعلوم ان هذا اللقب ، لا يطلق الا على من حفظ مائة الف حديث .



## تاسعا ـ وفاته :

توفي ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ بشاطبة حيث انتهى به المطاف يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الثاني سنة ثلاث وستين واربعمائة هجرية ، موافق 1071 ميلادية ، وصلى عليه تلميذه وصاحبه أبو الحسن طاهر بن مفوز المعافري ، وكانت وفاته هو والخطيب البغدادي فى يوم واحد وفى سنة واحدة ، وكان الخطيب البغدادي حافظ المشرق ، وابن عبد البر حافظ المغرب .

وقد عاش ابن عبد البر اكثر من خمس وتسعين سنة ، قضاها كلها فى الجهاد فى سبيل العلم والمعرفة .

---

(140) انظر كتابه : جامع بيان العلم وفضله .



# دراسات فقهية



# الفقه المالكي والوحدة المذهبية بين المغرب وصحرائه

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

ان من تتبع بدقة شبكة تطور الفكر المذهبي فى افريقيا يلاحظ باندهاش ان خطوط هذه الشبكة وحدودها تعانق أطراف خريطة واسعة ترسم أجزاء المغرب بسهوله وجباله وصحرائه ، فلننظر الى خريطة افريقيا ولنتابع كيف دخل المذهب المالكي وكيف تطور ولماذا اختار بعض المناطق أو اختارته دون غيره . ولماذا عانق هذا الاختيار بدقة علمية متناهية يقف أمامها العالم الجغرافي مشدوها .

ويمكن رسم معالم هذا الخط على المراحل الآتية :

ان منبع الالهام الفقهي والاصولي انبثق من مصدر الاسلام الاول وهو مدينة الرسول عليه السلام ، وقد كان هذا العامل أول باعث على حصر اختيارات المغاربة فى مذهب الامام مالك لسببين هما : ان المدينة المنورة هي اطار هذا المذهب ولان عمل اهل المدينة هو منبعه ومثاره ، واذا اعتبرنا ان المغرب عاش فترة مخاض فى تاريخه نسماها ( كوتيي ) بالعصور الغامضة تأرجح خلالها بين مذاهب أبي حنيفة والشافعي والاوزاعي وبعض الاتجاهات الخارجة والرافضية ، فان نهاية القرن الرابع كانت بداية استقرار فى الاعتبار والاختيار بالمغرب وحتى فى هذه الفترة وبالنسبة أيضا لمذهب الخوارج فاننا نلاحظ ان المدينة المنورة كانت مصدر الالهام حيث توجه العالم ( بسمكو بن واسول ) والد أمير سجلماسة

المدراري الى المدينة المنوره لاخذ اصول العقيدة الخارجية عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، ومع ذلك فقد شعرت الدولة المدرارية التي تأسست عام 140 هـ / 757 م انها على غير صواب ، فاختار أميرها الشاكر لدين الله فى منتصف القرن الرابع مذهب مالك مستعيضا باتجاهه الوحدوي عن الخبط الفكري الذي عاشت فيه الصحراء آنذاك نحوا من قرنين ، ولم يكد ينتصف القرن الخامس حتى هب الملثمون من الصحراء فى حركة تآزرت تلقائيا مع الاتجاه العام الذي كان سائدا آنذاك فى المغرب والاندلس ، فاستأصلوا الشيعة الموسويين فى اغمات والروافض بالاطلس الكبير ( حسب البكري وابن حوقل ) والبجليين ( بماسة وتارودانت ) كما قضو على النحلة البرغواطية التي انحدرت من فكرة خارجية شرقية دخيلة تمكنت الى الآن فى الجزائر وتونس بالاضافة الى مذهب الامامين الشافعي وابي حنيفة .

وفى نفس الوقت كانت فاس ملتقى لمذاهب السنة وخاصة مذهب الامام مالك الذي أقام أصوله للمولى ادريس الاكبر باسناد منصب القضاء لاول شخصية عربية هي محمد بن سعيد القيسي تلميذ الامام مالك وسفيان الثوري . ( الجذوة ص 13 ) .

واذا كانت هنالك فى المغرب مظاهر خارجة عن مذهب مالك ، فانما هي اختيارات حرة استمرت الى القرن الرابع حيث اصبحت ( جامعة القرويين ) منبع المعرفة المقارنة فى افريقيا قبل ( جامعة الازهر ) بمائة عام ، وقد نقل ( ابو جيدة الفاسي ) من الشرق وثائق شافعية ، وقد توفى عام 360 هـ / 970 م ( السلوة ج 3 ص 13 ) . والواقع أن مدينة فاس، بفضل مؤسسها المولى ادريس الذي يعتبر اول وآخر مثال فى تاريخ الانسانية لرجل دخل وحيدا فريدا عدا مولاه راشد فالتفت حوله ( عام 177 هـ / 793 م ) قبائل البربر عن بكرة ابيها كما قال ابن خلدون وهي المستعصية التي لم ترضخ قبل ذلك لاحد وتعزز ذلك منذ تأسيس القرويين بالتفاف قرطبة والقيروان حول فاس حيث هاجرت اربعمائة اسرة قيروانية مثل آل الفهري الذين اسسوا جامعة القرويين وثمانية آلاف عائلة (أو ثمانمائة فى رواية أخرى ) من قرطبة بعد ( ثورة الربضيين)؛ وكان ذلك بزعامة رجل بربري من طنجة من قبيلة نفزة ، وهو يحيى بن يحيى الليثي المتوفى عام 234 / 848 م . وقد سمع الموطأ من مالك

سفيان بن عيينة ( التهذيب ج 11 ص 300 / النفح ج 1 ص 332 / ابن خلكان ج 2 ص 216 / جذوة المقتبس ص 359 / المغرب ج 1 ص 163/ ابن الفرضي ص 44 / الديباج ص 350 ) . ومن الغريب أن كـلا مـن الاندلس والمغرب اتجها نفس الاتجاه حيث الزم هشام بن عبد الرحمن الاموي كافة اهل العدوة الشمالية بمذهب مالك ، وذلك بدعوة من يحيى الليثي النفزاوي ( ونفزة يرجع اليها نسب ابن ابي زيد القيرواني وآل بناني ) ، وأول من نزل منهم بالصحراء فى القرن الخامس هو محمد الصديق بناني حيث توغل داخل الصحراء الى السودان . وتتشخص قبيلة نفزة الصحراوية فى زينب بنت اسحاق النفزاوي الهوارية التي كانت زوجة ابي بكر بن عمر الكدالي ثم يوسف بن تاشفين بعده .

فمذهب مالك تعزز اذن فى الاندلس بحركة نابعة من المغرب فى شخص يحيى الليثي الذي كان قاضي القضاة عند الامويين ، كما تعزز فى افريقية بفضل مرونة سحنون ( الجذوة ص 360 ) بالاضافة الى الاعتراف بالجميل للامام مالك الذي ساند العلويين ضد خصومهم العباسيين ببغداد، ولم يكد المرابطون يدخلون مدينة فاس خلال القرن الخامس حتى اتجهوا فى تعزيز جامعة القرويين فوسعوا بلاطاتها وأوصلوها الى ما هي عليه الآن مندهشين مما لاحظوه من تقارير رواد المعرفة والفكر عليها من الاندلس وافريقيا الشمالية حيث تجلت وحدة الفكر المذهبي فى مظاهر مختلفة كان اقلها الاستناد فى قراءة القرءان منذ القرن الرابع الى قراءة نافع ، وكذلك على عملية الوقف الهبطي تبسيطا لتلقين القرءان فى الكتاتيب التي كانت مجرد جناح فى المسجد امتد الى الصحراء بنفس الاسم حتى سميت قرية فى شنقيط بالامسيد فى حين أن الكلمة المستعملة فى الشرق هي الكتاب وفى السودان الشرقي الخلوة .

ولا يخفى أن العالم ( ميمون الصحراوي ) المتوفى 506 هـ ( وقيل 530 هـ حسب ابن الابار ) هو شيخ القاضي عياض ( الاعلام للمراكشي ج 7 ص 239 ) امام المذهب المالكي فى المغرب وصاحب ( المدارك ) التي هي سجل رجالات المذهب حيث نوه بانتشاره آنذاك ( ص 65 ) فى المغرب الاقصى والصحراء الى بلاد من أسلم من السودان باستثناء

المغرب الاوسط الذي كانت فرق الخوارج الصفرية والاباضية قد تغلغلت فيه وخاصة في بلاد الزاب وحول تلمسان وتاهرت .

وقد كان تمسك الصحراء بمذهب الامام مالك أوثق وابلغ اذ عن طريق هذا المذهب تأسست الدولة المرابطية منبثقة من الصحراء بدافع من ( واجاج بن زلو ) الذي اختار ( عبد الله بن ياسين ) بايعاز من ( أبي عمران الفاسي ) امام المذهب في تونس ولذلك كان أهل الصحراء يهتمون بحفظ شيئين اثنين في مقدمة ما يحفظون ، وهما كتاب الله بقراءة نافع ووقف بأي جمعة الهبطي ومدونة سحنون حتى ذكر اليوسي من رجال القرن الحادي عشر في حديثه عن الرجراجيين ان اهل ( دغوغ ) الذين انتشروا في المغرب وصحرائه كان يحفظ المدونة منهم عن ظهر قلب 6760 من الرجال وخمسمائة من النساء ( المعسول ج 4 ص 9 ) ورغم ما قد يكون في ذلك من ايفال فهو يعطينا صورة عن قوة مذهب مالك في الصحراء ، وقد ذكر المؤرخون ايضا ان اهل رجراجة في الساقية الحمراء وما والاها حفظ منهم القرءان والمدونة ثلاثمائة امرأة . وقد شاهدت في ارباض ( تافراوت ) قبور عشرين امرأة ممن كن يحفظن المدونة ، ومعلوم ان ( العتبية ) التي انتشرت في المغرب وصحرائه صنفها محمد ابن أحمد ابن عبد العزيز العتبي تلميذ يحيى بن يحيى الليثي وان كان أيضا تتلمذ لسحنون .

وقد اختلفت الرواية الفقهية عن صاحب مالك بن انس الاساسي وهو عبد الرحمن بن القاسم فأسد بن الفرات أخذ عنه أجوبة المروية من حفظه ثم اخذها عنه سحنون بعد ذلك وقد رجع عن الكثير مما كان قد اجاب به اسد بن الفرات الذي كتب له ابن القاسم ان يصلح أسديته على ما عند سحنون .

اما العتبية التي هي كتاب « المستخرجة من الاسمعة » فقد جمعها محمد بن احمد العتبي القرطبي ( 255 هـ / 868 م ) من احد عشر سماعا منها سماع ابن القاسم واشهب وابن نافع أصحاب مالك ثم ابن وهب والليثي وابن مرتيل وسحنون وابن اصبغ ( من الثمانية وكلهم عن ابن القاسم ) .

وقد تناول ابن رشد الجد هذه ( العتبية ) بالبيان والشرح والتعليل والتوجيه والتأويل والتحصيل فى كتابه ( البيان والتحصيل ) فالتحصيل جمع نتائج العمليات السابقة فى عبارات قليلة واضحة تلخص الاحكـــام ، وقد حظي هذا الكتاب بعناية كبرى فتبناه خليل فى مختصره وقد أخـذه بالاجازة من ابن المؤلف أبو القاسم عبد الرحمن بن عيسى الفاسي ( ابـن الملجوم ) ( 606 هـ ) واختصره كما شرحه أبو ابراهيم بن قائـد بـن موسى الزواوي القسطنطيني ( 857 هـ ) فى كتابه (الجامع الكبير) واعتنى به السلطان سيدي محمد بن عبد الله حيث كون لجنة عام 1174 هـ لنسخ الكتاب وتصحيحه تكونت من السادة محمد التاودي بن سودة وعمر بن عبد الله الفاسي ومحمد بن عبد القادر الفاسي وعبد القادر بوخريص وانجزت الكتاب فى 20 مجلدا بخط احمد الغزال .

فالاسدية اذن هي اصل المدونة جمعها اسد بن الفرات ( 213 هـ / 828 م ) عندما ذهب الى العراق فدون ما سمعه من المسائل الفقهية على طريقة العراقيين ثم لقي أصحاب مالك كابن القاسم ( 191 هـ / ) فأضاف أجوبته عن هذه المسائل التي هي تفريعات وفروض فى حين ان الفقه المالكي كان يقتصر على النوازل ، ثم أخذ سحنون المدونة وعاد بها الى مصر وعرضها على ابن القاسم وأصلح فيها مسائل ورتبها وبوبها واحتج لبعضها بالآثار والاحاديث وحتى ابن الفرات تراجع عن بعض اجتهاداتـه الواضحـــة .

ولعبد الملك بن حبيب ( الواضحة ) وهي اصل ( العتبية ) استخرج فيها المعاني والقواعد التي قامت عليها الفروع . ولم يكن عالما بالحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ، لهذا اهتم بالفروع اكثر من الاصول .

والعتبية هي لمحمد بن عتاب ( 255 هـ / ) وتسمى المستخرجة جمعها من عدة مصادر ( ابن القاسم واشهب والليثي وشبطون والواضحة وكلها كتب مسائل ونوازل ) واكثر فيها من المسائل الشاذة لذلـك قال محمد بن وضاح بأن فى المستخرجة خطأ كثيرا وقد تناول البيان والشرح والتعليل والتوجيه والتحصيل لابن رشد الجد مسائل المذهب حسبمـا ورد فى المستخرجة دون تأصيل من الكتاب والسنة .

وقد شرحها واختصرها محمد بن عبد السلام سحنون ( 255 هـ / ) ولخصها ابن ابي زيد القيرواني ( مالك الاصفر وقطب المذهب ) 386 هـ في كتابه ( المختصر ) و ( النوادر والزيادات على المدونة ) ( أزيد من مائة جزء ) .

ثم اختصر ( البراديعي ) كتاب النوادر فى كتابه ( التهذيب ) الذي جمع فيه 36.000 مسالة اتقن ترتيبها وتبويبها .

ثم جاء ابن يونس التميمي 451 هـ فنقل معظم ما في ( النوادر ) وغيره من الامهات فى كتابه فى ( الفقه ) المسمى ( مصحف المذهب ) وهو أحد المصادر الاربعة التي اعتمدها خليل فى مختصره . وقد شعر فقهاء المغرب والاندلس بأن الفكر المالكي بدأ ينزلق فى تفريعاته خارج نطاق الاصلين واحس بابتعاد الفقهاء عن التشريع الاسلامي الاصيل امثال قاسم بن سيار الاندلسي 276 هـ الذي الف في الرد على العتبي وابن مزين كما قام محمد بن وضاح وبقي بن مخلد وعباس الفارسي القيرواني المحدث ( الذي احرق بنفسه المدونة وكتب الراى وسط القيروان أوائل القرن الثالث الهجري حتى أدبه أسد بن الفرات ( المدارك ج 3 ص 300 ، ط. وزارة الاوقاف بالرباط ) وسعيد بن الحداد القيرواني 330 هـ وابو بكر بن العربي 543 هـ في القواصم والعواصم وابن عبد البر .

ومهما يكن فقد وصلت المدونة الى المغرب الاقصى عن طريق دراس ابن اسماعيل الفاسي « وهي أصل المذهب المرجح روايتها على غيرها عند المغاربة واياها اختصر مختصروهم وشرح شارحوهم وبها منارظتهم ومذاكرتهم » ( المدارك ج 2 ص 472 ) .

سمع ابن العجوز عبد الرحيم بن أحمد الكتامي ( 413 هـ / 1022 م) مختصر المدونة عن ابن ابي زيد القيرواني ( المدارك ج 4 ص 720 / الديباج ج 2 ص 13 ) .

وقد ذكر عياض أن مختصر المدونة والنوادر وكلاهما لابن أبي زيد القيرواني عليهما المعمول بالمغرب فى التفقه ( المدارك ج 4 ص 494 ) ( توجد نسخة من النوادر بخزانة جامعة القرويين ) .

وكان ابن بشكوال محمد بن يوسف بن الفخار يحفظ المدونة والنوادر ويوردها من صدره ( راجع ابن بشكوال ) .

ولابراهيم بن عبد الرحمن التسولي التازي ( 747 هـ / 1346 م ) ( تقييد على المدونة ) جمعه من تقريرات شيخه ابي الحسن الزرويلي .

( ايضاح المكنون لشرح مدونة سحنون ) لعلي بن عبد الحق الزرويلي أبي الحسن الصغير ( 719 هـ / 1319 م ) .
( المكتبة الوطنية بتونس ( 95 م ) .

وذكر ابن مرزوق الحفيد ان تقاييد الشيخ عبد العزيز بن محمد القوري الفاسي ( 750 هـ / 1349 م ) صاحب الشيخ ابي الحسن الصغير – على المدونة من أحسن التقاييد . كما أن أعلم الناس بالمدونة هو عبد المومن بن محمد الجناتي ابو فارس الفاسي ( 746 هـ / 1345 م) ( النيل ص 156 ) .

وقد شرح المدونة او قيد عليها علماء أفذاذ منهم :

- ابراهيم الاعرج البادسي .
- تعليق على المدونة لابي بكر عثمان بن مالك زعيم فقهاء المغرب .
- ( طرر على المدونة ) لابن مطر الورياغلي ابي اسحاق الاعرج ( 693 هـ / 1284 م ) .
- ابو عمران بن ابي علي الزياتي الزموري نزيل مراكش ( 702 هـ / 1302 م ) .
- ابو عمران الفاسي : « مسائل فقهية مختصرة من المدونة » خع 1839 د ( م = 17 – 52 ) ( خاصة حول تزويج المرأة ) .
- ( شرح بعض المدونة ) لاحمد بن علي بن قاسم الزقاق ( 932 هـ / 1525 م ) .
- ( تقييد على تهذيب المدونة ) لابي سعيد خلف بن ابي القاسم الازدي البرادعي لعلي بن محمد الصغير الزرويلي المعروف عند

المشارقة بالمغربي ( 719 هـ / 1319 م ) ؛ نسختان بدار الكتب الوطنية بتونس . ق. 232 - س. 31 / ق. 200 - س. 31 / ق. 277 - س. 21 . وذكر صاحب الدوحة ( ص 2 ط. فاس) ان له شرحا على المدونة واسم كتاب البرادعي ( تهذيب مسائل المدونة ) خع 1989 د ( 307 ص - الجزء الاول فقط ) .
ق. 232 الى 256 - س. 22 .

— راشد بن ابي رشاد الوليدي : الجذوة ص 123 / نيل الابتهاج ص 101 .

— ( تقييد على المدونة ) لعبد العزيز بن محمد القروي الفاسي ( 750 هـ / 1349 م ) قيده عن أبي الحسن الصغير ( الجذوة ص 269 ) .

— عبد الله بن ابي زيد القيرواني صاحب كتاب النوادر والزيادات على المدونة حيث لخص مذهب مالك ، توفي بتونس (386 هـ / 997 م) خع 731 - 1 د / خق ل 40 - 793 / شجرة النور ص 96 / تذكرة الحفاظ ص 1021 .

— ( شرح المدونة ) لعبد الله بن اسماعيل الاشبيلي قاضي اغمات ومراكش كان يميل في فقهه الى النظر واتباع الحديث ( 497 هـ / 1103 م ) .
أملاها عبد الله الفاسي التادلي من حفظه ، كان يقرىء عام 623 / 1226 م ) ( النيل ص 119 ) .

— ( مناهج التحصيل ونتائج لطائف التاويل فى شرح مشكلات المدونة ) لعلي بن سعيد الرجراجي ( خق = ق 98 ) ( الجزآن الاول والرابع) نسبه بروكلمان ( فى تاريخه ج 3 ص 282 ) الى ابن رشد الجد .

— شرح على المدونة للقاضي عياض يسمى ( منهاج التحصيل ) لخص فيه ما وقع للائمة من التأويلات واعتمد على كلام ابن رشد الجد وتخريجات اللخمي .

— ( تعليق على المدونة ) لمحمد ن سليمان السطي ( 750 هـ/1349 )

— ( تعاليق على شرح المدونة لابي الحسن الصغير بقلم محمد بن عبد العزيز التازي مفتي فـاس ومشاور الدولـة ( 833 هـ / 428 1 ) ( الجذوة ص 148 ) . آخر حفاظها بفاس امام الجماعـة محمد بن قاسم القروي ( 872 هـ / 1467 م ) .

— شرح المدونة لموسى بن ابي علي الزناتي الزمـوري ( 702 هـ / 1302 م ) .

— ( مسائل فقهية مختصرة من المدونة ) خع 1839 د (م= 17 — 52) لموسى بن محمد بن معطي العبدوسي مفتي فاس وشيخ ابن قنفـذ ( راجـع مـوسى ) .

— الامام المازري — توجد نسخة من شرحه للمدونة ( 279 ص ) هـي من نوادر المخطوطات في ( خع 150 د ) عثر عليهـا في الزاويـة الناصرية بتامكروت . ذكر حسن حسني عبد الوهاب في كتيبه حول الامام المازري ( ص 63 ) ان بمكتبة القرويين جزءا فريدا منه وقد لاحظ محمد ابراهيم الكتاني ان هذا الجزء غير موجود على ما يظهر نظرا لعدم اثباته في برنامج كتب القرويين .

وقد احرقها الموحدون ( النيل ص 118 ) وعندما احرقوها مالاهـا من حفظه علي بن عشرين الحافـظ ( الاعـلام للمـراكشي ج 8 ص 311 ) ( خ ) .

واذا حاولنا ان نستعرض الحجج الشاهدة بمدى تغلغل مذهب مالك في الصحراء انطلاقا من جامعة القرويين ، فلن تكفينا مئات الصفحـات ولدي من ذلك قوائم مدرجة في كتابي « معلمة الفقه المالكي بالمغرب » . ولنضرب لذلك امثلة بسيطة في خصوص مصنفات اصبحـت تشكـل المصادر الكلاسيكية للفقه المالكي بالمغرب وهي مختصر الشيخ خليـل وتحفة ابن عاصم ولامية الزقاق ( خع 1360 د ) .

فقد شرح مختصر خليل احمد بن بابا السوداني التنبكتي ومحمد بن عبد الكريم التواتي ، كما الف الاول فى مبهمات خليل ( مخطوط فى خم 4875 ) وشرح صغرى السنوسي فى عقيدة المذهب ، وقد نظم محمد يحيى الولاتي ( منهج الزقاق ) وشرح محمد بن محمد الدليمي لاميته ( خم 8921 ) ( خع 2140 د ) وشرح بابا بن احمد بيبا الشنجيطي ( التحفة العاصمية ) والف محمد بابا الصحراوي كتابا فى الاصول لدعم مذهب مالك ، وكان محمد بن يوسف الركائبي مرجع الصحراء فى فقه مالك حيث كان لا يجاري فى الفتاوي فى فقه المذهب وهو خريج القرويين ، ومن اخوته الخليل الفقيه المشهور فى القضاء والفتوى ، وممن تخرج من القرويين ايضا الشيخ عبد الرحمن بن احمد الشنجيطي المتوفى عام 1224 هـ / 1809 م ، وقد برز فى المذهب على اهل عصره، وكان شيخ الجماعة بفاس مدة اقامته بها ، ومعلوم انه عن طريق الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمن القندوسي المتوفى عام 1244 هـ انطلق الاسناد لكثير من العلوم الشرعية وخاصة فى مذهب مالك فى الصحراء وحدها ؛ بل حتى فى شمال المغرب عن طريق المسند الفقيه السيد التهامي ابن رحمون .

وحتى بين النساء نجد العديدات مثل الغالية بنت ابراهيم السباعية التي تخرجت فى الحوض بالصحراء والتي كانت تحفظ مختصر خليل ؛ وكان لها باع طويل فى فقه المذهب وخاصة الفرائض ، وقد تمسك ولدها الحاج عبد الله الجراري بمذهب مالك رغم دراسته فى الازهر حيث شاد الى طرفاية عام 1311 هـ / 1893 م بعد ان اقام فى رواق المغاربة وجال فى الافغان والهند والاستانة ، وكانت شيخات العلم تدرسن مختصر خليل لجموع النساء كالعالمة الكنتية زوجة الشيخ المختار التي ختمت المختصر فى درس خاص بالنساء فى نفس الوقت الذي ختم زوجها درسه للرجال ، وقد الف فيهما ولدهما العلامة محمد بن الشيخ المختار كتابه ( الطريفة والتالدة فى مناقب الشيخ الوالد والشيخة الوالدة ) ويوجد بخزانة جامعة القرويين ( خق 40 / 775 ) دفتر فى مجلدين لوثائق فقهية فى شان اصول املاك المرابيح قرب وادي كير والساورة على مذهب مالك . وذلك من قبل زوجة المولى اسماعيل ام مولاي زيدان عام 1111 هـ / 1699 م .

وإذا راجعنا لائحة الكتب الدراسية التي كانت مرجع فقهاء الصحراء نجدها لا تختلف عنها فى جامعة القرويين ، وقد أعطانا أحمد بابا السوداني فى ترجمته عن نفسه صورة لذلك ( كفاية المحتاج والاعلام للمراكشي ج 2 ص 100 ) كما تتجلى وحدة المنهجية وطرق التدريس بين السهول والصحراء فى المغرب الوالد فيما كتب من دراسات فى الموضوع ( المعسول ج 13 ص 10 ) ، ومن ذلك أن الطلبة كانوا يكتبون فى مجموع المغرب اسفل الواح القرءان متون المرشد المعين والمختصر والتحفة فى مذهب مالك .

وكان ملوك المغرب وخاصة العلويين الاماجد يستعينون برجال الفتوى من علماء المذهب فى الصحراء ، مثال ذلك محمد البوهالي الركائبي الذي استقدمه جلالة الحسن الاول عام 1291 هـ / 1974 م . وعاش فى بلاطه عشر سنوات ثم عاد الى باعمرانة وباقي الصحراء مزودا بتكوين اقوى فى مدرسة القصر العامر التي كانت منبرا يتبارى فيه كبار العلماء وخاصة فى المجالس الملوكية ، وكان التبادل موصولا يدل عليه وجود قضاة صحراويين متعددين فى الحواضر مثل عثمان التواتي قاضي سلا المتوفى عام 1158 هـ ، ومعلوم أن العمل السجلماسي فى تدوين ما جريات فقه المذاهب يعزز العمل الفاسي وكلاهما مستعمل فى السهول والجبال والصحراء الى حدود النيجر ، لان قاضي تارودانت عاصمة سوس ، كان هو قاضي القضاة ينسحب نظره على كل قبائل الصحراء التي كانت تشكل كما يقول سيدي العربي بن السائح فى بغيته ( ص 74 ) بلدا هو اقصى المغرب . ومن هؤلاء محمد بن ابي بكر الاقاوي الذي تولى القضاء بظهير شريف مؤرخ بـ 1124 هـ كقاض للقضاء ومفتي اكبر فى تخوم الصحراء ، وقد تحدث صاحب كتاب « اربعة قرون من تاريخ الصحراء » الاستاذ مارتان عن ظهائر تعيين القضاة فى الصحراء الشرقية طوال اربعة قرون ( راجع خاصة القضاء فى توات ص 314 ) ، ومنهم ايضا احمد دوكنا بن محمد المختار مفتي تيندوف الذي كان مرجع الصحراء كلها فى الفتيا ، ومن مظاهر اعتزاز فقهاء الصحراء بالمذهب المالكي انهم كونوا ما سموه بطريق الفقهاء ، وهي سبيل الحجيج من مصر الى المغرب تمر عن طريق فزان وتوات لا عن الجزائر ( راجع رحلة ابن مليح التي اشار اليها صاحب الاعلام ج 4 ص 27 ) .

وهنالك مئات اعلام الفقه المالكي من المغاربة عينوا قضاة فى حواضر الشرق العربي كقضاة مالكية نظرا لما عرف به علماء المغرب سهولا وصحراء من ضلاعة وعمق فى هذا المذهب بين اخوانهم المالكية فى العالم الاسلامي ، وقد تولى يونس بن طربية القصري ( من قصر كتامة) قضاء طرابلس الغرب كما تولى التدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة عام 641 هـ / 1243 م ) . ( تكملة الصلة لابن الابار ج 3 ص 741 ) ، ولدينا قائمة لهؤلاء العلماء الذين تولوا القضاء أو تدريس الفقه المالكي فى الشرق .



# تأثر القانون الدولي العام بأحكام الاسلام في أسرى الحرب

د. عبد السلام الادغيري

الحروب وان كانت تنشأ عن القطيعة التي تكـون بين دولتيـن او شعبين ، فان الصلة فى الواقع لا تقطع بتاتا بينهما ، فان المشاكل التـي تنشأ بينهما أثناء المعركة أو بعدها ، تلزم الطرفين بأن يعطيا وقتهما لحل تلك المشاكل ، فلكل حرب أسرى ، وهذا كاف فى ابقــاء العلاقــة بين الدولتين المتحاربتين . وهاته المشاكل تتطلب الحل ، ولا يكن الحل الا اذا رضي كل من الطرفين بذلك . وهذا ما يجعل القيمة الكبـرى للرسائــل المتبادلة بين الدولتين . سواء كانت قاسية على المغلوب او كانت عادية . فانها على كل حال تربط الدولتين برباط انساني . وهذا الرباط هو الكتابة المستمرة . والكتابة تبقى محفوظة من الطرفين . وتكــون معاهــدات واتفاقات قد تبقى ويعمل بها ، وقد تنتقد ولا يعمل بها . ولكنهـا تبقـى محفوظة فى الرفوف ، ومع مر الزمان تكون رصيدا تاريخيا وفقهيا أيضـا مهما يرجع اليه عند الحاجة .

والمسلمون سواء منهم فى الشرق او الغرب كان لهم اتصال بالذين يحاربونهم ، ومنهم دول أوربا . وتوجد رسائلهم بكثرة فى كتب التاريـخ ولكن الذي يهمنا هنا . وسنقتصر عليه هو تبادل الرسائل بين سلاطيـن

المغرب المسلمين وبين ملوك أوربا الغربية نظرا للمعارك التي جرت بينهما والتي كانت تتجدد بين البلدين على مر الشهور والاعوام . وحتى بعد خروج المسلمين من الاندلس بقي العداء يتجدد بسبب احتلال الشواطىء المغربية من طرف الدول الاوربية ، الامر الذي جعل الكتابة مستمرة بين الجانبين ، والسفراء لا ينقطعون بين الطرفين . وسنقتصر هنا عن المكاتبة التي كانت بين مولاي اسماعيل العلوي وملك الاسبان فى شأن اسرى العرائش من الاسبانيين ، وكذلك عن المكاتبة التي كانت بين مولاي محمد بن عبد الله العلوي وبين الغربيين فى شأن افتكاك الاسرى المسلمين ، ثم نبين دور بعض الفقهاء فى تنوير اذهان الرهبان المسيحيين حول الاسرى والطريقة التي ينبغي ان يعاملوا بها . وبذلك يتبين لنا تأثير الاحكام الاسلامية فى القوانين الاوروبية المتعلقة بأسرى الحرب عن طريق التأثير فى الافكار .

وعليه فان هذا المبحث سيقسم الى ثلاثة مطالب :

المطلب الاول : معاملة المولى اسماعيل لاسرى الحرب من الاسبانيين اثر فتح العرائش والكتابة بينه وبين ملك الاسبان ، وكذلك بينه وبين ملك فرنسا مع الاشارة الى أحكام الفقهاء .

المطلب الثاني : رسالة مولاي محمد بن عبد الله للغرب يبين لهم فيها الطريقة الانسانية التي يجب ان تكون عليها احكام الاسرى ومعاملتهم .

المطلب الثالث : رسالة الفقيه التجيبي الى قسيس تركونة حول اطلاق اهله من الاسرى مع بيان نظرية الاسلام فى الاسرى والمعاملة التي ينبغي أن يعاملوا بها .

## المطلب الاول

## معاملة المولى اسماعيل لاسرى العرائش وكتابته الى ملك الاسبان فى هذا الامر

### مقدمة تاريخية :

قبل الكلام على أسرى العرائش لا بد من مقدمة تاريخية مختصرة . لقد رأينا من قبل المعاملة الانسانية التي كان المسلمون يعاملون بها

الاسرى الاوروبيين ، عندما كان الحكم فى غرب أوروبا فى يد المسلمين ، ومنها المعاملة الجريئة التي قام بها الخليفة يعقوب المنصور حيث أطلق الآلاف من الاسرى دون مقابل أصلا . ورأينا الغربيين لم يقدروا هاته الخطوة الانسانية حق قدرها ، مما جعل العداوة تزيد ، والحقد يكبر بين الطرفين . ولما انتصر الصليبيون فى غرب أوروبا على المسلمين واستولوا على بلادهم ، بعد ان اعطوا المواثيق والامان على ان لا يصيبهم حيف أو ظلم فى دينهم وأموالهم وانفسهم خالفوا كل ذلك ولم يوفوا بعهودهم وعاملوهم معاملة قاسية جداً ، فلم يكتفوا بالقتل او التشريد او الاستعباد، وانما الزموهم بالمسيحية وبأكل المحرمات وشرب الخمور ومنعوهم من الكلام بالعربية (1) ثم ختموا حياتهم بالاحراق خوفا من ان يكونوا لا زالوا يحنون الى الاسلام . وكان هذا بامر محكمة التفتيش التي لا زال دويها فى الآذان الى يومنا هذا .

وهذا ما يقوله روبرت رىالمر فى كتابه تاريخ العالم الحديث (2) .

قال : « ظهرت مشكلة الارتياب والتخوف من النصارى الكاذبين فى العناصر التي لم تندمج بالنصرانية وبقيت تضمر العداء فى الخفاء لكيان الحياة الاسبانية ، وكان الخوف من المورسك ( المغاربة : وهم من أصل عربي مسلم ) ومن المرانوس ( وهم النصارى من أصل يهودي ) الذين يحنون فى السر لديانة أسلافهم ويعطفون عليها ، ويكفي ان يكون عدم اكلهم لحم الخنزير او عدم ميلهم للعمل فى يوم السبت مدعاة للتشكك فى امرهم ، وبذلك فقد سيق الآلاف منهم الى محاكم التفتيش التي كانت تتبع اساليب المحاكم الرومانية المدنية فى التعذيب لانتزاع الاعتراف من المتهمين بالعنف والاكراه واصبحت الحياة الاسبانية قاسية . وصار الناس يتظاهرون بتعصبهم ، حيث كانت الوسيلة الوحيدة لنجاة الفرد من التعذيب هي ان يتظاهر بالاسراف بتعصبه للديانة النصرانية كما كانت

---

(1) وفى هذا يقول صاحب العز والرفعة ... الرئيس ابراهيم الرباش : تعلمت العربية بالاندلس ، وكانت النصارى تحكم فيمن يجدونه يقرا بالعربية فتعلمنا القراءة الاعجمية للاخذ والعطاء ... ثم الهمني الله أن اخرج من تلك البلاد الى بلاد المسلمين . ولما تحققت ان الكفار كانوا فى الثغور يبحثون كل من يرد عليهم لعلهم يجدون اندلسيا مخفيا ليحكموا فيه ، لانهم كانوا منعوهم من الثغور لئلا يهربوا الى بلاد المسلمين ، فجلست سنين نتعلم الكلام والاخذ فى كتبهم ليحسبوا انني منهم ... انظر ص : 254 من الكتاب المخطوط بالخزانة العامة بالرباط : ج : 87 ، واسمه الكامل هكذا : (العز والرفعة والمنافع للمجاهدين فى سبيل الله بالمدافع) ، الفه صاحبه بالاسبانية وترجمه ، احمد بن قاسم الحجري .

الطريقة الوحيدة التي يبرهن فيها المرء على انه اسباني صميم .... وظلت الحياة الاسبانية حياة حرب صليبية كبرى في اسبانيا نفسها ، موجهة على المورسك والمرانوس ، وحملوا لهيبها ضد المغاربة في افريقيا ذاتها التي غزاها الاسبان حال غزوهم غرناطة ... » .

واستطاع كثير من المسلمين ان يخرجوا من الحصر الذي ضربه الاسبان عليهم ، فكانوا يفرون ليلا بمساعدة اخوانهم المغاربة ويلتجئون الى المغرب ويسكنون على شواطئه التي كانت مهددة من طرف نفس العدو. وبعد القضاء على المسلمين نهائيا من الاندلس ازداد الحقد تأججا ، فالمسلمون يحقدون على المسيحيين لكونهم لم يعاملوا اسرى المسلمين معاملة انسانية (3) . والمسيحيون يحقدون على المسلمين لانهم حكموا عليهم مدة ثمانية قرون ولانهم انهزموا في الشرق في حملاتهم الصليبية . ثم تأتي ظروف تساعد المسيحيين على استيلاء على طنجة وسبتة ، ويزيد الحقد وحب الانتقام ، وصار المغاربة يستعدون ليوم الانتقام من هؤلاء الدخلاء الذين خانوا الامان والعهود من قبل مع اسلافهم وارادوا الآن ان يعيدوا نفس العمل ونفس الطريقة مع المغاربة في عقر دارهم واستطاعوا ان يبقوا مدة طويلة في شواطىء المغرب ، نظرا للخلل الذي كان موجودا في القيادة المغربية .

---

(2) ترجمة الدكتور محمود حسين الامين ، ص : 122 ، ج 1 . والدكتور روبرت من مواليد شيكاغو عام 1909 ، اخذ درجة الدكتوراة من جامعة كورنيل ، درس التاريخ في جامعة برنستن وصار استاذا بها ، 1936 .

(3) انظر القصيدة الطويلة التي أرسلها المسلمون بالاندلس الى الخليفة التركي يستنجدون به من الاسبان ، وفيها ذكروا المعاملة الوحشية التي عوملوا بها والتي ستبقى عارا في جبين التاريخ الاسباني الى الابد ، واليك بعض الابيات منها لتعرف الفرق بين حكم الاسلام على الاسرى وحكمهم عند المسيحيين :

سلام عليكم من عبيد تخلفوا * باندلس بالغرب في ارض غربة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت * شيوبهم بالنتف من بعد عزة
سلام عليكم من بنات عواتق * يسوقهم العدو قهرا لخلوة
سلام عليكم من عجائز أكرهت * على أكل خنزير ولحم جيفة
غدرنا ونصرنا وبدل ديننا * ظلمنا وعوملنا بكل قبيحة

من المخطوط المسمى ( الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر المومنين الحسن ). للفقيه أحمد بن محمد بن الحاج الفاسي ، رقمه بالخزانة الملكية : 1875 في ثمانية اجزاء . والقصيدة في ج 5 ، من ص : 129 الى 135 . وهذه القصيدة شاهدة على المعاملة التي كان يعامل بها الاسير في أوروبا ، بالرغم من ان المسلمين لا يعاملونهم بنفس فعلتهم الشنعاء كما سنرى قريبا في أسرى العرائش من الاسبانيين انفسهم .

ولكن ما ان قامت دولة شابة فى المغرب وتراس عليها السلطان عبد الملك السعدي حتى هب المغاربة كلهم يريدون القضاء على هؤلاء الاعداء فكانت أكبر معركة وقعت فى وادى المخازن انتقم فيها المغاربة المسلمون من المسيحيين الاوروبيين ؛ اذ اندحر جل جيشهم وفيهم ملكهم سباستيان ، مما جعل دولة البرتغال تندمج فى مملكة اسبانيا التي اتبعت نفس الخط الذي كانت عليه البرتغال فى احتلال شواطيء المغرب .

ونشطت سفن الاعداء فى البحر الابيض وبدأت تخطف كل سفينة للمسلمين ، سواء كانت حربية أم مدنية ، وسواء كان الموجودون على متنها يصطادون أم يريدون التوجه الى البقاع المقدسة لاجل الحج او الدراسة فكانوا يقتلون ما شاءوا ثم يأخذون النساء والاطفال والفقهاء والعلماء ويستعبدونهم ويعاملونهم معاملة لا تنتسب الى الانسانية بصلة ، ويبين هذا الفقيه الجليل والمؤرخ الكبير أحمد بن محمد المعروف بابن القاضي وقد كان هو نفسه اسيرا من هذا النوع ـ يقول : « اسرت فى حال رحلتي لمصر لاجل طلب العلم الشريف بعد ان استشرته أيده الله تعالى (4) فى ذلك وأذن لي فسافرت فى البحر متوجها للمقصود فكان ما كان من الله المعبود (5) . وقد اخرج من بلاد الكفرة من الاسارى ما لا يحصى كثرة بالاموال الطائلة التي لم يسبق الى بذل مثلها ملك قبل . وقد افتكني ابقاه الله تعالى من يد العدو الكافر بما يعدل عشرين الف اوقية ... ولا نعمة تشبه نعمته علي اذ كنت مع العدو الكافر فى بلاء عظيم من الجوع والبرد والتكليف بما لا يطاق والضرب وغير ذلك مما لا يمكن وصفه من عذابهم اذلهم الله تعالى » .

وبما كتبه هذا الفقيه هنا لا يحتاج الى تعليق لانه هو الذي كان أسيرا فهو مؤرخ وشاهد فى نفس الوقت ، وقد بين المعاملة الوحشية التي كان

---

(4) يقصد المنصور الذهبي السعدي .

(5) وكان ذلك فى يوم الخميس الرابع عشر من شعبان سنة اربع وتسعين وتسع مائة ، فكاتبته بابيات :

تجلت عن العاني الاسير المكبل ٭ هموم سرت فى الجسم فى كل مفصل

( فى 16 بيتا ... )

وقد اخرجني فى السابع عشر من رجب سنة خمس وتسعين وتسعمائة هجرية . انظر الملتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور للاسير نفسه ، وهو كتاب مخطوط بالخزانة الملكية تحت رقم : 1153 وهو بخط مغربي لا بأس به .

المسيحيون يعاملون بها الاسارى المسلمين مع انهم لم يكونوا اسارى حرب وهذا يبين الحقد الذي بقي دفينا فى قلوب الغربيين حتى بعد خروج المسلمين من الاندلس . وهذا الحقد كاف فى ان يحول المسلمين المغاربة عن المعاملة الانسانية مع اسرى الغرب عندما يسقطون فى ايديهم الى معاملة غير انسانية ، ولكن نبادر الى القول بأن هذا لم يقع فاننا سنرى كيف كانوا يقفون عند ما حدد الله من الاحكام .

وتأتي ظروف ايضا تساعد الاسبانيين على الاستيلاء على العرائش والتمكن فيها مدة طويلة مما زاد العداوة تأجيجا . وبقي الحال هكذا حتى ظهر على مسرح الجهاد فى المغرب سلطان قوي هو المولى اسماعيل ، عند ذاك التف المغاربة كلهم حوله يريدون تحرير شواطيء المغرب ، وبعد ان حرروا المعمورة اتجهوا الى العرائش (6) ، حيث كانت للاسبان هناك حامية قوية ... واشتد القتال وضاق النطاق بالكفار ... واحتلها جيش الاسلام وتحصن من كان بها من النصارى بحصن القبيبات والبساتين التي بناها المنصور السعدي فحاصرهم المسلمون بها ... ووقعت بين الفريقين ملحمة عظيمة كان النصر الاخير فيها حليف المسلمين ... واسروا نحو الالفين وقتلوا اثنتي عشرة مائة (7) داخل المعركة . ثم امر السلطان مولاي اسماعيل بنقل الاسارى الى عاصمته المكناسية فنقلوا اليها بعد ما من على كبيرهم (8) .



فاحتلال العرائش من طرف الاسبانيين من قبل كان عن طريق الغش والغدر ، ودخول المسلمين العرائش عن طريق القوة ولم يكن هناك امان

---

(6) فى آخر شوال عام احدى عشرة مائة امر بحصار نفر العرائش فانهض الباشا علي بن عبد الله الريفي ... وقد كان سلمها للنصارى الشيخ السعدي ، فى قصة طويلة ، وذلك عام الف وثمانية عشر ، ص : 162 من مخطوط ( المنزع اللطيف فى التلميح بمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف ) لمؤلفه السيد عبد الرحمن بن زيدان ، الخزانة الملكية تحت رقم : 3982 .

(7) المنزع اللطيف ..... ص : 163 .

(8) يقال : انه من على كبيرهم ليعلم من وراءه بقوة جيش المسلمين ( نفس المرجع السابق عن نشر المثاني ) .
اما راينا الخاص ، فاطلاق سراح الرئيس كان لاعتبارات سياسية يعرفها السلطان نفسه ، وليست معاملة الاسير بالمن غريبة عن المسلمين ، عموما وعن المغاربة خصوصا وقد تقدم ما فعله يعقوب المنصور مع نفس الاسبان ، لكنهم لم يفهموا بادرته البعيدة المرمى .

ولا صلح . وهذا يعطي للسلطان الحق فى أن يتصرف بالاسرى بما شرعه الاسلام : المن او الفداء او الاستعباد او القتل اذا توفرت الشروط (9) .

وبالرغم من ان العداوة بين المسلمين وبين المسيحيين كانت على الحالة التي وصفناها من قبل ، فان الاحكام التي طبقت على هؤلاء الاسرى لم تخرج عما شرعه الله فى حقهم ابدا مما يدل على ان المسلمين ينصاعون لاحكام الله فى الاسرى دون النظر الى شيء آخر .. حيث نجد السلطان من على البعض واخذ الباقي الى عاصمته ليكونوا تحت اشرافه ومراقبته وليقع تبادل الاسرى بين المغاربة والاسبان . ولكن الاسبانيين ادعوا بأن الدخول الى العرائش كان بأمان وصلح ولم يكن بالقوة والغلبة ، وادعوا ايضا ان المسلمين لم يطبقوا شريعتهم فى أسرى العرائش وطلبوا حكم الشرع فى ذلك . وهنا استجاب لهم السلطان ورفع القضية الى المحكمة الشرعية التي تتجلى فى اكبر عالم من علمائه وهو قاضي حضرته أبو عبد الله المدعو بأمدين السوسي وامره بالنظر فى القضية وبيان ما اقتضته فيها نصوص الشريعة المحمدية ونظر القاضي فى القضية وتدارس امرها مع العلماء والمفكرين ثم اصدر حكمه فى تأليف انفصل فيه على أن الاسر لازم وادحض دعوى المنازع فى ذلك (10) .

ونلاحظ هنا مسألتين :

الأولى : هي الثقة الكاملة فى الشرع الاسلامي من طرف ملك الاسبان نفسه الذي كتب للمولى اسماعيل كتابا رسميا يطلب منه **ان يطبق الشريعة الاسلامية على الاسرى** الاسبانيين الذين سقطوا فى ايدي المسلمين فى العرائش وهذا يدل على ان نصارى **اوروبا تاثروا بالقانون الاسلامي المتعلق بأسرى الحرب** . وعلى الاقل يعرفونه وان كانوا هم لا يطبقونه ، وما ذلك الا بتعويدهم عما يطبقه المسلمون من الاحكام على الاسرى طيلة بقائهم فى اسبانيا او بعد خروجهم منها .

---

(9) يستحسن هنا الرجوع الى الجزء الاول من الاطروحة التي قدمها الكاتب لنيل الدكتوراة من دار الحديث الحسنية تحت عنوان : « حكم الاسرى فى الاسلام ومقارنته بالقانون الدولي العام » .

(10) المنزع اللطيف .

فالتجاء الملك الاسباني الى **تحكيم الشرع الاسلامي** يدل دلالة قاطعة **عما للاحكام الاسلامية من التقدير عند الاوروبيين** ، مع انهم لا يعملون بها فيما بينهم ، وكذلك فيما بين المسلمين . وبالتالي **فان القوانين الدولية الاوروبية المتعلقة بالاسرى التي جاءت من بعد ، كانت متأثرة بالاحكام الاسلامية لان رؤساءها يعرفونها ويطلبون تطبيقها .**

المسألة الثانية : ـ نلاحظ مدى انصياع سلطان المسلمين الى تحكيم الشرع الاسلامي ، فبمجرد ان ادعى الاسبان ان المسلمين لم يطبقوا الشرع وطلبوا تحكيمه ـ أمر بعقد محكمة فورية تنظ فى الامر وتجيبه، **وكان الجواب من أكبر عالم فى عاصمته** . ومع ذلك فاننا نجد المولى اسماعيل **لم يكتف بالجواب الذي قدمه له هذا القاضي** ، بل اننا نجده **استفتى عالما كبيرا آخر هو السيد الحسن اليوسي** الذي تجرد للقضية بالجد والفحص واصدر فتوى فى اسرى العرائش سوف نتكلم عنها .

الآن فاننا نورد رسالة المولى اسماعيل ردا على رسالة ملك اسبانيا فى اتهامه المغاربة **بأنهم لم يطبقوا الشرع الاسلامي فى أسرى العرائش مع اقتراح السلطان على ملك الاسبان طريقة الفداء الذي يمكن أن تطبق على الاسرى ليطلق سراحهم من الاسر . وسنعطي رأينا فى الرسالة بعد اثباتها هنا .**

## رسالة المولى اسماعيل الى ملك اسبانيا حول أسرى العرائش

« الى عظيم الروم وملك اقاليم اصبانية وبلاد الهند والمتولى امورها والمتصرف فى اقطارها ( دونكرلوس ) . السلام على من اتبع الهدى، اما بعد ، فقد بلغنا كتابكم صحبة خديمكم ( دون منويل بيردلون ) وبعد ان قرأناه وفهمنا لفظه ومعناه ... وما طلبتموه منا من فك هذه المائة من النصارى الذين وقع الكلام عنهم قبل هذا ـ رددنا اليكم جواب كتابكم ووجهناه مع خديم دارنا العلية بالله ... السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير ، ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصبكم ما سمحنا بفراق كاتبنا عن بساطنا لمهمات أمورنا ... وعند الكاتب المذكور قضية دخول جند الاسلام المظفر بالله على نصارى العرائش ، وفى علمه وعلى باله كل ما كان فى ذلك من الكلام والاسباب وكيفية الخبر فى ذلك فثقوا به وتعرفوا منه فانه حفظه ورعاه من أوله الى آخره .. ونحن بلا شك كنا

اعطينا القول لهذه المائة من النصارى بالسراح ولكن وقع من النصارى ما اختل به منهم من الاسباب ما يوجب عدم الوفاء لهم بذلك (11) . ومنهم من لم يرض بخروجهم .... وكاد يفتك بمن دخل اليهم من خدامنا الذين أوفدناهم عليهم .... وقال لنا كبار ملتنا وعلماء شريعتنا وائمة ديننا ... ان المسلمين كانوا أشرفوا على الغنيمة ساعتئذ ، ووقع الغلب والظفر ... فلا وجه لسراحهم فى الشريعة اصلا (12) ... وقالوا لنا : هؤلاء المائة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه ، كيف وقد أخذوا العرائش من اول وهلة بلا موجب ، بل أضغطوا على الشيخ ابن السلطان الذهبي وقبضوا عليه حتى انفقوا عليه اموالا عديدة ومسكوا اولاده بسببها حتى اعطاهم العرائش على ضغط منه وعلى غير تأويل حقيقي فى ذلك . وذكرونا في مسألة غدر أسلافكم باهل غرناطة وغيرهم من اهل الاندلس فى كل بلد وقرية بعد بلد وقرية فالفيناهم ما تكلموا الا بالحق . وبقينا فى حيرة من هذه المسألة لوجهين :

الاول : لا نقدر نخالف شريعتنا التي هي أساس ديننا .

والوجه الثاني : ذلك القول الذي نسمعه فى تلك المائة أحببنا الوفاء به وانفت نفوسنا ان يسمع عنا الناس : قلنا كلمة ولا نوفي بها . ولولا معارضة العلماء لنا بهذا الاحتجاج القوي لكنا سرحنا هذه المائة مع الفرايلي واصحابه الذين اتوكم قبل هذا مسرحين (13) . فلاجل هذا أبصرنا كلام علمائنا فى هذه النازلة لا بد منه ولا محيد عنه ... واعطيناكم فسحة فيه، والا فالمائة المذكورة ارقاء أسارى من جملة اخوانهم .

وذلك أن تعطونا فى الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة آلاف كتاب : مائة كتاب عن كل نصراني من كتب الاسلام الصحيحة المختارة المثقفة فى خزائنهم باشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاهم من المدن

---

(11) انظر كتاب ( اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ) للمؤلف مولاي عبد الرحمن بن زيدان ، ج 2 ، ص : 64 ، الطبعة الاولى .

(12) يقصد هنا : أن لا أمان لهم كما ادعوا ذلك لا أن الشريعة لا تجيز اطلاق الاسرى أصلا كما يفهم من الجملة فى الظاهر .

(13) اطلق سراح رجال الدين من الرهبان المسيحيين كما تقتضي بذلك احكام الشريعة الاسلامية ويستحب الرجوع فى هذه المسألة الى كتابنا : ( حكم أسرى الحرب فى الاسلام ) ج 1 .

والقرى ..... من المصاحف وغيرها . وتعطون خمسمائة اسير من المسلمين فى الخمسين الاخرى .

وان لم توجد **الكتب التي هي مرادنا** فاجعلوا **عوضها من اسارى المسلمين واعطوهم لنا من الاسارى** الذين فى الاغرية وغيرهم . وقبلنا منكم فى العدد المذكور **الرجل والمراة والصبي والصغير او الكبير والشيخ** المسن من ايالتنا وغيرها ، **اذ ما لنا قصد الا فى الاجر والثواب فى فكاك الاسرى** المسلمين كيف ما كانوا ، ومن اي بلد كانوا ، والا فالاعتناء الكلي انما يكون **باهل الدواوين من الجند والعلماء** حملة الشريعة وعامة المسلمين، انما ـ **نقصد بفكاكهم وجه الله تعالى** ، فان انتم اسرعتم بهذه المسألة فما عملكم **الا الخير فى ارواحكم وفى اخوانكم** . وان ثقل عليكم هذا الامر ولم تقدروا عليه فارجعوا خديمنا الكاتب الذي وجهناه اليكم فى امان الله كما اتاكم . والمائة من النصارى مصيرهم **من جملة الاسارى اخوانهم يخدمون مثلهم** ، واذا نحن ابصرنا منكم المسارعة لا غراضنا والجد فى ابتغاء مرضاتنا وانجزتم بأرواحكم فى هذه المسألة فلا ترون منا الا ما يعجبكم وحتى باقي نصاراكم الذين هم عندنا من اصحاب العرائش وغيرها من غير هذه المائة نعمل لكم الكلام فى سراحهم بما يرضينا فيهم عندكم ، ان عملتم الواجب وتعرفتم الصواب الذي تعين عليكم كما ذكرتم فى كتابكم ... ولا عندنا معكم فى هذا الا الجد الصحيح والعمل الصريح بحول الله تعالى وقوته » (14) .

هاته الرسالة تبين لنا الطريقة التي كانت متبعة فى المغرب عندما يسقط العدو اسيرا عند المسلمين سواء عن كيفية اسره او استخدامه او اطلاق سراحه . وهي فى الواقع لم تخرج عما قرره الاسلام من قبل .

والدروس التي يمكن ان نستخرجها منها او الاحكام الموجودة داخلها هي كما يلي :

1 ـ اكد السلطان ان الحكم الذي يصدر على الاسرى هو حكم الله وانه لا دخل له شخصيا الا بمقدار تنفيذ الشرع الحكيم .

---

(14) والرسالة مؤرخة بسادس عشر ذي الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة والف . انظر : ص : 65 ـ 66 من كتاب ( اتحاف اعلام الناس ) ... لابن زيدان . وانظر ايضا : ( العلائق السياسية للدولة العلوية ) لنفس المؤلف ، مخطوط بالخزانة الملكية ، رقمه : 3178 .

2 ـ علل استعباد الاسرى بامرين :

الاول : ان دخولهم الى العرائش كان مبنيا على الغش والغدر والتعـــدي فمجيئهم الى بلاد الغير بهذه الطريقة كاف فى ان يقتلوا كلهم ولكن **الاسلام لا يقتل الاسرى فى الغالب الا اثناء المعركة وذاك ما وقع بالفعـــــل .**

ثانيا : ربط استعبادهم بغدر اسلافهم باهل الاندلس فكان هنا المعاملـــة بالمثـــل (15) .

3 ـ الراي العام المغربي **كان له دور مهم** فى الاحكام التي يصدرها السلطان على الاسرى ، مما يجعله ملزما باتباع ما هـــو مطابـــق للشرع الحكيـــــم .

4 ـ اطلاق سراح الرهبان طبقا لما هو ثابت فى الاحكام الاسلامية.

5 ـ الفداء لم يكن مبنيا على الشره والطمع فى جمع الاموال بل كان مقتصرا على أمرين :

الاول : **اطلاق سراح الاسرى** مقابل الكتب الاسلامية ، حيث الهـــدف ، الثقافة الانسانية قبل كل شيء ، وهذا شبيه بتعليم الاولاد القراءة والكتابة حسب ما فعله الرسول مع أسرى بدر .

ثانيا : اطلاق سراح الاسرى مقابل اطلاق **سراح اسرى المسلمين** الموجودين **عندهم من اى جنس كانوا** . وهذه صفة غير موجودة اليوم ، مـــع انها صفة انسانية رائعة ، حيث تقوم دولة ما وتطلق سراح الأسرى الموجودين عندها مقابل اطلاق سراح اسرى آخرين من عند العدو وحتى ولو لم تكونوا من جنسها هذه انسانية يجب ان تعتبـــر فى هذا التاريخ الذى نتكلـــم عنـــة ، وهـــو بالدرجـــة الاولـــى **حكم الاسلام على المسلمين بان يفعلوا ذلك .**

---

(15) وهذه القضية بالذات سوف ينتقدها العالم الحسن اليوسي الذي كتب فتوى خاصة بهـــذا الموضـــوع .

6 — غرض السلطان هو فك الاسرى كيفما كانوا ، اى سواء كانوا نساء ام رجالا أم اطفالا ام شيوخا . فالعبرة بالانسان المسلم وهذه مساواة لها اعتبارها فى هذا الوقت بالذات مع الاوروبيين المسيحيين الذين كانوا لا يطبقونها فيما بينهم اصلا .

7 — يصرح السلطان المولى اسماعيل بأنه لا يريد من اطلاق سراح الاسرى **الا وجه الله دون طمع آخر** . وهذا له دلالته ايضا .

8 — يفهم من الرسالة ان الاسرى عند المسلمين كانوا على قسمين بالنسبة للخدمة والتشغيل : قسم يستخدم وقسم لا يستخدم ، وهذا هو ما قررته أخيرا اتفاقية جنيف سنة 1949 .

9 — يفهم من الرسالة ان سلطان المسلمين كان يتمنى ان يكون ملك الاسبان يقدر المسؤولية ، وما يجب عليه نحو الاسرى ويبين له ان ما اشترطه عليه **كله فى صالح الاسرى** ، وانه لا يريد الا الخير ، وليس له غرض آخر . ( وان علمتم الواجب وتعرفتم الصواب فلا ترون منا الا ما يعجبكم فى جميع النصارى ) .

10 — ويؤكد السلطان على الوفاء بالعهد وعدم الغدر ( ولا عندنا معكم فى هذا الا الجد الصحيح والعمل الصريح ) .

وهذه صفة يمتاز بها المسلمون من اول ما ظهر الاسلام وهي من الاحكام الاسلامية التي لا يمكن لاى مسلم ان يخالفها ، وقد نص السلطان على ذلك عند ما قال : ( لا نقدر ان نخالف شريعتنا التي هي اساس ديننا) وهذا يعطينا مقدار الضمانة التي وراء **تنفيذ الاحكام الاسلامية على اسرى الحرب** بينما القانون الدولي العام ليس له قوة تلزم المخالف والعاصي له كما نرى ذلك يوميا وفى جميع انحاء العالم .

وبينت الرسالة ان اسلاف الاسبان وغيرهم كانوا لا **يهتمون بالعهود والمواثيق وان تاريخهم مملوء غدرا** ونقضا للعهد ، وقد نصت الرسالة على ذلك صراحة ( وذكرونا فى مسألة غدر اسلافكم باهل غرناطة وغريهم من اهل الاندلس .... الخ ) .

هذه النقط التي جاءت فى رسالة المولى اسماعيل ورسائل اخرى منه ومن غيره الى ملوك أوروبا مبينة وموضحة الموقف الاسلامي من

الاسرى مع الحث على الغربيين ان ينصاعوا الى ما يطلب منهم سواء كان اسراهم عندنا او اسرانا عندهم ـ ولا شك ان هذا الاحتكاك المستمر بين الطرفين اثر فى دول اوروبا . ـ ولا شك انهم استفادوا منه أيضا عند ما قاموا من نومهم ورغبوا **فى التخفيف على الاسير وتكريس قوانين دولية مسيحية تكون فى صالح أسرى الحرب** .

واخيرا فان الرسالة جاء فيها بأن العلماء عند ما أصدروا حكمهم **استانسوا بما فعله أجداد الاسرى من الغدر والغش** وارادوا ان يعاملوهم بالمثل ، وبما ان هذا الامر مخالف للشريعة الاسلامية لقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » فان السلطان المولى اسماعيل استفتى عالما كبيرا وجليلا آخر فى هذه القضية وهو الحسن اليوسي الذي أعطى حكم الله فى الاسرى دون أن يعتبر أي شيء آخر ، وهذا ما سنراه مختصرا فى فتواه .

### فتوى اليوسي فى اسرى العرائش :

حتى لا يتصرف المولى اسماعيل تصرفا مخالفا للشرع فى أسرى العرائش رد الامر الى العلامة الحسن بن مسعود اليوسي ليعطيه حكم الله النهائي فى القضية . ووضعت النازلة امامه هكذا : « .... انه لما انقطع رجاؤهم من البر والبحر بعثوا راهبا منهم مع نصراني آخر وطلبوا من أمير المومنين ان يجعل لهم اجلا من مدة شهر مهادنة ، فقال لهم أمير المومنين فيما كتب لهم : انزلوا واستسلموا للاسر ونعطيكم امان رقابكم ونعطي السراح لمائة تختارونها منكم تذهب لذلك البر ، فلما بلغهم ذلك ماجوا وجلهم ما صدق حتى هرب منهم نحو الخمسة فى البحر . فقتل المسلمون بعض هؤلاء الهاربين ، واسروا بعضهم ، وما نجا منهم أحد » .

هذه صورة القضية . فأجاب السيد اليوسي بما يلي : (16) ، « .... اما بعد : فاننا قد نظرنا فى مسالة نصارى العرائش .... ونظرنا فى أجوبة الفقهاء اصلحهم الله وسدد رايهم وادام وجودهم للاسلام حسب ما التمس سيدنا الاسعد الاصعد الرفيع الامجد أدام الله دولته منصورة

---

(16) فتوى السيد الحسن اليوسي جاءت مطولة ، واننا سنقتصر على ما يهمنا فقط ، ومن اراد ان يطلع على الرسالة كلها فهي موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 1224 فى ( مجموع ) ، مخطوط مرقم ، تبتدىء من ص : 188 الى 194 .

الاعلام مشرقة الليالي والايام (17) ... نظرا بحسب ما تيسر من حالي فى الوقت ...... ولم تكن مراجعة الاصول لتعذرها علي فى الوقت ومع ذلك لا حاجة اليها اليوم . فان المسالة واضحة فى الفقه شهيرة ، فغاية الامر ان ينظر فى ثبوت الامان وعدمه ، فان صح على ما وقع فى الجوابين وما سمعنا من الفاظ حملته ، انهم لم يقبلوا الامان بحسب ما ظهر من افعالهم وانهم حين ورد عليهم كتاب أمير المومنين نصره الله بالامان اشمأزوا وجاصوا وماج بعضهم فى بعض حتى القي البعض منهم نفسه فى اليم، كراهية للغلبة ولو على التامين ، ـ فلا امان لهؤلاء بل هم ملك للمسلمين ، فان اعترفوا بذلك او ظهر ظهورا بينا لا يدفع ، فلا مقال لهم .... وكذا لو عزموا بعد علمهم بالتأمين على الفتك بالمسلمين فهذه ايضا توجب عليهم انتقاض العهد على تقدير ثبوته والله الموفق ... وان ثبت الامان بموجبه **فلا محيد عن العمل به** .... وحديث التأمين والوفاء به محكم لا ينسخ وثابت لا يفسخ ولو كان من ادنى الناس كما قال صلى الله عليه وسلم فى المسلمين ، يسعى بذمتهم أدناهم ، فكيف من اميرهم وقد اتفق الائمة الاربعة على صحة تأمين كل مسلم مميز لكافر واحد او جماعة لكل عدد محصور ... ويشترط الا يكون ضرر ...... وليس فى الواقعة بحمد الله ان قدر ثبوت الامان والقيام به ضرر على المسلمين . فبعد ان اظفرهم الله بحصن عظيم كانوا يتمنون لو هرب عنه العدو فتملكناه ؛ ثم مكنه الله بما فيه من الاموال وجماعة وافرة من العدو فأى شيء بعد ذلك **ان من مولانا ايده الله على نفر منهم فنهبوا ، فهذا كله فيض من الله ،** وكان الذاهب منهم بصقة نبذها أعزه الله فى بحر الروم . وهب لهم اموال فى بلادهم فاي شيء فى ذلك ... كله تافه فى جنب امير المومنين وعظمة ملكه ووفور ذخائره ؛ **وعار الغدر لا يقوم به ذلك** . فكيف **ترضى أن تمسح الروم عوارضها ضحكا منا وانا غدرنا فلم نقم شرعنا ولا فعلنا فعل الكرام** ..... واما توهم ان هذا تأمين بعد الاشراف على الفتح نفير سديد فان الاشراف على الفتح ظاهر فيما اذا تسنى وليس دونه عائق معتبر ، والفتح فى مسألتنا دونه ما يشيب الرؤوس ويتلف المئين من النفوس . فالابتدال عن ذلك بزمرة من العدو وليس بضرر بل هو من المصالح التي تعتبر .

---

**(17) رسالة السلطان الى السيد اليوسي بحثت عنها كثيرا فلم اجدها ، ولعلها ضاعت كما تضيع جميع الرسائل الشخصية .**

**واما تحسين ذلك بالنظر فى افعال الاباء وأفعال الجنس من غير** مشاركة فى الفعل بوجه من الوجوه فلا يستقيم . كيف والقوم أهل حرب وعداوة متصدون لكل **شر وفتك وغدر ومكر واضرار** منذ خوطبوا بالاسلام ولم يسلموا وهلم جرا . ولم ينقطع هذا الحكم عنهم ، أعني **التامين قط** . ولا روعي فيه ما عسى ان يجره الاجداد على الاولاد اذ كل نفس انما **تكلف بما جنت فعلا او اعانته** بوجه ، كما قال تعالى : ( ولا تزر وازرة وزر اخرى ) . وقد فتحت الشام والعراق ومصر والمغرب فى زمان الخلفاء الراشدين ، وكم من مدينة فيه او حصن او قلعة . نكثوا ايمانهم بعد الفتح وربما سفكوا الدماء واستباحوا الاموال ، وهذا اعظم الغدر ، ثم حكم التأمين جارما قط انقطع .... ( ثم ) او فيمن فعل بنا أمرا فانا نفعله به ؟ **ولا بد من مراعاة قوانين الشرع** ...... فان هؤلاء ما فعلوا بنا شيئا وان فعلوا شيئا فقد درا **عنهم التامين ، وبلدنا اخذناه** .

وان كان كلامه فى غير ذلك فلا علينا منه ، وان كان فيما يتمسك به المتمسك من عدم الوفاء أو من اصابة البريء بفعل الجاني فلا يلتفت اليه، فالشريعة منذ تقررت ففيها الكفاية والمقنع ، وما هو أحق ان يتبع . والحق ابلج والباطل لجلج ..... وليعلم سيدنا ايده الله ان هذه المسألة لا تنفصل بمجرد الفتاوي وان كانت مائة فتوى بل لا بد مع ذلك **من حكم يفصل** ، وذلك شأن كل امر تداعاه اثنان . ثم ينبغي هنا بعد الحكم ان كان الظهور للمسلمين ان يشاد بذكره لشغل قلوب الناس والسنتهم بما يضمرون ويتمضغون من عدم الوفاء مؤمنهم وكافرهم . وان كان الحكم للكفرة ان يعلموا ايضا به ليعلموا انهم ما خرجوا الا بالشرع لا بمكر منهم ولا خديعة ولا اغترار منا **فيشهدوا بمتانة الشريعة المحمدية** على شارعها افضل الصلاة والسلام ويشهدوا لسلطانها المنصور بوقوفه عليها ، فلا يزالوا يرهبونه ويخضعون له **ويثقون بعهوده ومواثيقه** وفى ذلك من **الخيرات والمصالح ما لا يخفى** .... » .

هذا اهم ما جاء فى فتوى العلامة اليوسي وهي كما ترى تقرر احكام الشريعة الاسلامية فى الاسرى كما هي ثابتة فى كتب الفقه الاسلامي ، وتبين مزايا تطبيق الحكم الشرعي كما هو دون مراعاة افعال الاباء والاجداد ، لان كل واحد يسال عما يفعل ، وايد الاتجاه الذي يعتقد ان ما وقع من الكلام مع بعض النصارى قبل اسرهم يعتبر امانا وأتى

بأدلة على ذلك . ثم نجده فى الاخير يحث امير المومنين على ان يفصل فى الامر ويعلن حكمه حتى يعلم الخاص والعام وحتى لا يبقى الناس يتقولون ويدعون ان حكم الشرع لم يطبق سواء من المسلمين او من الكافرين . وهذا يعطينا صورة واضحة على ان الراي العام المغربي المسلم كان يراقب امير المومنين فى احكامه على الاسرى وفى كونها مطابقة للشرع ام لا .
**وهذا فخر تاريخي يفتخر به المسلمون عموما والمغاربة على الخصوص .**

على كل حال هاته الفتوى فتحت بابا كان مغلقا فى وجه المولى اسماعيل مما جعله يتفتح أكثر ويتساهل مع الاسرى ويعاملهم معاملة انسانية ، لا اسرى العرائش فقط بل حتى اسرى الفرنسيين من القراصنة وغيرهم . والذين كان استفحل امرهم على الشواطيء المغربية ايضا ولا سيما فى مدينة سلا . فقد اصدر المولى اسماعيل امرة بجمع الاسرى الذين بالمغرب وتوجيههم لمكناس وجعلهم تحت نظره .
قال ابن زيدان : وهذه اول حجارة وضعت فى بناء أساس المودة بين لويز الرابع عشر وبين السلطان وكان هذا اثر رسالة بعثها باشا وعامل الثغور بطنجة بأمر السلطان الى ملك فرنسا المذكور (18) . ولما حل الاسارى بمكناس بالغ السلطان فى اكرامهم واجزل لهم العطاء وغمرهم فى البر واسقط عنهم كل كلفة كان يتحملها اسارى غيرهم من الاجناس (19) .
ولا شك ان هاته المعاملة الانسانية للاسرى الاوروبيين من طرف السلطان، وهذه الفتاوي التي تدافع عن حقوق **الاسرى كان لها تاثير على عقلاء المغرب** ، وبالتالي فانهم تأثروا بها وحاولوا تقليدها والعمل بها على الاقل فيما بينهم ، وبهذا يتأثر القانون الدولي العام بالاحكام الاسلامية عن طريق استفادة رؤسائهم من هاته الرسائل . وهاته المعاملة الاسلامية الجيدة لاسرى الحرب لم تنقطع بذهاب مولاي اسماعيل وانما بقيت الاحكام تطبق على الاسرى الاوروبيين كما هي فى الشريعة الاسلامية .
وسنجد سطانا آخر له تأثير على القوانين الاوروبية المتعلقة بالاسرى ، بسبب الرسائل المتكررة التي كان يرسلها لهم بشأن أسرى المسلمين . وبما كان له من الرغبة فى اطلاق سراحهم من السجون الاوروبية ، وهو مولاي محمد بن عبد الله العلوي . وهاته الرسائل فى الواقع تعد دروسا

---

(18) انظر نص الرسالة فى العز والصولة ، لابن زيدان ، ص : 359 ، ج 1 ، المطبعة الملكية ، 1961 م – 1381 هـ – الرباط .
(19) اتحاف اعلام الناس لابن زيدان ، ص : 67 ، ط. 1 ، الرباط (1348 هـ – 1930 ).

مهمة لملوك اوروبا فى الكيفية التي ينبغي ان يكون عليها أسرى الحرب والمعاملة الانسانية التي يجب ان يعاملوا بها .

وسنقتصر هنا على رسالة من رسائله مع الاشارة الى افتكاكه للاسرى المسلمين لنثبت مدى تنوير الاحكام الاسلامية لاذهان الاوروبيين عند ما وضعوا القوانين الدولية الغربية ، المسيحية ، وذلك فى المطلب الثاني من هذا المبحث .

## المطلب الثاني
## استفادة الاوروبيين من آراء مولاي محمد بن عبد الله فى أسرى الحرب والعناية بهم

بقي المغرب فى صراع مع الاوروبيين برا وبحرا لا يهدأ له بال ، يريد تطهير شواطئه من الاسبان والبرتغال فنشأت حروب ومناوشات التي ترتب عنها اسرى حرب . كما رأينا فى عهد المولى اسماعيل ، وبعد ما جاء مولاي محمد بن عبد الله كانت السجون الاسبانية لا تخلو من الاسارى المسلمين المغاربة وغير المغاربة وكانوا يعاملون معاملة قاسية ولم يكن هناك قواعد أو عادات تحترم من الاسبان ولم يكن للاسرى علامات تميز اهل العلم والشرف وغيرهم مثلا .... اذ كانوا لا يفرقون بين العالم والجاهل والرئيس والمرؤوس والمرأة والرجل بل وحتى الصبيان كانوا فى السجن مع الكبار ـ فحز هذا فى نفس مولاي محمد فكتب رسالة فى شأن **الاسرى والكيفية التي يجب أن يعاملوا بها** . وسوف نعلق على الرسالة بعد اثباتها هنا حتى يرى القارىء الكريم الافكار الاسلامية كيف انتقلت الى القوانين الاوروبية واضحة جلية كما هي اليوم فى القوانين الدولية .

### رسالة مولاي محمد بن عبد الله الى ملك الاسبان فى شان الاسارى

« ... اما بعد فأقول : انا فى ديننا لا يسعنا اهمال الاسارى وابقاؤهم فى قيد الاسر ولا حجة للغافل عنهم ممن ولاه الله تعالى التصرف والامر . وفيما نظن ان فى دينكم لا يسوغ لكم ترك أسراكم فى الاسر مع الامكان والاستطاعة ووجود ما يفتادون به من أسارى المسلمين ، واتساع البضاعة ، فما للتغافل من الجهتين وجه . والحرب سجال فى المبارزة

والنزال ، **ولا مسالة اعظم من هذا تعتبر** ، ولا امر ينتظر ، كله هي اغفالكم عن البحث فى اسارى المسلمين حتى يتبين**لكم العالم بعلمه والجاهل بجهله** ، ثم تجعلون لاهل **العلم حرمة ومكانة وعزة وصيانة** بحيث تجعل **لهم علامة يميزون بها عن الغير** ، حتى لا يقع احد فيهم بشتم ولا بهضم حرمة فى مقامهم ، والسير **مثل ما نفعله نحن باسراكم من الفرايلية** ان قدر الله باسرهم لا نكلفهم بخدمة ولا نخفر لهم ذمة **فعلى ما لا تحترمون الرؤساء من الاسارى** ولا تعبأون بحامل كتاب الله ؟ على انه افضل منهم بدرجات عند الله ، ونطلق اساراكم ، لا نحملهم ما لا يطيقون ، **ولا نلومهم ما عليه لا يقدرون . نترك مريضهم لمرضه ، ونسمع ضراعتهم وننصت لما يقولون . فتامل فى ذلك بنفسك ، واعمل بمقتضاه وامر به ابنا جنسك » (20) .**

فها انت ترى الرسالة من ملك الى ملك ، وكأنها عادية ولكنك عند التأمل تجدها تشتمل على دروس نادرة وافكار متقدمة . واول درس فى الرسالة هو تنبيه ملك الاسبان الى ان الاسلام لا يهمل الاسارى ولا يتركهم معذبين فى القيود .... والدرس الثاني المسؤولية الملقاة على عاتق رئيس الدولة الاسلامية اتجاه تحرير الاسارى من سجنهم .

والدرس الثالث : لفت نظر سلطان الاسبان الى ان دينه ربما يقول بنفس ما يقول به الاسلام ، ولكنه لا يعمل به .

الدرس الرابع : ان الحرب مستمرة والانتصار ليس وقفا على جهة معينة ، فالمنتصر اليوم ينهزم غدا . ومعنى هذا ان الاسرى يجب ان **يعاملوا معاملة انسانية** لان ذلك فى مصلحة الجميع ، ويؤكد عليه فى **ان ينتبه الى هذا الامر ، ويوضح له بانه عظيم جدا مما يدل ان المخاطب كان فى جهل تام بهذا الامر** . ( ولا مسالة اعظم من هذا تعتبر ولا امر ينتظر ) .

---

(20) **من كتاب ( نتيجة الاجتهاد فى المهادنة والجهاد ) ص : 8 لصاحبه السيد احمد بن المهدي الغزال ، كاتب اسرار مولاي محمد بن عبد الله وسفيره الى كارلوص الثالث ملك اسبانيا بتعليق الفريد من منشورات مؤسسات فرانكو للابحاث العربية الاسبانية تطوان ، 1941 م .**

الدرس الخامس : الاهتمام بالاسرى يقتضي التعرف على ذوي الفضل منهم ومعاملتهم حسب **درجتهم العلمية والعسكرية** .... الخ . مع جعل علامة خاصة تميزهم عن بعضهم ( حتى لا يقع أحد فيهم بشتم ولا بهضم حرمة في مقامهم ) .

وهذا الدرس او هذا الاقتراح من مولاي محمد سبق القوانين الدولية بقرنين كاملين ، اذ نجد القوانين الدولية المتعلقة بأسرى الحرب اليوم تنص على **جعل علامة للاسرى** ، ليعرفوا بها وليعاملوا حسب قيمتهم في مجتمعهم العسكري او المدني .

ثم نجد السلطان يوجه توبيخا قاسيا لملك الاسبان عند ما لا يحترم الرؤساء من الاسارى ومن الحاملين للقرءان الكريم ( فعلى ما لا تحترمون الرؤساء من الاسارى ولا تعبأون بحامل كتاب الله ) . وهذا يدل على ان المسلمين كانوا يعملون بهذا ويحترمونه **والا فلا موجب للعتاب اذا كانت المعاملة بالمثل .**

الدرس السادس : ان المغاربة كانوا **يحترمون الاسرى المرضى ويسمعون لضراعتهم وينصتون لما يقولون ، اي انهم يساعدونهم بالادوية ويعالجونهم ويتركونهم في راحة تامة** حتى يشفوا من مرضهم ، وهذا يجب ان نفتخر به ونزهو على أوروبا التي ما عرفت هذا في كتبها فضلا ان تطبقه عمليا على أسراها . وما عرفته الا في أواخر القرن التاسع عشر في بعض مؤتمراتها . ومع ذلك فهي لا تعمل به الى اليوم . واكتفت بالتنصيص عليه في الاتفاقيات الدولية .

الدرس السابع : يلح السلطان في نهاية الرسالة على ملك الاسبان ان يتأمل هاته الحقائق التي **جاءت في الرسالة بنفسه ولا يتكل على غيره .** وهذا يعطينا حجة قاطعة على ما كان للسلطان من الاهتمام بالاسرى والعناية الكبيرة بهم ، العناية التي يجب عنده على الرؤساء ان يعرفوها **ويعلموها ابناء جنسهم .** فهي مسؤولية على عاتقهم ، وهذا ما يختم به السلطان رسالته ( فتأمل **في ذلك بنفسك واعمل بمقتضاه وامر به ابناء** جنسك ) .

فالسلطان عند ما يلح على ملك الاسبان فى ان يأمر به ابنـاء جنسه يعرف انهم جاهلون بهاته القوانين الانسانية وانه من الواجب ان يزيـح عنهم هذا الجهل ، اذ فى ذلك مصلحة الجميع . وهذا درس فى الانسانية كبير وفى القوانين الدولية خطير .

ويبين الغزال (21) . ان ملك الاسبان استجـاب لما طلب منـه السلطان « وأجاب بما فيه تلطف واستعطاف واقرار بتقصيـر فى شأن الاسارى واعتراف . وطلب الدخول فى حرمة سيدنا ايده الله مثل مـا تقدمه من الاجناس . والزم نفسه الطاعة والخدمة فى الحركة والانفـاس وبث ذلك فى قومه **وقرر لهم ما لم يصلوا لفهمـه** . فانسـوا بذلـك **وانشرحت له صدورهم** .... وصار يحدث عن أمر المهادنة بعضهم بعضا الى ان شاع ذلك بالبلاد الاصبنيولية طولا وعرضا » (22) .

نفهم من كلام الغزال ان الاسبان لم يكن لهم علم بالمعاملة الانسانيـة لاسرى الحرب ، وان رسالة السلطان علمت الاسبان الطريقة المثلى التي يجب أن يتبعوها مع الاسارى .

وقد صرح بذلك سلطان المغرب نفسه لما كتب يخبر المسلميـن بذلك فقال : « أما ما تقتضيه المروءة والهمة العلية هو مقابلة الخير بمثله، وان كان وقوعه **ممن ليس هو من أهله** . وهذا طاغية الاصبنيول ذكرناه فى شأن الاسارى فتذكر ووعظناه فاتعظ واستبصر وظهرت منه علامة الايجاب لهذا الامر المعتبر **وفعل امرا غير معهود من جنسه** » .

ونظرا لاستجابة ملك الاسبان لامر غير معهود فى جنسه فأطلق سراح الاسارى وانصاع لنظرية سلطان المسلمين ، فقد أهدى له هذا جائـزة مهمة تشجيعا له لما قام به ( فقد وجب تأثيره عمن تقـدم من الاجنـاس

---

(21) **الغزال : هو ابو العباس احمد بن المهدي الغزال الحميري الاندلسي المالقي الفاسي المتوفى سنة 1191 . كان شاعرا مطبوعا ، وكاتبا اديبا ، ومنشئا بليغا . غزير المادة لطيف العبادة . تراس الكتابة فى دولة مولاي محمد بن عبد الله .**

(22) **المرجـــع السابـــق ، ص : 4 .**

المصالحين وتأكد تمييزه عن جميعهم بمباشرة جائـــزة غير ممنوعـــة فى الديـــــن (23) .

واهم جائزة هي انه اطلق سراح الاسبان وغيرهم ( فأمر أعـــزه الله بسراح جميع الاسارى من جنس الاصبنيول فى الحال .... ووعد أعزه الله بسراح جنس من غير جنسه لتكون له بذلك مزية بين الاجنـــاس فى يومـــه وامسه ) (24) .

وقد صرح السلطان المولى محمد بن عبد الله بالغاية التي يريدها من مكاتبة ملك الاسبان ، وهي انه لا يريد الا اطلاق سراح الاسارى رافة بهم ورحمة « انما اهتمامنا بذلك ما اوجبته الرحمة بأسارى المسلمين واكدته الشفقة على من هنالك من عباد الله المومنين ، وفيه تصريح لما أشرنا به للطاغية من أن المسلم عندنا واحد **سواء كان من ايالتنا او من ايالة الاباعد**، وان يتفقد من عينه لذلك أحوال الاسارى ويخبر أمورهـــم ويستوعـــب حديثهم واخبارهم ويواصلهم بما انعمنا به عليهم ، ويؤنس وحشتهم بالنظر اليهم ... ويحضهم على الصبر ، فانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ... **والاعتناء بامور الاسارى هو المقدم والاكيد والانفع ، وما عداه انمـــا بحســـب التبـــع** » (25) .

وبالرغم من أن سلطان المـــغرب كان يهتـــم بأسارى المسلميـــن وباخراجهم من الاسر ، فانه مع ذلك كان يعطف على الاسرى المسيحيين

---

(23) ان أعمال السلاطين فى المغرب كانت خاضعة للقوانين الاسلامين ، وهذا يدل على ان ما قرره الاسلام فى الاسرى كان يطبق بالفعل عكس القانون الدولي الذي كتب وبقي معطلا دون تطبيق حتى الآن .
ومما يجب التنويه به هنا ، هو موقف المغرب من الاسرى ايضا فى عصرنا هـذا ، حيث يعاملهم طبق القوانين والاحكام الاسلامية . من ذلك مثلا ما فعله الملك الحسن الثاني مع الضباط المصريين الذين القي القبض عليهم فى التراب المغربي سنـة 1963 م وهم فى حالة تجسس لصالح الجزائريين ، وكان يمكن ان يحاكموا كمجرمي حرب لانهم فى الواقع كالمرتزقة . فلم تكن حرب قائمة بين المغرب والمصرييـن . فكان تدخلهم تطفلا ، شجع الجزائريين على محاربة المغرب ، ومع ذلك فان الملـك عاملهم معاملة أسرى الحرب حسب القوانين الدولية ، ثم تسامى فـوق القانـون الدولي وعاملهم معاملة الاخوان واخذهم فى طائرة خاصة وردهم الى مصـر بنفسه ، كل هذا طبقا للروح الاسلامية وقوانينها الحربية وامتدادا لتاريخنا الاثيل .

(24) نـــفس المرجـــع للغـــزال ، ص : 5 .

(25) نـــفس المرجـــع السابـــق ، ص : 6 .

انفسهم سواء حينما كانوا فى الاسر او عند ما أطلق سراحهم ، اذ انه أوصى بهم خيرا حين اطلق سراحهم ، فقال الغزال : « ثم وفاهم بأكثر مما طلبوه ، وامتن عليهم بما لم يقدروا على اداء بعض البعض منه او يقربوه ودفع لهم **من غير جنسهم من الاسارى الساقطين فى الاسر عدة ، وأمرهم ايده الله بالرفق بهم ف طريقهم الى ان يصلوا لطاغيتهم ويلبث امرهم عندهم»** فهاته الوصية تعطينا الراي النهائي الذي يحمله سلطان المغرب ويعمل به ويحث المسيحيين على التشبث به . ونجده ايضا يطلق سراح الشيوخ والعجزة نظرا لان بقاءهم فى السجن لا فائدة فيه ، اصلا ، ولا فائدة فى بقائهم فى قيد الاسر بعد التعطيل الا مجرد عذابهم ، وتعذيب الاسير يحرمه الشرع الحكيم . ولذلك فهو طبق رايه واطلق سراح الجميع **وطلب من غيره أن يفعل ما فعل** « ... من الواجب عليه **ان يسرح من اسارى المسلمين من بلغ مبلغهم فى الهرم والكبر ولم تبق فيه فائدة تعتبر »** .

هاته هي الافكار الانسانية الاسلامية التي انتقلت الى اوروبا بواسطة الرسائل الرسمية التي كان يرسلها سلاطين المغرب الى رؤساء اوروبا ، ولذا نجد سلطان المغرب لا يقتصر على مكاتبة ملك الاسبان فقط ، بل هو يكاتب اي ملك كان عنده اسارى ، فقد أرسل وزيره ابن عثمان الى جزيرة مالطة (26) ، حيث أطلق كثيرا من الاسرى ولم يكونوا من المغاربة ايضا .

وكان يبدأ بالنساء والصبيان والشيوخ وذوي الاعذار ، يقول ابن عثمان (27) :

« فوجهني الى هذا المقصد الذي لا يضاهى . ولا تجد مآثره تتناهى، واصحبني ما ينيف على ستة وثمانين الف ريال تصرف فى فداء الاسارى، يبدأ بالنساء والصبيان والشيوخ وذوي الاعذار ثم غيرهم من الرجال ... »

(26) كانت الرحلة لجزيرة مالطة ونابلطان ، وما تيسر من غيرهما من البلاد والاوطان . فى 7 ربيع الاول سنة 1196 هـ ، ابتدات من طنجة فى زورق اسباني ، ثم اخذ المركب الاسباني الكبير ايضا الى قادس ...

(27) فى كتابه : « البدر السافر لهداية المسافر الى فكاك الاسارى من يد العدو الكافر » وابن عثمان المكناسي كان وزيرا لمولاي محمد بن عبد الله . وعنده كتاب آخر اسمه : « الاكسير فى فكاك الاسير » وهو مطبوع .

وقد وجدهم يعذبون عذابا اليما . ودفع فيهم مالا كثيرا ومع ذلك اراد المسيحيون الغدر به وبنقض ما أبرمه معهم .

قال ابن عثمان : « وكان فى المدينة من الاسارى نحو الخمس عشرة مائة .... وتوهموا فى الاسارى انهم عزموا على القيام عليهم فقبضوا منهم كل ما يظن به شيء من ذلك وسجنوهم وجعلوا يلزمونهم **ان يقروا بما اضمروا وعذبوهم العذاب الاليم** ليقروا فقد قيل انهم كانوا يأتون **بالكلاليب فيحمى عليها ويقطع بها لحم الرجل** ويجعل مكان ما قطع الزفت الى أن يأتوا عليه .... حتى استأصلوا جماعة من المسلمين ... وكنا واياهم فى عين الهلاك لولا ان تداركنا الله واياهم بلطفه الخفي ، فافتدينا ما كملنا به ستمائة وثلاثة عشر .... » (28) .

واشتهر مولاي محمد بن عبد الله بالاهتمام بالاسرى وباطلاق سراحهم من ماله الخاص ، وكان يتدخل بين **دول أوروبا ودول الشرق من المسلمين** ليقع اطلاق سراح الاسرى من الجانبين .

وكان ملوك الاسبان لا يثقون فى بعض امراء المسلمين من غير المغاربة ويترجون تدخل ملك المغرب بينهما ، نظرا للسمعة الطيبة التي يتمتع بها سلطان المغرب **والتي هي اصالة فيه وليست متطفلة عليه** . لان ذلك هو ما جاء به الاسلام وطبقه السلف الصالح رضوان الله عليهم .

يقول ابن عثمان : ( .... ثم اكترينا المراكب فحملناهم فيها فوجهنا مركب لطرابلس (29) ومركبا لصفاقس ومركبا لتونس ، وكان بحمد الله فتح أبرمته يد القضاء .... ) .

وكان مولاي محمد بن عبد الله يتدخل لدى البلدان الاسلامية **ليطلقوا سراح المسيحيين مقابل اطلاق سراح المسلمين**

---

**(28) انظر تفصيل ذلك فى البدر السافر ... ويفهم من كلام ابن عثمان ان المسيحيين كانوا لا يحترمون السفراء احتراما تاما . بدليل انه ذهب رسول خير بماله ، ومع ذلك كاد ان يقتل ويقضي عليه كما قضي على الاسرى المسلمين بمجرد الوشاية الكاذبة .**

**(29) نرجو ان يطلع الرئيس معمر القذافي على هذا ويزن بينه وبين ما يقوم به هو الآن من تجنيد اعداء الاسلام لمحاربة المسلمين فى المغرب وتونس وارتيريا والتشاد ...**

الموجودين عند النصارى ، وقد طلب منه ملك مملكة نابل وصقلية ان يتدخل لدى الجزائر وتونس وطرابلس وغيرها من البلاد المشرقية ان يطلقوا سراح أسرى النصارى مقابل اطلاق سراح أسرى المسلمين .

جاء فى البدر السافر : « قال الطاغية : (30) .... واما فداء الاسارى الذين فى ايالتنا كلهم من تونس والجزائر وطرابلس وغير ذلك من البلاد المشرقية وما بيننا وبينهم الا الحرب ، وكذلك اخواننا عندهم اسارى بأيديهم ولو لم يكن اخواننا الذين عندهم لسرحنا من عندنا من المسلمين ابتغاء خاطر مولانا امير المومنين ، وحيث **كان اخواننا فى الاسر نحبكم أن تسعوا فى فداء الجميع** فجازيناه خيرا عمن سرح من الاسارى وكذلك طلب منه ملك الاسبان ان يكون واسطة بينه وبين أهل الجزائر فى فك الاسارى ... « حيث خاف اسبانيول من اهل الجزائر ان لا يوفوا بعهدهم وأراد ان يجعل واسطة عظمى بينه وبينهم حتى يبلغ كل من اهل الجزائر ومن اسبانيول المراد ، **من غير غدر ولا عتو ولا عناد** ... فأجابهم السلطان لهذا المطلوب وكتب لاهل الجزائر واخبرهم ... فامتنع اهل الجزائر من ذلك وما رعوا اخوانهم الذين تحت النصارى .... » .

ثم اعاد السلطان الكتب لهم ووعظهم وذكرهم — فلم يسعهم الا اجابته وامتثال أمره . وطلبوا منه ان يرسل لهم بعض خاصته ليكون واسطة بينهم وبين النصارى فى الفداء والمراد (31) .

واكبر دليل على ما لمولى محمد من التأثير على ملك اسبانيا ان هذا استشفع به فى ان يتدخل له مع الجزائر ليطلقوا سراح اميرة اسبانية كانت ذاهبة عند ابن عمها سلطان نابل ، فأسرها الجزائريون .... فاستجاب السلطان لهذا وكتب لاهل الجزائر فى شأنها ، ولكنهم ردوا شفاعته بحجة انها صارت فى سهم العسكر ولا يمكن جبرهم على الفداء . ولكن السلطان لم ييأس فكتب للسلطان عبد الحميد يخبره بالقضية ولما يقومون به من الشغب فقال : « ان لم ترفع ضررهم على المسلمين فدعني

---

(30) ملك مدينة نابل وصقلية ، وهو ابن ملك اسبانيا فى ذلك الوقت ، وقد اشار اليه ابن عثمان فى اول رحلة من كتابه ( البدر السافر ) فليراجع هناك .

(31) الدر المنتخب المستحسن ... للفقيه أحمد بن محمد بن الحاج الفاسي . مخطوط فى الخزانة العامة .

واياهم » ، فكتب عبد الحميد لاهل الجزائر يوبخهم على عدم قبولهم فداء النصرانية وقال لهم : « ان الواجب عليكم - حيث تشفـع فيها أميـر المغرب - توجيهها له دون مال وما عسى ان يبلغ ثمن هذه النصرانيـة ، ولو طلب مني سلطان المغرب الف نصرانية لوجهتها له ، وحتى الآن نأمركم ان تبعثوا له النصرانية ، ولو كانت هي الملكة ، ولا تقبضوا فيها فداء ، ولو أعطاكم اضعاف فدائها الم تروا **ما فكه ملك المغرب من أسارى الترك من كل ناحية** ، حتى لم يبق ببلاد الكفار واحد (32) . وأنتم تردون شفاعته فى نصرانية لا بال لها فلا تعود والمثل هذا فيكون سببنا لتكدير خاطرنـا عليكم والسلام » (33) . ونفذوا أمره فورا وأرسلـوا النصرانيـة الى السلطان الذي سلمها الى ملك الاسبان . وهنا يمكـن لنا ان نتصـور **التأثير الكبير** الذي أحدثه سلطان المغرب فى نفوس الاسبانيين عند ما سمعوا بتدخله لاطلاق سراح الاميرة وما تجشمه فى ذلك من الاتعاب مع الجزائر حتى أطلقوا سراحها . حيث نرى من رسالته التي أرسلهـا الى الخليفة عبد الحميد ، انه كاد ان يحارب فى شأنهـا اعتقـادا منـه ان الجزائريين ليسوا على الحق فى ان يردوا شفاعته أولا والا يقبلوا فـداء الاسيرة ثانيا ولا سيما وهي لم تؤخذ فى معركة وانما كانت مسافرة فقط. ان الغرب تأثر قطعا برسائل مولاي محمد بن عبد الله فى شأن الاسرى . وبذلك وضع ملوكهم الثقة فيه وصاروا يسعون هم أيضـا فى افتكـاك اسراهم ، بينما فى أول الامر كانوا يهملونهم ، كما سبقت الاشارة الى ذلك فى رسالة السلطان الى ملك الاسبان .

وهكذا تكون رسائل ملوك المسلمين أثرت فى أفكار ملوك الغرب حتما **وبينت لهم الكيفية التي يجب أن يكون عليهـا الاسارى من الجانبيـن** ، ولا شك أن هاته الدروس التي اخذوها من المسلمين عن طريق الرسائل **استفادوا منها عند ما ارادوا أن يجعلوا بينهم اتفاقـا خاصـا بالاسرى** المسيحيين ، وبالتالي فان القانون الدولي العام المتعلق بالاسرى تأثر كثيرا

---

(32) وهذه شهادة من اكبر رجل مسلم فى ذلك الوقت يشهد لسلطان المغرب بفدائـه الاسارى والاهتمام بهم دون فرق بين عربي وتركي ومسيحي ايضـا ، فهو يطلق المسلمين بماله الخاص ويتدخل لدى رؤساء المسلمين ليطلقوا سراح النصارى ايضا. وهذا مما امتاز به المغرب على الشعوب كلها ، ويا ليت ابناءه يدركون قيمة هـذا الشرف الانسانـي الكبيـر ....

(33) نـفس المرجـع السابـق .

**بالاحكام الاسلامية التي جاءت عن طريق الرسائل** الرسمية ولا سيما رسائل مولاي محمد بن عبد الله الذي شهد له ملوك وقته بأنه كان سباقا للخير بوضعه الحلول المناسبة لاطلاق سراح الاسرى **ومعاملتهم ، معاملة انسانية . طبقا للاحكام الاسلامية .**

واذا كانت القوانين الدولية المتعلقة بأسرى الحرب تأثرت بالرسائل الرسمية التي كانت توفد من قبل امراء المسلمين فان فقهاء المسلمين لهم دور مهم أيضا فى التأثير على الرهبان ورجال الدين من المسيحيين برسائلهم الشخصية ، وهذا ما سندرسه فى المطلب الثالث .

## المطلب الثالث
## التاثير فى القانون الدولي العام الاوروبي عن طريق رسائل فقهاء المسلمين الى الرهبان والقسس

اشرنا فيما سبق الى أن الشريعة الاسلامية أثرت فى القوانين الدولية المتعلقة بأسرى الحرب من كل ناحية ، ومن جميع الطرق . عن طريق الثقافة والمعاملة الحسنة والرسائل لارسمية بين الملوك .

والآن نثبت ان الرسائل لم تكن مقتصرة على الملوك والرؤساء من الجانبين ، بل كانت كذلك بين الفقهاء المسلمين وبين الرهبان الذين كانت لهم سيطرة مطلقة على الحكام المسيحيين . كان فقهاء المسلمين يكتبون الى الرهبان ويبينون لهم الطريقة الحقة التي ينبغي السير عليها تجاه اسرى الحرب عند ما يسقطون فى ايديهم . وكانوا يعظونهم وينبهونهم بأن اصل الانسانية واحد مهما اختلفوا وانهم من ذوي رحم واحدة وان سفك الدماء لا يأتي بالفائدة على الانسانية ، وانما يأتي بالخراب والدمار على الجميع سواء كان منتصرا او منهزما ، وان الافضل للبشرية هو نبذ الحروب أولا والعطف على الاسرى ومعاملتهم معاملة الاخوة ثانيا ....

الا ان هاته الرسائل لا نجد منها الكثير ، نظرا لكونها كانت شخصية فى الغالب ، والرسائل من هذا النوع معرضة للضياع ، ومع ذلك فان الرسالة التي وجدناها تدل على ما كان لفقهاء المسلمين من الدور فى

تنوير اذهان اولي الالباب من الرهبان ورجال الدين الذين كانوا فى غفلة عما جاء به الاسلام من الخير الى جميع البشر .

وانني بعد البحث وجدت رسالة واحدة فى هذا الشأن وبالرغم من انها واحدة ، فانها ستعطينا الراي المتفتح الذي كان يحمله فقهاؤنا نحو الاسرى ونحو الانسانية جمعاء . وهاته الرسالة ارسلها فقيه جليل من المغرب العربي الى قسيس تركونة لفك أسر أقاربه الذين صاروا تحت يد القسيس نفسه .

وقبل ان نبين الحكم التي جاءت فى هاته الرسالة يلزمنا ان نثبت هنا هاته الرسالة التي لا زالت مخطوطة تنتظر دورها فى الخروج لترى النور ولتزيل عن العقول الجهل والفتور وهي للفقيه الجليل علي بن أحمد التجيبي (34) .

جاء فى الرسالة : « بسم الله ولا حول ولا قوة الا بالله الذي خلق البشر كلهم من **نفس واحدة وبرك** ابدانهم كلها من أديم **الارض الواحدة** فجعلهم بالحقيقة **ذوي رحم واحدة** ، لو تعارفوا حق المعرفة بما اشتركت فيه أبدانهم ،وانفردت بالنفس الواحدة نفوسهم وتحققت بروح الله أرواحهم ما تقاطعوا ولا تسافكوا الدماء ولا **تواثبوا تواثب الاسد على النعاج حتى انتقم الله لبعضهم من بعض وأذاق بعضهم باس بعض** كل بما كسبت يداه وبما سلف له ولسلفه من ظلمه واعتداه . ثم أكد تواشج رحم ابدان فدنا والنفوس نفسا والارواح روحا بما شرع لابراهيم خليل الرحمن من الملة الجمعاء والحنفية البيضاء وجعله أبا جامعا لاسباط بني يعقوب بن اسحاق ووالد الاصفر ابي كافة الرومية وقبائل أولاد اسماعيل ابن ابراهيم ابي كافة العرب الحرمية ، وذلك ليكون اولى باجتماعهم **وتراحمهم وتعاطف بعضهم على بعض وائتلاف بعضهم ببعض** فلم يزد الامر بتاكيد اسباب الالفة

---

(34) وقد عرف بالحرالي ، كان محصلا لانواع العلوم الظاهرة والباطنة اخذ الاصول من ابن الكتاني الفاسي . واخذ العربية والادب عن ابي ذر الخشني وابي الحسن ابن تروك. واخذ علم الحديث عن ابي الحسن بن القطان ، واخذ علم التفسير عن ابي عبد الله محمد بن عمر القرطبي ... وله تصانيف كثيرة منها : شرح على الموطا ، وفى التفسير اكمل منه الربع الاول ، وفى الجدل والتصوف ، وله كرامات واحوال . توفي بحماة من ارض الشام فى الثاني عشر لشعبان عام ثمانية وثلاثين وستمائة هـ ، انظر كتاب : « سبك المقال لفك المقال » لعبد الواحد بن محمد بن الطواح ، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط ، رقمه : 105 .

الا افتراقا ، ولا جعل منهم بتوثيق الرحم والملة الابراهيمية الا شدة الشتات شقاقا ونفاقا ، اللهم الا ءاحادا من افراد الفضلاء واكابر الحكماء الذين قضوا حق الرحم والملة وتحققوا بروح الله فتصافوا وتواصلوا فى القرب والبعاد وخلصوا من نكر التباغض والعناد فلم تجرفهم نار التفرقة ، وكانت عليهم بردا وسلاما كما كانت على أبيهم النار المحرقة، وذلك لما عادوا بقلوبهم الى الاصل ولم يلتفتوا لعارض الشتات فبقوا على اتصال الافضل . وان كاتب هذا الكتاب لما كان ممن كشف الله له عن كنه من خلفه الظاهر وكنه من أمره الباطن واراه الاوائل من حيث اجتمعت وبصره فى المفترقات من حيث افترقت واذهب عن نظره شتات التفاوت فوجب الاخذ عنده بسنة المتحابين العالمين ، والمعذرة لخلق الله اجمعين، وهي الحكمة الفاضلة التي أسسها حكم الانجيل ولم يحافظ عليها الا القليل . وكاتبه عبد الله علي عرف بالحولي ، وقد كان اتفق من حكم الله على بعض ذوي الرحم الذي يقرب فى الظاهر ، وان كان فى الحقيقة كغيره ، اذ الكل من نفس واحدة – بحكم الاسر واخذ منهم آخذ القهر فسلم أمرهم لحكيمهم ورد علم حالهم الى عليمهم الى ان انتهى اليه ان بعضهم وهو الحسن وعمه واخواه محمد وابراهيم وامهم ظبية ورفيقهم محمد بن عبد الله التلمساني عند قسيس تركونة . ورئيسها وصاحب حكمها واحكامها فر براصب بدره وفقه الله وارشده وقد علم ان صاحب الحكمة فقير من الدنيا لو اشتغل بجمع الدنيا ما اجتمعت له الحكمة كما يقال : الكمال جمع الحكمة وبذل المال ، فخوطب بهذا الكتاب ليرى ما يريه الله فى خلاصهم ، وقد انتدب بعض المحبين الى المقاطعة عليهم بما يخف مما تتعرفه من حامل الكتاب ، وعجبا ان اوقع الله اسرى ذوي حكمة كلية عند صاحب حكمة انجيلية ، والقسيس وفقه الله يقبل فى هذا الواقع العجيب بما يليق بمن يحب الاتصاف بالموصوف الجميل والخير الجزيل ليوفق النظر فى ذلك من به فضله على من دونه ممن لا تداني رتبته ولا تعرف حكمته والله ولي الاسعاد بمنه والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » (35) .

وعند التأمل فى هاته الرسالة نجد الفقيه الجليل ينبه القسيس الى ان البشر مهما اختلفت الوانهم واصولهم فهم من نفس واحدة ، وابدانهم

(35) نقلت الرسالة من كتاب ( سبك المقال لفك العقال ) ، ص : 29 وما بعدها .

من **الارض الواحدة** . وان هذه الحقيقة تجعل الانسان يتحد ويسعى للمحبة والالفة . والسعادة والهناء . ولكن الانسان لما تناسى هاته الحقيقة وقع الانفصام والانقطاع مما ترتبت عنه الحروب وسفك الدماء وصاروا مثل الحيوانات المفترسة التي لا تعقل ولا تعرف مصلحتها ، وهمها ان تهجم وتفترس مثل ( تواثب الاسد على النعاج ) وهذا ما جعل الله سبحانه وتعالى ينتقم من هذا الانسان الذي نسي اصله وتجبر وطغى على عباد الله مثله . وانتقام الله كان بالحروب التي نشأت فيما بينهم واستمرت قرونا وقرونا ، وهذا الانسان لا يفكر الا فى سفك الدماء ، ولم ينتبه بعد الى ما خلق من اجله ، ولا الى معرفة اصله ، ولو رجع الى اصله ومعرفة كنهه لمج الحروب واستقبل السلم الذي فيه شفاء ورحمة للنفوس كلها .

ثم بين ان الله تعالى فضل الانسان واوحى له واختار ابراهيم ليكون رئيس الملة والحنيفية البيضاء ( وجعله ابا جامعا لاسباط بني يعقوب بن اسحاق ووالد الاصفر ابي كافة الرومية وقبائل أولاد اسماعيل ) كل ذلك ليكونوا مجتمعين متحدين متحابين مؤتلفين . ولكن العكس هو الذي وقع ، فلم يزدهم الامر بالاتحاد الا الحب فى الافتراق والابتعاد ( فلم يزد الامر بتاكيد اسباب الالفة الا افتراقا ولا جعل منهم بتوثيق الرحم والملة الابراهيمية الا شدة الشتات شقاقا ونفاقا ) .

ثم يبين بأن هناك من يعرف هذه الحكمة ويعمل بها وهم العلماء والحكماء وأن هذا القسيس قد يكون منهم . ولذلك فهو يرجوه ان يطلق سراح اسراه الذين هم اقرباء الكاتب فى الظاهر ، **والا فهم اقرباء القسيس ايضا بحكم الاصل والاخوة الانسانية التي نسيها من لا يعرف الحكمة الربانية .**

هذا مجمل الرسالة وهي كما ترى تصلح لان تكون ديباجة لميثاق الامم المتحدة فى عصرنا هذا . مع ان صاحبها كتبها منذ سبعة قرون مما يدل ان العقول المسلمة كانت متقدمة جدا فى الوقت الذي كانت فيه عقول الغربيين متاخرة جدا ، يدلك على ذلك رد الفعل الذي وقع من القسيس الذي ارسلت اليه الرسالة كما سنبينه .

قال ابن الطواح : ( لما وصل الكتاب الى قسيس تركونة المذكور تحير فى الكتب والزمه اشد ما يكون من العتب وقال : هذا خارج عن

احكام الشرائع فوجه به الى الامير الاجل المقدس المرحوم ابي زكرياء بن ابي حفص برد الله ضريحهم واسكن جنان الخلد روحهم فكتب الى نجله ابي يحيى ببجاية خيره في المشرق او المغرب . فان اختار المغرب على **المشرق فاقض عليه وان اختار المشرق فخل سبيله** فخيره فاختار المشرق فطلع به بدرا مشرقا ... وفك بعد ذلك القسيس اقاربه وسهل ببركته عند الله مطالبه ) (36) . فها انت ترى القسيس استعظم هذا الامر واعتبره خارجا عن احكام الشرائع نظرا لانه لا يعرف هاته المعاملة الانسانية التي ينبغي ان تطبق على بني الانسان حسب ما شرح له الفقيه التجيبي ، ولذا نجد القسيس بدلا من ان يستجيب لما طلب منه **فانه امتنع من اطلاق سراح الاسرى** ولم يكتف بذلك بل أراد الانتقام من هذا العالم الحكيم ، فارسل بفحوى الكتاب الى **الامير الحفصي قصد الايقاع به** ، وذاك ما حدث . اذ امر الامير ولده حاكم بجاية بأن يقتله ان هو اختار اللجوء الى المغرب ، ولكن الله سلم ، اذ اختار المشرق فنجا من القتل باعجوبة ....

فهذا كله يدل على ان قادة المسيحيين في ذلك الوقت لم يكونوا في المستوى الفكري الذي توصل اليه المسلمون ، وانهم كانوا ينظرون الى الرسائل التي ترد عليهم من طرف المسلمين ــ نظرة استهزاء واستغراب في نفس الوقت . ويصرون على عدم العمل بها مهما كانت فائدتها . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الصعوبة التي كان يجدها المسلمون مع الاوروبيين ، فكانوا لا يجدون الا قلوبا غلفا وآذانا صما ــ ومع هذا فانهم يرجعون فيما بعد الى ما كتب لهم من الرسائل ليستفيدوا منها ولو ان فائدتها بالنسبة للمسلمين قد انتهت . وهذا هو ما فعله القسيس ، فانه رجع الى طريق الحق واطلق سراح الاسرى ولكن بعد فوات الاوان . لان **صاحب الرسالة بقي في الغربة حتى مات بعيدا عن اهله وذويه .**

ولكن رجوع القسيس الى الرسالة ومحاولة العمل بها دليل على انه تاثر بها وفهمها ورسخت احكامها في ذهنه وفي ذهن القسس والرهبان اخوانه الموجودين معه والمهتمين بامور المسيحيين ، وهنا نتساءل ، الا يمكن ان يكونوا قد حاولوا تطبيق تلك الافكار النيرة المتعلقة باسرى الحرب على الاقل فيما بينهم في حروبهم المسيحية التي تكاد لا تفتر ... ؟؟

(36) ص : 31 ، من المرجع السابق .

ان رسالة التجيبي وامثالها من الرسائل الشخصية لا شك انها كانت تؤثر فى العقلاء من الاوروبيين على مر الزمان .

ولذا فالقانون الدولي العام المتعلق بأسرى الحرب تأثر بأحكام الاسلام على الاسرى عن طريق الرسائل الشخصية مثل ما تأثر عن طريق رسائل سلاطين المسلمين ، ومثل ما تأثر بالمعاملة الحسنة ، وبالثقافة الاسلامية عن طريق الدراسة فى المدارس او فى الكتب الاسلامية التي لا زالت خزائنهم تزخر بها حتى يومنا هذا .

وما قلناه لا يتنافى والمجهودات الجبارة التي قام بها العلماء والمفكرون من الاوروبيين وغيرهم . فالتاريخ يشهد بأنهم بذلوا كل ما فى استطاعتهم فى سبيل اقرار تلك المبادىء الانسانية المتعلقة بأسرى الحرب ولكن الذي نؤكده هو ان البذرة الاولى كانت من أحكام الاسلام وان المنهل كان اسلاميا ومنه ارتووا والله أعلم .





# أصالة الفقه الاسلامي وضرورة النهوض به

## للأستاذ عمر المعداني

ان الفقه الاسلامي مستقل فى نشأته واصوله المستمدة من الاصلين الاولين ، كتاب الله وسنة رسوله ، معتمدا فى تطوره على صناعة فقهية خاصة به نابعة من مقاصد الشريعة الاسلامية ، ولم يحتج فقهاء الاسلام فى تطور التشريع الاسلامي الى قانون الرومان ولا الى تلمود اليهود ، وان الفقه الاسلامي بدأ يتكون على يد الصحابة والتابعين الذين تركوا تراثا ضخما ، عليه بنى الائمة الاربعة وباقي المجتهدين فقههم .

ولقد قامت جماعة من رجال القانون المصريين وغيرهم بالبراهين القاطعة على استقلال الفقه الاسلامي ، وواكبه بعض المستشرقين انصافا للحق ، كما نبه على ذلك الدكتور محمد يوسف موسى فى كتابه : ( الفقه الاسلامي ، صفحة 88 — 103 ) وغيره من المؤلفين الجدد ، وان الذي يهمنا الآن هو البرهنة على كفاية الفقه الاسلامي ، وبتعبير ادق الشريعة الاسلامية فى التشريع للاحكام التي تتوقف عليها حياتنا الحاضرة .

واننا ككل أمة تحرص على استقلالها وتبتعد عن التبعية ما امكن ، نحرص أشد الحرص على ان يكون الفقه الاسلامي الاساس الاول لتشريعاتنا واننا اذا درسنا فقهنا دراسة مقارنة وتقص فاننا سنجد فيه عناصر حية تمكننا من تطوره حتى نتمكن من حل مشاكل العصر .

ونقصد بالمقارنة ، مقارنة فقه المذاهب بما فى ذلك فقه الشيعة على ان يسبق ذلك دراسة الموضوع داخل كل مذهب على حدة بما فى ذلك مستندات الاقوال فى المسألة داخل المذهب ومراقبة تطوره ان كان هناك تطور ، وذلك بالرجوع الى الينابيع الاولى فيه ، ثم يعقب ذلك مقارنة بين

المذاهب كلها وتسجيل الفروق الفقهية بينها والتوصل الى أصول كل مذهب ومقاصده وعرض ذلك على مقاصد الشريعة الاسلامية وربطه بها .

وانه لا بد عند التوصل الى نتيجة من مقارنتها بالفقه الغربي وايضاح نظرتهما الى الموضوعية ومسلكها واعتبار الذاتية فى كل منهما فيهما وبالمقارنة بين المسلكين والصناعتين سنتوصل الى الامكانيات التي فى الفقه الاسلامي ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان طلبة القسم اذا درسوا ولو عدة ابواب على هذه الخطة سيتيقنون من أصالة الفقه الاسلامي واستقلاله وعدم تأثره بغيره من القوانين ويعلمون الفوارق والاسس التي بني عليها ، وان طلبة القسم سيزدادون ايمانا باستقلال الفقه الاسلامي اذا اقبلوه فى رسائلهم لنيل الدبلوم على جمع فقه الصحابة والتابعين الذي يعتبر ثروة ضخمة وسيتحققون انها كانت هي الاساس لما تكون بعدها من مذاهب فقهية ، وقد اعترف جماعة من المستشرقين بواقعية فقه الصحابة والتابعين وصحة روايته وانه بدأ يتكون فى حدود الثلاثين سنة التي اعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبذلك يتضح خطأ الزعم القائل بأن الفقه الاسلامي لم يظهر الا بعد تأثر الفقهاء ونضجهم من القانون الروماني الذي التقوا به فى مواطنه التي فتحوها ، ومن الواجب فى تكامل الدراسات الفقهية ان تقبل طائفة أخرى من الطلبة الباحثين فى الفقه الاسلامي على موضوعات أخرى من رسائلهم واطروحاتهم تختار من احدى القوانين اما الروماني او الفرنسي او الالماني مثلا لتكون اساسا للبحث فى الفقه الاسلامي وفق ما قام به رجال القانون فى العالم العربي .

ومن الواجب على المتخرجين من دار الحديث الحسنية ومن كلية الحقوق ان يتكاملوا ويتعاونوا بانكبابهم على بحوث فى الفقه الاسلامي بعد ان يتيقنوا ان علماء القانون فى الغرب عرفوا للفقه الاسلامي حقه وقدروه قدره واقروا فى بعض مؤتمراتهم بصلاحيته ليكون اساسا للتشريع وانه فقه حي صالح للتطور وانه غير مأخوذ عن غيره .

واننا لنرجو ان يتنبه الوعي القومي الاسلامي لدى المتخرجين عامة ويستمر حتى نصل بالفقه الاسلامي والشريعة الاسلامية عامة الى استقلالنا فى تشريعنا وقضائنا .

وبحق فان الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي احد أقسامها الكبرى صالحة لكل زمان ومكان ، ولكن يجب ان نبرهن على ذلك ولا نكتفي بالتمني ، وعلينا لاجل ان نصل الى هذه الغاية ان نقوم بنشر مؤلفات الفقه الاسلامي نشرا علانيا وخصوصا الامهات وكل ما ألف قبل توقف الاجتهاد ، لا فرق في ذلك بين مؤلفات أهل السنة والشيعة والظاهرية ونشر مؤلفات مجتهدي المذهب لنطلع على تخريجاتهم وتحقيقات المناط لديهم ، وعلينا ان نستعين على ذلك بنشر الكتب التي جمعت احاديث الاحكام كنيل الاوطار للشوكاني وسبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني ، وأحكام الاحكام لابن دقيق العيد ، والاحكام في أصول الاحكام لابن حزم ، والمحلى له .

والكتب التي اعتنت بجمع فقه القرءان كتفسير القرطبي وأحكام الجصاص وأحكام ابن العربي .

ويسرنا ان نسوق كلمة لشيخ القانون الدكتور عبد الرزاق السنهوري وهي : ( وهذه هي الشريعة الاسلامية لو وطئت اكنافها وعبدت سبلها لكان لنا في هذا التراث الجليل – يريد تراث الفقهاء الماضين – ما ينفخ روح الاستقلال في فقهنا وقضائنا وتشريعنا ثم لاشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضيء به جانبا من جوانب الثقافة العالمية في القانون ) .

وانا لنرجو ان تضم مكتبة دار الحديث الحسنية وكلية الشريعة وكلية الحقوق جميع المؤلفات الجامعية الفقهية في العالم الاسلامي كرسائل الدكتوراه وأبحاث الماجستير لتكون نبراسا وهاديا للمتخرجين في جامعاتنا وكلياتنا .

وانه ان كانت العناية باللغة العربية امر لا بد منه ، فان العناية بالفقه الاسلامي تكون أشد .

وانه لمن المؤسف ان نرى علماء أجانب من الشرق والغرب يقومون بحلقات دورية لدراسة فقهنا يعقدون له مؤتمرات دون ان تكون نحن البادئين ، ومن جهة أخرى فانه لا يحسن ان نقول حسبنا كتاب الله او ان يقول اذا صح الحديث ، فهو مذهبي الا بعد دراستك مادة التفسير الذي

تشير الى منازع الفقهاء عند أخذهم الفقه من كتاب الله والا بعد دراستك كتب أحاديث الاحكام التي بين فيها وجهات نظر الفقهاء عند استنباطهم الاحكام من سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي اتت مبينة للكتاب ، والا اذا درست الفقه المقارن المتعرض فيه لوجهات نظر الائمة عند ما يقفون امام نصوص الشريعة الاسلامية من كتاب وسنة لاجل استنباط الاحكام والا بعد ان تشعر بأنك حصلت على رصيد يمكنك من بلوغ هدفك وانت مطمئن ، والا اذا شعرت بأنك تمكنت من معرفة مقاصد الشريعة التي من شأنها ان تجعلك قادرا على تطوير الفقه الى درجة تجعله وافيا لحل مشاكل العصر كلها .

وليعلم ان جميع نظريات القانون فى الفقه الغربي يمكن ان يتنتج لها نظير فى الفقه الاسلامي وفى الغالب نتوصل الى نظرية أوسع واشمل واعمق ، نعم لا بد من جهد جهيد لجمع اطراف الموضوع المشتت المتفرق فى عدة ابواب ومن عدة مصادر .

وان السبب فى ذلك يرجع الى الصناعة الفقهية فى الفقه الاسلامي وطريقة البحث فيه الذي هو الموضوعية التي من شأنها أن تنظر الى واقع الحياة وواقع المجتمع ولذلك فان كثيرا من نظريات الفقه الغربي يعترضها فى واقع الحياة المجتمعية ما يوجب التعديل او الاستثناء ، ولذلك كثيرا ما نجد بعض النظريات التي تعتبر حديثة فى القانون سبقت اليها الشريعة بقرون او سبقت الى ما يدل عليها ، ومن عصر الصحابة والتابعين أما الصحابة فصحبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم مدة طويلة مكنتهم من معرفة مقاصد الشريعة وتوسع فى ذلك التابعون الذين أخذوا عنهم وائمة الاجتهاد من بعدهم كنظرية التعسف فى استعمال الحق ونظرية الحوادث الطارئة ، نعم ، ان الفقه الاسلامي حسب أسلوبه الموضوعي قلما يجمع ذلك فى نظريات عامة ، وانما يوجد فيه ما يشهد لتلك النظريات وما يمكن أن تستخرج منه ، وبالفعل فان جماعة ممن جمعوا بين الفقه والقانون الفوا فى تلك النظريات وعبروا عنها بنظريات واتوا بما يشهد لها رغم تفرق ذلك وتشتته فى عدة أبواب ، ومن عدة مصادر ، وذلك لا محالة يحتاج الى زمن طويل وصبر على البحث عن المراجع ، ولكن التأليف فى تلك النظريات انما يعتمد فيه أصحابه ويكتفون بجمع طائفة من الجزئيات دون تقص واستقراء تام ، فان الباب لا زال مفتوحا امام الباحثين لاتمام تلك المباحث

على ضوء ما تجود به من مطبوعات فقهية من شأنها ان تظهر العمق والشمول وتمكن من العثور على مبادىء عامة أخرى نحن فى حاجة اليها لتطوير الفقه الاسلامي .

ونذكر مؤلفات على سبيل المثال منها « الملكية ونظرية العقد فى الشريعة الاسلامية » لابي زهرة ، « والنظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الاسلامية» للدكتور شفيق شحاتة ، ونظرية«البطلان فى الشريعةالاسلامية» التي بحثها الدكتور السنهوري فى كتابه مصادر الحق ، « والنظرية العامة للموجبات والعقود فى الشريعة الاسلامية » للدكتور صبحي محمصاني .

وان القائمين بالبحث فى هذه النظريات كثيرا ما يسلكون فى مباحثهم زيادة على جمع ما يشهد لتلك النظريات انهم يضيفون الى ذلك المقارنة بين المذاهب ويسجلون ما بها من فروق واختلاف وجهات نظر وتطور حاصل داخل المذاهب ثم يقارنون بين ذلك كله وبين القوانين الوضعية.

وكل ما قام به هؤلاء الباحثون انما هو بدايات وطرائق فى بحث الفقه الاسلامي ودراسته ، ولما هذه المعاهد التي تدرس فيها الشريعة الاسلامية بصفة عامة.

فان المسلمين فى العالم الاسلامي كله ينتظرون منها ان يستخرج اساتذتها والساهرون على تسييرها نظريات تكفي لان يصاغ منها قانون اسلامي يكون عمدة القضاء والقضاة وينتهي به عهد التبعية والاعتماد على القانون الاجنبي وحده وانهم فى انتظار أن يكون الحكم طبق الشريعة الاسلامية ، وان انجح وسيلة لدراسة الفقه الاسلامي هي فى دراسة الفقه المقارن ولذلك ناسب ان نتعرض لما يلي :

1 ـ تعريفه .

2 ـ فائدته .

3 ـ موضوعه .

4 ـ الفرق بينه وبين علم الفقه .

5 ـ اساس المقارنة وما يحتاج اليه المقارن .

6 ـ تعريف اصول الفقه المقارن .

7 ـ الفرق بينه وبين القواعد الفقهية .

8 ـ الفرق بين اصوله واصول الفقه .

9 ـ موضوعه .

1 ) اما تعريف الفقه المقارن فهو عرض آراء المجتهدين والموازنة بينهما وتقييمها ثم ترجيح بعضها على بعض سواء كان المجتهدون ائمة مذاهب ام لا مع حياد وعدم تأثر بأفكار مسبقة .

وعليه فالمقارن يعتبر نفسه مسؤولا عن فحص كل الوثائق وتقييمها وايضاح اقربها الى عين الصواب .

واما الخلافي فهو وان كان مثل المقارن ملزم بعرض آراء المجتهدين وأدلتهم واعطاء رأيه فيها الا ان مهمته مهمة جدلي لا يهمه الا انتصاره فى ابداء الحجج لمذهب امامه وحفظ مسائله وهدم آراء من يخالفه ولا تهمه الموضوعية فى البحث والقرب من الواقع .

2 ) واما فائدته فله فوائد :

أ ـ منها التوصل الى اليقين بأصالة الفقه الاسلامي وانه غير متأثر ولا مستمد لا من التلمود ولا قانون آخر ، وانه عند الوقوف فى دراسته على الاستنباطات والتخريجات والاختيارات والترجيحات سيحصل القطع للدارس باستقلال الفقه الاسلامي لا محالة وان له صناعة خاصة به يمكن للقوانين الوضعية ان تستفيد منها وتستضيء بنورها وتهتدي بهديها .

ب ـ ومنها التوصل الى معرفة كيف تكون الفقه الاسلامي وكيف نشأ وكيف تطور .

ج ـ ومنها الاستفادة بدراسة من التلاقح الفكري فى اوسع نطاق والاستعانة على تطوير الدراسات الاصولية والفقهية .

د ـ ومنها تربية ملكة النقد وتقدير الادلة وفحصها وأعداد المجتهدين وتكوينهم ولذلك سمى ابن رشد كتابه بداية المجتهد .

هـ ـ ومنها ان الموضوعية فيه وابعاد الافكار المسبقة والنزاعات العاطفية تمكن من بلوغ البحث العلمي ، واخيرا تقرب شقة الخلاف بين المسلمين وتقضي على العوامل التي تفرق بينهم واقواها جهل العلماء الاسس وآراء بعضهم انبعض ومستنداتهم ، وقديما اوجب الشافعي على المجتهد معرفة راى من يخالفه ، وقال ابو حنيفة يعتبر أعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس ، وعن قتادة ان من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه .

3 ) واما موضوعه فهو آراء المجتهدين الفقهية من حيث تقييمها والموازنة بينها وترجيح بعضها على بعض سواء كان المجتهدون ائمة مذاهب او لا .

4 ) واما الفرق بينه وبين الفقه فيتضح ذلك من موضوعيهما ، فموضوع الفقه المقارن هو آراء المجتهدين ، وموضوع الفقه هو الاحكام الشرعية من حيث استفادتها من الادلة التفصيلية ، فالفقيه انما هو ملزم بعرض ادلته الخاصة التي استفاد منها الحكم المقارن وغير ملزم بعرض مختلف الآراء واعطاء رأيه كما هو الشأن فى المقارن .

5 ) واما اساس المقارنة وما يحتاج اليه المقارن فاهمها معرفة اسباب الخلاف بين المجتهدين ، ولقد الف فيها البطليوسي كتابه (الانصاف) والف فيها الاستاذ علي الخفيف وولي الله الدهلوي فى كتابه الانصاف فى اسباب الاختلاف ، وابن تيمية فى كتابه رفع الملام عن أئمة الاعلام ، واوجزها ابن رشد فى مقدمة كتابه بداية المجتهد ، فبعد ان قال : فلنذكركم أصناف الطرق التي تتلقى منها الاحكام ، وكم أصناف الاحكام الشرعية ، وكم أصناف الاسباب التي اوجبت الاختلاف بأوجز ما يكون ، وذكر اولا اصناف الطرق التي تتلقى منها الاحكام الشرعية واصناف الاحكام الشرعية ، ثم قال : وأما أسباب الاختلاف بالجنس فستة ، فذكر منها اولا تردد اللفظ بين أمور أربعة بين ان يكون عاما يراد به الخاص أو خاصا يراد به العام ، أو عاما يراد به العام ، أو خاصا يراد به الخاص ، ثم ذكر تردده بين حالتين ، وهما : اما ان يكون له دليل خطاب أو لا يكون.

وثانيا : الاشتراك الذي في الالفاظ اما في اللفظ المفرد كلفظ القرء للحيض والطهر ولفظ الامر للوجوب او الندب ، ولفظ النهي للتحريم او الكراهة ، واما في اللفظ المركب كما في آية ( الا الذين تابوا ) فانه يحتمل ان يعود على الفاسق فقط او يعود على الفاسق والشاهد فتكون التوبة رافعة للفسق ومجيزة شهادة القاذف .

وثالثا : اختلاف الاعراب ومنه اختلاف القراءات .

ورابعا : تردد اللفظ بين حمله على الحقيقة وبين حمله على نوع من انواع المجاز كمجاز الحذف او الزيادة او التقديم او التأخير او الحقيقة او الاستعارة .

وخامسا : اطلاق اللفظ تارة وتقييده اخرى .

وسادسا : التعارض اما بين الالفاظ فيما بينها أو في الافعال او الاقرارات أو القياسات او بين هذه الثلاثة مع بعضها .

ومن الواضح ان ابن رشد وغيره ممن الف في أسباب الخلاف ، لم يحصل منهم استيفاء لها يدل لذلك ان قواعد اصول الفقه فيها اختلاف كثير وللاختلاف فيها اثره في اختلاف الفقهاء في الفروع ، ولقد قدم في ذلك الدكتور مصطفى سعيد بحثه الذي نال به شهادة الدكتوراه في أصول الفقه .

واذا قلنا ان من أسباب الاختلاف ، الاختلاف في أصول الفقه الذي لا محالة له اثره في الاختلاف في الفروع فان كلا من الخلافي والمقارن لا بد لهما من معرفة القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام يدل لذلك ما جاء في مقدمة ابن خلدون صحيفة 457 حيث قال : ولا بد للخلافي من معرفة القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد لان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط وصاحب الخلافيات يحتاج اليها لحفظ تلك المسائل من ان يهدمها المخالف بأدلته) فاذا كان الخلافي يحتاج الى ذلك وتلزمه معرفته فان المقارن الذي يعتبر حاكما وملزما باعطاء رايه وبالتقديم والترجيح يكون احرى ، وفي اعتقادي ان هذه القواعد الاصولية التي يلزم المقارن معرفتها ما جرى فيها من

خلاف بين المجتهدين وما استند اليه كل مجتهد منها ما يرجع أولا وبالذات الى تلك القواعد المتعلقة بالادلة المتفق عليها عند جمهور الاصوليين وائمة الاجتهاد من كتاب وسنة وقياس واجماع ، ومنها المختلف فيها وما اختص به كل امام كسد الذرائع عند الامام مالك وعمل اهل المدينة عنده والاستحسان والمصالح المرسلة ، ومنها حتى تلك المتعلقة بمباحث الاقوال من كتاب وسنة سواء منها ما يختص بالكتاب وما يختص بالسنة وما يعمهما ، وانه بذلك يكون المقارن متوفرا على ما يحتاج اليه مما من شأنه ان يمكنه من مهمته كمقارن حيث ضم الى ما يحتاج اليه الخلافي والمجتهد آراء المجتهدين حيث الزمناه معرفة القواعد الاصولية ومعرفة ما جرى فيها من خلاف وما استند اليه كل مجتهد فلم يبق عليه الا تقييم تلك الآراء وتقييم ما انبنى عليها من فروع وتقديم امثالها الى الحجية .

وبهذا العرض نكون توصلنا الى تعريف أصول الفقه المقارن حيث تيقنا بأنه هو اصول الفقه مضمومة الى آراء المجتهدين كما توصلنا الى الفرق بينها وبين أصول الفقه المقارن من جهة أخرى بسبب أن الغاية من أصول الفقه هي بلوغ القدرة على استنباط الاحكام الشرعية من الادلة التفصيلية ، والغاية من أصول الفقه المقارن هي بلوغ القدرة الى تقديم ما يستحق التقديم من آراء المجتهدين ومعرفة امثلها وأقربها الى الحجية وبسبب سعة ما يتناوله أصول الفقه المقارن وضيق ما يتناوله أصول الفقه .

ونزيد المقام ايضاحا ببيان موضوع الاصوليين اى اصول الفقه وأصول الفقه المقارن .

فموضوع أصول الفقه كل ما يتعلق بالمنهاج التي يرسم للفقيه ليتقيد به في استنباطه ومن هو اهل الاستنباط بما في ذلك بيان القواعد اللغوية المرشدة للفقيه الى استخراج الاحكام من النصوص ، كمباحث الاقوال والقواعد التي تضبط القياس وطرق استخراج العلل وبيان المصالح المعتبرة شرعا وحال تعارضها مع القياس وبيان المرجحات ، واما موضوع اصول الفقه المقارن فهو كل ما يصلح للحجية والدليل بدون تقيد ، بما اتفق عليه جمهور الفقهاء المجتهدين من الادلة الاربعة التي هي الكتاب

والسنة والاجماع والقياس ؛ بل يشمل ذلك حتى الاستصحاب والمصالح المرسلة والذرائع وغيرها ، ولذلك قيل ان الادلة انما يمكن الحصول عليها بالاستقراء والتتبع والبحث عن كل ما اعتبره المجتهدون دليلا .

ان يقال انه مما يتوقف عليه المقارن ما يسمى بالاوليات والمسلمات لدى المقارن والمحتج عليهم معا فهي القول الفاصل والملزم لكل حجة والى هذه الاوليات والمسلمات ينتهي الاحتجاج ، وان فقهاء المسلمين وفلاسفتهم يعتبرونها أساس كل احتجاج ويريدون بها .

أولا : مبدأ العلية والمعلولية وامتناع تخلف المعلول عن علته .

ثانيا استحالة التناقض اجتماعا وارتفاعا .

ثالثا : استحالة اجتماع الضدين .

رابعا : استحالة الدور والتسلسل .

خامسا : استحالة الخلف .

لكن حيث ان هذه المبادىء هي كما قيل تكاد تكون مركوزة فى النفوس ويومن بها جميع العقلاء والفلاسفة ، فانه لا حاجة الى التنبيه عليها والزام المقارن بها ما دامت ضرورية وبديهية من البديهيات والمسلمات ، وما دام الاحتجاج دائما ينتهي اليها على انها مقايسة لدى العقلاء جميعا ، ويتضح ذلك ان اساس الحجية هو القطع واليقين والبعد عن الاحتمال ، وذلك لا بد فيه من الاستناد الى الاوليات والمسلمات مما من شأنه ان يكون حجة حتى على الفير لاستحالة تخلفه وعند ذلك يتضح الاحتجاج والتقييم .

# الاجتهاد المطلق

للأستاذ محمد هشام الأيوبي

حين تطرق اسماعنا لفظة « الاجتهاد » تنصرف عقولنا فورا الى الاجتهاد فى الاحكام الشرعية الفرعية ، ولنا العذر فى ذلك اذ الغالبية العظمى لتعريف الاجتهاد تقول بأنه : استفراغ الوسع فى طلب الظن بشيء من الاحكام الشرعية (1) . اي الاجتهاد ضمن نطاق الفقه .

ان الاجتهاد الذي عرفه المسلمون فى عصور الاجتهاد ، لم يكن مقصورا على الناحية الفقهية المتعلقة بالاحكام التشريعية ، بل وجدناهم يجتهدون فى العلوم كلها ، فهم يجتهدون فى ايجاد قواعد اللغة ، وهم وان لم يخرجوها من العدم ، فقد قننوها وقعدوها بعد ان كانت تؤخذ سليقة ونشأة وعادة ، اصبحت تؤخذ دراسة وعلما . ولا ننسى أن اجتهادهم جعلهم يتفرقون فى بعض القواعد الى اكثر من راي . ثم علم مصطلح الحديث ، اليس ثمرة للاجتهاد فى حفظ سنة الرسول ( ص ) ، وكذا العلوم المختلفة التي قامت ، انما قامت على اكتاف رجال اجتهدوا فى حفظ هذا الدين فأثمر ذلك فروعا من العلم مختلفة .

ونحن نجد السيوطي يقول انه بلغ درجة الاجتهاد فى ثلاثة علوم : الفقه واللغة والحديث (2) ان تفكيرنا فى الاجتهاد يتقاصد الى علم واحد .. علم الفقه . لذا الا نستطيع القول ان الاجتهاد ممكن ان يشمل فضلا

---

(1) الاحكام فى أصول الاحكام ـ سيف الدين ابي الحسن علي بن ابي علي بن محمد الامدي مطبعة المعارف بمصر 1332 هـ ـ 1914 م ج 4 ص : 218 .

(2) حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ـ جلال الدين السيوطي ـ المطبعة الشرفية ج 1 ص : 141 .

عن الفقه واللغة والحديث ، اصول الفقه ، وفقه الدعوة ، والفقه الحضاري، فيكون له مفهوم مطلق ومفهوم مقيد ، اما المطلق فهو : بذل صاحب الملكة المسلم جهده فى ادراك ما تؤهله ملكته اليه مما أوجبه الشرع او ندب اليه . اما المقيد فهو : بذل الفقيه جهده فى ادراك الاحكام الشرعية .

قد يعترض معترض فيقول : اننا ونحن فى مجال اصول الفقه ، لا ضرورة لان نزج أنفسنا فى اطلاق تعريف يدخل علوما اخرى لها مجالها الخاص بها . فأقول : ان التنويه بذلك واجب ، لان الله لما وجه عقولنا للتفكير والنظر لم يقصدها على وجهة واحدة ، بل قال : «فاعتبروا يا أولي الابصار » (3) دون تحديد الوجه الذي نعتبر فيه مما يفيد العموم الذي يشمل كل ما تصله يد الاجتهاد . والنهضة الشاملة التي قامت فى عصور الاجتهاد لم تكن على اساس الاجتهاد فى الحصول على حكم شرعي ، فقط فيما يجد من نوازل ، بل فى كل ما يجد من امور عقلية أو شرعية ، مما أوجبه الشرع أو ندب اليه .

نجد فى كتب أصول الفقه شروط المجتهد المطلق المستقل دون ان تعترف الامة لاحد بهذه الصفة بعد الائمة الاربعة . واذا نظرنا لهذا الرفض وجدناه انما صدر فى عصور التقليد . مما يعطينا الحجة لرفض ذلك ، والسعي للتعرف على حقيقته .



## تصور الاجتهاد المستقل فى عصور التقليد

يقول ابن برهان المالكي فى كتاب الاصول : (4)

« أصول المذهب وقواعد الادلة منقولة عن السلف . فلا يجوز ان يحدث فى الاعصار المتأخرة خلافها » .

هذا يعني ان التقليد والتقيد بأصول المذهب هو الواجب ، وبالتالي لا يمكن لمن فعل هذا ادعاء الاجتهاد باستقلال ما دام مقلدا فى اصول

---

(3) سورة الحشر ـ الآية : 59 .

(4) نقلا عن ايقاظ الوسنان فى العمل والحديث والقرءان ـ محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي ـ دار الكتاب اللبناني ـ لبنان سنة 1388 هـ ـ 1968 م ص : 64 .

المذهب ، فقصاراه ان يكون مجتدا فى المذهب غير مستقل . ولعل هذه الصورة عن فهم علماء عصور التقليد للاجتهاد المستقل تتضح عندما نرى راي داوود بن السيد سليمان البغدادي اذ يقول : (5)

« ينصرف هذا الاطلاق، ( لعلمه الذين يستنبطونه ) اى المجتهدون الى الفرد الكامل من العلماء وهم المجتهدون المستنبطون ، ولا شك أن هؤلاء ( مدعى الاجتهاد فى زمانه ) معدوم منهم الاستنباط ، بل هو منهم محال ، وذلك ان هذا المدعي انما تعلم العلم من كتب فروع المذاهب وفهم ما فهمه منها ولو انصف وترك ما تعلم فليستنبط لنا حكم مسألة . فمن اين يأتي لنا بغير ما فى المدونة للمذاهب ، وأين له أصول غير ما أصلوه وفروع غير ما فرعوه ، فانهم الذين وضعوا أصل الفقه وفرعه من غير سبق كتاب من احد قبلهم غير الكتاب والسنة ، ولو فرض ان أحدا يترك اصولهم وفروعهم ويريد أن يحدث أصولا وفروعا من نفسه ، فانه لا يتاتى له الا بعد عشرات من السنين والايام ، ولا أظنه اذا فعل يقدر ان يظهر شيئا غير ما اظهر الائمة » .

يتبين لنا من هذا ان المفروض بالمجتهد المستقل ان يبتدع أصولا جديدة لمذهبه غير ما اوجده الائمة السابقون . وبالرجوع الى حقيقة هذه الاصول نجدها تعود الى امور قطعية شرعية وعقلية او ظنية اجتهادية .

يقول الشاطبي فى ذلك (6) :

« ان أصول الفقه فى الدين قطعية لا ظنية ، والدليل على ذلك انها راجعة الى كليات الشريعة ، وما كان كذلك فهو قطعي » .

يعلق محقق الموافقات على هذا بقوله :

« تطلق الاصول على الكليات المنصوصة فى الكتاب والسنة كلا ضرر ولا ضرار ولا تزر وازرة وزر اخرى وما جعل عليكم فى الدين من

---

(5) المنحة الوهبية فى رد الوهابية ـ داود بن السيد سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي ويليهما كتاب : اشد الجهاد فى ابطال دعوى الاجتهاد ـ له الطبعة الثالثة سنة 1394 هـ ـ 1974 م ص : 18 .

(6) الموافقات ـ ابو اسحاق ابراهيم الشاطبي ـ مطبعة المكتبة التجارية بالقاهرة ص 29

حرج ، انما الاعمال بالنيات وهذه تسمى ادلة ايضا كالكتاب والسنة والاجماع وهي قطعية بلا نزاع . وتطلق ايضا على القوانين المستنبطة من الكتاب والسنة التي توزن بها الادلة الجزئية عند استنباط الاحكام الشرعية منها وهذه القوانين هي في الاصول : فمنها ما هو قطعي باتفاق ، ومنها ما فيه النزاع بالظنية والقطعية ، فالقاضي ومن وافقه على ان من هذه المسائل الاصولية ما هو ظني ، والمؤلف بصدد معالجة اثبات كون مسائل الاصول قطعية . ثم قرر اخيرا ان ما كان ظنيا يطرح من علم الاصول فيكون ذكره تبعا لا غير » .

اما الامور القطعية الشرعية والعقلية فلا فضل لاحد في السبق اليها الا بالسبق ، واخذها لا يعتبر تقليدا ، اذ ما عرف بالضرورة لا يمكن ان يقلد فيه ـ اما ما كان ظنيا اجتهاديا فيمكن للمجتهد ان يجتهد فيه ، فاذا وافق رأيه راى من سبقه ، فاتفاق الراى لا يمكن ان يكون تقليدا ، الا بالمشابهة السطحية ، اذ معلوم ان التقليد اتباع قول بلا حجة عليه ، اما اذا كانت عليه حجة ، فهو اتباع للحجة والدليل وليس ذلك بتقليد . يتضح ان المطالبة بأصول جديدة ليس صحيحا بل تبني الاصول التي سبقه الائمة اليها عن دليل وفهم واقتناع يجعله مستقلا بها .

ان ابن المنير يسير على طريق ابن برهان اذ يقول (7) :

« اتباع الائمة الآن الذين حازوا شروط الاجتهاد مجتهدون ملتزمون ان لا يحدثوا مذهبا ، اما كونهم مجتهدين ، فلأن الاوصاف قائمة بهم . واما كونهم ملتزمين ان لا يحدثوا مذهبا فلأن احداث مذهب زائد بحيث يكون لفروعه أصول وقواعد مباينة لسائر قواعد المتقدمين متعذر الوجود لاستيعاب المتقدمين سائر الاساليب » .

بالرجوع الى كلام ابن المنير نخرج بما يلي :

1 ـ يقول : اتباع الائمة ملتزمون ان لا يحدثوا مذهبا . يمكن القول ان ذلك لانهم لم يبلغوا الاجتهاد المستقل . وعدم احداثهم مذهبا جديدا لا يدل على الالتزام ، وانما يدل على انهم لم يصلوا باجتهادهم وبمستواهم الى شيء جديد .

---

(7) نقلا عن ايقاظ الوسنان ـ السنوسي ص : 64 .

2 ـ يقول ان احداث مذهب زائد بحيث يكـون لفروعه أصـول وقواعد مباينة لسائر قواعد المتقدمين متعذر الوجود . يمكن القول أنـه ليس من شرط الاجتهاد في القواعد والاصول ابتداع شيء جديد ، بقدر ما هو اخذها عن قناعة بها وعلم بحقيقتها ، بحيث يكون المجتهد حاكمـا عليها لا حاكمة عليه دون التقيد بأنها قواعد هذا الامام أو ذاك .

3 ـ يعلل قوله السابق : لاستيعاب المتقدمين سائر الاساليب . يمكن القول انه لا دليل على استيعاب المتقدمين لسائر الاساليب الا الظن اذ لا يمكن الحكم على المجهول بأن لا يظهر ، وما يدرينا بانه سيظهر ، ما دمنا لا نملك الدليل القطعي .

كذلك نجد ابن الحاج يسير على طريق ابن المنير فيعرض المشكلة بقولـه : (8)

« ولقائل ان يقول : ما مستند منع خلاف هذه القواعد المبتكرة والاصول المقررة فهي ان كانت أمورا اجتهادية فلا فرق بينها وبين غيرها في جواز مخالفتها اذا ادى اليها اجتهاد مجتهد أو صادمت نصا صريحا كما يفهم من قول الشافعي : « فمما قلت من قول او أصلت من أصل وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله ( ص ) وهو قولي » فقد صرح فيه بأن الاصول تخالف وان كانت نصوصا قطعية فلا اختصاص لاحد بها دون أحد » .

يجيب على هذا بقوله :

« فالجواب : ان محل هذه القواعد المذكورة فيما لم يكن من ذينك الفريقين خارجا عن كل من القسمين ، وانما هو قوانين استقرائية مأخوذة من لوازم تصرفات الاحكام الشرعية اقتضى كل امام منها ما قدر له ، مما لم يختلف سبيله لديه فيما يندرج تحته من الفروع مما يبنى عليه ، واما منع خلافها فلتظافر السلف عليها بتطابق آرائهم عليها بتسليمهم لها ( اما قوليا أو سكوتيا ) حتى كادت أن تكون اجماعية ، فغلبة الظن في مثل ذلك

---

(8) نفس المصدر والصفحة .

من مثلهم تؤذن بامتناع صدور ذلك بدون مستند لشدة شكيمتهم على الدين وقرب عهدهم من عهد الوحي والتنزيل .

نلاحظ فى رد ابن الحاج امورا :

1 ـ يفرق بين نوعين من الاصول بعضها يجوز مخالفته حسب ما قال الشاطبي ، وبعضها لا يجوز مخالفته ، ان هذا التفريق تراجع عن اطلاق عبارة المنع .

2 ـ القواعد التي لا يجوز مخالفتها هي قوانين استقرائية ماخوذة من لوازم تصرفات الاحكام ، ويظهر لنا ان هذه القوانين الاستقرائية اذا بلغت حد القطع فلا تقليد فيها والا ففيها للاجتهاد مجال .

3 ـ تلك القوانين الاستقرائية التي لا يجوز مخالفتها ، اقتضى كل امام منها ما قدر له . يرد سؤال هنا : الا يمكن لهذا الامام ان يكون فاته شيء مما يقتضيه ذلك الاستقراء . ثم الا يجوز لغيره ، كما جاز له ان يقتضي منها ما قدر له .

4 ـ ما اقتضاه الامام هو مما لم يتخلف سبيله لديه فيما يندرج تحته من الفروع مما يبنى عليه . الا يمكن القول : ربما يتخلف سبيل ذلك بالنسبة لغيره ، ويشهد لهذا ما نرى من اختلاف الائمة فى القواعد .

5 ـ تظافر السلف عليها بتطابق آرائهم عليها بتسليمهم لها ( اما قوليا او سكوتيا ) يمكن القول ان التسليم لا يدل على انها معصومة لا يمكن مخالفتها ، وانما يدل على انها فى نفسها مقبولة دون ان يدل على منع خلافها . ومعلوم ان الامام الشافعي منع الاجماع السكوتي حيث يقول (9):

« ما لم يعلم خلافه فليس اجماعا » .

6 ـ يقول : « تكاد تكون اجماعية » وهذا يعني انها فى حقيقة الامر ليست اجماعية كما يفهم من العبارة « تكاد » .

---

(9) نقلا عن ايقاظ الوسنان ـ السنوسي ، ص : 83 .

7 ـ يقول مدللا على قوله : « غلبة الظن فى مثل ذلك من مثلهم تؤذن بامتناع صدور ذلك بدون مستند لشدة شكيمتهم على الدين . هذا تصريح بانتفاء مستند ذلك المنع ، فقط الاعتماد على حسن الظن بهم لقوة دينهم وقربهم من عهد الوحي اي اعطاؤهم نوعا من القداسة ، وهذا ـ أن قبل فليس دليلا لقبول اقوال بدون مستند ما لم تبلغ درجة الاجماع .

بالنظر الى هذا التصور لفكرة الاجتهاد المستقل ، لا عجب ان نجد

من يريد وصم اهل العلم جميعا بأنهم مقلدون ، بل عاميون . يقول صاحب اشد الجهاد (10) :

« اتفق أهل الاصول ان غير المجتهد المطلق ، ولو كان عالما يسمى عاميا مقلدا » .

## شروط الاجتهاد المستقل

بمراجعتنا لشروط الاجتهاد المطلق المستقل يمكننا الحكم فى امكانه او عدمه ، وذلك بالسؤال عن امكان توافر تلك الشروط وعدمها ، ولكن قبل ذلك لا بد ان نقرر بعض الامور التي يحسن التقديم بها :

1 ) لا حاجة فى الاجتهاد المستقل ان يبتدع المجتهد قواعد جديدة لم يصل اليها السابقون ، وانما يكفي فقط ان تترجح لديه صحة تلك القواعد فيتبنى العمل بها مسيطرا عليها يتصرف فيها بمعرفة ودراية، بحيث يكون حاكما عليها دون أن تكون حاكمة عليه ـ وهذا انما يكون بسبر غورها والتعرف على حقيقتها ـ ومعلوم لدينا ان احمد بن حنبل تتلمذ على الشافعي ، الذي تتلمذ على مالك ، وكل أخذ من استاذه وترك حسب ما اداه اليه فهمه واجتهاده دون أن يجعله ما أخذه مقلدا ، اذ الاصل هو الاستقلال فى الفكر والتبعية للشرع مباشرة .

2 ) الاستعانة بفهم المتخصصين فى علم من العلوم المتعلقة بالاجتهاد لا يخرج عن الاستقلال بالاجتهاد ما دام الامر استعانة وليس اتباعا اعمى ، بل عن ادراك وتلمس لحقيقة المطلوب .

(10) اشد الجهاد ـ البغدادي ، ص : 18 .

3 ) ان موافقة رأى المجتهد لراي غيره ليس من التقليد فى شيء، وبالتالي لا يخرجه عن حقيقة الاستقلال بالراي اذ الاستقلال انما هــو فى تبني الراي والاخذ به اعتمادا على الادلة والبينات ، وعليه لا تضر المشابهة السطحية ، وقد صرح كثير من العلماء فى أمور وافقوا غيرهم بها انما هو موافقة الراي للراى وما تصريحهم هذا الا اشارة الى انه ليس تقليــدا . يقول صاحب ايقاظ الوسنان (11) :

« فائدة ـ لا منافاة بين بلوغ رتبة الاجتهاد المطلق فى جميع الابواب ومسائلها وتقليد الامام فيها بموافقة رايه والجريان على قواعده واصوله . قال ابن دقيق العيد : كان القفال يقول لسائله : سألتني عــن مذهــب الشافعي ام عما عندي ، وقال هو وآخرون منهم تلميذه القاضي حسين : لسنا مقلدين للشافعي ، بل وافق رأينا رايه ـ قال ابن الرفعة : لم يختلف اثنان فى ان ابن عبد السلام وتلميذه ابن دقيق العيد بلغا رتبة الاجتهاد ».

4 ) ان ظهور بعض العجز والتوقف لا يرد الاستقلال فى الاجتهاد، والا افترضنا فى المجتهد الاحاطة بعلم كل شيء . وهذا مردود بالعقــل وشواهد الشرع . فكبار الصحابة الذين لا شك فى اجتهادهم واستقلالهم كانوا يسألون فيتوقفون ويتراجعون دون أن يرد ذلك عنهم صفة الاستقلال، فأبو بكر الصديق كان يجهل توريث الجدة عندما سئل عن ميراثها . وعمر كان يجهل توريث المراة من دية زوجها اذ كان يظن أن الدية للعاقلة فقط، وكذلك الامر فى الطاعون حتى اخبر . لذا يقول ابن تيمية فى ذلك (12):

« احاطة واحد بجميع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلـــم لا يمكن ادعاؤه قط ، واعتبر ذلك بالخلفاء الراشدين الذين هم اعلم الامـــة بأمور رسول الله وسنته واحواله » .

وقد حدث الشي نفسه بالنسبة للائمة المجتهدين كما هو مشهور ، فمالك سئل عن اربعين مسألة أجاب عن اربع وتوقف عن الباقي،والشافعي كان يقول لاحمد بن حنبل : اذا صح لديك الحديث فأخبرني به ، دون أن يخدش ذلك كله صفة الاستقلال فيهم .

---

(11) ايقــاظ الوسنــان للسنوسي ، ص : 74 .
(12) نقلا عن كتاب « ابن تيمية » ـ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ الطبعة الثانية سنـــة 1958 م ، ص : 355 .

يقول صاحب ارشاد النقاد فى ذلك (13) :

« والذي يدل على أن جملة من الاخبار تكفيه ، ولا يجب الاحاطة بها أن الصحابة قد صح اجتهادهم فى احكامهم ولم يحيطوا بها علما وكذلك التابعون وائمة الاسلام ولم يعلم ان احدا احاط بها ولذا قال الشافعي رضي الله عنه : علمان لا يحيط بهما احد : الحديث واللغة . وهذا صحيح وهو قول الجماهير » .

اما مراجعة شروط الاجتهاد ، فالشرط الذي يتمسك به الذين يستبعدون الاستقلال فى الاجتهاد ، بل يحيلونه هو اللغة ، كأن فهمها اصبح لا يستقيم الا لمن انفق عمره عشر مرات ، والا ففهمه ناقص مشكوك فيه ، والسؤال الذي تبادر للذهن ، أليس فهم الصحابي الشاب البالغ ثمانية عشر عاما كافيا ليفهم الخطاب ، وليكون مكلفا ، بل ليفهم اعجاز القرءان ويشعر به ؟ بتسليمنا بهذا نسأل : كم هي مدة تلقيه اللغة التي اهلته لفهم الخطاب ؟ فاذا حذفنا الخمس سنوات الاولى التي يعتبر فيها غير مميز لغويا ، يبقى له ثلاثة عشر عاما تلقى فيها اللغة من بيئته منصرفا اثناء ذلك الى جميع امور الحياة .

اقول : لو انصرف عالم بكثير من وقته وجهده الى تعلم اللغة هذه المدة ، أليست كافية ليقارب العربي فى الفهم للغة ان لم يكن مثله . أليس الادباء والشعراء قادرون على فهم خطاب العرب وهم المتذوقون لجمال كلامهم وشعرهم .

اما التمييز بين صريح الكلام ظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه ، أليس هو من تذوق اللغه والذي يستطيع ان يتذوق شعر الجاهليين ، الا يتذوق العربية عامة . هذا فضلا عن أن كتب البلاغة قد تكفلت بهذا بمزيد تفصيل يربو على المطلوب ، علما ان أصول الفقه قد جمعت فى أبحاثها كل ما يحتاجه المجتهد فى أمور العربية بشكل مفصل وموضح والمختصون بالاصول يدرون ذلك .

(13) ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد ـ لمحمد بن الامير الصنعاني ، صاحب كتاب سبل السلام ، شرح بلوغ المرام ، فى مجموعة الرسائل المنيرية ، الجزء الاول ، وهي تشتمل على ثلاث عشرة رسالة ـ المطبعة المنيرية ، سنة 1943 م ص : 24 .

يبقى أن يمكنه تفسير غريب القرءان والحديث ، وهذا مجموع فى كتب يمكن الاحاطة بها فضلا عن توفر القوامين ، وامكان استقراء مورد الكلمة فى القرءان والحديث بحيث يتحدد المدلول الشرعي لها ـ هذا دون ان يفوتنا القول ان كتب التفسير قد تكفلت ببيان جميع الآراء التي تتعلق بتفسير القرءان مما هو امر يتعلق باللغة أصلا .

اما الامر الثاني الذي يستبعدونه الاستقلال به فهو الاستقلال بالاصول ، وهذا الاشكال ينتفى اذا تبين لنا ان الاستقلال فى الاجتهاد لا يستدعى ابداع اصول جديدة باعتبار أن موافقة الراي للراي ليست تقليدا ولاننا فى الاستقلال . فاذا راى احد العلماء رايه فى أصول من سبقه وقارن بينها وصحح وخطأ وقوم وهذب واستبعد وقرب ، متعمقا فيها سابرا أغوارها امكنه عندها ان يستقل بما يراه فيها أو بما يزيده عليها . هذا فضلا عن ان كثيرا من قواعد الاصول قطعى مما يتساوى فيه الائمة جميعا فلا يدخل تحت التقليد .

أما الشرط الثالث : الذي يستبعدونه ، وبعضهم يحيله ، فهو الاستقلال بالتصحيح والتضعيف فى الحديث الشريف وعلومه ، وسنفرد له بحثا لاحقا بعنوان « الاجتهاد فى الحديث وعلومه » ليظهر لنا امكان ذلك ، وليزول كثيرا من الضباب الذي يلف هذه المسألة .



أما الشروط الاخرى فهي اقرب تناولا ، واوضح امكانا وهي : معرفة الكتاب والسنة ، أما حفظ الكتاب فهو متوفر اذ هو اول ما يلقنه المسلم طالبا للعلم بحيث ورد ان بعضهم حفظه ولم يتم العاشرة بعد ، اما السنة فليس الشرط حفظها ، بل الاطلاع عليها اطلاعا شموليا مستحضرا فى الذهن مع أحكام الرجوع اليها . وبواسطة الفهارس الحديثية الحديثة يمكن للعالم الاحاطة بما فى ثلاثة عشر كتابا من كتب الصحاح فى جلسة واحدة بحيث يكفي أن يتذكر فى الحديث المراد كلمة واحدة او موضوع الحديث المراد فيصل الى النص كاملا ، لذا لا يرد القول بأن الاحاطة غير ممكنة كما ذكر صاحب ايقاظ الوسنان اذ يقول : (14)

---

(14) ايقاظ الوسنان للسنوسي ص : 15 .

« ليس لقائل ان يقول : ان السنة قد جمعت ودونت فخفاؤها والحالة هذه بعيد . لان الدواوين المشهورة في السنن انما جمعت بعد انقراض الائمة المتبوعين على انه لا يجوز انحصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معينة ولو فرض فليس كل ما في الكتب يعلمه العالم ولا يكاد ذلك يحصل لاحد ، بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة وهو لا يحيط علما بما فيها ، بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين اعلم من المتأخرين بالسنة بكثير ، لان كثيرا مما بلغهم وصح عندهم قد لا يبلغنا الا عن مجهول او باسناد منقطع او لا يبلغنا اصلا فكانت دواوينهم صدورهم التي تحوي اضعاف ما في الدواوين وهذا امر لا يشك فيه من علم القضية » .

نلاحظ هنا امورا :

1 ) قوله ان السنة انما جمعت بعد موت الائمة فلا يجوز انحصارها في الدواوين ، ان هذا لا يقدم ولا يؤخر ، اذ ما وصلنا اعتباره قائم حسب سنده ، اما اذا لم يصلنا فكأنه لم يوجد اصلا ، اذ لم نكلف بما لا طاقة لنا به .

2 ) يقول : لو فرض انحصار السنة في الدواوين ، فليس كله مما يعلمه العالم ، وهذا مردود اذ الفهارس الحديثية الحديثة كفيلة بأن تسد هذه الثغرة وتجعل كل ذلك في متناول اليد عند الحاجة .

3 ) اما قوله ان كثيرا مما بلغهم وصح عندهم قد لا يبلغنا الا عن مجهول . لا يعني هذا الا الرفع من قيمة رأي من سبق ، وهذا معارض بفرضية الاجتهاد ، ولما كان مناط الامر هو الدليل ، فلا يؤثر كونهم اعلم اذ يجب الاجتهاد على العالم كما يجب على الاعلم .

ان صاحب ايقاظ الوسنان انما قدم هذه المقدمة ليصل الى نتيجة تؤكد ما نرمي اليه وهي ان الاحاطة ليست شرطا في الاجتهاد ، لذا نجده يقول بعدما سبق له من القول :

« لا يقال ان من لم يعرف الاحاديث كلها لم يكن مجتهدا ، لانه ان اشترط في المجتهد العلم بجميع ما قال النبي صلى الله عليه وسلم وفعل

مما يتعلق بالاحكام فليس فى الائمة مجتهد ، فصارى المجتهد علم جمهور ذلك بحيث لا يخفى عليه الا القليل من التفصيل ، ثم انه قد يخالف ذلك القليل الذي لم يبلغه فيكون معذورا » .

اما معرفة الناسخ والمنسوخ فهي قليلة جدا لم تزد فى القرءان عن عشرين آية كما انتهى اليه السيوطي فى كتابه الاتقان . وفى الحديث لم تزد عن عشرة أحاديث ويمكن الاطلاع على كتب فى ذلك والاحاطة بها كلها فى قليل من الجهد . يقول صاحب الايقاظ فى ذلك (15) :

« المتفق عليه فى نسخ الكتاب نحو العشرين آية ، وفي السنة ما دون العشرة وهما محفوظان » .

اما معرفة مواطن الاجماع فهو لا يخفى على طالب العلم فضلا عن المجتهد وانما ذكر للتنبيه .

## الاجتهاد فى الحديث وعلومه

ان مفهوم الاجتهاد المطلق ، وهو تلك النظرة الواعية المتعلقة المتحررة من قيود أقوال الرجال الى الحق الظاهر بالادلة ، يدعو الى الاجتهاد فى جميع العلوم الاسلامية ومن هذه العلوم علم الحديث .

وهنا يكون الاجتهاد باحدى ناحيتين ، اما فى الحديث نفسه من حيث التصحيح والتحسين والتضعيف او فى علوم الحديث وقواعده نفسها .

اما فى الحديث نفسه فيكون ذلك بالبحث عن الروايات المختلفة وفى رجالها وفى الحكم على الحديث . وهنا يمكن فى الحكم على الحديث اعتماد احدى طريقتين :

الاولى : النظر فى تصحيح العلماء السابقين والاكتفاء بذلك فيكون ذلك قبولا لخبرهم بأن الحديث قد استوفى شروط الصحة ، اذ ثبت لدى الامة قبول خبر الآحاد اذا ثبت صدقهم .

---

(15) ايقاظ الوسنان للسنوسي ص : 69 .

وهنا يمكن أن يكون الموضوع على شكل سؤال وهو : هل يكون العامل من المتأخرين بتصحيح الائمة من أهل الحديث للحديث أو تحسينه او تضعيفه مقلداً لاولئك الحفاظ ام يكون فيما قبله من كلامهم فى ذلك وعمل به مجتهداً ؟

قال محمد بن ابراهيم فى الروض الباسم (16) :

« ان قول الثقة العارف الذي ليس له قاعدة فى التصحيح معلومة الفساد : ان الحديث صحيح يجب قبول قوله بالادلة العقلية والسمعية الدالة على قبول خبر الواحد ، وليس ذلك بتقليد ، بل هو عمل بما أوجبه الله تعالى من قبول خبر الثقات » .

ويقول ايضا فى التنقيح (17) :

« ان نص على صحة الحديث احد الحفاظ المرضيين المأمونيين فيقبل منهم ذلك للاجماع وغيره من الادلة الدالة على قبول خبر الآحاد » .

يوضح الصنعاني هذه الفكرة بقوله (18) :

« رسم الحافظ ابن حجر رحمه الله فى كتابه ( نخبة الفكر ) الحديث الصحيح بأنه ما نقله عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ ، وقال وهو الصحيح لذاته . وقريب منه رسم ابن الصلاح وزين الدين بأنه ما اتصل اسناده بنقل عدل ضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة قادحة . اذا عرفت هذا : فهذه خمسة قيود ، ثلاثة وجودية واثنان عدميان ، وكلها اخبار : كأنه قال : الثقة حين قال حديث صحيح ، هذا الحديث رواته عدول مأمونو الضبط متصل اسنادهم لم يخالف فيه الثقة ما رواه الناس وليس فيه أسباب خفية طرات عليه تقدح فى صحته ، وحينئذ فقول الثقة : صحيح يتضمن الاخبار بهذه الجمل الخمس ، وقد تقدم بالبرهان الصحيح ان الواجب او الراجح العمل بخبر العدل والقبول له ، وتقرر ان قبوله ليس من التقليد لقيام الدليل على قبول خبره ،

---

(16) الرسائل المنيرية ص : 2 .
(17) نفس المصدر السابق ص : 6 .
(18) نفس المصدر السابق ص : 3 .

فالتصحيح مثلا والرواية للخبر قد اتفقا انهما اخبار اما بالدلالة المطابقية او التضمنية او الالتزامية » .

ويزيد ذلك ايضاحا بمثال فيقول (19) :

« ولو وجدت حديثا في مسند ابن ابي شيبة وعبد الرزاق او غيرهما ولم تجد فيه كلاما لاحد ائمة الحديث باحدى الصفات الثلاث ، ورايته من رواية الحجاج بن أرطأ مثلا فانك تحكم بضعفه لكلام الائمة فى الحجاج كما يحكم بذلك الدارقطني مثلا وما لاقاه الدارقطني ولا رآه بل وقف على ما وقفت عليه من كلام أئمة الجرح . غاية الفرق انهـا قـد تكـون طريق الدارقطني فى ذلك السماع وطريقك الوجادة وهذا لا يخرجك عن جـواز التكلم بما تكلم به او وجدت حديثا كذلك ثم نظرت كلام ائمة التعديل فى رجاله فوجدتهم موثقين ، فأى مانع لك من تصحيحه مثلا كما يفعله الحافظ المنذري وابن حجر فانهما يتكلمان على عدة مـن الاحاديـث تصحيحـا وتحسينا وتضعيفا وطريقهما فى ذلك تتبع أقوال ائمة الجرح والتعديل فى رجاله كما انها طريقة الناظر فى هذه الاعصار وهما لم يلقيا الا شيوخهما كما أنك لم تلق الا من رويت عنه او قرات عليه ان كانت طريقك القراءة لا الوجادة او الاجازة .

« وهذا الشافعي رضي الله عنه اتفقت الامة على اجتهاده مرجعه فى صحة الاحاديث وعدمها الى ائمة الحديث فانه يقول فى مواضيع اذا لـم يعمل بالحديث : انه لم يرتض رواية هذا الحديث ونحو هـذه العبارة فى محلات من تلخيص ابن حجر وتيسير البيان وغيرهما من الكتب المجموعة لسرد الادلة والتفتيش عن احوال رجالها تقوله فى حديث بهز بن حكيـم فى الزكاة ، وهذا حديث لا يثبته أهل العلم » .

الثانية : اعادة النظر فى التصحيح وذلك بمراجعة رجال كل سنـد وملاحظة الشواهد والتوابع ثم الحكم . وواضح لنا أن الاعتماد فى تعديل رجال السند وجرحهم انما على قول من سبق الذي هو خبر منهم بانـه عدل او خلافه . يقول صاحب التيسير فى ذلك (20) :

---

(19) نـفس المصـدر السابـق ص : 11 ـ 12 .
(20) نـفس المصـدر السابـق ص : 5 .

« اذا نظرت الى الائمة النقاد من الحفاظ كالحاكم أبي عبد الله وأبي الحسن الدارقطني وابن خزيمة ونحوهم كالمنذري وتصحيحهم لاحاديث وتضعيفهم لاحاديث واحتجاجهم على الامرين مستندا الى كلام من تقدمهم كيحيى بن حصين واحمد بن حنبل وابي عبد الله البخاري ومسلم وغيرهم من ائمة هذا الشأن وانه ثبت له عنهم أو عن احدهم انه قال فلان حجة او ثبت او عدل او نحوها من عبارات التعديل وانهم قالوا فى غيره انه ضعيف او كذاب او لا شيء او نحوها ، ثم فرعوا على هذه الروايات صحة الحديث او ضعفه باعتبار ما قاله من قبلهم .

« فانه تجنب ابن اسحاق من تجنبه من اهل الصحاح بقول مالك فيه من ان ابن اسحاق امام اهل المغازي وقدموا أيضا فى الحارث الاعور بكلام الشعبي فيه ولم يلقوا ابن اسحاق ولا الحارث بل قبلوا كلام من تقدم فيهم من الائمة .

« واذا حققت علمت ان تصحيح البخاري ومسلم وغيرهما مبني على ذلك وكذلك تضعيفهما فانهما لم يلقيا الا شيوخهما من الرواة ؛ وبينهم وبين الصحابة وسائط كثيرون اعتمدوا فى ثقتهم وعدمها على الرواة من الائمة قبلهم فلم يعرفوا عدالتهم وضبطهم الا من أخبار أولئك الائمة » .

اما فى علم قواعد الحديث ، فان علم المصطلح ، انما هو علم وضعه الرجال وقعدوا قواعده لتسهيل العمل على من يأتي بعدهم ، ولا نجد ما يلزمنا شرعا أن ننكب على ما دونوا صما وعميانا تقليدا دون تدبر ودون رجوع الى مقصد العلم والاسس التي على ضوئها قعدوا تلك القواعد .

من ذلك قولهم : الجرح مقدم على التعديل . فيمكن على هذا الاساس ان نرد اخبارا صحيحة بسبب هذه القاعدة اذا لم يكن المجتهد ناظرا الى حقائق هذه القواعد . مثال ذلك : قد يرد على المجتهد حديث أحد رجال سنده ابن اسحاق فينظر فيه فيجد ان مالكا قال فيه : انه رجال من الدجاجلة . وقال فيه شعبة : انه أمير المؤمنين فى الحديث . وشعبة امام لا كلام فى ذلك ، وامامة مالك فى الدين معلومة لا تحتاج لبرهان . فاذا انساق مع هذه القاعدة بدون نظر فقد يرد حديثا صحيحا يقول فى ذلك صاحب التيسير (21) :

---

(21) نفس المصدر السابق ص : 14 ــ 15 .

« ان مسألة التصحيح وضده اجتهاد . نعم وقد يأتي من له فحولة ونقادة ودراية بحقائق الامور وحسن نظر وسعة اطلاع على كلام الائمة فانه يرجع الى الترجيح بين التعديل والتجريح فينظر فى مثل هذه المسألة الى كلام الجارح ومخرجه فيجده كلاما خرج مخرج الغضب الذي لا يخلو عنه البشر ولا يحفظ لسانه حال حصوله الا من عصمه الله فانه لما قال ابن اسحاق اعرضوا على علم مالك فانا بيطاره فبلغ مالكا فقال تلك الكلمة الجافية التي لولا جلالة من قالها وما نرجوه من عفو الله من فلتات اللسان عند الغضب لكان القدح بها فيمن قالها اقرب الى القدح فيمن قيلت فيه فلما وجدناه خرج مخرج الغضب لم نره قادحا فى ابن اسحاق فانه خرج مخرج جزاء السيئة على ان ابن اسحاق لم يقدح فى مالك ولا فى علمه ، غاية ما افاد كلامه انه اعلم من مالك وانه بيطار علومه ، وليس فى ذلك قدح على مالك . ونظرنا كلام شعبة فى ابن اسحاق فقدمنا قوله لانه خرج مخرج النصح للمسلمين ليس له حامل عليه الا ذلك . واما الجامد فى ذهنه الابله فى نظره فانه يقول قد تعارض هنا الجرح والتعديل فيقدم الجرح لان الجارح اولى وان كثر المعدل . وهذه القاعدة لو اخذت كلية لم يبق لنا عدل الا الرسل فانه ما سلم فاضل من طاعن من ذلك لا من الخلفاء الراشدين ولا أحد من ائمة الدين .

« واعلم ان ذكرنا لابن اسحاق والكلام فيه مثال ، وطريق يسلك منه الى نظائره ، واذا عرفت هذا فهو الترجيح لا يخرج ما ذكرناه عن كونه من باب قبول اخبار العدول بل هو منه انما لما تعارض الخبران عندنا فى حال الراوي تتبعنا حقائق الخبرين ومحل صدورهما والباعث على التكلم بهما فظهر الاعتماد على احدهما دون الآخر » .

يتبين لنا ان هذه القواعد التي قصدها العلماء لا يمكن ان تؤخذ على اطلاقها بل لا بد من النظر فى حقيقتها حتى يكون اخذنا لها عن بصيرة ودراية .

مثال آخر : مفهوم العدالة ، فقد اتفق الاصوليون والفروعيون وائمة الحديث بأنها ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروؤة وفسروا التقوى باجتناب الاعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة . لذا ترى اماما من العلماء العالمين يقدح فى راو من حفاظ علوم الدين بأنه كان يقول بخلق القرءان ، وتجد اماما آخر يقدح فى راد آخر بأنه كان يقول بقدم القرءان

وكذلك يقدحون بالقول بالقدر والارجاء والتشيع . ثم تراهم يصححون احاديث جماعة من الرواة قد رموهم بتلك القوادح .

« ان البخاري اخرج لجماعة رموهم بالقدر كهشام بن عبد الله الدستوائي . اخرج له البخاري وقد قال فيه محمد بن سعيد : كان حجة الا انه كان يرى القدر . واخرج مالك لجماعة يرون القدر كما قاله ابن عبد البر فى انه سئل مالك : كيف رويت عن داوود بن الحصين وثور بن يزيد، وذكر له جماعة . كيف رويت لهم وقد كانوا يرون القدر . قال : كانوا لان يخروا من السماء على الارض اسهل من ان يكذبوا . وكم فى الصحيحين من جماعة صححوا احاديثهم وهم قدرية وخوارج ومرجئة » (22) .

يوضح صاحب التيسير حقيقة هذا التصحيح بعد ذلك القدح بقوله (23) :

« اذا حقق صنيع القوم وتتبع طرائقهم نفى اللوم وعلم انهم أجل من ذلك قدرا وادق نظرا وانصح لاهل الدين من جماعة الثغور المجاهدين وانهم لا يعتمدون بعد ايمان الراوي الا على صدق لهجته وضبط روايته وقد اقمنا برهان هذه الدعوة فى رسالة ثمرات النظر فى علم الاثر » .

تبين لنا كيف اختل رسم العدالة عما كان عليه مما يؤكد ان الاجتهاد فى علوم الحديث لا يكون الا بالوعي على قواعده ومعرفة حقائقه لا ان يأتي بجديد ، اذ قواعد هذا العلم انما هي نظرات عقلية تضبط بها الامور ليس للسابق فضل على اللاحق الا بمقدار الوعي على حقيقتها .

## الاجتهاد فى اللغة

ان اللغة العربية كانت تؤخذ سليقة وعادة ، ولم تكن مقننة ، لكن العلماء باجتهادهم استطاعوا ان يضعوا لها القواعد والقوانين التي تضبطها وذلك كله اجتهاد من واقع اللغة نفسها ، ولم يمنعهم ذلك من الاختلاف فى

---

(22) نفس المصدر السابق ص : 21 .
(23) نفس المصدر السابق ص : 20 .

الراى ـ ان علماء الكوفة خالفوا علماء البصرة مما جعلهمـــا مدرستيـــن مستقلتين . ولا شك ان الحق فى كل مسألة مما اختلفوا فيه ، لا يخلو من احد امرين : اما ان يكون مع احدى المدرسين واما خارجا عنهمـــا ، اذا وصلوا الى ما اداهم اليه نظرهم دون ان يعنى ذلك وصولهم الى الحق الذي لا حق بعده . لذا يتضح لنا امكان الاجتهاد باللغة ، كدرجة دنيا الترجيح بين آراء السابقين ، ثم كدرجة أعلى استنباط قواعد وقوانين تحكم اللغة مما لم يقل به السابقون .

ان امر الاجتهاد فى اللغة امر قديم ، سواء من حيـث البحـــث فى اصلها ونشوئها ، او من حيث قوانينها . ولا ننى انقسام العلمـــاء الـــى فريقين فى امر نشوء اللغة ، احدهما يقول : انها مواضعة واصطلاح ونماء تدريجي ، والآخر يقول : بل توفيق من الله وتعليم ، ولا شك ان تقريـــر ايهما اصح يحتاج لاجتهاد ، وهو اليوم علم قائم بنفسه تقام حوله البحوث والتجارب الصوتيـــة .

كذلك تقرير اصل اللغات نوع من الاجتهاد ، وقد سبق لابن حزم ان ادلى برايه فى ذلك قائلا (24) :

« ان الذي وقفنا عليه ، وعلمناه يقينا ان السريانيـــة والعبرانيـــة والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلـت بتبديـــل مساكن اهلها ، فحدث فيها جرش ( احتكاك ) كالذي يحدث من الاندلسي اذا رام نغمة اهل القيروان ، ومن القيرواني اذا رام نغمة الاندلسي ، ومن الخراساني اذا رام نغمتهما ، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على بعد ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول انها لغة اخرى غير لغة اهل قرطبة ، وهكذا فى كثير من البلاد ، فانه بمجاورة اهل البلدة بأمة اخرى تتبدل لفتها تبديلا لا يخفى على من تأمله » .

كما نجده يجتهد فى بعض الالفاظ مقررا عدم دقتها من مستعمليهـا قائـــــلا (25) :

---

(24) نقلا عن نظرات فى اللغة عن ابن حزم الاندلسي ـ سعيد الافغاني ـ دار الفكر سنة 1382 هـ ـ 1973 م ص : 26 .

(25) نـــفس المصـــدر السابـــق ص : 42 .

« وذكروا شيئا سموه ( القدمة ) وهذه اللفظة استعملها أهل اللغة العربية فيما تقدم زمانه زمان غيره كقولهم ( الشيخ اقدم من الفلاح ، ودولة بني أمية أقدم من دولة بني العباس ) وما أشبه ذلك ، أما اهل الكلام فانهم استعملوها فى الخبر عن المخلوقات والخالق تعالى ، فسموا الواحد الاول عز وجل قديما ، ونحن نمنع من ذلك ونأباه ، ولا نزيل القديم والقدم عن موضعها فى اللغة العربية ولا نصف به الخالق عز وجل البتة ، وقد قال عز وجل : « كالعرجون القديم » يريد البالي الذي مرت عليه ازمنة مخلقة له بتطاولها ، ونضع مكان هذه العبارة لفظة ( الاول ) والاخبار بانه تعالى لم يزل ، وان جميع ما دونه — وهي كل المخلوقات — لم تكن ثم كانت ، وان كل شيء سواه تعالى محدث مخلوق ، وهو خالق اول واحد حق لا اله الا هو » .

ولعل راي ابن حزم فى علل النحويين نوعا من اجتهاده اذ يقول عنها (26) :

« كلها فاسدة لا يرجع منها شيء الى الحقيقة البتة وانما الحق من ذلك ان هذا سمع من اهل اللغة الذين يرجع اليهم فى ضبطها ونقلها وما عدا هذا فهو — مع انه تحكم فاسد متناقض — فهو ايضا كذب لان قولهم كان الاصل كذا فاستثقل فنقل الى كذا — . . شيء يعلم كل ذي حس انه كذب لم يكن قط ، ولا كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت الى ما سمع منها بعد ذلك » .

فيما سبق لم اتعرض لراى ابن حزم لاقرر صوابية آرائه أو عدم ذلك ، وانما لاقول ان هناك اجتهاد لم ينقطع ، ولا مانع من استمراره فى هذا الزمن ، وكل زمن ، كما ان الاجتهاد ليس مقصورا على وضع القواعد بل التعريب نفسه نوع من الاجتهاد فى اللغة يقول سميح عاطف الزين فى ذلك (27) .

« التعريب جائز لكل عربي فى كل عصر على شرط ان يكون مجتهدا فى اللغة العربية ، لان التعريب ليس وضعا اصليا وانما هو صياغة على

(26) نفس المصدر السابق ص : 45 .
(27) الثقافة والثقافة الاسلامية — سميح عاطف الزين — دار الكتاب اللبناني — بيروت — الطبعة الاولى سنة 1973 م ص : 153 .

وزن مخصوص بحروف مخصوصة ، هذا هو واقع التعريب ، واما الوضع فخاص بالعرب الاقحاح وحدهم ولا يجوز لغيرهم لانه ايجاد من شيء غير موجود من الكلام واصطلاح ابتداءا فلا يصح الا لاهل الاصطلاح ، ولكن التعريب ليس ايجاد الشيء غير موجود بل هو اجتهاد فى الشيء الموجود وهو ليس اصطلاحا ابتداءا وانما هو اجتهاد فى ما جرى الاصطلاح عليه وان العرب قد حددت أوزان اللغة العربية وتفعيلاتها ، وحددت حروف العربية بحروف معينة وعدد محدد ، والتعريب هو صوغ لفظة من هذه الحروف على وزن من الاوزان العربية » .

« ومن هنا كان جائزا لكل مجتهد فى اللغة العربية ، فهو كالاشتقاق سوء بسواء . غير انه يحترز عند هذه الجملة فيقول (27) :

« غير انه ينبغي ان نعلم ان التعريب خاص بأسماء الاشياء وليس عاما لكل لفظ اجنبي ، فالتعريب لا يدخل الالفاظ الدالة على المعاني ولا الجمل الدالة على الخيال وانما هو خاص بأسماء الاشياء ولا يصح فى غيرها مطلقا ، والعرب حين عربت انما عربت أسماء الاشياء ولم يجر التعريب فى غيرها ، فانهم بالنسبة للمعاني قد وضعوا الاشتقاق وبالنسبة للتخيلات والتشبيهات قد وضعوا المجاز » .

اما عن الاجتهاد فى غير أسماء الاشياء والاعلام فيقول (28) :

« اما غير اسماء الاشياء واسماء الاعلام فان مجال اخذها واسع فى الاشتقاق والمجاز فان الاشتقاق مجال واسع لاخذ المعاني والتعبير عنها مهما بلغت من الكثرة والتنوع ، وكذلك المجاز مجال خصب لاخذ الخيال والتشبيهات والتعبير عنها مهما كانت ، ومن هنا كان لزاما على علماء اللغة العربية أن يوجدوا الفاظا جديدة للاسماء والمعاني الجديدة ، ولا مناص لهم من ايجاد هذه الالفاظ الجديدة والا وقفوا عن السير مع الحياة ومتطلباتها » .

وهو يبين اهمية ذلك فيقول (28) :

« واللغة العربية نفسها انما تبقى وتحيا بالاستعمال ، فاذا وجدت معاني جديدة ضرورية لحياة الامة ولم توجد فى اللغة العربية الفاظ بها

---

(28) نفس المصدر السابق ص : 154 .

عنها انصرفت الامة حتما الى لغة اخرى لتعبر بها عما هو من ضرورياتها وبذلك تجمد اللغة ، ثم مع الزمن تترك وتهجر » .

ونحن نجد سميح عاطف الزين نفسه يجتهد فى قضية التعريب ، لا من ناحية مهمة فيها عند ما يقول (29) :

« واللغة العربية ليست فى حاجة لان يؤخذ معنى اللفظة الاعجمية ويعبر عنه بلفظ يدل على معنى مثله بالعربية كما حاول المسلمون ان يفعلوا ذلك ، بل تؤخذ اللفظة الاعجمية نفسها وتصاغ على وزن عربي فما فعلوه من وضع كلمات قطار وسيارة وهاتف ومقود وما شاكل ذلك ، عمل كله خطا ويدل على الجمود الفكري ، وعلى الجهل المطبق ، فهذه أشياء وليست معاني ولا تخيلات وتشبيهات فلا توضع لها اسماء لمعاني تشبهها ولا تشتق لها أسماء وانما تؤخذ اسماؤها الاعجمية نفسها وتصاغ على تفعيله من تفعيلات العرب . فكلمة « تلفون » كان يجب أن تؤخذ كما هي الآن وزنها وزن عربي « فعاول » ومنها عربون وحروفها كلها حروف عربية وكلمة « كدون » وزنها عربي « فعول » ومنه جهول ولكن حرف «  » غير موجود فى اللغة العربية فيوضع بدلا منه حرف « غ » فيقال «غيدون» او « ج » فيقال « جدون » فتصبح لفظة معربة وهكذا ، ومن هنا كانت الالفاظ التي وضعت لاسماء الاشياء الجديدة كالقطار والسيارة ونحوهما لا تعتبر من الفاظ اللغة العربية مطلقا » .

ثم يعلل رايه قائلا (29) :

« لان اللفظ العربي هو اللفظ الذي وضعه العرب للدلالة على معنى معين ، فاذا حصل اصطلاح للفظ وضعه العرب على معنى لم يضعوه له ، كان ذلك حقيقة شرعية او حقيقة عرفية ، وليس حقيقة لغوية ، والحقيقة اللغوية هي اللفظ المستعمل فى ما وضع له اولا فى اللغة ، ولفظ المقود وما شابهه لم يضعه العرب بازاء هذا المعنى للدلالة عليه فلا يكون حقيقة لغوية وبما انه ليس حقيقة شرعية ولا حقيقة عرفية ، فيكون لفظا غير عربي لان الفاظ اللغة العربية لا تخرج عن هذه الثلاث » .

---

(29) نفس المصدر السابق ص : 155 .

ان هذا الراى لسميح عاطف الزين اجتهاد ، والاجتهاد هـو ما كان محل بحث ونظر يختلف باختلاف انظار الباحثين ، والذي يظهر لي انـه مردود بنفس منطق المؤلف نفسه اذ لما اعتبر الاسماء الاجنبية عربيـة بالتعريب وذلك بوضعها على الاوزان العربية ، فيكون من بـاب اولـى الكلمات العربية الاصل ، وان لم توضع اصلا لتلك الاسماء ، لكنها تبقـى بأصل وضعها دالة على بعض المراد ، فضلا عن وزنها العربي .

هذا ولا يفوتني هنا فى هذا المقام ، ان انوه بالابحاث الرائدة التـي قامت بها الدكتوراه بنت الشاطىء حيث خرجت بأراء جديدة جديرة بأن تعد اجتهادا فى اللغة ، فهي مثلا فى قضية الترادف فى اللغة تنصر الراى الذي ينفي الترادف مؤيدة رأيها باستقراء الفاظ القران فهي تقول (30) :

« والقرءان الكريم كتاب العربية الاكبر ، ومن الحق الا ناخـذ فى القضية براي دون عرضها على الكتاب العربي المبين ، لانه الذي يحسم ذلك الخلاف الذي طال ، وفيما اشتغل به على المدى الطويل من تخصص فى الدراسات القرآنية ، شهد التتبع الاستقرائي لالفـاظ القـرءان فى سياقها ، انه يستعمل اللفظة بدلالة معينة لا يمكن ان يؤديها لفظ آخر ، فى المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عددا قـل أو كثـر من الالفـاظ » .

ثم هي تاتي بأدلة استقرائية على لفظ الرؤيا والحلم (30) . موضحة الفرق بينهما على خلاف القائلين بترادفهما ، وكذلك انس وابصر (31) ، وكذلك النأى والبعد (32) ، وكذلك الحلف والقسم (33) ، وكذلك التصدع والتحطـم (34) وغير ذلك .

اما ببحثها عن ظاهرة الاستغناء عن الفاعل فهي تخرج براى خلاف ما عليه كتب اللغة الى راى جديد حيث تقول (35) .

---

(30) الاعجاز البياني للقرءان ومسائل ابن الازرق ـ الدكتورة عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطىء ) ـ دار المعارف بمصر سنة 1971 م ص : 198 .

(31) نفس المصدر السابق ص : 200 .

(32) نفس المصدر السابق ص : 202 .

(33) نفس المصدر السابق ص : 204 .

(34) نفس المصدر السابق ص : 207 .

(35) نفس المصدر السابق ص : 224 .

« ان اساليب البناء للمجهول ، والمطاوعة ، الاسناد المجازي تلتقي جميعا فى الاستغناء عن ذكر الفاعل وان كان لكل اسلوب منها ملحظه البياني الخاص ، الذي يجلوه استقراء مواضعه فى الكتاب المحكم ، واطراد هذه الظاهرة فى موقف البعث والقيامة ، ينبه الى اسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة البلاغية واجراءات الاعراب الشكلية : فبناء الفاعل للمجهول : فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه والمطاوعة : فيها بيان للطواعية التي يتم بها الحدث تلقائيا او على وجه التسخير وكأنه ليس فى حاجة الى فاعل والاسناد المجازي ، يعطي المسند اليه فاعلية محققة ، يستغنى بها عن ذكر الفاعل الاصلي » .

واما فى بحثها عن البدء بواو القسم ، حيث تستقرىء البيان القرآني فتصل الى نتيجة لم تعرف من قبل حيث تقول (36) :

« والذي اطمأننت اليه بعد طول التدبر لسياقها فى الآيات المستهلة بالواو ، هو ان هذه الواو قد خرجت عن اصل معناها اللغوي الاول فى القسم للتعظيم ، الى معنى بلاغي ، هو اللفت باثارة بالغة الى حياة مدركة لا تحتمل ان تكون موضع جدل ومماراة ، توطئة الضاحية لبيان معنويات يمارى فيها ، او تقرير غيبيات لا تقع فى نطاق الحياة والمدركات » .

## الاجتهاد في اصول الفقه

ان الاجتهاد المطلق المستقل يستدعي الاستقلال بأصول الفقه ، وبالتالي يطرح السؤال : هل الاجتهاد فى أصول الفقه ممكن أم لا ؟

ان الجواب على هذا السؤال بالنفي يغلق الباب امام الاجتهاد المستقل ، اذ بدونه لا يمكن الاجتهاد باستقلال اذ سيبقى المجتهد تابعا فى الاصول لغيره ، لذا اجد لزاما على ان ابحث فى هذه المسألة حتى يتضح وجه الامكان او عدمه .

اما من ناحية تاريخية ، فمن المعلوم بالضرورة ان الائمة المجتهدين الذين تتبعهم الامة الى هذا الزمن ، كانوا مستقلين فى اصولهم ، أخذوها عن اجتهاد واستقلال ، فهم مجتهدون فى الاصول فضلا عن الفقه .

---

(36) نفس المصدر السابق ص : 230 .

لكن بتطاول عهود التقليد والجمود الفكري ، بالاضافة الى نضوج علم أصول الفقه وظهوره كعلم ثابت ترسخت الفكرة بعدم امكان الاجتهاد فيه .

يرى الدكتور محمود ابو السعود عدم امكان ذلك ، وهو يبسط رايه بقولـــــه (37) :

« ويستوقف النظر مدى امكانية الاجتهاد فى « اصول الفقـــه » اذ المقرر ان أصول الفقه قطعية لا ظنية « على حد تعبير الاصوليين واذ ان هذه الاصول جميعا مستندة وراجعة الى كليات الشريعة وهذه الكليـــات قطعية بلا خلاف ، ولا تحتمل الظنية اذ « لو جاز تعلق الظن بأصل مـــن اصول الشريعة لجاز تعلق الشك بها ، ولجاز تغييرها وتبديليها ، وذلـــك خلاف ما ضمن الله عز وجل من حفظها ، ولئن استسغنا نظريا الاجتهاد فى أصول الفقه فاننا سنصطدم فى الواقع العلمي بقصر هذا الاجتهـــاد على « الشكل » دون الجوهر ، اللهم الا اذا أردنا ان نغير موضوع الاصل مـــن اساسه ، وهذا ما لا اظن احدا يفكر به ... والذي يبـــدو لي انه مـــن الصعب ان نجتهد فى اصول الفقه ... انا لا قول بعدم الاجتهاد فى الاصول كما لا أزعم اني من اهل هذا العلم ولكن يغلب على ظني ان قصارى ما يمكن ان يجتهد فيه هو اما اعادة تبويبه او اعادة صياغته او معاودة البحث فى ادوات القياس وغير ذلك من النواحي التنظيمية فى العلم » .

ان هذا الراي ليس بدعا من القول ، فقد سبق اليه الشاطبي ، فهو يقرر فى كتابه الموافقات ان اصول الفقه قطعية ولذا لا مجال للاجتهـــاد فيها ، ثم يقرر ان ما كان ظنيا منها فانه يطرح من علم الاصول ويكون ذكره تبعيا لا غير (38) .

لكن القاضي ابو بكر الباقلاني يخالف فى هذا باعتباره ان مسائل علم الاصول ليست كلها قطعية بل منها ما هو ظني ولذا هي محل اجتهاد .

يرجح الدكتور يوسف القرضاوي رأي الباقلاني قائلا (39) :

---

(37) مجلة المسلم المعاصر ـ العدد الافتتاحي ـ شوال 1394 هـ ص : 123 .
(38) الموافقـــات للشاطبي ج 1 ص : 29 .
(39) مجلة المسلم المعاصر ص : 136 ـ 137 ـ العددان الاول والثاني ، ربيع الثانـــي 1395 هـ ـ نيسان ـ ابريل 1975 م .

« والذي يطالع علم اصول الفقه يتبين له ان راي القاضي ومن وافقه هو الراجـــح وذلك :

1 ) لما يرى من الخلاف المنتشر فى كثير من مسائل الاصول ، فهناك من الالة ما هو مختلف فيه بين مثبت باطلاق ، وناف باطلاق ، وقائل بالتفصيل ، مثل اختلافهم فى المصالح المرسلـــة ، والاستحسـان وشرع من قبلنا ، وقول الصحابي ، والاستصحاب وغيرها ، مما هو معلوم لكـل دارس للاصول .

2 ) والقياس وهو من الادلة الاربعة الاساسية لـدى المذاهـــب المتبوعة ، فيه نزاع وكلام طويل الذيول من الظاهرية وغيرهم .

3 ) حتى الاجماع لا يخلو من كلام حول امكانه ووقوعه ، والعلم به ومجيئـــه .

4 ) هذا الى ان القواعد والقوانين التي وضعها ائمة هذا العلـم ، لضبط الفهم والاستنباط من المصدرين الاساسيين القطعيين ، الكتاب والسنة ، لم تسلم من الخلاف وتعارض وجهات النظر كما يتضح ذلك فى مسائل العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمنطوق والمفهوم ، والناسخ والمنسوخ .. وغيرها .



5 ) فضلا عما تختص به السنة من خلاف حول ثبوت الآحاد منها، وشروط الاحتجاج بها سواء كانت شروطا فى المسند ( اظنها السند ) أم فى المتن ، وغير ذلك مما يتعلق بقبول الحديث واختلاف المذاهـــب فى ذلك أمر معلوم مشهور ، نلمس اثره بوضوح فى علم اصول الحديث ، كما نلمسه فى علم اصول الفقه .

« واذا كان مثل هذا الخلاف واقعا فى اصول الفقه ، فلا نستطيـع ان نوافق الامام الشاطبي على اعتبار كل مسائل الاصول قطعية ، فالقطعي لا يسع مثل هذا الاختلاف ولا يحتمله » ، ومن ثم :

6 ) الف العلامة الشوكاني فى كتابه الذي سماه « ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول » محاولا فيه تمحيص الخلاف ، وتصحيح الصحيح ونبذ الضعيف » .

ثم يضيف مبينا نوع هذا الاجتهاد (39) :

« وبهذا كله يتضح أن للاجتهاد فى أصول الفقه مجالا رحبا ، هـــو مجال التمحيص والتحرير والترجيح فيما تنازع فيه الاصواليون من قضايا جمة ، ومحاولة الشوكاني « تحقيق الحق » منها لا يعني أنه لم يدع لمـن بعده شيئا ، فالباب لا يزال مفتوحا لمن وهبه الله المؤهلات لولوجـه ، ولكل مجتهد نصيب »

مما سبق يتضح لنا أن فكرة الاجتهاد واردة فى اصول الفقه ، وليس ذلك بالابتكار بقدر ما هو تمحيص وتحرير وترجيح لذا نقول: ان الرايالاول الذي يقول بقطعية الاصول وما كان غير قطعي فذكره تبعي يبنى عليه انه لا يشترط فى المجتهد المستقل الاجتهاد فى الاصول ، اذ ذلك لا يعقل ما دامت قطعية ، وعلى هذا الراى يكون الفارق بين المجتهـــد المستقـــل والمنتسب غير موجود ، اذ الامور القطعية لا يعقل التقليد فيها .

اما بالنسبة للراي الآخر ، فلا بد من الاستقلال بالاصول اجتهـــادا بالنسبة للمجتهد المستقل ، لكن هذا انما يكون فى بعضها لا كلهـــا ، اذ البعض القطعي فيها لا مجال للاجتهاد فيه ، يبقى القسم الذي هو محـــل اجتهاد ، وأمره ليس بالبعيد اعتمادا على انه انما يكـــون بالتمحيـــص والتحرير والترجيح لا ان يبتكر ويبتدع اصولا جديدة .



## الخـــلاصـــــــة

ان الاجتهاد باستقلال ممكن ، سواء كان ذلك فى اللغة او الحديـث او الاصول ، أى تجاوز الفهم الضيق لمعنى الاجتهاد الى المعنى الواســع الذي يشمل جميع العلوم التي تخدم الشرع أو ندب اليها .

# موقف يعقوب المنصور من الظاهرية

للأستاذ عبد الهادي حسيسن

قبل أن اتكلم عن موقف يعقوب المنصور من المذهب الظاهري ، وعن مذهبه الفقهي ، ارى من المناسب ان اعطي نظرة ولو وجيزة عن حياة يعقوب وعن تكوينه الثقافي .

هو ابو يوسف يعقوب المنصور بالله بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي (1) ولد بمدينة مراكش سنة 554 هـ (2) .

تربى بين أحضان والده ابي يعقوب يوسف ، ونشأ في كنفه، فتعهده بما يتعهد الاب ابنه من تربية وتعليم .

وبمجرد موت والده يوسف سنة 580 هـ تمت له البيعة من طرف شيوخ الموحدين في هدوء وسلام ، حيث كان اكبر اخوته ، اذ كان يبلغ الخامسة والعشرين من عمره (3) فكان هذا الاعتبار مبررا لتقديمه عليهم .

كان يعقوب المنصور متصفا بالورع والتقوى ، والتزام احكام الشريعة الاسلامية ، محاولا اقامة الحدود ، ولو على أهله وعشيرته

---

(1) كثيرا ما يقع الالتباس من بعض الدارسين في اطلاق كنية يعقوب « ابي يوسف » مع اسم والده يوسف الذي كنيته ابو يعقوب ، فينسبون ما ليعقوب المنصور الابن لوالده يوسف بسبب هذا التقارب .

(2) انظر الحلل الموشية لابن سماك ص : 132 ، المعجب ص : 160 ط القاهرة ، الاعلام للمراكشي ( 82 ) حرف الياء مصور بمكتبة التعريب والتنسيق بالرباط .

(3) انظر : النبوغ المغربي ج 1 ص : 107 ط 2 ، اما عبد الواحد المراكشي يقول في معجمه ص : 160 ط سلا : « كانت سن يعقوب يوم بويع 32 سنة » .

الاقربين ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، مهتما بجميع اجزاء المملكة ، لا تضيع عنه فضيلة احد من رجاله ، ولا يغيب عنه شيء من احوال امته ، ولا يجترىء احد على مخادعته ، كيفما كان شأنه (4) .

ولقد كانت ممارسة يعقوب لوزارة ابيه ، مدرسة درس فيها الشؤون القضائية والاجتماعية والاقتصادية خير دراسة ، وفيها بحث عن الامور بحثا شافيا ، وشاهد احوال العمال والولاة والقضاة ، وسائر من ترجع اليه الامور مشاهدة افادته معرفة جزئيات الاشياء الدقيقة ، فدبرها بحسب ذلك ، فجرت أموره على الاستقامة والسداد (5) .

وبمجرد ما استولى يعقوب على زمام الحكم ، ارتسمت في ذهنه تلك الصورة المؤلمة من مظاهر الفساد التي بدات تظهر في المدن الكبرى من مقارعة الخمور والادمان على شرب الرب (6) .

وبعث في هذا الشأن ، رسالة الى الطلبة والموحدين بمدينة اشبيلية ، يامر فيها باجتناب شراب الرب ، وعدم المتاجرة فيه ، وغلق الاماكن التي يباع فيها بغير هوادة (7) .

واهتم في الوقت نفسه ، برد المظالم التي وقعت أيام والده من طرف الولاة وجورهم للرعية ، وكتب الى سائر العمال بمراعاة العدل والحكم بالحق بين أفراد الامة ، والسماح بجواز البحر الى المشتكين من بلاد الاندلس وغيرها للمثول بين يديه ، وكان يجلس للناس عامة ، أول الامر ، لا يحجب عنه أحد ، كيفما كان شأنه (8) .

وكما كان يهتم المنصور بالحالة القضائية ، كان يهتم كذلك بالحالة الاقتصادية والاجتماعية فكان على اتصال دائم ومستمر بأمناء الاسواق وأشياخ الحضر ، يجتمع بهم مرتين في الشهر ليعطوه نظرة عن الاسواق

---

(4) عصر المرابطين والموحدين ج 2 ص : 339 ، بيان المغرب : القسم الموحدي ص : 140 .
(5) المعجب ص : 160 .
(6) الرب : بضم الراء ، ما يطبخ من التمر وما يختر من عصير الثمار ، مختار الصحاح ط الثانية ص : 228 .
(7) انظر : « مجموع الرسائل الموحدية » الرسالة الثامنة والعشرون ص : 44 / 167 ، والاستقصا ج 2 ص : 177 ط. دار الكتاب .
(8) المعجب ص : 175 ط. سلا ، البيان المغرب القسم الموحدي ص : 141 .

وما يجري فيها من المبيعات ، وعن تقلبات الاسعار ، ليكـــون على بصيرة منها وما يحتاج اليه الناس . وكان اكبر اهتمامه بالحالة الصحية وبالمرضى عموما ، حتى أسس لهذا الغرض مارستانات أجرى عليها النفقات الباهظة، اسسها فى مدينة مراكش وشالة والقصر (9) .

واعظم هذه المستشفيات ، مستشفى مراكش ، الذي يقع فى مكان صحي جميل ، وهو كثير البيوت تجري فيه المياه غرس بجميع انـــواع الاشجار المشمومة والمأكولة ، وجلبت له الادوية من اشربة وأدهـــان واكحال يدخل العليل فيه ، فيعاين ما أعد فيه مـــن المنـــازل والميـــاه والرياحين والاطعمة الشهية والاشربة العذبة يستطعمهـــا ويستسيغهـــا فتنعشه من حينـــــه .

ولقد تحدث عن هذا المستشفى صاحب الاستبصار ، ووصفه أدق وصف عبد الواحد المراكشي فى معجبه (10) وقال عنه المؤرخ الفرنسي « ميير » في كتابه « الموحدون » : هذا المستشفى تخجل منـــه حتـــى اليوم مستشفيات باريـــز (11) .

ومن تمام اعتناء المنصور بهذا المستشفى وبمرضاه ، كان يتعهده بنفسه ، ويزوره كل اسبوع بعد صلاة الجمعة ، ويعود مرضاه ويستفسرهم بيتا بيتا عن حالهم وحالة القومة عليهم ، ولم يزل مستمرا على هاته الحالة الى ان التحق بالرفيق الاعلى (12) .

وهاته الصفة النبيلة التي تحلى بها المنصور ، من العطف والاعتناء بالمرضى ومواساتهم وزيارتهم اسبوعيا ، قل ان توجد فى رؤساء الدول المتحضرة فى القرن العشرين ، فكيف فى القرون الوسطى .

وكان يأمر على رأس كل سنة بجمع الاطفال الايتـــام ليختتنـــوا . ويخصص لكل واحد منهم ثوبا ودينارا من ذهب ، ودرهما من فضـــة ، وحبة من الفاكهة ، توضع فى يده تخفيفا للآلام (13) .

**(9) العلوم والآداب والفنون للاستاذ المنوني ص : 129 ط. 1 .**

**(10) انظر : المعجب ص : 176 ط. سلا ، الطب والاطباء للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ص : 39 .**

**(11) الطـــب والاطبـــاء ص : 41 .**

**(12) المعجـــب ص : 177 ط. ســـلا .**

**(13) نـــفس المصـــدر ص : 162 .**

وكان الجهاد ألمع صفاته وابرزها ، وقد كانت غزواته الى بلاد الاندلس كلها موفقة ، فقد أصبغت عليه هالة من التعظيم والتقدير ، سواء فى الداخل والخارج ، بين الاعداء والاصدقاء ولا سيما انتصاره الباهر سنة 591 هـ — 1194 م فى موقعة الارك (14) التي تعد من أعظم المعارك فى تاريخ الاسلام ، وبها اعتز الاسلام ، وعلت كلمته ، وانها انست كل فتح تقدمها بالاندلس .

وفى ظل يعقوب هذا بلغت الدولة الموحدية أوج عظمتها وقوتها ، نعرفت فى عهده عددا من المنشآت العمرانية العظيمة ، سواء فى المغرب أو الاندلس ، ولم تخل أيامه من قصر يستجده ، او مدينة يعمرها (15) فقد بنى منارة الكتبية بمراكش ومنارة حسان بمدينة الرباط ، كما بنى منارة اشبيلية تخليدا لانتصاراته العظيمة (16) .

وهاته المنارات الثلاث ما زالت قائمة الذات ، ظاهرة للعيان محلقة فى الاجواء العليا ، شاهدة على عظمة صاحبها الخليفة المنصور الموحدي .

## الجانب الثقافي ليعقوب المنصور :

كان عالما متضلعا فى اللغة ، مشاركا فى كثير من العلوم ، يجيد حفظ القرءان الكريم ويحفظ متون الاحاديث النبوية ويتقنها ، وكان يتكلم فى اللغة كلاما بليغا ، وكان فقهاء وقته ، يرجعون اليه فى الفتوى ، وله فتاوي مجموعة (17) .

وكان كوالده يجمع حوله صفوة العلماء والمفكرين ، يعقد مجالس خاصة معهم في قصره يستمع الى آرائهم وافكارهم ، وكان يلقي

(14) غزوة الارك : سميت باسم الحصن التي دارت حوله المعركة وموقع هذا الحصن يقع بين قلعة رباح وقرطبة . وكانت هاته الغزوة يوم الخميس 9 شعبان 591 هـ — 18 يوليوز 1194 م .

(15) المعجب ص : 179 ط. سلا .

(16) انظر كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ، تحقيق د. عبد الهادي التازي ص : 474 — 482 .

(17) النفح ج 3 ص : 99 — 104 ، تحقيق : احسان عباس .

احيانا بنفسه المسائل العلمية على الطلبة والحاضرين ، فهو كان غاية فى العلوم والتفنن فيهـــا (18) .

وفى الوقت نفسه كان يعتني بامر طلبة العلم ، وبالاخـــص طلبـــة الحديث اعظم عناية ، حتى نالوا على يديه من الرعاية والنفـــوذ ، ما لـــم ينالوه ايام ابيه وجده ، فأجرى عليهم المرتبـــات على قـــدر مراتبهـــم وطبقاتهـــــم (19) .

وفى سنة 585 هـ ـ 1189 م استدعى العلماء رواة الحديث لتهييء اطره الى عاصمته مراكش ، وامرهم بجمع احاديث الجهاد (20) .
وكان هو نفسه يحضر هاته الدروس الحديثية ، ويختـــار لها أعظـــم شخصية فى علم الحديث لالقائها .

ولهاته الغاية بنى يعقوب المدارس ليدرس فيها الطلبة والعلمـــاء ، فأســـها فى المغرب والاندلس وافريقية .

ومن المدارس التي حافظ التاريخ على اسمها داخـــل المغـــرب ، المدرسة التي اختطها خارج مراكش ، بها خزائن الكتب ، ومدرسة المسجد الاعظم بطالعة سلا ، والمدرسة التي سلمها لابي العباس السبتي (21) .

ويلحق بمدارس بيت الطلبة بمراكش الذي ورد ذكره فى النفح (22) والذي امتحن فيه ابن عات ( ت سنة 609 ) فى كتاب مسلم ، وهو يفيـــد انه كان معهدا للمناظرة ، وامتحان الواردين من طلاب العلم على مراكش .

والى جانب هذا ، كان اديبا فصيحا جزل اللفظ ، يجتمـــع حولـــه شعراء العصر من العدوتين ينصت الى مدائحهـــم ويغمرهـــم بصلاتـــه وعطائـــــه .

---

(18) الديباج المذهب لابن فرحون ص : 22 .
(19) القرطاس ص : 38 ، تحقيق : الفلالي ، العلوم للمنوني ص : 18 .
(20) الاعلام للمراكشي ج 1 ص : 95 ط. الربـــاط .
(21) انظر : الاستقصا ج 12 ص : 177 ط. دار الكتاب رقم الحلل ص : 55 ، الديباج ص : 149 ، الاعلام للمراكشي ج 1 ص : 26 ط. فـــاس .
(22) النفـــح ج 1 ص : 369 ، تحقيق : د. احسان عباس .

وقد ظهرت ميوله للادب منذ شبابه المبكر ، لانه تربى تربية علمية وادبية ، ونشأ بين احضان العلماء والادباء ، فكان عصارة لتلك العقول النيرة ، ونموذجا لثقافة أولئك الشيوخ .

ومن هذا الوقت ظهر نبوغه العلمي والادبي ، وخاصة بعد الامارة ، حتى تقرب اليه العلماء والادباء بانتاجاتهم المختلفة وبحوثهم العلمية .

يروى ان الشاعر الكبير ابا بكر ابن مجبر الاندلسي ( ت سنة 588هـ) انشد والده ابا يعقوب يوسف بقصيدة يهنئه فيها ببعض الفتوحات منها :

« ان خير الفتوح ما جاء عفوا مثلما يخطب الخطيب ارتجالا »

وكان الشاعر ابو العباس الجراوي حاضرا ، فقطع عليه قوله ، وقال، يا سيدنا اهتدم بيت وضاح .

« ان خير الشراب ما كان عفوا مثلما يخطب الخطيب ارتجالا »

فبدر المنصور وهو حينئذ وزير ابيه ، وسنه قريب العشرين ، وقال : ان كان اهتدمه فقد استحقه ، لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف ، فسر أبوه من جوابه ، وعجب الحاضرون (23) .

وهذه الحكاية تنبيء عن ذكاء يعقوب ، وعن معرفته للشعر ، وعن سرعة البديهة وعن شجاعته الادبية ، وهو مع علية القوم ، وكبار العلماء والشعراء .

ولقد اتى المقري في نفحه (24) بقصيدة شعرية ليعقوب المنصور ، وجهها الى قبائل سليم ، من العرب النازلين بافريقية ، يستنجدهم فيها للجهاد ، وهاته القصيدة تثبت مدى قدرته على الشعر الجيد .

---

(23) النبوغ ج ح ص : 261 .

(24) نفح الطيب ج 3 ص : 102 ، تحقيق : د. احسان عباس . وضع له شاعره احمد الجراوي ( ت سنة 609 هـ ــ 1212 م ) كتابا سماه : « صفوة الادب وديوان العرب» في مختار الشعر ، وانتشر هذا الديوان بين اهل المغرب كديوان الحماسة لابي تمام عند اهل المشرق .

ولقد حكى لنا لسان الدين ابن الخطيب في كتابه « رقم الحلل» (25) ان المنصور طلب من بعض قضاته معلمين لتأديب ولده ، يكون أحدهما برا في علمه والآخر بحرا في علمه ، فجاءه بهما ظنا انهما على وفق مقترح المنصور ، فلما اختبرهما ، لم يجدهما كما وصف ، فكتب الى القاضي الذي اتى بهما « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ظهر الفساد في البر والبحر » (26) .

ومن حسن بداهته وسرعة جوابه ، انه زاره بمراكش جماعة من السودان ، قدمت له فيلا كهدية ، فأمر لهم بصلة ، ولم يأخذه منهم ، وقال : « نحن لا نريد ان نكون أصحاب الفيل (27) يعني ما جاء في سورة الفيل .. الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » .

وكان الى هذا ، معروفا بحسن التوقيع ، يضرب به المثل في ذلك، وكتب اليه « الفونسو الثامن » ملك قشتالة ، حين كان يستعد لغزوة « الارك » يتوعده ويهدده ، فلما وصل كتابه الى المنصور مزقه ، وكتب على ظهره : « ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون » (28) الجواب ما ترى ، ما لا تسمع ، وانشد متمثلا بقول المتنبي :

« فلا كتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرمرم » (29)

وقد علمنا من هاته النصوص ، ما كان عليه يعقوب المنصور من ثقافة ادبية واسعة واطلاع كبير ، فهو يعد بحق من العلماء والادباء .

تلك هي آثار الخليفة يعقوب المنصور الموحدي ، وتلك هي بعض صفاته العلمية ، واخلاقه الوضاءة اللامعة ، فهو واسطة عقد ملوك الموحدين الذين بلغت الدولة الموحدية في أيامه أوج العظمة ، فهو نجم بني عبد المومن على حد تعبير لسان الدين ابن الخطيب (30) .

---

(25) نفس المصدر ص : 99 يراجع معه النبوغ ج 2 ص : 261 ط. بيروت .
(26) سورة الروم آية 40 .
(27) النبوغ ج 2 ص : 240 ط. بيروت .
(28) سورة النمل : آية 37 .
(29) النفح ج 3 ص : 120 .
(30) عصر المرابطين والموحدين « لعنان » ج 9 ص : 238 ، تحقيق : د. احسان عباس.

وفى ليلة الجمعة الثاني والعشرين من شهـر ربيـع الاول سنـة ( 595 هـ ـ 22 يناير 1199 م ) فاضت روحه الطاهرة ، والتحق بالرفيق الاعلى ، وهو بمدينة مراكش ، ثم نقل رفاته الى تنملل ودفن بجزار أبيـه وجده رحمة الله عليه ، وثارت حول اختفائه بعض الروايات والاساطيـر التي لا أساس لها ، وبوفاته يختتم عهـد من المـع عهـود الدولـة الموحديـة (31) .

## يعقوب المنصور والمذهب الظاهري :

المذهب الظاهري ، يرجع الى القرن الثالث الهجـري ، ومؤسـس هذا المذهب هو ابو سليمان داود بـن علـي بن خلـف الاصبهانـي ( ت سنة 270 هـ ـ 883 م ) .

اخذ بظاهر الكتاب والسنة ، والغى ما سوى ذلك من راي وقيـاس ، وضيق حدود الاجماع فلم يأخذ الا بما اجمع عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونهى عن التقليد ، ودعا الى دراسة الكتـاب والسنـة دراسة تعمق ، وتفسيرهما تفسيرا حرفيا ، بحسب ما يرد من معانـي الكلمات فى معاجم اللغة ، وما تقتضيه قواعد النحو (32) .

ان داود الظاهري من العارفين بعلم الحديث ، لا تنكر امامته فيـه ، لكن لا تسلم له الامامة فى الفقه ، ولا جودة النظر فى مأخذه ، ولم يتكلم فى نوازل كثيرة ، كلام غيره الفقهاء الكبار .

نهج أتباع الظاهر وغلافيه ، ونفى القياس ، فخالف السلف والخلف، وما مضى عليه عمل الصحابة فمن بعدهم ، حتى قال بعضهم ان مذهبـه بدعة ظهرت بعد المائتين .

انتشر مذهبه ببغداد وبلاد فارس ، وقال به قوم قليل بافريقيـة والاندلس ، وضعف الآن (33) وعلى طريقة داود ، ذهب ولـده محمـد ، وتتابعت بعدهما أئمة الظاهريين .

---

(31) انظر : عن تحقيق وفاته ، نفح الطيب ج 3 ص : 99 ـ 104 .
(32) مقدمة ابن خلدون ص : 240 ط التجارية ، رسالة المفاضلة بين الصحابة لابن حزم ص : 66 ط. 2 .
(33) المدارك لعياض ج 1 ص : 64 ـ 66 ـ 86 ط. الرباط . الاعتصام للشاطبي ج 1 ص : 133 .

## دخول المذهب الظاهري الى الاندلس :

كان أول من نشر مباديء المذهب الظاهري بالاندلس ، عبد الله بن قاسم بن هلال ( ت سنة 272 هـ ـ 885 م ) ذهب الى المشرق ، واخذ عن داود الظاهري ، ونسخ كتبه ، واقبل بها الى الاندلس ، وبذل ما فى وسعه فى نشر المذهب الظاهري (34) .

اما اول ظاهري مكافح فى سبيل نشر هذا المذهب الظاهري ، فهو القاضي منذر بن سعيد البلوطي ( 265 ـ 355 هـ ـ 878 ـ 965 م ) الذي رحل الى المشرق سنة ( 308 هـ ) ودرس على علمائه ، وعندما رجع الى بلاده ، انكر تقليد المالكيين ، وعمل على نشره بين أهله وذويه (35) . يقول فى هذا الصدد : (36)

عذيري من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلا هكذا قال مالك
فان عدت قالوا هكذا قال أشهب ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فان زدت قالوا قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فان قلت قال الله ضجوا واكثروا ... وقالوا جميعا انت قرن ماحك
وان قلت قد قال الرسول فقولهم ... انت مالكا فى ترك ذاك المسالك

ولقد توقف انتشار المذهب الظاهري ايام الحاجب المنصور ابن ابي عامر ، بسبب تظاهر المالكية عليه ، ولم تكد تنقضي أيام المنصور ، حتى ظهر المذهب الظاهري من جديد ، وعمل على اذاعته فى قرطبة ابو الخيار مسعود بن سليمان ، وتلميذه ابن حزم (37) .

... وقد فعل ذلك ابن حزم بالاندلس على علو رتبته فى حفظ الحديث ، وصار الى مذهب الظاهر ، ومهر فيه باجتهاد فى أقوالهم ، وخالف امامهم داود ، وتعرض لكثير من ائمة المسلمين ، فنقم الناس ذلك عليه ، وأوسعوا مذهبه استهجانا وانكارا ، وتلقوا كتبه بالاغفال والترك (38) .

---

(34) تاريخ الفكر الاندلسي لانخيل ، ترجمة مؤنس ص : 439 .
(35) ابن الفرضي ع ، 145/2 ط. مدريد .
(36) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ج 2 ص : 210 ط. المدينة المنورة .
(37) تاريخ الفكر الاندلسي ص : 447 .
(38) مقدمة ابن خلدون ص : 446 ط التجارية .

هذا المذهب الظاهري ، اشتهر ببلاد الاندلس على يد ابن حزم القرطبي (39) اوائل القرن الخامس الهجري ، اذ كان يبدي تشددا فى تطبيقه على العقائد ، وهو لا ياخذ فى تفسير الاحكام الا بالقرءان والحديث الصحيح ، ويعتبرهما حاسمين فى صوغ الاحكام ، وكان يدعو الى مذهبه، ويدافع عنه بكل قواه .

كان واسع العلم ، اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة ، مع توسعه فى علم اللسان والبلاغة والشعر والسيرة النبوية والاخبار والمذاهب والملل والنحل ، مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة (40) .

اثنى على بعض كتبه الامام الغزالي فى اسماء الله الحسنى ، فقال : « انه يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه » (41) .

لقد عكف ابن حزم اكثر وقته على التأليف ، حتى ذكر ابنه انه الف اربعمائة كتاب ، تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة ؛ وهذا شيء ما علمناه لاحد ممن كان فى مدة الاسلام قبله الا لابي جعفر الطبري ( ت سنة 310 هـ ) (42) .

وكل من قرا تراث ابن حزم بامعان ، اكبر فيه العقل الواسع ، والفكر الخصب ، والغور البعيد ، والعبقرية الصحيحة ، ويدهش من طول نفسه وقوة حجته ، وسعة اطلاعه وبلاغته . ويظن من يقرأ له علما انه لا يحسن غير هذا العلم لمهارته فيه ، فاذا هو كذلك يحسن كل علم تقريبا ، فهو نابغة فى كل العلوم التي كانت تدرس على عهده .

---

(39) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أصل ابائه الاقربين من قرية لبلة بالبرتغال ، كان أبوه من وزراء الحاجب ابن ابي عامر ، كما انه كان وزيرا لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ابي الناصر ، الملقب بالمستظهر بالله ، انه نبذ الوزارة اختيارا ، واقبل على قراءة العلوم وتقييد الاثار والسنن ، ولد سنة 384 هـ 994 م ) وتوفي ( 446 هـ ـ 1063 م ) حيث دفن فى لبلة .

(40) نفح الطيب ج 2 ص : 77 ـ 88 ، تحقيق د. احسان عباس ، ظهر الاسلام لاحمد امين ج 3 ص : 58 .

(41) نفس المصدر .

(42) المعجب ص : 28 ط سلا .

وليس احد يقرأ حياته الا غمره التقديس لمجاهد رفــع مــن شأن الحرية الفكرية ، وذهب بها كل مذهب ، فعاش من أجلها شريدا ، ومـات في سبيلها مجاهدا شهيدا (43) .

كافح عن مذهبه الظاهري ، ولاقى في سبيله مـن الاذى والعنت والتشريد الشيء الكثير ولم يعبأ لا بالاضطهاد ، ولا بالنفـي في سبيـل مذهبه الذي اخلص له طول حياته ، ولما احرق المعتضد ابن عباد كتبـه باشبيليـة انشد :

دعوني من احـراق رق وكاغـد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صـدري

والا فعودوا في المكاتـب بـداءة
فكم دون ما تبغون له من سـتـر

يسير معي حيث استقلت ركائبـه
وينزل ان انزل ويدفن في قبري (44)

ظل ابن حزم صلبا في مذهبه صلابة تستدعي الاعجاب ، مع وقوفه مع النصوص مهما خالفه الفقهاء الكبار ، فليس يهمه رأي الامام مالك ، أو ابى حنيفة النعمان في المسائل الفقهيـة ولا الاشعـري واضرابـه في العقيـدة .

ومن الاقوال الشائعة « ان قلم ابن حزم كسيف الحجـاج كلاهمـا مـاض حـاد » .

انكر الفقهاء المالكية على ابن حزم ذلك المذهب الظاهري ، ومنعـوه من التدريس بجامع قرطبة ، فكان لموقف الفقهاء منه وتتبعهم اياه اثـر

---

(43) رسالة المفاضلة بين الصحابة لابن حزم ص : 66 ، تحقيق سعيد الافغاني .
(44) مقدمة طوق الحمامة ط القاهرة 1950 ، النفح ج 2 ص : 82 .

عميق فى خلقه ونفسه ، وثارت بينهم وبينه المساجلات ، اذ اقبل على تأليف كتبه ، داعيا الى مذهبه الى خاتمة حياته .

لم تلبث طريقة ابن حزم ، ان اصبحت مذهبا قائما بذاته ، حل محل المذهب الظاهري وكون اتباعه وعرفوا بالحزميين .

وقد تبع مذهب ابن حزم الكثير من الناس ، وخرجوا من مذهب مالك الى مذهبه كما ان الاغلبية من الناس ضاقوا به ذرعا .

على كل حال ، فان ابن حزم ، حرك عقول الاندلسيين بدروسه وبتاليفه ودعوته الى المذهب الظاهري .

وقد كان رحمه الله اذا حرك بالسؤال ، ينفجر معه بحر علم ، لا تكدره الدلاء انه يحك معارضه حك الجندل على تعبير ابن حيان (45) .

وبعد وفاته ، بدأ يشق طريقه الى الخلود ، فعرف الناس له منزلته وعبقريته وعظمته ، وبواوه المكانة اللائقة به ، فكان اكبر ذهن تفتقت عنه الاندلس ، فى جميع عصورها ، وهو الذهنية الفريدة التي تمثل الثقافة الاندلسية أصدق تمثيل (46) .

كان الاندلسيون مقلدين مذهب مالك ، وكنت ترى فى اكثر مجالس العلماء من يؤيد ابن حزم ويهاجمه ، حتى اشترك الامراء انفسهم ، اصبح يسمى « حجة الايام » وقدوة الانام (47) ولهذا جاء التعظيم نحوه من طرف يعقوب المنصور ، حتى قال قولته الشهيرة لما وقف على قبره بلبلة : « كل العلماء عيال على ابن حزم » (48) .

وهاته القولة نتج عنها اختلاف بين المؤرخين والباحثين ، فى دعوة يعقوب ، هل هي للاجتهاد المطلق ؟ أم دعوته للمذهب الظاهري الحزمي ؟ على قول آخر ، حسبما يتبين فيما بعد .

---

(45) رسالة المفاضلة بين الصحابة ص : 150 ط 2 .
(46) رسالة المفاضلة بين الصحابة ص : 150 ط 2 .
(47) عنوان الدراية للغبريني ص : 146 ط الجزائر .
(48) نفح الطيب ج 3 ص : 238 .

## العلماء الذين قالوا بظاهرية المنصور ، ومن تبعهم من الباحثين :

وممن قالوا بظاهرية المنصور ، ونسبوه الى المذهب الظاهري ، الفقيه ابن جزى ( ت 714 هـ ـ 1314 م ) « وكان يعقوب المنصور عالما محدثا ، الف كتاب الترغيب فى الصلاة وحمل الناس على مذهب الظاهرية، واحرق كتب المالكية » (49) .

وكذلك من ذهب على هذا الراى الامام الشاطبي .. وكان المهديون مرتكبين للظاهرية المحضة التي عند العلماء بدعة ظهرت بعد المائتين من الهجرة ، ويا ليتهم وقفوا مع مذهب داود واصحابه لكنهم تعدوا ذلك الى ان قالوا برايهم (50) .

ويؤيد هذا الراي كذلك ، صاحب بيوتات فاس الكبرى بقوله : « ان ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف ، تابعين للمهدي رئيسهم الاول ، القائل باعتقاده الفاسد بانكار الراى فى الفروع الفقهية والعمل على محض الظاهرية ، وجروا على ذلك سنين بطول ايالتهم الى ان انقرضوا » (51) .

وجاء الفقيه الحجوي ، وتردد بين الاجتهاد المطلق والظاهرية ، نهو تارة ينسب يعقوب المنصور للاجتهاد ، ومرة اخرى ينسبه للمذهب الظاهري ، يقول : « ويعقوب المنصور هو الذي حرق الكتب المالكية ، وترك الفروع ، والزم العلماء بالاجتهاد ، فظهر فى وقته حفاظ وعلماء مجتهدون يلحقون الفرع بأصله او ظاهرية مثل أبي الخطاب ابن دحية ، واخيه ابي عمرو عثمان ، ومحيي الدين ابن عربي الحاتمي وغيرهم » (25).

---

(49) كتاب القوانين الفقهية ص : 402 ـ 418 ، ط تونس ، 1344 هـ . كتاب الترغيب فى الصلاة موجود بالخزانة الملكية بقسم المخطوطات بالرباط تحت رقم : 4478 ، وهو يضم احاديث فى الصلاة ، وما يتعلق بها ، أمر بجمعه يعقوب المنصور .

(50) الاعتصام ج 1 ص : 133 ـ 206 ، ط التجارية الكبرى .

(51) بيوتات فاس الكبرى ص : 19 ط دار المنصور بالرباط .

(52) ابن عربي الحاتمي يتبرأ من الظاهرية وهو ممن رمي بها يقول :

نسبوني الى ابن حزم واني * لست ممن يقول قال ابن حزم
بل ولا غيره فان كلامي * قال نص الكتاب ذلك حكمي
او يقول الرسول أو اجمع * الخلق على ما اقول ذلك علمي

عن النبوغ المغربي ص : 125 ط 2 .

ولكن أخيرا رجح الفقيه الحجوي المذهب الظاهري ليعقوب على الاجتهاد ، وصار يثبت له هذا المذهب بحجج واهية (53) وهكذا وقعت هاته التبعية من دون تمحصه ، فجاء الاستاذ ملين من بعد هؤلاء وقال : « أراد يعقوب ان يحمل علماء عصره على القول بمذهب الظاهرية » (54) .

والاستاذ البحاثة الكبير محمد المنوني ، ذهب هو بدوره مع من يقول بظاهرية المنصور « وهذا المذهب الظاهري كان محبوبا من طرف الخلفاء الموحدين ، وبصفة اخص لدى يعقوب المنصور ، فقد بلغ من اعجابه به الى حد أن كان يقول عن أشياخ الظاهرية الكبار ابن حزم ان كل العلماء عيال عليه » (55) .

وارى هنا ان الاستاذ المنوني تبع الاستاذ الحجوي وسلك مسلكه فى اعتماده على ما قاله أولا الفقيه ابن جزى ، وصاحب بيوتات فاس الكبرى وغيرهما من الفقهاء » (56) .

ويأتي من الباحثين فى آخر المطاف الذين نسبوا المنصور الى المذهب الظاهري الاستاذ عبد الله عنان الذي يقول « وكان المنصور من اشد دعاة المذهب الظاهري ، وقد حمل الناس على اعتناقه ، والتزام الاخذ بالظاهر من القرءان والحديث . ونستطيع القول ان المذهب الظاهري هذا هو المذهب الرسمي فى عهد المنصور ، وعظم أمر الظاهرية وانتشروا بالمغرب وكانوا يسمون بالحزمية نسبة الى ابن حزم عميد المذهب » (57) .

وتبع الاستاذ عنان فى هذا الرأي ، الاستاذ زكريا ابراهيم ، يقول : « وعمم العمل بهذا المذهب الظاهري فى شمال افريقيا والاندلس ، يعقوب ابن يوسف الذي اخذ على عاتقه نشر الفقه الظاهري ، وحمل الناس عليه بقوة السلطان » (58) .

---

(53) الفكر السامي :ج 4 ، ص : 2 ـ 4 ـ 213 ـ 214 .
(54) عصر المنصور الموحدي لملين ص : 253 ، ط. الشمال الافريقي .
(55) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص : 50 ط 1 .
(56) انظر : القوانين الفقهية لابن جزى ص : 402 ، ط تونس ، وكذلك بيوتات فاس الكبرى ص : 19 ، والفكر السامي ج 4 ص : 4 ـ 9 ـ 12 .
(57) عصر المرابطين والموحدين ج 2 ص : 240 ورقم : 646 .
(58) اعلام العرب عـدد 56 ص : 205 .

لا ادري من اين استنتج الاستاذ عنان القول بحزمية المنصور ، مع انه فى كتابه عصر المرابطين والموحدين (59) اشار الى المصادر التي اعتمد عليها أثناء حديثه عن يعقوب المنصور فى تعاليقه ، من بينها كتاب المعجب » .

لم يعرج المراكشي صاحب المعجب ، على كلمة المذهب الظاهري او الحزمي ليعقوب المنصور وانما قال فى هذا الشأن : « وكان قصد يعقوب فى الجملة محو مذهب مالك وازالته من المغرب مرة واحدة ، وحمل الناس على الظاهر من القرءان والحديث » (60) .

وكلمة الظاهر من القرءان والحديث لا تفيد اى انتماء الى مذهب من المذاهب ، بما فيها المذهب الحزمي ، وانما تفيد العمل بظاهر الكتاب والسنة .

وهؤلاء الباحثون الذين نسبوا المنصور الى المذهب الظاهري ، أو على الاصح المذهب الحزمي ، انما هو راجع الى تلك القولة ـ المختزلة ـ التي قالها فى شأن ابن حزم لما وقف على قبره « كل العلماء عيال على ابن حزم » (61) .

ويأتي اخيرا دور الاستاذ علام فيقول : « اشتدت محاربة يعقوب المنصور لمذهب مالك لا كراهية لاثار المرابطين، بل رغبة صادقة فى نشر المذهب الظاهري » (62) .

وعلام هنا يقول بحزمية المنصور ، ويدافع عنها ، مع انه فى كتابه الاخير (63) يتراجع عن هاته الفكرة حيث ينفي الحزمية عن يعقوب المنصور بل يتصدى بالرد على الذين يقولون بها اذ يقول : « وقد نسب بعض المحدثين فكرة الرجوع بالفقه الى الكتاب والسنة ، الى الخليفة المنصور الموحدي وزعموا انه تأثر برأي الظاهرية والحزمية .

---

(59) ج 2 ، ص : 204 .
(60) المعجب ص : 171 ط سلا ، 1938 .
(61) سيأتي الكلام فيما بعد عن هاته النقطة مفصلة .
(62) الدعوة الموحدية بالمغرب ص : 306 ، اخذ به الدبلوم للدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط .
(63) الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المومن بن علي ص : 312 ، الذي نال به الدكتوراه من جامعة مصر ، طبع سنة 1971 .

ثم يسترسل علام موضحا ويقول : « وليس الموحدون مقلدين للظاهرية او الحزمية فى فقههم اذ الفقه الموحدي قائم على مجرد النصوص القرءانية والحديثية ، اما الفقه الحزمي الذي هو خلاصة الفقه الظاهري ، فهو ممتلىء بأراء الفقهاء واختلافاتهم » (64) .

واذا كان الاستاذ علام رجع عن رايه الاول (65) فان الفكرة قد اختمرت فى ذهنه ، وتعرف على أشياء وحقائق لم يتعرف عليها من قبل .

وعلى كل حال ، فانه كان للمنصور اعجاب زائد بالامام ابن حزم ، ويعتبره قطبا من اقطاب العلم ، ومنارا من منارات الاسلام ، فهو يجله ويقدره أكبر تقدير .

ومما يذكر فى هذا الصدد ان المنصور مر فى عودته من غزوه لاراضي البرتغال ( سنة 587 هـ ــ 1191 م ) شمال مدينة لبلة حيث توجد القرية التي دفن فيها ابن حزم (66) وهو يقول : « عجبا لهذا الموضع يخرج مثل هذا العلم ، » ثم قال : « كل العلماء عيال على ابن حزم » ثم رفع المنصور راسه وقال : « كما ان الشعراء عيال عليك يا ابا بكر » ، يخاطب الشاعر ابن مجبر الفهري ( سنة 588 هـ ــ 1192 م ) (67) مع أن جل المؤرخين والباحثين المعاصرين يختزلون هذا الكلام ويقولون : « كل العلماء عيال على ابن حزم » مما اداهم ان ينسبوا المنصور الى المذهب الظاهري الحزمي .

وهاته الشهادة من يعقوب اعتراف بالواقع ، وبالمكانة العلمية التي كان يتمتع بها الامام ابن حزم والتي شهد له بها حتى خصومه . اذ كان يطلق عليه فى هذا الوقت حجة الايام وقدوة الانام (68) وان اثاره الباقية لشاهدة على علمه وعلى جهاده وعظمته .

وهذا الاعتراف من المنصور نحو ابن حزم ، مقارن باعترافه كذلك بشاعرية وعبقرية ابن مجبر الذي بلغ الذروة الشعرية فى العهد المنصوري ،

(64) نفس المصدر .
(65) فى كتابه الدعوة الموحدية بالمغرب .
(66) ما زالت الى اليوم القرية التي دفن فيها ابن حزم تسمى اليوم باسمها الحديث الاسباني . انظر عصر المرابطين والموحدين ج 2 ص : 240 ، تعليق 2
(67) النفح ج 3 ص : 238 تحقيق د. احسان عباس ، و ج 2 ص : 206 .
(68) عنوان الدراية للغبريني ص : 146 ، ط 1 الجزائر .

اذ بلغ ديوانه الشعري ما يزيد على 9400 بيت ، وله مدائح كثيرة فى المنصور (69) .

فجميع الشعراء عيال على ابن مجبر ، كما ان العلماء عيال على ابن حزم ، حسب شهادة يعقوب المنصور . فكيف نقول المنصور ما لم يقله ، وننسب له الحزمية ، وهو لم ينسبها لنفسه ؟ .

فيعقوب المنصور قد حمل الناس على الكتاب والعمل بالحديث فعل اهل الظاهر ورفض الاشتغال بعلم الفروع (70) ولا بدعة فان بعض الباحثين يدعي ان الموحدين اخذوا بالنزعة الظاهرية منذ بداية دعوة المهدي ، حسبما يزعم « المستعرب انخيل بلينتيا » وقد مال محمد بن تومرت مهدي الموحدين الى ابن حزم ، اذ وجد فيه ما يؤيد دعوته (71) .

« وان مسالة الظاهرية ليست آتية من عبد المومن ثم يوسف فقط ، وانما منشؤها الاصلي من ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية » (72) .

والواقع انه لم يظهر اعجاب الموحدين بالحزمية ، لا فى عهد ابن تومرت ، ولا فى عهد عبد المومن ابن علي ، ولا فى أيام ولده يوسف ، وانما ظهر هذا الاعجاب فى عهد يعقوب المنصور . ذلك الخليفة المتحرر الثائر، الذي كان اول خليفة موحدي ، سخر بالمهدوية وبمبادئها على نحو ما سخر منها ابن حزم (73) .

وجدت الحزمية طريقها الى المغرب الموحدي المنصوري ، حتى اشتدت محاربة يعقوب المنصور للمالكية ولكتبهم الفقهية ، فارادت ان تنزل الى ميدان السباق ، لاحتلال مكانة المذهب المالكي ببلاد المغرب فى العهد المنصوري ، حيث وجدت كل الاحترام والتقدير لامامها ابن حزم من طرف يعقوب .

---

(69) كتاب عصر المنصور الموحدي لعلين ص : 194 .
(70) النفح ج 2 ص : 57 — 58 ، تعليق رقم 1 .
(71) تاريخ الفكر الاندلسي ص : 238 ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس .
(72) العلوم والآداب والفنون للاستاذ المنوني ص : 51 — 52 ط 1 .
(73) انظر : رسالة « مظاهر النهضة الحديثية فى عهد يعقوب المنصور الموحدي » ص : 87 — 94 .

ولا أدل على هاته المكانة التي وصلت اليها الحزمية فى المهد المنصوري ، من قضية الفقيه الزواوي البجائي ، فى خصامه مع الامام ابن حزم ، حتى تدخل الخليفة المنصور بنفسه فى القضية لحسم الخلاف .

يقول الفقيه الفبريني (74) : « ولما كان من أمر الفقيه ابي زكرياء الزواوي فى شأن ابن حزم ، ما قد اشتهر وتعصب له ناس ، ورفعوا القضية للخليفة بمراكش » (75) اقتضى نظر ابي زكرياء رضي الله عنه ، ان يتوجه عند الفقيه أبي محمد عبد الكريم الحسني ، فتوجه وحمل تاليف الفقيه ابي زكرياء ، ورده على ابن حزم المسمى : « حجة الايام وقدوة الانام » ولما وصل حضرة مراكش ، استحضره أمير المومنين بين يديه بمحضر الفقهاء ، وعرض تأليف الفقيه عليهم .

وكان الفقيه ابو محمد عبد الكريم ، هو النائب فى الحديث ، فأحسن وأجاد ، واطلع أمير المؤمنين ومن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه ، مما دلهم على فضله ودينه وعلمه فكان من قول الخليفة : « يترك هذا الرجل على اختياره ، فان شاء لعن ، وان شاء سكت » .

وانقلب ابو محمد عبد الكريم ، وهو المبرور ، وسعيه المشكور ، رضي الله عنه وارضاه ، وهذه الحادثة ، ان مثلت المعركة الحادة التي كانت بين المالكية وخصومهم الحزميين ، فانها كذلك تصور لنا منتهى الصرامة والحرية بين العلماء ، وموقف الخليفة يعقوب بجانب الحق .

فالمنصور هنا ، لم يظهر التعصب للمذهب الحزمي ، شأن الخليفة المأمون العباسي (76) مع مذهب الاعتزال واهل السنة ، وانما ترك كلمة الفصل الاخيرة للعلماء وحدهم ، فهم أحق بالمناقشة والرد ، ويكفي من الامر ، ان يكون الحكم الفصل ، لانه خليفة مسؤول عن شؤون الامة فى كل الميادين .

---

(74) « عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية » ص : 146 طبعة الجزائر .

(75) هو يعقوب : المنصور الموحدي ( 580 ـ 595 هـ ) لم يحضر صاحب الرد ابن زكرياء بنفسه ، لانه كان كبير السن ، لهذا اناب عنه أحدا من اقاربه ، وهو ابو محمد عبد الكريم الحسني البجائي .

(76) المأمون العباسي هو أبو العباس عبد الله المامون ، ولد سنة 70 هـ أي فى الليلة التي بويع فيها والده هارون الرشيد ، تولى الخلافة اثر مقتل أخيه محمد الامين سنة 198 هـ وبقي فيها الى وفاته سنة 218 هـ وكان معروفا بثقافته الواسعة وميله الى مذهب الاعتزال .

ولم يكن المذهب الظاهري الحزمي هو المذهب السائد الرسمي في عهد يعقوب المنصور ولا يوجد في الواقع نص واضح يثبت ان احدا من الخلفاء الموحدين امر باتباع هذا المذهب الحزمي ، وانما كانوا يدعون الى العمل بالكتاب والسنة .

ان يعقوب المنصور كان يشكو من تعدد الآراء والاحكام المذهبية المالكية ، كشكوى أبيه وجده من قبل (77) وان الموقف الصارخ الذي اتخذه مع الفقهاء المالكية ، ومع علم الفروع بالخصوص ، ليدلنا على أنه كان يريد بالامة الرجوع الى مصادر التشريع الاسلامي .

والمذهب الظاهري الحزمي ، كل ما في الامر ، وجد المتنفس في العهد المنصوري ، واصبح ينشر آراءه وأقواله بكل حرية ، ومن غير رقيب . لان الخليفة يعقوب كان معجبا بشخصية ابن حزم وبمكانته العلمية .

وان كلا من الرجلين ، ابن حزم ويعقوب المنصور ، ينبذان التقليد، ويدعوان الى الاجتهاد ، ويقولان بالعمل بظاهر القرءان والسنة النبوية ، وكلاهما يحاربان المذهب المالكي .

فان ابن حزم يصرح « بأنه لم يكن بين الصحابة والتابعين احد يقلد الآخر في كل ما قال فصح ان من قلد ابا حنيفة أو مالكا او الشافعي دون ان يخالفه في شيء ابدا ، فقد خالف الاجماع .

وقد صح اجماع الصحابة والتابعين ، أولهم عن آخرهم على الامتناع والمنع ، من ان يقلد منهم احد الى قول انسان منهم ، أو ممن قبلهم ... فقد كان اهل القرون الفاضلة المحمودة ، يطلبون حديث النبي صلى الله عليه وسلم والفقه في القرءان ، ولا يقلد احد منهم احدا البتة ، فلما جاء العصر الرابع ، تركوا ذلك وعولوا على التقليد الذي ابتدعوه (78) .

وطبيعة المذهب الظاهري ، لا تسمح بالتقليد لاية شخصية علمية ، فالمفتي على المذهب الظاهري لا بد له من الاجتهاد ، والرجوع الى الاصول

(77) المعجب ص : 170 ، ط سلا . الرد على من يقبض في صلاة القبض ص : 5 مخطوطا بالخزانة العامة تحت رقم : 1724 د .

(78) ابن حزم لابي زهرة ص : 261 ط. دار الفكر العربي ، ابن حزم الاندلسي سلسلة اعلام العرب عدد : 56 ص : 182 .

من كتاب وسنة ، ولذلك استفاد الفقه من عمل الموحدين فائدة عظمى ، بظهور حفاظ وعلماء كبار ، تاليفهم مهمة فى الحديث وغيره (79) .

ثم ان عبد الواحد المراكشي ، المعاصر للدولة الموحدية ، والعارف بشؤونها ، لم ينسب اى واحد من خلفاء الموحدين الى المذهب الظاهري الحزمي ، ولم يقل بأن الخليفة يعقوب اعتنق المذهب الحزمي أو غيره من المذاهب الفقهية الاخرى ، مع انه تكلم عن ابن حزم في معجبه واستوفى فى حقه القول (80) .

« انما أوردت هاته النبذة من أخبار هذا الرجل – ابن حزم – انه اشهر علماء الاندلس اليوم واكثرهم ذكرا فى مجالس الرؤساء وعلى السنة العلماء ، وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب واستبداله بعلم الظاهر ، ولم يشتهر به قبله عندنا احد ممن علمت ، وقد كثر اهل مذهبه واتباعه عندنا بالاندلس اليوم » .

ولعل ما بدا من اجتهاد يعقوب المنصور ، والعمل بظاهر الكتاب والسنة ، ما هو الا صدى لميول ابن تومرت ، واتجاهاتها التي لم تسمح لها الظروف بالجهر به آنذاك ، لان الوقت كان وقت تأسيس (81) .

يقول لسان الدين ابن الخطيب (82) : « ان ابن تومرت كان ينكر كتب الراي والتقليد لانه لما قام بحركته ، كان يرمي الى غاية ابعد من غاية سلطة عبد الله بن ياسين ، وهو الدعوة الى تجديد الدين ، وهذه مهمة تقتضي الثورة على الماضي لما فيه المذهب المالكي .

(79) الفكر السامي للحجوي ج 4 ص : 16 ، النبوغ المغربي 23 – ط 2 .

(80) المعجب ص : 27 – 28 ، ط. سلا ، انظر مقدمة ابن خلدون ص : 447 ط التجارية لقد حصل الغلط للاستاذ امين حين قال : وقد قارب ابن حزم فى عصره عبد الواحد المراكشي ، « ان ابن حزم فى الواقع ، كان يعيش أواخر القرن الرابع الى وسط القرن الخامس الهجري ( 384 – 456 هـ ) فى حين ان عبد الواحد المراكشي كان يعيش فى القرن السابع الهجري ( 589 – 621 هـ ) فاين هذا التقارب من عصر ابن حزم ، وعبد الواحد المراكشي الذي يدعيه أحمد امين ، انظر « ظهر الاسلام » ج 3 ص : 56 ط القاهرة ، 1953 ، وله أخطاء أخرى عن أحداث المغرب ، انظر نفس المصدر ص : 65 – 66 ، ولقد نبهت عن بعض هاته الاخطاء فى رسالتي ص : 151، انظر « مجلة الاعتصام » التي تصدرها جمعية خريجي دار الحديث عدد : 3 ، ص78 – 79 – 80 .

(81) لباب المعقول للمكلاتي ص : 47 ، تحقيق : د. ( فوقية ) .

(82) العلوم والآداب للمنوني ص : 51 ط 1 ، النبوغ المغربي ص : 148 ط 2 .

فالامر يتعلق بالدعوة الى العمل بالكتاب والسنة ، اكثر من الانتماء الى مذهب معين .

واكبر دليل على اجتهاد يعقوب المنصور ، ما قاله الرحالة ( سرفسي ) ، الذي كان له اتصال وثيق بالمنصور ، اذ عمل معه بالبلاط مدة سنتين .

يقول : (83) « الذي علمت من حال ـ يعقوب ـ انه كان يجيد حفظ القرءان ، ويحفظ متون الاحاديث ويتقنها ، ويتكلم فى الفقه كلاما بليغا ، وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه فى الفتاوي ، وله فتاوي مجموعة حسبما ادى اليه اجتهاده ، وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وكأنهم يستسخرون به ويجنون عليه بذلك ، كما هو الحال عندنا ، اذا ظهر عالم مصلح ، يقال انه عصري ووهبي تنكيثا عليه ، وتنفيرا من مذهبه (84) .

والذي يثبت لنا صراحة ظاهرية يعقوب المنصور اي العمل بظاهر كتاب الله وسنة رسوله ( ص ) هو ما قاله المراكشي فى معجبه (85) اثناء حديثه عن الامير ابراهيم بن يعقوب المنصور : « لم أر فى العلماء بعلم الاثر المتفرغين لذلك انقل منه للاثر ، كان مذهب أبيه يعقوب فى الظاهرية » .

ويقول المراكشي فى مكان آخر (86) : « وكان فعل ـ يعقوب ـ فى الجملة محو مذهب مالك وازالته من المغرب مرة واحدة ، وحمل الناس على الظاهر من القرءان والحديث » .

والحجة القوية فى ان الموحدين لم يتمذهبوا بالمذهب الظاهري ، هي مجموعة كتب المهدي التي خلفها منها **أعز ما يطلب** ، **والعقيدة المرشد** ، **وموطؤه** ، **وكتاب الطهارة** وغيرها ، وكلها ليس فيها ذكر للظاهرية ولا لعلم من اعلامها (87) .

---

(83) النفح ج 3 ص : 99 ـ 101 .
(84) النبوغ المغربي ج 1 ص : 125 ط 2 .
(85) المعجب ص : 191 ط. سلا .
(86) المعجب ص : 171 ط سلا ، انظر الديباج المذهب فى ترجمة محمد بن عبد الله زرقون ص : 286 .
(87) النبوغ المغربي ج 1 ص : 125 ط بيروت .

واذا كان ابن تومرت ، هو امام الموحدين الذي أسس دولتهم ، لا يرى رأي الظاهرية ، ولا يبدي نحوها ادنى ميل ، فلا شك ان خلفاءه كانوا كذلك ، فالامر يتعلق بالدعوة الى العمل بالكتاب والسنة ، أكثر من الانتماء الى مذهب معين .

يقول الناصري (88) : « وقد كان عبد المومن بن علي ، وبنوه من بعده ، منعوا الناس من التقليد فى الفروع ، وحملوا الائمة على اخذ الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة ، على طريق الاجتهاد المطلق، وحرقوا شيئا كثيرا من كتب الفروع الحديثة التصنيف ، ووقع ذلك من بعض علماء عصرهم موقع الاستحسان » (89) .

فهذا النص صريح كل الصراحة بأن الموحدين يدعون الى الاجتهاد المطلق ، وينهون عن التقليد ، والناصري من العلماء المتثبتين فى النقول، والفاهمين لفحواها ، فهو يرى أن الموحدين من دعاة الاجتهاد وليسوا مقلدين لاي مذهب من المذاهب ، بما فيها المذهب الظاهري الحزمي .

ان الموحدين يدعون الى الاجتهاد ، خلافا لما شاع من أنهم كانوا على مذهب الظاهرية فان احدا من مؤرخيهم لم ينقل ذلك عنهم ، أمثال ابن القطان الابن فى كتابه « نظم الجمان » وابن صاحب الصلاة فى كتابه « المن بالامامة » وعبد الواحد المراكشي فى معجبه .

وليس يكفي ان يظهر المنصور اعجابه بابن حزم ، حين وقف على قبره ، ونسبه لمذهبه ، والذي ثبت من عمل يعقوب ، انه أمر بجمع أحاديث الصلاة وما يتعلق بها من المصنفات العشرة : الصحيحين ، وكتاب الموطأ وسنن الترمذي ، وسنن ابي داود وسنن النسائي ومسند البزار ، ومسند ابن ابي شيبة ، وسنن الدارقطني ، وسنن البيهقي (90) .

ولم يأمر المنصور بجمعها من كتب الظاهرية ، سواء كتب ابي داود واصحابه أو كتب ابن حزم على كثرتها ، وانما اكتفى بمصنفات الحديث

(88) الاستقصا ج 1 ص 141 و ج 2 ص : 178 ـ 179 ط دار الكتاب ـ الدار البيضاء.
(89) يقصد القاضي ابن العربي المعافري ، ( ت سنة 543 هـ ) ، انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج 2 ص : 207 .
(90) المعجب ص : 171 ط سلا .

المذكورة ، مما يدل على انه ليس بظاهري ولا بحزمي المذهب ، ولو كان ظاهريا داوديا ، او ظاهريا حزميا ، لامر بكتبهم أن تدرس ، أو على الاقل ان تكون من بين المصادر التي جمعت منها الاحاديث في الصلاة وما يتعلق بها .

ولهذا يتبين حسبما تقدم من النصوص والاقوال ، **ان يعقوب المنصور الموحدي ، لم يكن ظاهريا داوديا ، ولا ظاهريا حزميا ، وانما كان ظاهريا في شكل آخر ، يعمل بظاهر كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، فهو يجتهد لنفسه كباقي المجتهدين لان مادة الاجتهاد موجودة بين يديه كتاب الله ، وهاته المصنفات الحديثية المتعددة** ، لهذا امر العلماء ان يرجعوا اليها ويستنبطوا منها ، شأنهم شأن باقي العلماء المجتهدين ، ويكفيهم ان دعوة الخليفة يعقوب المنصور ، كانت للاجتهاد المطلق ، ونبذ التقليد واستنكاره والرجوع الى مصادر التشريع الاسلامي .

« اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون » (91) .

(91) سورة الاعراف الآية 3 .



# حكم التأمين في الشريعة الاسلامية

## للأستاذ محمد الوريا غلي

كثيرا ما حدثتني نفسي أن اكتب حول التأمين ، لانه مشكل عصري ، ومشكل اجتماعي ، واقتصادي عند جميع المسلمين ، لانه شرعيا لم يبت فيه القول بعد ، بين الفقهاء المعاصرين ، فمنهم من يحلل ، ومنهم من يحرم ، فرايت أن اقول فيه قولي ، وادلي فيه بدلوي بين الدلاء ، نرجو الله التوفيق والسداد وهو كما يلي :

قضية التأمين لها اعتباران ، احدهما انه بيع وشراء أى تجارة ، والآخر انه تعاون ، والفرق بينهما يحصل بالنية ، لان الاعمال تتفرق فيما بينها فى الاحكام باختلاف المقاصيد منها ، فالاثاث اذا اشتريته للتجارة تكون فيه الزكاة اذا توفرت شروطها ، واذا اشتريته للقنية فلا زكاة فيه ، ومن ثم قال ( ص ) ( انما الاعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى ) فاذا نوى المشترك فى التأمين فى أى وجه من وجوهه انه مبايعة فهو حرام قطعا ، لانه من بيع الغرر ، وقد صح عنه ( ص ) النهى عن بيع الغرر ، فى مختلف وجوهه ، لما فيه من شائبة القمار ، تحصينا للاموال ان تضيع فى غير مقابل ، وقطعا للخصومة ان تقع بين الناس فى بيوع الغرر خدمة للوحدة والتضامن والالتحام ، وهذا لا جدال فيه ، لان الثمن فى هذا البيع ــ وهو اقساط الاشتراك ــ امر محقق ، والمبيع المؤمن عليه غير محقق ، بل هو موهوم يمكن ان يكون والا يكون ، واذا كان ان يكون فلا يدري كيف يكون ، واذا نوى المشترك فيه نوعا من انواع التعاون ، أى يعين بالمال الذي يدفعه اقساطا للتعاونية من يحدث به المرض على العلاج ، او حادثة سير على تخفيف الخسارة ، وضمان العوض المادي المستحق

للضحية ان كان هناك ضحية ، او الموت على نفقات الاولاد حتى يبلغوا نقصده حسن ، وحكم عمله حكم التعاون على البر والاحسان ، لدفع نوائب الزمان ، وهذه الحوادث يمكن أن تحدث لاى واحد من المشتركين ، لان قدر الله لم يعف منه احد ، ويمكن ان يستشهد لهذا المعنى بقوله تعالى : ( وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ) ، قال ابن عطية : الناس صنفان ، يصلح لاحدهما ان يقال له عند موته ما لا يصلح للآخر ، وذلك ان الرجل اذا ترك ورثته مستقلين بأنفسهم اغنياء ، حسن أن يندب الى الوصية ويحمل على ان يقدم لنفسه ، واذا ترك ورثته ضعفاء مفلسين حسن ان يندب الى الترك لهم والاحتياط ، ( وهذا عام وهو محل الشاهد ) ، فان اجره في قصده ذلك كأجره في المساكين ، قال القرطبي : وهذا التفصيل صحيح ، والمعنى ، وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا — وذلك عند عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع من بعدهم لذهاب كاسبهم وكافلهم هـ — من فتح البيان .

ويمكن ان يكون وجه الاستشهاد من الآية انها مع الآية قبلها ، وهي قوله تعالى : ( واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولا معروفا ؛ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الخ ) تفيد ان اقترانهما فيه الدعوة الى التعاون والتكامل ؛ فكأنه تعالى يقول للورثة الموزعين لتركة الميت ارزقوا منها الفقراء والمساكين من غيركم حتى ترزق اليتامى والمساكين منكم من قبل غيركم ، ارحموا ترحموا .

وهذا النوع من التعاون هو الذي يترجم الى الواقع المعاش الآية الشريفة ( وتعاونوا على البر والتقوى ) والحديث الصحيح : ( مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ) ، فعندما يمرض المشترك في التعاونية يجد الايادي من اخوانه تمتد اليه بالمال والعلاج من كل جهة تعينه على العلاج في احترام ووقار وتقدير ، وهذا هو معنى التداعي من سائر الاعضاء له بالسهر والحمى ، وهذا النوع من التعاون موجود عندنا في الزكاة ، فهي للفقراء والمساكين وغيرهما من أصناف المصارف ، والمزكي نفسه اذا تبدل به الحال فجاة وصار من الفارمين او ابن السبيل او

من الفقراء والمساكين له الحق ان يستفيد من الزكاة ، ولا يكون ذلك من الرجوع في صدقته المنهى عنه في شيء ، لانه اعطاها بوجه الغناء واستحقها بوجه الفقر : اى اعطاها بوجه واستحقها بوجه آخر ، وهذا جائز ، ولهذا المعنى شاهد في حديث بريرة المشهور في الصدقة التي تصدق بها عليها ، فأراد النبي ( ص ) ان يأكل منها ، فقيل له هي صدقة على بريرة وهي ممنوعة عليك ، فقال ( ص ) هي عليها صدقة ولنا هدية ، ففرق ( ص ) في الشيء الواحد بوجهين مختلفين او باعتبارين مختلفين مآلهما النية البحتة ، وموجود ايضا عندنا في هبة الثواب المعروفة في الفقه وهي ظاهر فيها عنصر التعاون ، ومن ادخلها في البيع فقد تمحل ، وموجود ايضا في التعاون المسمى عرفا عندنا ب ( تويزة ) على الحصاد او الحرث او البناء او الزواج في ـ الفرامة ـ على العريس ؛ او دفن الميت ، الى غير ذلك ، ومعنى ( تويزة ) المعاونة ، اى يعين الغير ليعينه الغير ، لان الفلوس التي يمكن ان يقضي بها ما ذكر قليلة عند الجميع ، فاستعاضوا عنها بانفسهم حيث يعين بعضهم بعضا ، وهذا النوع من التعاون له معنى آخر شريف وهو انه يربي فيهم روح التساند والاخوة والتضامن ، حتى تكون الجماعة فيما بينها كالفرد الواحد او العائلة الواحدة ، اذا اشتكى من الجماعة واحد تداعى له سائر الافراد بالعون والاحسان في اى شيء ؛ وبهذا استطاع البدو ـ عند ما تنعدم السلطة المركزية ـ ان يعيشوا في البادية حيث لا حاكم ولا سلطان ولا أسوار كأسوار المدينة تقيهم سوى فتيان القرية ، هم الذين يحمونها ويدافعون عنها بالنجدة والنصرة في كل حين ، وبدون استدعاء ، بل هو أمر طبيعي مركوز في نفوس الجميع .

بقي شيء آخر وهو انك تشترك مع شركة في هذا التأمين ولا تدريها ولا تدري نيتها ولا اعضاءها ولا جنسيتها فكيف يكون الحكم ؟ ،

الجواب : اما بالنسبة اليك كفرد دخلت في هذه الشركة على أساس التعاون والتعاضد فقد فعلت خيرا وعملت برا ، فلك الاجر عند الله والثواب المادي من الشركة عند الاستحقاق ، واما بالنسبة للشركة نفسها ، فاذا كانت نيتها التجارة بهذا النوع من المعاملة فهذا ممنوع ، لانها تستثمر عنصر التعاون وهو خلق كريم في الاستغلال وهو خلق بشع ، وهذا مرفوض شرعا ، قال تعالى : ( ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) اى بانواع المكاسب التي هي غير شرعية كانواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك

من سائر صنوف الحيل ؛ وهذا كله من نوع الباطل . لان الباطل ما يخالف الشرع ، وتتحمل مسؤولية هذه المخالفة او مسؤولية هذا الاستغلال البشع السلطة المركزية ، لانها هي المسؤولة عن مشروعية الشركات فيما يتفق وفيما لا يتفق مع النظام الاسلامي ، واذا كانت تلك الشركات اجنبية وكانت السلطة العليا نفسها تنظر فى معاملتها معها نظر الافراد فى معاملتها، وفى الحقيقة هي فرد من الافراد باعتبار كثرة الدول التي تتعامل معها ؛ ورات ان هذا النوع من الشركات فى هذا العصر امرها ضروري ، واذنت لها فى العمل مع المواطنين تحت قيود ومكاسب فيها نفع للبلاد ، يكون ذلك جائز لان السلطة العليا هي المسؤولة عن التشريع العام ، وان هذه المسألة مسألة اجتهادية لم يسبق ان ورد فيها نص من الكتاب او السنة لانها حديثة ، والمسائل الاجتهادية دائما تكون تحت الانظار ، فما ادى اليه الاجتهاد انه خير يكون خيرا ؛ وما ادى اليه الاجتهاد انه شر يكون شرا ، ولا سيما فى المسائل العملية التي تزكيها التجربة ويدعمها الواقع المعاش ، وفى الصحيح ( انتم اعلم بشؤون دنياكم ) .

وعندما ننظر الى شركات التامين من جانبنا نحن نجدها ضرورية حقيقة فى هذا الوقت ؛ ولا يمكن ان ينتعش الاقتصاد الوطني بدونها ؛ ولا ان تنشط حركة المواصلات والمقاولات والفلاحة بدونها ؛ مثلا لنفرض انك تملك سيارة حافلة تسع ثمانين راكبا او اكثر او اقل ، تعمل من تطوان الى الدار البيضاء ؛ فسقطت فى الطريق فى جرف ؛ ومات جميع الركاب وتفتتت السيارة شذر مذر ؛ فمن يكون مطلوبا بالضمان لهذه الخسارة الكبرى ؟ ؛ فاذا قلنا تضمنها صاحب السيارة تكون الخسارة اكثر من ماله، فيضيع هو وماله بدون أن يوفي بحقوق الآخرين ؛ واذا قلنا ان الحادثة كانت بقدر الله فلا نضمن خسارتها لاحد ؛ تكون الخسارة ثقيلة سواء على صاحب السيارة او الركاب او عائلتهم او المواصلات نفسها ، ومثل هذا يقع للبواخر والقطارات والطائرات ولكل انواع المواصلات ، واثر هذا الخراب سيظهر على المواصلات ، وعلى الاقتصاد بشكل عام وعلى المجتمع نفسه مع الزمان بيقين وبشكل خطير ؛ فكان التامين كطرف ثالث هو الحل المناسب للمشكل ، لان شركة التامين تستطيع ان تتحمل هذه الخسارة كلها بدون أن تؤثر فيها ؛ لان الاطار الذي تعمل فيه والاموال المتجمعة لديها مستعدة ان تغطي هذه الخسارة واكثر بدون ان يظهر عليها اثر يذكر، ففي هذه الجزئية تظهر للتامين مصلحة كبرى وضرورة ملحة لمصلحة

صاحب السيارة ولمصحة الركاب ولمصلحة المجتمع وللدولة نفسهـــا ، لان صاحب السيارة يستوثق بالتأمين فى مثل هذه الاعمال ويزداد نشاطا، فهو ضمانته الكبرى فيما يلحقه من الاضرار وهي لا بد واقعة ، ومصلحة للركاب ، لانه يضمن لهم اذا وقع الفوت ان يحصل اولادهم على حقوقهـــم المدنية واعواض اموالهم ان كانت لهم فيها أموال ، ومصلحة للمجتمـــع ، لانه حمل عنه الاضرار التي كانت ستلحق بالمواصلات وبالركاب وعائلتهم فى هذه الحادثة ، والضرر بالمواصلات والركاب وعائلتهم ضرر بالمجتمع نفسه ، وفوائد المواصلات فوائد للمجتمع نفسه ، ومصلحة للدولة ، لما تحصل عليه من النشاط فى الاقتصاد والرواج ، وتحصـــل عليه مـــن الضرائب ، وسرعة الاتصال وتوفير الامن والسمعة والوزن فى المحيط الدولـــي .

ومن اجل ما ذكر شرعت الدولـــة التأميـــن على السيارات وغيـــر السيارات من انواع المواصلات اجباريا ، تلافيا لما ينتظر ان يحدث مـــن الخسائر ، وهذا كما يكون فى المواصلات يكون فى الصناعة والفلاحـــة والتجارة والعمران ، فالكل يعمل بالتأمين لانه يخـــاف مـــن الخسارة ، وينشط فى عمله بالتأمين ، ولولا التأمين لما كانت مواصلة ولا مصانع ولا نشاط اقتصادي ولا عمراني ، واذا أمكن ان يكون شيء منها موجودا بشكل ما ، فما كان بهذا القدر من الكثافة والانتشار والتنوع ، لاننا نعيش عصر الآلة وهي العمدة فى العمل فى جميع جوانب الحياة العصرية ، والآلة كما تكون السبب فى الربح الكثير ، تكون السبب فى الخسران الكثير ، واذا لم يكن هناك تأمين طرفا ثالثا يعمل على تقليل هـــذه الخسارة ولا يضـــر بالربح بل يعمل على نموه وتنشيطه من كل الوجوه ، فما كانت هناك آلة ولا ربح بهذا القدر ، ولا نشاط فى العمل بهذا القدر .

يمكن ان تقول ان هذه تبريرات ليست لازمة ، فقد كانت لنا فلاحـــة وصناعة وعمران قبل عصر الآلة ، وكنا نربح فيها ونخسر ، فما ضر ذلك بالمجتمع ولا اوقف نهوضه وتقدمه ، وكانت الحياة عادية مثلها الآن ، فيها ربح وخسارة وغنى وفقر ، ونشاط وكساد ، فما ظهر لغيبة الآلة او لغيبه التأمين اثر ضار على المجتمع ككل ؟ ، الجواب ، نعم كان كذلـــك ، وكان على قدره ، وفى مجتمع ضيق ، وبشكل ضيق ، وبنشاط اقـــل ، اما فى عصر الآلة فشيء آخر اهم واشمل واعمق ، مما كان قبله ، واذا أردت ان

تتحقق من هذا الفرق فانظر للذين يعملون فى الصناعات التقليدية ، وافترض انهم يتعاملون بالمواصلات التقليدية بالحمير والبغال والجمال ، وقارنهم بالذين يعملون بالآلة البخارية او الكهربائية او النووية فى الوقت الحاضر ، برا وبحرا وجوا ، فى التحضير والانتاج والتوزيع ، فخذ الجواب عن ذلك بنفسك ، وعليه فالتأمين اصبح قضية حيوية لسير الحياة العصرية فى مختلف وجوهها ، ومصلحته فى تنشيط الحياة الاقتصادية ظاهرة ولا ينكرها الا مكابر .

يمكن ان تقول ان شركات التأمين شركات تجارية استعمارية عالمية تتعامل بأصناف الربا وانواع الاستغلال والرشوة والمكر والجاسوسية والاجرام ، وتجمع اموال العالم بالتدريج وتكدسه فى يد حفنة من الاغنياء العالميين ، فينقلب فى يدهم طغيانا على العالم كله ، وخصوصا الدول الضعيفة والشركات الضعيفة ، وتزرع فى طريق نهوضها مختلف العراقل والمعوقات ، كما نرى فى الوقت الحاضر ، وهذا ضرر بل مصدر الاضرار، ونحن بالتعامل معها نساهم فى هذه الاضرار بوجه ما ، الجواب اذا كانت السلطة التشريعية العليا افرغت التعامل مع هذه الشركات فى قالب التعاون بالنسبة للمشتركين ، فلا يضرها الا تكون تتحكم فى سير هذه الشركات ، والا تستطيع أن تخضعها للنظام الملائم للاسلام ، والا ترضى بسلوكها فى آخر المطاف ، فلا أحد يقول انك عند ما تدفع واجب الاشتراك يجب عليك ان تراقب اين تنفق الشركات تلك الاموال فى الحلال ام الحرام ، والله تعالى يقول ( عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)، فالدولة ( أولا ) هي مكلفة باصلاح نفسها وبلدها ورعاياها لا باصلاح غيرهم ، ولا تكلف نفس الا وسعها ، وكل يعمل على شاكلته ، ( ثانيا ) ترى فى التعامل معها وهي كذلك مصلحة عامة محققة وهي ظاهرة كما سبق ، وهذا القدر كاف فى جواز التعامل معها ، اذ المصلحة القطعية الكلية الضرورية أصل بنفسها ، كما قال الغزالي فى احياء العلوم رقم 98/2،ولا يحتاج الى الاستدلال عليها بدليل خاص ، وانما يحتاج الى ذلك المصالح المظنونة المتعارضة ، ( ثالثا ) وهذه المصلحة تكمن فى كون الحياة العصرية فى مختلف وجوهها تفرض التعامل مع هذا النوع من الشركات ، وان المصالح التي تجني من معاملتها اكثر وارجح من مصالح مقاطعتها ان كانت هناك مصالح ، فان الآلة بقدر ما تاتي به من الربح بقدر ما تاتي به من اضرار ، فكان لا بد من التأمين لتستقيم الامور ، وتتخفف الاضرار ،

وتشيع في قلوب التجار والصناع والمقاولين وارباب المواصلات الاستيثاق والاطمئنان ، وتؤمنهم من خوف الافلاس واخطار الجوائح ، وتزرع في قلوب محدودي الاموال الثقة بالتعامل بتلك الاموال على قلتها ، في مختلف وجوه التعامل بدون الخوف من الخسارة ، فتجعل الكل ينشط في الترويج والتعامل والتنمية ، فاذا كان الاثرياء يتشجعون في المخاطرة بأموالهم في مختلف وجوه الترويج بفضل كثرة أموالهم ، فيخاطرون بجانب منها ويترصدون للعواقب بالجانب الآخر ، فالمتوسطون لا يتشجعون في المخاطرة بأموالهم فيما ذكر الا بفضل شركات التأمين وحدها ، ولولاها ما غامروا هذه المغامرة ولا ربحوا هذا الربح ولا نشطوا هذا النشاط .

فاذا كنا عند الاشتغال في مختلف وجوه الاقتصاد مضطرين للتعامل مع شركات اجنبية لا نملك ناصية سيرها ، ويغيظنا ان نتعامل معها لوجه او آخر ، فلنعمل على خلق البديل منها ، بخلق شركات تعاونية اسلامية بتة تكون في وزنها وغناها ، فحينئذ يتوجه النقد للذين يتعاملون مع الشركات الاجنبية ويتركون التعامل مع التعاونيات الاسلامية ، واما الآن فلا ، فللضرورة أحكام وللاختيار اخرى ، ولا ينبغي الخلط بين شيء وشيء آخر .

بقي امر آخر وهو ان التأمين كما هو معروف عند الاجانب وكما هو معروف في المعجم الوسيط ، **هو عقد يلتزم احد طرفيه وهو المؤمن قبل الطرف الآخر وهو المستأمن أداء ما يتفق عليه عند تحقيق شرط او حلول اجل في نظير مقابل نقدي معلوم .**

فهذا يفيد ان التأمين عقد موجود بين الطرفين المؤمن والمستأمن على معاوضة مالية ، فهو بيع من البيوع ، فكيف بك تجعله من قبل التعاون ؟ ، الجواب ان العبرة بالمعاني لا بالالفاظ ، والتعاون المقنن هو عقد معاوضة ايضا في الحقيقة ، اذ يقال تعاون القوم ، اى اعان بعضهم بعضا ، اى يتبادلون العون ، فهو معاوضة ايضا ، الا انها معاوضة تعاون لا معاوضة البيوع ، والفرق بينهما ان التعاون يقصد فيه الى العون اكثر ، والبيوع يقصد فيها الى المعاوضة اكثر ، وكلاهما تعاون الا ان **التركيز في القصد فيهما يختلف ، والدليل على ان التامين تعاون لا بيع ،** ان المشترك عند عقد التامين يقصد الى التضامن مع الذين يصيبهم

المرض او تقع لهم حادثة السير بقصد معاونتهما على مصابهما ليتضامنوا معه فى الوقت المناسب كما تضامن معهم ، وفى نفس الوقت هو يود ألا يمرض ولا تقع له الحادثة وان كان سيجد فيه التضامن معه بالمعونة من اخوانه ، لان السلامة عنده خير من المرض وان كان فى ثوابه جنة الخلد كما قال ابن الرومي ، على انه اذا مرض واخذ من التعاضدية مساعدة مادية فهو ياخذها باسم المساعدة لا باسم العوض ، بدليل انه يمكن ان يحصل منها على اكثر مما دفع بكثير ، كما فى بعض العلاجات المعقدة او العمليات الجراحية الخطيرة ، وبدليل انه قد لا يحصل له المرض ولا غيره فلا يستفيد من التعاضدية شيئا ، والبيع مبني على المكايسة فأين هي هنا ؟، ومبني على حصول المقابل فأين هو هنا ، ومبني على ان يكون المقابل بقدر الثمن فأين هو هنا ؟ ، فاذا كان الامر كذلك وهذه هي الحقيقة فأين التعاقد على معاوضة مالية ؟ ، لا شيء ، وعليه فالتعريف السابق للتامين هو من قبيل تعريف التعاون المقنن لا تعريف للبيع ، وهما بعيدان عن بعضهما ولا يلتقيان فى ورد ولا صدر .

وفى الختام فان حكم التامين بالنسبة للفرد المشترك فيه بقصد التعاون على البر والاحسان حكم التعاون على البر والاحسان ، لا حكم بيع الغرر ولا حكم القمار ولا حكم الضمان بجعل . فان الاحكام بمقاصدها. والاعمال حسب النية كما سبق ، واما حكمه بالنسبة للشركة فان كانت تعاونية فالامر ظاهر ، وان كانت الاخرى فان كانت الشركة وطنية فعلى الحكومة المركزية ان تخضعها لاحكام شريعتنا وتمنع عليها استغلال المال فى الحرام ، وان كانت اجنبية فالمسؤولية تقع على تلك الشركة وحدها ، وحينئذ فنحن بالنسبة الينا يمكن ان نتعامل معها ولكن بحذر وبقدر الضرورة ، وفى نفس الوقت نكون نعمل على خلق البديل منها اسلاميا والسلام .



# دراسات اسلامية



# أبو بكر الصديق منقذ للاسلام

د. ابراهيم بركات

### توليـــة أبـــي بكـــر (1) :

ما ان بلغ سكان المدينة نعي الرسول ( ص ) حتى عمــت الدهشة سائر الاوساط اذ لم يصدق الناس موت النبي حتى خطب فيهم ابو بكــر يبلغ اليهم صدق النبأ ويذكرهم بالآية الكريمة : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » . ثم يقول : أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم ، وعــظ الحاضرين من غير ان يثير قضية الخلافة ، ويظهر ان هذا الخطاب قــد القاه ابو بكر في المسجد النبوي أو حوله ، وكان عمر بن الخطاب ممن لم يصدقوا موت الرسول حتى سمع خطاب ابي بكر وما ذكر به من آيــات حول موت الرسول والثبات على دينه . واثناء ذلك ، وقبل تجهيز جنازة الرسول ( ص ) كان الانصار مجتمعين في سقيفة بني ساعدة ، وجاء منهم الى أبي بكر ، عاصم بن عدي ، وعويم بن ساعدة ، يخبــران أبا بكــر بأن الانصار يهمون بمبايعة سعد بن عبادة من كبار زعمائهم وهو حينئذ مريض ولا يخفى طموحه الى الخلافة ، وانتقل ابو بكر وعمر فوراً الى سقيفة بني ساعدة بينما لزم علي وطلحة والزبير بيت فاطمة ، غير ان سعد بن عبادة وهو زعيم الخزرج لم يظهر الدعوة لنفسه مباشرة ، بل تولاها عنه الحباب

---

(1) انظر الطبري : تاريخ م. 2 ، 199 – 204 و 207 – 210 . المقدسي : البدء والتاريخ 5 ، 64 . ابن عبد ربه : العقد الفريد 5 ، 10 . ابن الاثير الكامل : 2، 220 ابن خلدون ، تاريخ : 2 ، 853 .

ابن المنذر الذي اقترح تقسيم الخلافة بين الانصار والمهاجرين ، أي بترشيح خليفة عن كل فريق ، وعندئذ خطب ابو بكر خطبته المعروفة التي اعلن فيها أسبقية المهاجرين الى الاسلام وامتناع العرب عن الاعتراف بسلطة خلافية لا تنتمي الى قريش ، ثم رشح للخلافة عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح الذي شغل منصب أمين بيت المال في الحكومة النبوية مثلما سيشغله في عهد ابي بكر ، فبادر عمر الى مبايعة ابي بكر وهو يقول: ما كان أحد ليؤخرك عن مقامك الذي اقامك فيه رسول الله (2) ( ص ) .

واذا كان الانصاري حباب بن المنذر قد هدد قبل خطاب ابي بكر باستعمال القوة لتقسيم الخلافة بين الانصار والمهاجرين ، فان المفاجأة الكبرى التي انقذت الموقف بعد مبادرة عمر ، ولربما سبقتها على بعض الروايات (3) ، هي خطاب الزعيم الاوسي بشير بن سعد الذي قال فيه : « يا معشر الانصار ، انا والله وان كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في الدين الذي ما أردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا، فما ينبغي ان نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا ، الا ان محمدا ( ص ) من قريش ، وقومه أولى به ، وايم الله لا يراني الله انازعهم هذا الامر ابدا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم » .

وهكذا راجع الاوسيون انفسهم فخشوا هيمنة الخزرج في حالة ما اذا تولى السلطة أحدهم ، وهذا ما جعلهم يبادرون الى مبايعة ابي بكر ، وبذلك انقذت الخلافة من بوادر العصبية القبلية الضيقة على الرغم من استئثار قريش بها لفترة طويلة ، ذلك أن أبا بكر وعمر ، ارتفعا كخليفتين عن هذه الروح البغيضة وسارا على نهج اسلامي وانساني مثالي ، ولربما لو صفا الامر لعلي لسار في نفس الخط ، ولقد سار فيه فعلا ، بينما كانت الاحداث تهز من كيان الخلافة هزا .

ومنذ الآن ستتخلى المدينة عن كل مطالبة خلافية مباشرة ، بل ان الذين سيحاولون فيها بعد أن يستغلوا جانبها لصالحهم ، هم بالذات ، عناصر مكية من كبار المهاجرين ، ولما كان سعد بن عباده قد أيقن ان

---

(2) ابن عبد ربه م. م. ص : 11 .
(3) ابن الاثير : م. س. ص : 223 .
(4) ابن عبد ربه : م. م. ص : 13 .

الامر قد خرج من يد الانصار نهائيا ، فقد ترك المدينة مغاضبا بعد ان تعرض فيما قيل للاعتداء داخل التجمع الذي شهد احداث بيعة ابي بكر فانسحب الى الشام ، ويروي هشام الاسلمي ان عمر بن الخطاب بعث رجلا يدعو سعدا الى البيعة ، وانه فوض اليه قتله ان ابى ، ويضيف هشام ان سعد بن عبادة رفض بيعة ابي بكر ، فرماه الرجل بسهم فقتله (5) .

وبعد بيعة سقيفة بني ساعدة دعا عمر بن الخطاب الى اجتماع عام بالمسجد النبوي وخطب في الحاضرين يدعو الى **بيعة ابي بكر بيعة عامة** ، **وهذه أول بادرة في التفريق بين البيعة الخاصة والعامة في الاسلام ، وهي اشبه ما يكون بترشيح رؤساء الدول اليوم في مجلس تمثيلي ، ثم بطريق استفتاء عام .**

وتبرز شخصية عمر بن الخطاب كنصير بالغ الاهمية للوحدة الاسلامية ولشخص ابي بكر ، منذ احداث سقيفة بني ساعدة ، وبحق كان عمر بن الخطاب ، الرجل القوي في حكومة ابي بكر ، وقد قام علي بن أبي طالب بدور مشابه في أيام عثمان ، بينما فقد هو نفسه شخصية مناصرة مثل شخصية عمر بالنسبة لعهد أبي بكر .

وهكذا كان على ابي بكر ان يضمن بيعة الامة بالمدينة اولا ، ثم في مجموع شبه جزيرة العرب من طريق الولاة الذين تركهم الرسول ( ص ) .

وتلكأ علي والعباس وطلحة والزبير وعدد من بني هاشم في البيعة رغبة في ان يصير الامر لعلي وهو اقرب الناس الى الرسول نسبا وقرابة وأحد السابقين الاولين الى الاسلام ، ولكن ما لبثوا ان بايعوا ابا بكر ، وان تأخر علي عن البيعة مدة ستة اشهر فيما قيل ، وفي بعض الروايات ان ابا بكر قال له : اكرهت امارتي ؟ فقال : لا ولكنني آليت ان لا أرتدي بعد موت رسول الله ( ص ) حتى احفظ القرءان ، فعليه حبست نفسي (6) ، واذا صحت هذه الرواية فتكون مجرد تملص ذكي من البيعة المعجلة ، ومهما يكن من امر ، فان علياً وغيره من كبار الصحابة لم يتخذوا موقفا معاديا من ابي بكر قد يؤدي الى تكتلات مناهضة او متعارضة .

---

(5) المقدسي : م. م. ص : 66 .
(6) عقد : 5 ، 12 .

وبعد توليته ، قام أبو بكر خطيبا فى المسجد النبوي يشرح باقتضاب وروعة بيان مع قوة عزيمة تغلي ايمانا ، خطته ونظرتـه الى المسؤوليـة العليا التي انيطت به ، **وقد أصبح خطاب التنصيب تقليدا معمولا به بعده لدى الخلفاء والولاة** ، وخطبة تولية أبي بكر معروفة فى أكثر مـن مصدر ، وقد القاها يوم تجهيز دفن الرسول عليه السلام وبعد دفنه مباشرة يـوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول فى السنة الحادية عشرة (7) .

واذا كان أبو بكر الصديق قد حظي بالخلافة المباشرة للرسول ( ص) فى غمرة الموقف السلمي الذي وقفه عدد من زعماء مكة وعلى راسهم أبو سفيان على الاقل لفترة محدودة فانه الرجل الذي ارتبطت حياته الخاصة ونضاله المستميت بحياة الرسول وكفاحه المثالي ، مدة تناهز ثلاثا وعشرين سنة من الاسلام ، وفترة قد تتجاوزها قبل الاسلام وهذا الشرف الفريد لـم يحظ به اى صحابي آخر ، فهو ترب النبي واحد اقرب المعارف اليه فى مهنة التجارة التي زاولها كلاهما قبل الاسلام . ولم يكن أبو بكر فى الواقع الا تاجرا فى المجتمع القريشي الذي ينتمي الى البورجوازية الصغيرة ، ولكن كان بامكانه أن يعيش راضيا بثروته وتجارته بعيدا عن المغامرة التي زج فيها نفسه والتي أدت به فى النهاية الى ان يترك تجارته وماله بمكـة ليهاجر فقيرا ، الى المدينة مع الرسول . وقد كان أبو بكر الرجل الوحيد الذي اسلم على يد الرسول قبل اى رجل آخر ، والذي لم يستفسر مطلقا عن ماهية النبوة المحمدية واهدافها مثلما فعل الآخرون ، وكان من حقهم ان يفعلوا ، ولذلك اطلق عليه رفيقه العظيم لقب الصديق فلزمه حيا وميتا وسماه عبد الله وكان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة (9) .

ويوصف أبو بكر فى الرواية الاسلامية ، وفى غيبة اى رسم تصويري وهو محرم فى الاسلام لضرورة دينية مؤقتة ، بأنه كان أبيـض نحيـف الجسم خفيف العارضين اجنئا ، معروق الوجه غائر العينين ناتىء الجبهة عاري الاشاجع ممحوض الفخذين أقنى يخضب بالحناء والكتم جميل فارع القامـة .

---

(7) تحدثت المصادر السابق ذكرها ، وغيرها عن أواخر أيام الرسول وموته ودفنه .
(8) عقـد : 5 ، 9 ، 10 . الكامـل : 2 ، 224 .
(9) المقـدسي : م. م. ص : 76 .

وهذه الصفات التاريخية كافية لان تقدم صورة اقرب ما تكون الى الوضوح عن شخصيته ، بالاضافة الى ممارساته ومواقفه التاريخية ، فهو متزن الشخصية ذو ثقة بنفسه لا ينفعل الا نادرا ولا يلجأ الى الهجوم الشخصي ولا يشيد بآرائه ويتحرص بصورة متناهية فى الدقة على احترام تعاليم الرسول وسننه ، وتتسم مواقفه السياسية بالحكمة وجودة الراي وحسن الاستشارة ، ويحرص على ان يقدم احسن مثال عما يجب ان يكون عليه رئيس دولة شرفته الامة بثقتها واخذ من الاسلام دستورا لها .

ولا جدال ان لشخصية أبي بكر وسيرته تاثيرا لا يمكن اغفاله ، فى خلفه ومساعده عمر ، وان كان لهذا الخلف جوانب غير قليلة من الشخصية المتميزة . وينبغي ان نلاحظ على سبيل المقارنة ان عثمان بن عفان لم يقم بأى دور يذكر فى احداث بيعة ابي بكر على الرغم من حضوره دفن الرسول ونزوله الى قبره ، وهو على اى حال من أوائل المبايعين لابي بكر.

### توجيه جيش أسامة الى فلسطين (10) :

كان الرسول عليه السلام قد هيأ جيشا لقتال الروم داخل فلسطين، وبالذات فى المنطقة التي شهدت معركة مؤتة ، وكان من تعليمات الرسول لهذا الجيش القيام بشن الغارات على ارض انبلقاء واحراق مزارعها وسبي نسائها وذراريها ، وكان الجيش يضم فئة من الانصار والمهاجرين يقودهم شاب دون العشرين هو اسامة بن زيد الذي قتل أبوه فى مؤتة كما قتل عبد الله بن رواحة وجعفر بن ابي طالب وكلهم حمل راية القياده فى هذه الحملة . لكن اسامة لم يتمكن من القيام بمهمته نظرا لوفاه الرسول اثناء استعداد الحملة للتحرك . وكان اول عمل عسكري باشره ابو بكر كخليفة، هو اعادة حشد جيش اسامة فى مكان يدعى الجرف بعيدا عن المدينة بخمسة كيلومترات ، باتجاه الشام ، وقد تضايق الانصار والمهاجرون من ان يقودهم شاب حدث ، وعبروا عن رغبتهم فى استبداله بقائد محنك ، وكلفوا عمر بن الخطاب بابلاغ رغبتهم هذه الى الخليفة ، غير ان أبا بكر رفض استبداله ، وكان من راي الجماعة ان تؤخر المواجهة ضد البيزنطيين حتى لا يفاجأ المسلمون فى المدينة بهجوم العناصر المرتدة ،

(10) الطبري ، تاريخ : م. 2 ، 211 ـ 213 . المقدسي ، البدء والتاريخ : 5 ، 152 . ابن الاثير الكامل : 2 ، 226 . ابن خلدون ، تاريخ : 2 ، 856 . دحلان ، الفتوحات الاسلاميـــة : 1 ، 3 ، 5 .

وكل ما فعل ابو بكر ان عرض على اسامة استبقاء عمر بالمدينة ، وقال : لو خطفني الكلاب والذئاب لانفذته كما امر به رسول الله ولا ارد قضاء قضى به رسول الله ، وكان هذا اول ما ظهر من صرامة ابي بكر حيث يحب الصرامة ، لانه اراد ان يظهر ان الاسلام يحتفظ بقوته النوعية والعددية ، حتى مع الصدمة التي حلت بموت الرسول ، ثم هناك تعليمات عليا من القائد الاعلى السابق ، فيجب ان تنفذ خصوصا وهو صاحب رسالة ودعوة شاملة وشيع ابو بكر اسامة وهو ماش ، ورفض ان يركب او ان ينزل أسامة عن فرسه وقال : ما علي ان اغبر قدمي ساعة في سبيل الله ، فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، واوصى ابو بكر الجيش بتجنب الغدر والتمثيل بالجثث وقتل الاطفال والشيوخ والنساء ، كما أوصاهم بعدم التعرض للرهبان المسالمين في معابدهم ؛ ولم تكن هذه الحملة تتجاوز ثلاثة آلاف محارب ، وقامت بغارات خاطفة اتيح فيها لاسامة ان يقتص من قتلة ابيه ، واستمرت غيبتها عن العاصمة حوالي شهر ونصف بعد وفاة الرسول ( ص ) . وكان لهذه الحملة تأثير نفساني ايجابي على العرب بالرغم من احداث الردة الخطيرة ، ومهما يكن من امر ، فان قلة عدد هذا الجيش ينبيء عن التراجع البالغ الخطورة ، والذي وقع في صفوف الاسلام بموت الرسول . **اما اسامة نفسه ، فسيلتحق بخالد ابن الوليد في حروب الردة ، وسيقوم في عهد ابي بكر بدور طلائعي بعد عودته من فلسطين .**



وقد التزم ابو بكر ومستشاروه جانب الحذر والحيطة خلال الفترة التي استغرقتها حملة أسامة ورجوعه ، فلم يغامر بحشد احتياطه الهزيل لمهاجمة القبائل التي ارتدت في كل مكان عبر جزيرة العرب ، والحق ان الاضطرابات لم تبدأ بموت الرسول عليه السلام ، وانما بدات في اخريات حياته ، وكانت اسبابها الظاهرة ما كان من ادعاء بعض الكهان واشباههم للنبوة ، ولكن الاسباب الخفية كانت اهم من ذلك كما سيتضح .

## ارتداد العرب :

فشت ظاهرة التنبؤ في أواخر حياة الرسول كما مر ، ثم استفحلت بموته مباشرة ، والذين تنبأوا في العهد النبوي هم : مسيلمة الكذاب

وطليحة بن خويلد الاسدي والاسود العنسي ، وتبع هؤلاء فی عهد أبي بكر كل من سجاح بنت الحارث ، ومالك بن نويرة .

1 – ظهر مسيلمة الكذاب في بني حنيفة باليمامة التي عدها بعضهم (12) داخلة في منطقة نجد . واسمه مسيلمة بن حبيب ، وكان من وجوه قومه بني حنيفة ، وكان فيما قيل يطوف بالاسواق ، يتعلم قول الشعوذة وأشياء من التنجيم ثم يموه على قومه بما تعلمه فيرون له بذلك خوارق لبساطة عقولهم ، فلما كانت السنة التاسعة من الهجرة ، قدم وفد بني حنيفة ، برفقتهم مسيلمة على الرسول ( ص ) فدخلوا في الاسلام ، وكان من شدة ثقة مسيلمة بنفسه ، وجراته ان طلب من النبي ان يجعل له الامر بعده وكان في يد النبي عسيب نخل ، فرد عليه : لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه . ثم أصحب النبي وفد بني حنيفة رجل اسمه الرجال بن عنفوة لتفقيه بني حنيفة شؤون الدين ، ولكن مسليمة ما لبث ان نادى بنفسه نبيا واحدث قرآنا تافها وتابعه ابن عنفوة هذا حتى كان اخطر من مسليمة في دعايته ، وكان بنو حنيفة في عدد كبير لا يقل عن اربعين الفا (13) ، وقد تأخر قتال مسليمة في عهد أبي بكر لهذا السبب ، ولاشتغال الجيش بحروب الردة . وقد لقي المسلمون عناء شديدا من حرب مسيلمة ، وادار عمليات الزحف ضد بني حنيفة ، خالد بن الوليد بمساعدة عدد من قادة الانصار والمهاجرين ، وتكشفت المعارك عن مقتل اعداد كبيرة من الجانبين وتقدر الرواية الاسلامية قتلى بني حنيفة بما لا يقل عن عشرين الفا، وهو عدد لا يمكن تصوره باعتبار ان عدد المحاربين من المسلمين لم يكن يتجاوز بضعة آلاف والاسلحة متكافئة ، غير ان الذي لا يمكن دحضه ان الفريق الاسلامي كان يعتبر مسألة القضاء على مسليمة وانصاره قضية مصير بالنسبة للاسلام المهدد ، ولذلك احتمل الجيش الاسلامي تضحيات بشرية تقدر بعدة مآت بينها العديد من القراء الذين اسهموا في هذه المعارك ، وكان مقتلهم باعثا الى قيام أبي بكر بعملية جمع القرءان ، وتعطي الرواية الاسلامية تفاصيل وافية عن هذه المواجهة المصيرية لا غناء في تكرارها هنا ، وكان من التعاليم التي جاء بها مسليمة ان حط عن

---

(11) ابن الاثير ، الكامل : 2 ، 227 .

(12) ياقوت ، معجم البلدان ، لفظ اليمامة .

(13) الكامل : 2 ، 244 .

اتباعه الصلاة ، واحل لهم الخمر والزنا ، وتعتبر ثورة مسيلمة الانحرافية أول بادر تمهيدية لارتداد العرب ، وقد حصلت فى حياة الرسول نفسه ، وعلى كل فان اسلام بني حنيفة لم يتم عمليا الا بعد وفاة الرسول ( ص ).

ومعارك اليمامة التي لم تستمر فى الواقع سوى ما دون اليــوم ، وشملت الميدان المكشوف وجملة من الحصون التي التجأ اليها انصــار مسيلمة ، وكان مقتل مسيلمة على يد وحشي الذي سبق ان قتل حمــزة ابن عبد المطلب فى غزوة أحد ، وكان وحشي حينذاك مشركا . ووقعت احداث اليمامة هذه على الارجح فى اواخر السنة الحاديــة عشر (14) ، وتجاوز قتلى المسلمين فيها الفا ومائتين ، وكان مسيلمــة قــد هــزم المسلمين فى لقاء اولي بقيادة عكرمة بن ابي جهل قبل ان يتولى الحملة ضد بني حنيفة خالد بن الوليد .

2 ــ الاسود العنسي واسمه عيهلة بن كعب ، والعنسي ( بسكــون النون ) نسبة الى عنس من بطون مذحج ( بفتح الميم وكسر الحاء ) وهي من القبائل الكبرى باليمن وكان كاهنا يعتم بخمار رقيق ويركب حمــارا اشتهر به ، وكثيرا ما يظهر قادة ثورة او حركة مناهضة فى الاسلام بشكل مماثل اى بحمار يركبونه تميزا . وتنبأ الاسود فى السنة العاشرة ، وزعم انه يتلقى الوحي من ملكين اسمهما سحيق وشقيق ، وكان لا يغتسل كما كان لا يصلي ويتعاطى الخمر ويحلها لاتباعه .. ويبدو ان الاسود هذا تمكن فى وقت قصير من بسط نفوذه على مجموع اليمن وسائر المناطق الواقعة على المحيط الهندي من شبه جزيرة العرب ، وكل ذلك حدث فى الشهور الاخيرة من حياة الرسول ( ص ) ووجه النبي تعليماته الى حضرموت التي تزوج منها معاذ بن جبل ، حتى يتولى الولاة الموجودون بها محاربة الاسود او اغتياله ، وهكذا تولى فيروز الديلمي بن باذان ( العامل الفارسي السابق الذي أسلم على يد الرسول واحتفظ الى موته بحكم اليمن ) تدبير مؤامرة مع زوجة باذان التي أصبحت زوجا للاسود بعد موت زوجها الســابــق ، لقتل العنسي ، ونجحت المؤامرة التي ترويها المصادر فى شكل مثيــر ، وعندما ورد البشير على المدينة بنبأ تصفية الاسود العنسي كان الرسول

---

(14) انظر بشان مسيلمة : الطبري ، تاريخ : 3 ، 244 . ابن الاثير الكامل : 2 ، 243 . ابن خلدون ، تاريخ : 2 ، 876 . دحلان ، الفتوحات الاسلامية : 1 ، 13 . عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، مادة حنيفة ، ياقوت ، معجم البلدان ، مادة اليمامة .

قد التحق بجوار الله بعد ان اخبر هو نفسه ، بمقتل الاسود ، وكانت هذه أول بشرى فيما قيل يتلقاها أبو بكر الخليفة (15) . وكانت كندة ايضا من القبائل التي تابعت الاسود بسبب خطأ ارتكبه عامل الصدقة فى وسم احدى الدواب من غير مبرر .

وهكذا يكون الجزء الاكبر من شبه جزيرة العرب قد اعلن تملصه من الاسلام بشكل او بآخر منذ أواخر عهد الرسول ، وأبتداء من السنة التاسعة .

3 ـ طليحة بن خويلد الاسدي (16) نسبة الى قبيلة اسد ( بن خزيمة ) الضاربة شمال شرقي شبه جزيرة العرب . وهي من القبائل ذات البأس فى الحروب مثل حنيفة ومذحج وغيرها . وكان طليحة كاهنا فتنبأ فى أواخر أيام الرسول وادعى ان جبريل ينزل عليه بالوحي وفى رواية ذا النون . وبعد ان تمكن ضرار بن الازور عامل الرسول من اخضاع اغلبية بني أسد ، عجز عن قتل طليحة ، وأثناء ذلك توفي الرسول فاستفحل أمر طليحة واستعاد انصاره ، وشمل حزبه طيء وهوازن وغطفان فضلا عن اسد . ثم عرض على ابي بكر ان يضع الزكاة عن انصاره فرفض ، ووجه اليه خالد بن الوليد فى كتيبة فيها عدى ابن حاتم الذي سرعان ما ضمن حياد قومه ثم عودتهم الى الصف الاسلامي مومنين ومحاربين ، وبعد مواجهة أولية ضد طلائع انصار طليحة قتل حبال اخوه كما قتل من الجانب الاسلامي عكاشة بن يحصن وثابت بن اقوم الانصاري بتدبير من طليحة ، واخيرا تم اللقاء العام ببزاخة ( بضم الباء ) وهي ماء لبني اسد ، وكان بعض انصار طليحة يحثونه على الاستنجاد بجبريل ، فلما تبين ضعفه انسحب مع امراته فارا الى الشام الى ان عاد الى الاسلام بعد وفاة ابي بكر ، وبايع عمر بن الخطاب ثم اسهم فى حروب الجيش الاسلامي ضد الفرس الى ان استشهد فى معركة نهاوند سنة 18 ، وسرعان ما عادت اسد الى الاسلام بعد فرار طليحة ، ولم يسب من نسائهم وذراريهم أحد ،

---

(15) الطبري ، تاريخ : 3 ، 220 . ابن الاثير الكامل : 2 ، 227 ـ 230 . المقدسي ، البدء والتاريخ : 65 ، 154 ـ 155 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ذحج ، ابن خلدون ، تاريخ : 2 ، 860 ـ 862 . كحالة ، معجم قبائل العرب ، مادة عنس ، ومذحج .

(16) الطبري ، تاريخ : 3 ، 227 . ابن الاثير م. م. ص : 239 . المقدسي م. م. ص : 157 .

وقد كانوا لاجئين الى حصون بني اسد خلال المواجهة التي كانت حول بزاخة في السنة 11 هـ . وقد شملت منطقة تأثير طليحة ايام تنبئه جزءا كبيرا من الشمال الشرقي لجزيرة العرب .

4 ـ شجاح بنت الحارث التميمية (17) .

كانت مضارب تميم بجوار قبائل غطفان في شمال شرقي جزيرة العرب ، وقرب منطقة البحرين . وقدم وفد منهم على النبي ( ص ) في السنة التاسعة ، وبينهم الاقرع بن حابس والزبرقان ابن بدر ، وعطارد بن حاجب ، كلهم من زعماء عيشم التي تنتمي اليها سجاح ... وكان اخوالها من تغلب ، وكل من بني تميم ، وتغلب من اهم القبائل واشدها شوكة ، وكانت سجاح على دين النصرانية ، بل قيل كانت لها قدم راسخة في اللاهوت المسيحي ، تنبأت بعد وفاة الرسول واحدثت اسجاعا توهم اتباعها بأنها من الوحي ، واستغلت فرصة ارتداد من ارتد من تميم ، كما ناصرها قسم من بني تغلب ، واستعدت لغزو المدينة ، وكان مسيلمة الكذاب في هذه الاثناء قد برز كمتنبيء في بني حنيفة ، فتحالفا وتزوجا حيث تصبغ الرواية العربية على زواجهما روحا ادبية طريفة ، وكانت سجاح تهم بغزو اليمامة بعد ان صدها مستشاروها عن غزو المدينة ، فتحول غزو اليمامة الى زواج من متنبئها وبالتالي الى غزو عاطفي لمنافسها . كذلك تضيف نفس القصة ان مسيلمة اصدقها ترك صلاتي الفجر والعشاء ، وادنت هي بدورها للمراة في زوجين مقابل اربع نساء للرجل (18) . وصالحها مسيلمة على نصف غلات اليمامة .

كذلك وادعها مالك بن نويرة ، وهو عامل صدقة سابق عينه الرسول. وكان يجمع الصدقات من بني تميم ، ثم توفي الرسول فرد مالك الى تميم ما جمع منهم . وبعد انصراف سجاح بما حصلت عليه من أموال اليمامة توجهت الى الجزيرة عند اخوالها من تغلب ، ثم لا يعرف مصيرها بعد ذلك ، ويقال انها عادت الى الاسلام وتأخرت الى عهد معاوية ، وبمجرد انصرافها من اليمامة هاجمت قوات خالد بن الوليد جيوش مسيلمة ، اما

---

(17) ابن خلدون : م. م. ص : 869 . ياقوت ، معجم البلدان ، مادة بزاخة ، دحلان م. م. ص : 8 . كحالة م. م. مادة اسد .

(18) المقدسي : م. م. ص : 165 .

مالك بن نويرة الذي ندم على تصرفه فقد أعلن توبته ، ولكن خالد بن الوليد عجل بقتله حيث تضطرب الروايات بشأن سبب اعدامه ، فقيل ان خالدا طمع فى زوجته التي كانت فائقة الجمال ، كما قيل أن خالدا لاحظه يحدث باستمرار عن الرسول بقوله : صاحبكم ولا يسميه او يعطيه صفة الرسول، وقيل ايضا ان سوء تأويل فى بعض تعليمات خالد بسبب اختلاف فى اللهجة ادى الى اعدام مالك بن نويرة ، وقد أدى هذا التصرف الى استياء عمر بن الخطاب الذي الح على أبي بكر فى الاقتصاص من خالد ثم فى عزله . فأجابه بحزم : ما كنت لاشيم سيفا سله الله على الكافرين ، فارفع لسانك عن خالد ، وقد اعتذر خالد عن تصرفه ازاء مالك ، وقبل الخليفة عذره ، وتزوج خالد زوجة مالك ، وهذا الذي اثار شك بعض المؤرخين فى تعجيل قتل مالك (19) .

والحق ان ظهور حركة ادعياء التنبؤ زعزع من كيان المجتمع الاسلامي منذ ان ظهر أول هؤلاء الادعياء وهو مسيلمة الكذاب فى السنة التاسعة ، وقد شغل الرسول بمواجهة الجهات الخاضعة للحكم البيزنطي فى تخوم شبه الجزيرة كما شغل فى نفس الوقت باحداث اليمن واستقبال الوفود الداخلة فى الاسلام ، ونلاحظ ان ثلاثة من المتنبئين ظهر فى المناطق قريبة من المدينة شمالا وشرقا . ولهذه المناطق تعامل اقتصادي واجتماعي مع الفرس والروم ولا سيما مع العرب الخاضعين لسلطتهم المباشرة . وهكذا فهوازن واسد وغطفان مثلا ، كانت تعادي النبي ( ص ) ولم تدخل فى الاسلام الا بعد فتح مكة ، وكنا نجدها باستمرار فى صف قريش قبل اسلامها ، وسجاح تنتصر بتغلب ، وهم نصارى ، ولا شك ان بقاء قريش على الاسلام بعد وفاة الرسول جعل من هؤلاء المتنبئين بديلا لقيادة الصراع ضد الاسلام ، **اما ثورة مذحج التي قادها الاسود العنسي فهي اقرب الى بعث جديد للملكية الحميرية منها الى مجرد حركة عقائدية، واليمن عز عليها ان تطاطيء راسها لقريش ، وهو ما لاحظناه فى موقف الانصار ايضا بعد وفاة الرسول وهم يمنيو الاصل** . واخيرا هناك سبب بالغ الاهمية للانتصار العابر لحركة المتنبئين فحسب ، بل ولاندلاع الردة بصفة عامة والتي رافقت فى الغالب حركة التنبؤ بصفة مباشرة ، وهذا **السبب هو استثقال قبائل البدو على الخصوص للصلاة ، وجل القبائل**

---

(19) المقدسي : 159 – 160 .

**للزكاة ايضا ، ومن الواضح ان زعماء القبائل وملاك الدواب الوفيرة هم الذين تضايقوا قبل غيرهم من فريضة الزكاة على ضآلة مبالغها** ، فدفعوا بالجماهير الفقيرة الى تلبية نداء المتنبئين والمتمردين وهما منهم انهم يحفظون بذلك مصالحهم .

ومهما يكن من شيء ، فان وفاة الرسول عليه السلام عقبها ارتداد يكاد يشمل جميع العرب حتى لم يبق من المراكز التي احتفظت باسلامها جملة سوى مكة ومنطقة ثقيف .

**ويبدو ان اخراج الانصار من الخلافة شجع معظمهم على الارتداد ايضا ، او الوقوف موقف التربص ، بالرغم من مبايعتهم ابا بكر** ، اما قريش فتتفق الروايات على ان الفضل فى ثباتها على الاسلام يرجع الى سهيل بن عمرو العامري الذي خطب فى قريش خطبة شبيهة بخطبة ابي بكر فى المدينة ، ومما قال فيها : يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم واول من ارتد ، وتلا آيات من القرءان ، وذكرهم بحديث نبوي يقول : « قولوا معي لا الاه الا الله تدن لكم العرب - وتؤدى اليكم العجم الجزية . والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر فى سبيل الله فمن بين مستهزىء ومصدق ، فكان ما رايتم فو الله ليكونن الباقي » .

وفى ثقيف القى عمرو بن العاص خطبة مماثلة ، نكان لها ما كان لخطاب سهيل من وقع ايجابي ، وقد تنبأ الرسول عليه السلام بموقف سهيل هذا فى مكة .

اما ظروف حرب الردة ، **فمنشؤها امتناع القسم الاكبر من العرب من اداء الزكاة وقد قبلوا الصلاة** ، فقرر ابو بكر قتاله المرتدين ، وكان رده على من قال له : كيف تقاتل الناس وهم شهدوا ان لا الاه الا الله وان محمدا رسول الله ، هو قوله : لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ( ص ) لقاتلتهم عليه ، وجادله فى المسألة عمر وابو عبيدة وآخرون ، وقال له عمر : تألف الناس وارفق بهم ، فانهم بمنزلة الوحش ، فأجابه ابو بكر : رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك . اجبار فى الجاهلية وخوار فى الاسلام ؟ قد انقطع الوحي وتم الدين ، اينقص وانا حي ؟ والله لاجاهدنهم مهما استمسك السيف فى يدي وان منعوني عقالا .

ويبدو ان ابابكر اعتبر قضية الزكاة مصيرية ، وان امتناع العرب عن آدائها والتسامح ازاءهم بشأنها سيفتح بابا للاستخفاف بالمسؤولية القاعدية ومسؤولية الدولة ، كما سيضعف من كيان المجتمع الذي بني على التضامن والعدل الاجتماعي ؛ وبالتالي سيحطم منذ البداية ركنا اساسيا من الاسلام قد يؤدي الى هدم سائر الاركان ، على ان جيوبا اسلامية ضعيفة العدد بقيت قائمة او مترددة وسط عدد من القبائل المرتدة . ولذلك قرر ابو بكر ان يستعين بهذه الجيوب على ضرب المناطق المرتدة، وانتظر ابو بكر رجوع اسامة بن زيد من غاراته بالبلقاء فخلفه على المدينة ليستريح بجيشه ويكون ردءا لهـا .

وكانت مجموعات من عبس وذبيان قد نزلت بالابرق شمال المدينة (20) ، ومجموعات أخرى من القبيلتين وهما تجاوران المدينة شمالا وشرقا قد نزلت مع طائفة من أسد وكنانة بذي القصة الواقعة فى طريق الابرق ( ابرق الربدة ) على نحو 40 كلم من المدينة (21) . وبعد استراحة جيش اسامة خرج ابو بكر باتجاه ذي القصة حيث كانت هذه الجموع تهم بالزحف على المدينة للقضاء على الصحابة والاسلام . وما كاد ابو بكر يغادر المدينة حتى كرت فئات من هؤلاء المرتدين على المدينة لمهاجمتها ، وكان ابو بكر قد اتخذ الاحتياطات لمواجتها ، ثم هاجم الجموع المذكورة فى ذي القصة بعد انقاذ المدينة ، واحرز المسلمون هناك انتصارا كان له وقع معنوي بالغ فى الظروف الصعبة التي يجتازونها ، وفى ذي القصة بالذات ، تولى ابو بكر مهمة توزيع الجيوش والقيادات التي ستنشب فى شبه الجزيرة لمحاربة المرتدين فى وقت واحد حتى لا تترك لهم فرصة التضامن وتفاجئهم فى وقت أمنوا جانب الزحف الاسلامي، وهكذا عقد احد عشر لواءا لاحدى عشرة فرقة .

1 ـ خالد بن الوليد لمواجهة طليحة المتنبىء فى أسد ، ومالك بن نويرة فى تميم .

2 ـ عكرمة بن ابي جهل لمواجهة بني حنيفة ومتنبئهم مسيلمة .

---

(20) ابرق الربدة ( بفتح الرائين ) مكان تابع لارض ذبيان وقد حوله أبو بكر مربضا للخيل ( ياقوت ، مادة ابرق الربدة ) .

(21) انظر : مادة قصة معجم ياقوت .

3 ـ شرحبيل بن حسنة لمساعدة عكرمة ثم للتصدي لقضاعة فى الشمال الغربي .

4 ـ المهاجر بن بي إمية لمواجهة الاسود العنسي باليمن ومساعدة بعض العمال هناك على ان يتوجه بعد ذلك الى كند حضرموت .

5 ـ خالد بن سعيد بن العاص الى مشارق الشام .

6 ـ عمر بن العاص الى قضاعة مع الاستعانة بشرحبيل .

7 ـ حذيفة بن محصن ( لدبا ) بفتح الدال ، وهي سوق بعمان ( بضم العين ) ، ويظهر ان عكرمة قد كلف بمهمة مماثلة فى نفس المنطقة ، وسيعينه ابو بكر واليا عليها .

8 ـ عرفجة بن هرشمة الى مهرة ، وهي بين حضرموت وعمان .

9 ـ معن بن حاجز ( او طريفة بن حاجز ) الى سليم وهوزان وهم يجاورون المدينة شرقا وجنوبا .

10 ـ سويد بن مقرن الى تهامة اليمن .

11 ـ العلاء بن الحضرمي الى البحرين .

وبتتبع هذه السلسلة من التعيينات والمناطق يتضح انه تم عمليا تطويق جزيرة العرب بالجيش من جميع أطرافها . ومع قلة اعداد الجند فان الجيوش الاسلامية الباقية مساندتها فى عين المكان . **ويكفي ان تتسامع القبائل بانتصارات أولية للمسلمين لتحدث الصدمة النفسية مفعولها في الاخرين الذين ليست لهم عقيدة تجابه عقيدة الاسلام ، ولا قوة منظمة كتنظيمه .**

وزود ابو بكر كل القواد المذكورين بعهد من نص واحد يتضمن حدود مهمتهم وما على الاطراف المعادية من التزامات (22) ، كما بعث

(22) ابن خلدون تاريخ : 1 ، 876 .

بكتاب الى جماهير العرب مسلمين وغيرهم ، يذكرهم مهمة القواد المذكورين (23) .

وقد وفق خالد فى اخضاع بني اسد واهل اليمامة حيث كان عكرمة هو الذي كلف ببني حنيفة ، واخضع المرتدين من تميم وقتل مالك بن نويرة ، بينما كلف عكرمة بالالتحاق بحذيفة وهرتمة فى عمان ومهرة على ان يتولى التنسيق بينهما (24) . وكان القضاء على حركة الاسود من عمل فيروز الديلمي عامل صنعاء . اما المهاجر فتولى قتال المرتدين بين نجران واقصى اليمن ، ثم توجه الى حضرموت لقتال كندة التي توجه اليها عكرمة ايضا ، وبتعاون الجيشين اللذين يقودهما المهاجر وعكرمة تمت هزيمة كندة ورجوعها الى الاسلام (25) .

وادى العلاء الحضرمي مهمته فى ارجاع البحرين الى الاسلام بعد جهود مضنية ، بينما تولى خالد ابن الوليد تعقب الثوار من هوازن ، وغطفان وسليم وطيىء واسد الى أن قضى على مقاومتهم (26) ، وكذلك قام سائر القواد بما عهد اليهم من مهمة محاربة للمرتدين واستخلاص الزكاة حتى تم اخضاع سائر شبه الجزيرة ، مع نهاية السنة الحادية عشرة(27) اي بعد صراع استمر حوالي عشرة أشهر،وبذلك تكون سياسة ابي بكر القائمة على الضرب السريع واستغلال الجيوب الموالية وتحقيق التكاثف بين الجيوش فى منتهى الفعالية والحكمة خصوصا وان هناك اجهزة ادارية وسياسية كانت قائمة فى الاقاليم من ايام الرسول عليه السلام ، ولو استمع ابو بكر الى راى مستشاريه فى التريث والتربص لاتاح للاعداء فرصة الانقضاض الساحق على ما بقي من معاقل الاسلام .

## مواجهة الفرس وحلفائهم بالعراق ، ومواجهة البزنطيين الشام

لم تكن الحالة فى الامبراطورية الفارسية بأحسن منها فى بلاد العرب وان كانت مشكلات المجمعين مختلفة ، ذلك ان الساسانيين بعد ان ردهم

---

(23) ن. م. ص : 868 .
(24) ن. م. ص : 886 .
(25) الكامل : 2 ، 259 .
(26) ن. م. ص : 252 .
(27) ابن خلدون : 2 ص : 872 .

هرقل على اعقابهم من مصر ، ووقف على ابواب عاصمتهم المدائن حيث تم قتل كسرى الثاني بيد ابنه قباد بعد سنوات قليلة من الهجرة الى المدينة (28) . بدأوا يشهدون أحداثا دامية داخل الدولة .والعرش الى حين بدأ الزحف الاسلامي على أطراف الامبراطورية . **وكمظهر للانهيار السياسي الذي وصل اليه الساسانيون قبل التدخل الاسلامي ، يكفي ان يشار هنا الى ان عشرة ملوك تعاقبوا على الحكم فى ظرف 23 عاما تقريبا منذ البعثة النبوية ، وقد قتلوا كلهم ما عدا واحدا لقي مصرعه في طاعون جارف** (29) . وشارك فى تردي الاوضاع وحبك المؤامرات **رجال الدين والنبلاء وكبار موظفي البلاط وبعض افراد الاسرة الساسانية ، وفي** الوقت الذي تولى فيه يزدجرد الثالث آخر الساسانيين ( 632 ـ 651 م) فى أواخر أيام الرسول ( ص ) كانت الاوضاع كلها تنذر بنهاية الحكم الساساني ، وكل ذلك الى جانب التمزق الاجتماعي الناشيء عن وجود مؤثرات ونزعات دينية او مذهبية،بينها ما يحبذ الانحلال كالمذهب المزدكي. وهناك النصرانية والمجوسية والزرداشتية وغيرها مما لا يسمح بتناسق عقائدي ، وحقا ان الاوضاع الداخلية كانت تسير لصالح العرب . ولكنهم سيلاقون على اية حال مقاومة طويلة الامد تناهز عشرين سنة بمقتل يزدجر ودخول بقايا الامبراطورية الفارسية فى الحكم الاسلامي ، لكن الحضارة والمؤثرات الساسانية ، ستقدم للشعب العربي اجمل هدية يقدمها شعب مغلوب الى شعب غالب .

وستستفيد شعوب الامبراطورية الساسانية السابقة بدورها من مؤثرات الاسلام وعبقريته الحضارية .

ويظهر ان تفكير العرب فى فتح العراق كمنطلق لفتح باقي الامبراطورية الفارسية يرجع اضافة الى الظروف الداخلية لهذه الامبراطورية ، الى ما يلي :

1 ) وجود اغلبية من العنصر العربي بالمنطقة بدات تستثقل الحكم الساساني حتى ان عرب العراق كانوا يعانون من قهر القائد هرمز ويكرهونه (30) .

---

(28) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية : 1 ، 107 .
(29) ابن خلدون م. م. ص : 367 ـ 370 .
(30) ابن خلدون ، تاريخ : 2 ، 888 .

2 ) تمكين الخزينة الاسلامية من سوار جديدة بالاضافة الى استغلال الحماس الديني الذي استعاده الصف الاسلامي على اثر انتصارات للمسلمين فى حروب الردة . وبالتالي فان تعزيز الجيش الاسلامي بالمزيد من العناصر التي رجعت الى الاسلام ثم قيامه بعمليات الجهاد فى العراق سيمكنه من غنائم تزيد من تحمسه لتحرير العراق وغزو سائر الامبراطورية الفارسية ، وبالتالي فان فى كل هذا كسبا للاسلام ماديا ومعنويا .

3 ) وجود قوات محاربة باليمامة بقيادة عسكري ذى كفاءة عليا هو خالد بن الوليد الذي وفق ايما توفيق فى ردع حركة الردة ، وكان قريبا من مشارف العراق .

وهكذا فان طلائع الجيش الاسلامي تحركت مباشرة من اليمامة ، وقيل ان خالد بن الوليد انتقل الى المدينة ، ومن هناك كلف بنقل الحرب الى العراق ، وكان ذلك فى اول شهر من السنة 12 للهجرة (31) . على ان هذه الحملة سبقت بغارات تولاها المثنى بن حارثة الشيباني برغبة منه وباذن من الخليفة ، ثم أمره ابو بكر ان ينضم بأنصاره الى خالد بن الوليد وكتب الى زعماء آخرين من التخوم الشمالية بنفس الفرض فتكاملت اعدادهم ثمانية آلاف فارس ، ومع خالد عشرة آلاف ، وكان المثنى فى مقدمة الجيش ، واحتفظ خالد بالقوة الاحتياطية ، ثم اتجهوا عبر منطقة الكويت الحالية باتجاه الابلة قرب البصرة ، غير أن الروايات تختلف بعد ذلك حول المراكز التي مر بها (33) . وواجهته بالمقاومة او بطلب الصلح، وعلى كل ، فقد كانت وجهته هي الحيرة التي كانت عاصمة اللخميين التابعين للفرس .

وتواعد خالد مع المثني ومع عدى بن حاتم الذي كان يقود كتيبة اخرى على اللقاء فى الحفير . واثناء ذلك سقطت بضعة مراكز فى ايدي المسلمين ، بانقيا وهي على ضفة الفرات وباروسيما واليس ( بضم ثم بفتح اللام المشدد ) وعلى الفرات التي قال عنها ياقوت انها فى اول أرض

---

(31) ابن الاثير الكامل : 2 ، 261 . الطبري : 4 ، 2 3 .
(32) بلاذري ، فتوح البلدان ، ص : 337 . ابن الاثير : 2 ، 261 . ابن خلدون ص : 2 ، 887 .

العراق من ناحية البادية (33) . والابلة ( بضم الهمزة والباء وفتح اللام مشددا ) وهي من المراكز الغنية اقتصاديا قرب البصرة ، وقد تم فتح هذه المراكز بيد قواد تابعين لخالد ، وكان الفتح صلحا على مبالغ معينة (34) . وكان الامبراطور اردشير يتلقى انباء الزحف العربي ، والحفير يومئذ مركز عسكري بالغ الاهمية يراقب تحركات العرب جنوبي العراق ، ولذلك قرر مواجهة الجيش الاسلامي بجيش قوي بقيادة هرمز الذي كان يتولى فى نفس الوقت قيادة الاسطول الفارسي فى الخليج ، والقوات البرية على الحدود الجنوبية ، وقد اقترن الجند الفارسي بالسلاسل تجنبا للفرار . ووقعت مبارزة بين خالد وهرمز أدت الى مقتل هذا الاخير واستيلاء خالد على سلبه ، وسميت الواقعة بذات السلاسل ، ولذلك تكون الخسائر البشرية فى صفوف الفرس الذين تعقبت فرق من المسلمين ، فلولهم ، وحصل هؤلاء على غنائم هامة حيث ارسلت أخماسها الى الخليفة . وكانت المواجهة حتى الآن مقصورة على الجيش لان المسلمين وجهت اليهم تعليمات خلافية بعدم التعرض للفلاحين (35) . الذين اذعنوا للجزية حفاظا على أراضيهم .

وتتابعت الفتوح والمعارك بعد ذات السلاسل :

1 ) وقعة الثني ( بشد الياء ) وهو كل نهر عند العرب ، وسببها تجمع امدادات الفرس وجموع من عرب تغلب وبني بجير بمكان شرقي الرصافة يدعى بالثني (36) . وهاجمهم الجيش الاسلامي بقيادة خالد ، فقتل منهم اعدادا عظيمة قيل بلغت ثلاثين الفا وسبي أسرهم وكان بينهم ابو الحسن البصري الذي سيصبح له شأن كبير فى عالم الفكر .

2 ) وقعة الولجة ( بفتح اللام ) وهي مركز بضواحي الحيرة تجمعت فيه امدادات من الفرس وجموع من العرب وبعد قتال عنيف بالمكان بدات جموع الفرس تنسحب ، فوجدت كمينا نصب فى كل من الجهتين اللتين يمكن الانسحاب منهما .

---

(33) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة اليس .
(34) انظر : البلاذري : م. م. وقيل ان الابلة لم تفتح فى هذه المعارك بل تاخر فتحها الى عهد عمر .
(35) ابن الاثير : 2 ، 265 . الطبري : 4 ، 7 .
(36) ياقوت ، مادة الثني .

وافلت القائد زغار الفارسي ولكنه مات عطشا فى البادية ، كذلك كذلك سبيت ذراري المقاتلة ، وصولح الفلاحون على الجزية بعد ما تكبده من خسائر .

3 ) وقعة أليس على الفرات وقد سبقت الاشارة الى افتتاح اليس صلحا وسببها ان نصارى العرب من بكر ، والذين وقع القتل فيهم خلال وقعة الولجة استنجدوا بالفرس للاخذ بالثأر ، ووضعوا أنفسهم رهن اشارة القائد الفارسي جاذويه جابان فى انتظار امدادات من اردشير الذي كان مريضا فلم يمدهم بشيء ، فهاجمهم خالد حول نهر الفرات وكانوا يستعدون لتناول طعامهم فأصاب منهم حتى بلغت قتلاهم آلافا ترفعها الرواية الاسلامية الى سبعين الفا (37) . وجرت دماؤهم غزيرة فسمي المكان بنهر الدم ، وغنم المسلمون غنائم عظيمة ثم وجه خالد بخبر الفتح والاخماس الى ابي بكر الذي قال عندئذ : عجزت النساء ان يلدن مثل خالد .

4 ) فتح الحيرة .

بعد ان اتم خالد تصفية المقاومة بأليس ، خرب هذا المركز واستولى على أموال سكانه ، ووضعها مع الجند فى سفن باتجاه الحيرة مرورا بامعيشيا التي حصلوا فيها على أموال عظيمة . وقام مرزبان بقطع الماء عن السفن حتى وقفت على الارض الجافة ، بينما حشد الفرس جيشهم عند الغربيين وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة (38) لهما قصة أدبية معروفة ، استخدم خالد الخيل لمواجهة المقاومة ، وبدأ افتتاح ضواحي الحيرة حصنا حصنا دارا دارا الى ان ادى حكامها العرب بقيادة اياس ابن قبيصة ، وحماتهم الفرس لطلب الصلح الذي تم فى ربيع الاول من السنة الثانية عشرة . وقد أعيد افتتاح الحيرة مرتين أخريين بعد وفاة ابي بكر. اما مبلغ الجزية فقدر بمائة او مائتين وتسعين الف دينار (40) . وتوارد الدهاقين وهم كبار الملاكين من ضواحي الحيرة وما وراءها شمالا يطلبون

---

(37) الكامل : 2 ، 265 . ابن خلدون : 2 ، 890 .
(38) انظر : تعليق الكامل ، ص : 265 .
(39) ن. م. ص : 267 . انظر بشان فتح الحيرة الطبري ، تاريخ : 4 ، 15 ـ 17 .
(40) م. م. ابن خلدون : 2 ، 892 ، وانظر دحلان ، الفتوح الاسلامية : 1 ، 22 .

الدخول في طاعة الجيش الفاتح . فازدادت ثروات الخزينة الاسلامية اضعافا مضاعفة ، وكتب خالد الى بلاط الفرس وامرائهم يدعوهم الى الاسلام او الجزية او الى تحمل مسؤوليات الحرب ، وكان البلاط الفارسي يعيش ازمة خطيرة بموت اردشير وعدم وجود مرشح من أسرته.

5 ) فتح الانبار ، وهي مدينة على شاطئ الفرات غربي بغداد (41). وقد كان هذا المركز مخزنا للحبوب والتبن ، وحاصرته مقدمة الجيش التي كان على راسها الاقرع بن حابس ، ثم رشق المسلمون القوات المحاصرة حتى نقأوا الف عين كما قالوا . وتمكنوا من اجتياز الخندق الذي ملأوه بابل نحروها لهذا الغرض ، وبذلك تم لهم الاستيلاء على الانبار التي عين لادارتها الزبرقان بن بدر .

5 ) فتح عين التمر ، وهي قرية من الانبار غربي الكوفة (42) . وتتوفر على تمر كثير يصدر الى خارج العراق ، وفيها تجمع الفرس بقيادة مهران بن بهرام والعرب النصارى بقيادة عقة بن ابي عقة وبينهم تغلب واياد والنمر (43) ، وقد انهزمت هذه الجموع من غير قتل بعد ان أسر خالد زعيمها عقة ثم قتله ، كما قتل كل الذين تحصنوا في حصن عين التمر . وسبي غلمانها وجدهم في الكنيسة يتعلمون الانجيل ، ومنهم سيرين ابو محمد سرين العالم المعروف .

6 ) وقعة دومة الجندل وهي مركز قوي في تخوم الشام تجاه المدينة وتقطنها تنوخ وغسان وغيرها ، وكانت قد صالحت المسلمين في عهد الرسول ثم نقض اكيدر الصلح وهم بقتال القائد المراقب للمنطقة عياض بن غنم ، فاستنجد بخالد الذي قتل اكيدر ثم افتتح الحصن وسبى ذريته (44) . وافتتاح دومة الجندل ذكر هنا كمجرد عملية تولاها خالد اثناء فتح العراق ، والا فهو تابع للشام .

وبينما كان خالد بن الوليد يستقر بدومة الجندل حاول الفرس

---

(41) ياقوت ، مادة انبار ، وتوجد الانبار أيضا بايران ، اما انبار العراق المقصودة هنا فقد اتخذها العباسيون عاصمة قبل بناء بغداد ، وقد بقيت بعض اثارها .
(42) ن. م. مادة عين التمر .
(43) ابن خلدون : 2 ، 894 . ابن الاثير : 2 ، 26 . دحلان : 1 ، 21 – 22 .
(44) الكامل : 2 ، 270 . ابن خلدون : 2 ، 895 . ياقوت ، مادة دومة الجندل .

بالتعاون مع العرب الموالين لهم ان يهاجموا الحيره ، ولكن الحامية المحلية ردتهم على أعقابهم ، بينما حضر خالد للقائهم بالحصيد ، فهزمهم شر هزيمة بمساعدة قواد آخرين كالقعقاع بن عمرو وغيره . وتابع خالد تعقب نصارى العرب وجيوش الفرس حتى الرصافة التي كانت تسمى الرضاب آنئذ (45) . ومنها اتجه الى الفراض ( بكسر الفاء ) ، وهي فيما بين البصرة واليمامة من ديار بكر (46) . حيث تخوم الشام والعراق والجزيرة شرقي الفرات ، فاحتشدت جيوش الفرس والروم والعرب والنصارى متضامنة ، فهزمهم الجيش الاسلامي هزيمة منكرة . وفي أواخر ذي القعدة من السنة الثانية عشرة توجه خالد خفية من ممالك غير مطروقة الى مكة لاداء شعائر الحج ، ولم يخبر بذلك ابا بكر حتى قضى حجه ، فعاقبه شبه عقاب بنقله الى الشام ، وقبل نقله هذا قام خالد بغارات متعددة على السواد حتى يعمل على ضرب المراكز الاقتصادية التي يتحالف فيها الفرس ونصارى العرب .

## مواجهة البزنطيين وحلفائهم بالشام

حقق الامبراطور البزنطي هرقل ( 610 ــ 641 م ) انتصارات ساحقة على الفرس في مصر وحتى داخل الامبراطورية الفارسية ، غير انه فوجيء بأحداث الزحف العربي على الشام في أواخر خلافة ابي بكر ، ويعزو « أوستروكورسكي » (47) انهيار الحكم البزنطي بالشام والمقاطعات الشرقية من الامبراطورية ، الى اهمال القيام بتجهيزات دفاعية ملائمة ، والى تضعضع الادارة نتيجة ضغط كبار الملاكين الذين سهلوا دخول الغزاة العرب على الاخص الى مصر ، بينما يعزو ( دولاندولان ) هذا الانهيار الى حتمية القدر لدى هؤلاء الفاتحين ، والتي تمكنهم من تحدي الاخطار ، لان كل حادث يحدث انما هو بارادة الله (48) . والحق ان لكل من هذه اثره في تسهيل افتتاح العرب للشام ، ولكنها مجتمعة غير كافية، لان هناك التنظيم المتقن الذي وفق اليه العرب ، والتحرك

---

(45) ابن خلدون 2 ، 894 . ابن الاثير 2 ، 269 . دحلان 1 ، 21 ــ 22 .
(46) الكامل 2 ، 270 . ابن خلدون 2 ، 895 . ياقوت مادة دومة الجندل .
(47) G. Ostrogorsky, Histoirre de l'état byzantin, P 140
(48) de l'Andelyn, Histoire aniverselle, P 220

السريع للجيوش العربية ، والضرب فى واجهات متقاربة فى وقت واحد والروح الدينية التي تحمس هذه الجيوش للجهاد ، وانتماء المحاربين العرب الى مجتمع البدو فى اغلبيتهم الساحقة ، وهم قوم محاربون بطبعهم، واستخدام القواد عناصر من الفريق المغلوب للتعاون معه على كشف اخبار العدو وتحركاته ، واخيرا : فهناك ميل من اغلب عرب الشام الى استقبال الغزاة من اخوانهم بقلب مفتوح ، او الى عدم الاستماتة فى قتالهم باصرار ، ذلك ان اليعاقبة وهم نصارى الشام يختلفون عن البزنطيين الكاتوليك فى كونهم يقولون بالطبيعة الواحدة ، وهذا ادى الى اضطهادهم باستمرار من لدن الكنيسة الرومانية والحكام البزنطيين .

**واخيرا ، هناك موقف العناصر اليهودية التي تعاد( الحاكم الروماني بطبيعتها والتي تعيش تحت قهره ، فرات فى قدوم الفاتحين العرب مخلصا لها من كربتها مثلما حدث فى اكثر من جهة فتحها جيش اسلامي او حكمها مسلمون .**

والواقع ان عرب شبه الجزيرة ، سواء ادخلوا العراق او الشام ، فهم يدخلون ديارهم ، حتى وان وجدوا مقاومة يتولاها اخوانهم ضدهم لان هذه المقاومة حدثت من قبل داخل شبه الجزيرة ، بل حدثت ضد شخص محمد الرسول عليه السلام فى عقر داره ، ولذلك لا عجب ان تنهار المقاومة فى الشام بسرعة مثلما انهارت فى العراق بسرعة ، وهذا برغم ما كلفت العرب من جهود .

وقد عرفنا ان التحرك العربي الى الشام بدا من عهد الرسول لانها اقرب الى المدينة وحماية تخومها دون حماية تخوم العراق التي كان الفرس يراقبونها برا وبحرا ، غير ان وفاة الرسول ( ص ) اوقفت عمليات التدخل الاسلامي بالشام مثلما أوقف هذا التدخل عمليات فتح الشطر الجنوبي من العراق ، حتى اذا حلت السنة الثالثة عشرة للهجرة بعد مضي زمن على تصفية امر الردة والتقدم داخل الجبهة العراقية استعد الجيش الاسلامي للزحف على الشام ، وكان ابو بكر قد تهيأ لحرب الشام منذ بدأ الزحف على العراق ، فاستقر سكان الطائف ومكة واليمن ونجد والحجاز عامة للجهاد (49) . وعين على الجيش خالد بن سعيد بن العاص ، ولكن

---

(49) انظر : خطاب أبي بكر الى الشعب العربي فى الفتوحات الاسلامية : 1 ، 36 .

هذا الجيش لم يقم بمهمته فى الوقت المذكور لاسباب قيل انها تتعلق بموقف خالد هذا من بيعة ابي بكر (50) ، وفى صفر من سنة 13 أعيد تنظيم الجيش وقيادته ، حيث وزعها بين ثلاثة قادة ، أحدهم خالد بن سعيد ، ثم شرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن الناصر (51). وعسكر الجيش بالجرف على اميال من المدينة ، ثم تحركت الفرق تباعا وتلاحقت بها أخرى بقيادة امراء آخرين منهم يزيد بن سفيان ، كما كلف ابو عبيدة بن الجراح فى البداية بالقيادة العامة ، ولكنه اعتذر عن تحملها مكتفيا بمهمة الارشاد الديني للجيش (52) . ثم اسندت القيادة العامة الى يزيد بن سفيان فى النهاية (53) بعد ان تولاها لفترة محدودة خالد بن سعيد (54) ، على ان اباعبيدة سيساهم فى العمل العسكري المباشر بالشام فى هذه المرحلة .

ويظهر ان الاصطدام بالروم حدث فى جهات متفرقة فى وقت متقارب ، لان الجيش الاسلامي توزع فرقا مع معرفته للميدان . ومن المواجهات الاولى تصدى خالد بن سعيد لجموع العرب الموالين للروم كتنوخ ولخم وغسان وكلب والضاربين فى تخوم الشام . فانهزموا امامه من غير قتال ، فاحتل مواقعهم . كما وقعت مواجهة بين جيش يزيد والروم باحدى قرى غزة ثم بالعربة من ارض فلسطين حيث احرز الجيش الاسلامي انتصارات أولية . واخيرا غامر خالد بن سعيد بالتوغل اتجاه دمشق فطوقته معسكرات الروم وسدت الطريق دونه ، ولولا عكرمة بن ابي جهل وجيشه الذي حمى ظهر خالد بن سعيد لوقع فى قبضة الروم الذين قتلوا ابنا له ، وهكذا لم بدا من اللحاق بالمدينة مستأذنا الخليفة .

اما هرقل فلم يبق مكتوف الايدي بل قوى اجهزته الدفاعية فى كل من دمشق وحمص وغيرهما ، ونزل هو نفسه بحمص ، مشيرا على كبار المسؤولين فى بلاطه ان يقبلوا الصلح مع العرب حتى لا يتورطوا فى حرب خاسرة ، اذ لا شك وصلتهم انباء انتصارات العرب فى العراق ، غير أن المسؤولين رفضوا النصيحة فلم يسعه الا مسايرتهم ، واثناء هذه الاحداث

---

(50) الكامل : 275 . ابن خلدون : 2 ، 897 .
(51) بلاذري ، فتوح ، ص : 149 .
(52) دحلان ، فتوح : 1 ، 36 . بلاذري ، فتوح ، ص : 149 .
(53) بلاذري ، ص 150 .
(54) الكامل : 2 ، 276 .

تقوت حشود العرب بامدادات اضافية ، وعندئذ اسندت مسؤولية التنسيق الى ابي عبيدة بن الجراح الذي كان موضع ثقة ابي بكر ، على غرار خالد في العراق وفي الوقت الذي تجاوزت فيه قوات العرب عشرين الفا ، حشد هرقل جيوشا تضمنه تقدرها الرواية العربية بما لا يقل عن مائتي الف (55) ، تفرق الجيش العربي اربع فرق ، احداها بقيادة ابي عبيدة في الجابية جنوب دمشق ، والثانية بقيادة يزيد في البلقاء ، والثالثة بقيادة شرحبيل في الاردن ، وقيل في بصرى من سوريا ، والرابعة في العربة شرق فلسطين . اما الروم فحاول هرقل توزيعهم حسب المعسكرات العربية (56) ، فواجهت هذه المعسكرات قوات ضخمة لا يمكن ان تصمد لها طويلا ، فأشار عمرو بن العاص عليهم بتجميع قواتهم، ثم كاتبوا ابا بكر يصفون وضعية الجيش العربي ويطلبون المدد فأمدهم أبو بكر بقوات اضافية ، وعين عليهم خالد بن الوليد الذي وجهه من العراق ، وكتب اليه ابو بكر خطابا بهذا الشأن ، وامره بحشد مجموع القوات الموجودة في الجبهة الثانية باليرموك (57) . غير ان خالدا لم ير من اللائق ان يضع نفسه فوق مستوى ابي عبيدة الذي كان يحظى باحترام كبير في المجتمع الاسلامي . فكتب اليه من الشام يضع نفسه تحت امرته وينوه بفضله . بينما كتب ابو بكر الى ابي عبيدة يطلب اليه احترام تعليمات خالد لما له من تجربة عسكرية (58) . وهكذا توجه خالد من العراق يقود جيشا يقدر بستة الاف الى عشرة الاف . وبلغ مجموع الجيش الاسلامي في اعلى التقديرات 46 الفا ، وجيش الروم 240 الفا (59) . وتخلف بالعراق من الجيش الاسلامي ما رافق خالدا الى الشام ، وعلى جيش الشام المثنى بن حارثة خلفا لخالد . ووجد خالد كل قائد يواجه المعارك لحسابه دون تساند ولا تنسيق ، فلما احتشدت الفرق باليرموك والتحق بها خالد ، وجه خطابا حماسيا يدعو فيه الى

---

(55) الكامل : 2 ، 278 . وعند ابن خلدون : 240 الفا . والمقدسي 5 ، 184 : 400 الف . والطبري : 4 ، 31 ، 150 .

(56) ن. م. و. ص :

(57) ن. م. و ص .دحلان ، فتوحات : 1 ، 39 .

(58) فتوحات دحلان : 1 ، 39 .

(59) ابن خلدون : 2 ، 900 - 901 . ابن الاثير الكامل : 2 ، 279 و 281 . بلاذري فتوح : 184 .

التآزر والتساند (60) . ثم اشار على القواد ان يتولى كل منهم القيادة العامة يوما وان يتولاها هو لليوم الاول . وبذلك هدهد من نفوسهم حمية الرياسة وشرف التفوق ، وغض النظر عن تطبيق تعليمات الخليفة بشكل صارم حفظا لوحدة التحرك والمواجهة .

وقام خالد باعادة تعبئة الجيش حول ضفة اليرموك وهو نهر من روافد الأردن فى اتجاه دمشق شمالا وبصرى شرقا . فوزع الجند كراديس اى فرقا تناهز كل منها 1200 محارب ، وبلغ مجموع الكراديس حوالي الاربعين ثم خص كل قائد من القواد الاربعة بقيادة جناح من الجيش ، وفى القلب ابو عبيدة (61) . كما تولى القسس والرهبان تحميس الروم الذين تعبئوا بنفس الطريقة ، عين لهذه المهمة فى الجيش الاسلامي مرشد ديني يدعى القاص ، وكان هو ابو سفيان بن حرب الذي ادى مهمته هذه خير اداء (62) . وما كادت المعركة تنشب حتى فوجيء الجيش بقدوم البريد اى موظف الاستخبارات من المدينة يسر الى خالد وابي عبيدة وفاة ابي بكر وقيام عمر خليفة وعزله لخالد على ان يتولى مكانه ابو عبيدة ويضع خالد نفسه رهن اشارته ، غير ان خالدا احتفظ بسر الخبر وواصل قيادة الجيش فى انتظار تحقيق نتيجة ايجابية ، وقد كان تعليقه على قرار عزله قوله :

« انا لا اقاتل من اجل عمر » . وهناك رواية شاذة ساقها الطبري تفيد ان خالدا واصل مهمة القيادة العامة حتى فتح دمشق ، فأعلن ابو عبيدة عزله (63) .

وكانت مبادرة الهجوم من الجيش الاسلامي بأمر من خالد الى عكرمة ابن ابي جهل والقعقاع بن عمر ، وهما قائدا مجنتي القلب (64) اى جناحيه. وتتحدث الرواية الاسلامية (65) هنا عن خروج جورج احد قواد البزنطيين من كتيبته حيث طلب خروج خالد اليه ، ثم استفسره عن سر نجاحه فى

---

(60) ابن الاثير ص : 282 . ياقوت ، معجم مادة اليرموك .
(61) ابن الاثير ، ص : 282 والطبري : 4 ، 33 ، يذكر توزيعا ادق .
(62) ابن خلدون : 2 ، 901 .
(63) الطبري : 4 ، 55 .
(64) ابن الاثير ، ص : 282 . الطبري : 4 ، 34 .
(65) الكامل : 2 ، 283 .

المعارك ، وعن عروض الاسلام لمن يحاربونه ، حتى اذا اقتنع من خالد بما يرضيه عن هذا الدين ، دخل فى الاسلام فى غمرة الاندهاش الذي عمت الفريقين .

وساهم فى الصف الاسلامي جبلة بن الايهم ، الامير الغساني قبل ارتداده (66) ، بل قبل اسلامه مباشرة . وقد تظاهر بالتعاون مع الانصار تعصبا ، ولكن يبدو انه لم يكن يرى ان المعركة ستنتهي لصالح الروم . كذلك ساهم فى الفريق الاسلامي نساء الجند ، ومن بينهم هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان (67) الذي فقد عينه فى هذه المعركة كما قتل القائد جورج ، وفى آخر النهار هاجم خالد مع فريق من جيشه قلب الروم ، فاضطربت صفوفهم وتراجع فرسانهم تاركين الرجالة مخذولين وجلهم فى الخندق الذي اعدوه مقدما ، وبذلك اتيح للجيش الاسلامي ان يهاجم عدوا نحر نفسه بنفسه ، وتختلف هنا تفاصيل هزيمة الروم وهي تبدو اقرب الى المنطق ، من تفسير بروكلمان (68) الذي عزا الهزيمة الى الارمن الحاقدين على الجيش البزنطي ، وكانوا كما قال يؤلفون نصفه فى معركة اليرموك ، واذا اخذ بهذا التفسير ــ فيجب ان نقيم له نفس الاعتبار فيما سبق وبقي من هزائم الروم وذلك يجافي منطق الاحداث ، وكانت قيادة الجيش البزنطي للبطريق نيودور وهو آخر هرقل وتسميه المصادر العربية تدارق ، اما هرقل ، فكان يقيم فى هذه الاثناء بانطاكية يتتبع الاحداث ، حتى اذا بلغته انباء هزيمة جيشه انسحب نهائيا الى القسطنطينية (69) .

وتضطرب الروايات حول احداث اليرموك ، والصحيح انها كانت سنة 13 هجرية وقبل فتح دمشق فى جميع الاحوال (60) .

## وفـــاة ابي بكـــر :

كانت وفاة ابي بكر على اثر مرض لم يبلغ به اكثر من ايام معدودة لا تعدد الاسبوعين (71) . اصابته خلالهما حمى يحتمل ان تكون كالتي اصابت الرسول ( ص ) ذلك ان ابا بكر قد تناول على بعض الروايات

(66) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص : 185 .
(67) بلاذري : ن. م. ص : 184 . وابن الاثير الكامل : 2 ، 284 .
(68) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية : 1 ، 113 .
(69) بلادري ، م. س. ص : 186 . المقدسي ، البدء والتاريخ : 5 ، 185 .
(70) انظر : مزيدا من تفاصيل اليرموك فى الطبري : 4 ، 31 ــ 40 .
(71) ابن عبد ربه ، العقد : 5 ، 15 . المقدسي ، م. س. ص : 167 .

طعاما مسموما يسري مفعوله ببطء ولمدة شهور ، وان عملية الاغتيال هذه قام بها بعض اليهود فى هذه المرة ايضا (72) . ونفس الرواية تؤكد ان ان اكتشاف التسميم ثبت على يد الطبيب الحرث بن كلدة (73) الذي تناول من الطعام ذاته مع ابي بكر ولقي نفس المصير .

واحدثت وفاة ابي بكر حزنا عميقا فى الاوساط الاسلامية ، فقد كان هذا الرجل متزن الشخصية الى درجة نادرة بين الزعماء العرب . والحق **ان صحبته الطويلة للرسول قبل البعثة ، وبعدها جعلت منه سياسيا بعيد النظر وقائدا محنكا وانسانا عميق الثقة بالله خدوما للمجتمع الذي أسند اليه رعايته ، ويندر جدا فى التاريخ العالمي كله ان يحقق قائد امة ما حققه ابو بكر فى مدة سنتين وبضعة اشهر هي كل الفترة التي قضاها خليفة** ، فقد استعاد الاسلام وحدته فى جزيرة العرب ، بل وجوده كله تقريبا ، وتخطى الزحف الاسلامي حدود هذه البلاد الى اجزاء شاسعة من العراق والشام ، وبدات تظهر كفاءات ادارية وعسكرية يتقوى مردودها مع الايام بحسب ما يسند اليها من مهمات ، وضبطت الشؤون الاقتصادية ضبطا محكما بالرغم من بساطة الوسائل وبعد المسافة بين العاصمة **واطراف الخلافة** ، وأهم من هذا كله ، **ان أبا بكر وضع بين يدي خلفه ، كل الضمانات لانجاح مهمته : الاستقرار السياسي ، والنظام الشوري ، والتعامل مع القاعدة راسا او عن طريق من يصلحون لتمثيلها ، وكل ذلك حسب شريعة القرءان وسنة الرسول** . واخيرا ، فقد ترك ابو بكر اطارات امينة فى مختلف المجالات ، وكل هذا سيعطي نفسا نقيا لعمر الذي سيضيف اليه من قوة شخصيته ومهارته وصلابته فى الحق ، ما سيحقق للاسلام مفاخر تاريخية رائعة .

وكما كان الشأن بالنسبة للرسول ( ص ) ، فان ابا بكر لم يخلف وراءه ما يستحق الذكر ، وكان يتعيش مما فرض له فى بيت المال من قبل ممثلي الامة (74) ، وترك عليه ديونا أوصى ان تؤدى من بيع أرض له ، وقد رثاه علي بن ابي طالب رثاء بليغا اورده ابن عبد ربه فى العقد الفريد (75) .

---

(72) عقد : 5 ، 15 . وراجع احداث وفاة ابي بكر فى الصفحات الموالية من نفس المصدر
(73) الطبري : 4 ، 46 .
(74) الكامل : 2 ، 291 . الطبري : 4 ، 54 .
(75) ابن عبد ربه ، عقد : 5 ، 17 . وانظر فى الطبري : 4 ، 47 ، 54 ما يتعلق بتجهيز جنازة ابي بكر ونبذة عن سيرته ومساعديه .



# الاسلام والتحديات المعاصرة

## ( موقف وسائل الاعلام الاجنبية من الاسلام )

## عرضا ، وتحليـــلا ، ومواجهـــة

د. رشدي فكار

موقف وسائل الاعلام الاجنبيــة من الاســلام ، قضيــة جذورها فى الماضي وانعكاساتها تغطي الحاضر والمستقبل . وسنحاول من خلال هذا العرض بعد مدخل موجز عن هذا الموقف منذ البداية وحتى العصر الحديث أن نركز على ابعاده المعاصرة المعتمــدة على الخلــط والغليط ، محللين لطبيعة المواجهة وكيف نتصورها موضوعيا ، فى قرن لا يمكــن ان يغفــل فيــه مكانا « لوسائل الاعلام » سمعيــة كانــت ام بصرية أم مكتوبة من تأثير فى تدعيم أو تفنيد للتحديات .

### الموقف منذ البدايـــة :

غني عن التعريف بل وعن تحصيل الحاصل ان نقول ان مواجهــات الاسلام للتحديات وحملات التشهير عايشته منذ البداية ، من مكة مــع البصيص الاول للدعوة المحمدية الخالدة الى المدينة فى مراحل تاليــة ، وقد صور لنا القرءان الكريم والاحاديث النبوية الحملات التي واجههــا الرسول ( ص ) بقلب مؤمن الواثق من صدق ، وصحة ، وصواب رسالته بوحي من ربه ، يقرع الاقاويل الكاذبة بالحجج الصادقة ، والافتراء الباطل

(*) عرض قدم فى الندوة العالمية عن الاسلام والتحديات المعاصرة ، يونيو سنة 1979 .

بالبرهان الصائب ، يحاور بمنهج القرءان « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . تنوعت المواجهات بين قريب حاسد مغرض ، ومنافق مضلل ، ومشرك حقود ، وخصم عنيد ، وعدو شرير ، وكان الرسول ( ص ) لا يتهيبها ولا يخشاها بل كثيرا ما كان لمدعو اليها بتوجيه من ربه ، كقمة للاحتكام والتحكيم ، « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء » ... وحينما يتوقف عطاء العقل لديهم في مواجته، وتفرغ انسانيتهم من محتواها ، ويحل العجز امام نور السماء ، واشراق الوحي ويتحجر القلب ، وتظلم البصرية ، ويلجأ المكابرون الى الدرك الادنى والاسفل من الحيوانية ، يحركون سيوفهم متسلطين على من جاء مبشرا وهاديا لهم ، يواجههم رسول السماء وخاتم النبيئين – بعد تحذيرهم وانذارهم – في ساحة الشرف الالهي لاعلاء كلمة الله . ويخرج الاسلام منتصرا بسيفه في النضال ، كم خرج منتصرا بعقله في الحوار .

وتمر السنون وتتعاقب الازمنة التاريخية في مشرق امتنا الاسلامية وفي مغربها واندلسها ، والاسلام يعرف المواجهات الدموية في ساحة القتال ، كما يعرف التحديات العقلية وحملات التشويه في ساحة الفكر ، كل زمن بوسائله وامكاناته ، باعدائه وخصومه ، بمكاربه ومضلليه . ودعاته للنيل من ارض الاسلام أو من قدرات اعجازه . وغاب عنهم أن الله متم لنوره ...

وتدور عليهم الدائرة ، ويخرج الاسلام أكثر ثباتا في قلوب رجاله ، واكثر اصرارا على لقاء اعدائه ، وأكثر تحديا لمحاوريه ، وتنقلب محاولات تطويقه الى فتوحات ، وتتحول ادعاءات عقلنته باسم الاغريق الى عقلنته هو لفكر الاغريق ونشره تحت رايته ، بعد تقليمه واستئناسه ، فكان مفكرونا هم شراحه وسندته ويئن الخصوم والاعداء والادعياء على حد سواء من مواجهته في وضوح نهار التاريخ فلجأوا لظلمته بالدس والافتراء ، والحملات المقنعة والمضمرة ، عبر العصور الوسطى بمغالطات من قبل من في نفوسهم مرض او اصحب حوائج يعقوب ...

وهكذا شاهدنا في مختلف هذه الحقب والقرون هؤلاء الذين – بعد ان خلا لهم الجو – باضواء مآكدهم ومغالطاتهم في غيبة التاريخ الواعي والرقيب الفكري ، واهلوا بذلك لافرازات عشوائية في شكل احكام عفوية على الاسلام ورسوله ( ص ) ، هذه الافرازات تسلطت بدورها على بعض

مفكري النهضة الاوربية حتى من المدافعين عن العقلانية نتيجة لاحتكار مصادر المعرفة ومراجعها عن الاسلام فى الغرب وقصرها على كلام أعدائه.

**وحتى العصر الحديث :**

حيث يخرج لنا « فولتير » المضلل رغم عقلانيته والمتأثر بمصادر مدسوسة على الاسلام « بأقاويله » ويشاركه مفكر آخر لا يقل عنه شهرة وهو من المعارفين ( أصحاب دوائر المعارف فى عصر الانوار ) ونعني به « ديدرو » وغيرهما من الساعين الى نشر المغالطات والافتراءات عن جهل بالحقيقة ، او بسوء نية مبيتة . ولقد كان رائعا حقا ومشرفا لنا ، ان يتصدى لهؤلاء المضللين مفكرون آخرون من دعائم عصر النهضة وأركان العقلانية فى الغرب ، ولا تنقصهم الشهرة ولا القدرة ، ليردوا مصححين ومفندين باسم الموضوعية ، ولعل ابرز من نستشهد بهم فى هذا المضمار عمداء المدرسة الوضعية الفنية عن التعريف أمثال « سان سيمون » و « اجست كونت » . فبينما الاول يقول نصا : فى كتابه **علم الانسان** وقد ذكرناه فى المجلد الاول من مؤلفنا بالفرنسية عن **النظرية العامة لتاسيس السوسيولوجيا والاشتراكية والدولية ص 30** : « ان الدارس لبنيات الحضارة الانسانية المختلفة لا يمكنه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي لعبه العرب المسلمون فى بناء النهضة العلمية لاوربا الحديثة » يقول اوجست كونت رائد المدرسة الوضعية وبصراحة ووضوح فى دفاعه عن الاسلام بشكل محدد رادا على مزاعم « ديدرو » السالف الذكر .
ويؤكد فى **محاضراته عن الفلسفة الوضعية** وقد نشرت النصوص الخاصة بالاسلام على حدة فى بداية هذا القرن بباريس تحت عنوان : **الجانب الاجتماعي فى الاسلام** ، وقد استشهدنا أيضا بذلك فى كتاب آخر لنا بالفرنسية بعنوان : **تاملات فى الاسلام** ، عملا بمبدأ ( وشهد شاهد من اهله ) ، بل وصدرنا كتابنا هذا بنص أوجست كونت المعبر عن رأيه فى الاسلام كخلاصة لمحاضراته . اوجست كونت يقول ويؤكد : « ان عبقرية الاسلام وقدرته الروحية لا يتناقضان البتة مع العقل كما هو الحال فى الاديان بل ولا يتناقضان مع الفلسفة الوضعية نفسها . لان الاسلام يتمشى أساسا مع واقع الانسان ، كل انسان ، بما له من عقيدة مبسطة ، ومن شعائر عملية مفيدة » . .

هذه مجرد امثلة نذكرها برهانا على ان الاسلام بقدراته الموضوعية دين مواجهة ، دين تحدي لا يحتمي فى مناصر منفعل ، وليس فى حاجة الى اقاويل ومتاهات بائعي الكلام . لقد استطاع ان يقضي على مكر الماكرين فى مهده ، بفضل اصوات واقلام علمية نزيهة من قادة الفكر والفلسفة فى اوربا عبر القرن التاسع عشر فى فرنسا ، وفى المانيا وفى انجلترا ... انبرت للدفاع عن الاسلام المفترى عليه باسم نفس العقلانية لا باسم نفعية أو ارتزاق . تبرز ما قدمه للانسانية منذ اشراقه فى الكون. وعبر مختلف العصور .

ولكن هل توقف موكب المغرضين والمضللين ؟ لقد استغلوا آلام المسلمين ومعاناتهم الحالية ، بعد تسلط الاستعمار عليهم بامبرياليته المندسة المقنعة ، ليتخذوا من ضعف صنعوه بالمسلمين ، دليلا على ضعف الاسلام ، مستشهدين بذلك على عدم صلاحيته . ومستغلين بصفة عامة وسائل اعلامهم لتعويم واقع الاسلام الخالد . وتصويره وتصوره من خلال واقع المسلمين المعاصر .

## موقف وسائل الاعلام الاجنبية والواقع المعاصر للاسلام والمسلمين بين الخلط والتغليط

لقد تكثف موكب العداء والتحدي وتكشف . بقدر تكثف عطاء أرض المسلمين وانتشار دينهم ، وغزوه للقلوب رغم القهر لدعاته ، وضعف وسائلهم وقلتها ، وركزت خططهم الماكرة على تصيد العثرات ، لا عثرات الاسلام ( فليس له ما يؤخذ او يؤاخذ عليه ) ولكن عثرات بعض المسلمين فى سلوكهم ليبرروا ادعاءهم بتأزم الاسلام ، والازمة أزمتهم ( رمتني بدائها وانسلت ) . لقد غاب عنهم ان اسلوب المغالطة والخلط اسلوب مفضوح. وقد جرب من قبل وتأكد فشله عبر مراحل التاريخ ، فليس للاسلام قضية ولكن تكون ، القضية قضيتنا والازمة ازمتنا نحن ، فهي ليست بأزمة قيم عضوية ومبادىء ، ولكنها ازمة سلوكية وظيفية ، زكاها الاستعمار وركز عليها ، فأبانها لنا وكفانا جهد اكتشافها ، فأبقى لنا الجهد لعلاجها ، بل وبفضل بدائله المطروحة فى ساحة الفكر من تجار الكلام والمذهب فى ارضنا ، در علينا ايضا جهد استبعاد هذه البدائل ، بعد ان بدات فى استبعاد بعضها لبعض ...

وهكذا تختزل لنا المراحل بمشيئة الله ، لتعزل أزمة السلوك لبعض المسلمين ولا تصبح أزمة قيم لكل المسلمين . ولكن علينا ان ننتظر من وسائل الاعلام الاجنبية المزيد من تكثيف حملاتها وتكثفها فلن يقدم لنا الخصوم والاعداء عبارات التشجيع والاعتزاز والتبجيل وانما مواقف الكيد والحقد والتضليل ، ولن يحكموا على الاسلام بمعيار الوضوح ، والصدق والصواب ، وانما بمعايير الخلط والدس والارتياب ، وهذا ليس بجديد علينا لا يختلف ضجيج اليوم عن الامس . جربناه فى مكة المكرمة والقافلة من وراء رائدها الخالد نبي البشرية تسير ، وها نحن اليوم نجربه بعد أبعة عشر قرنا ، والقافلة لم ولن تتوقف مهما تعددت الاهوال ، وتنوعت الحواجز ، وتباينت الاقاويل .

لقد كان سلوك المؤمن الملتزم خير رصيد له فى المواجهة وكان اصراره المرتكز على ثقته فى رسالته الخالدة امضى سلاح يتحصن به ، فينزل الرعب فى قلوب الخصوم والادعياء والاعداء ، ومن هنا ننطلق لنتصدى لموقف وسائل الاعلام الاجنبية المغرضة ونحدد طبيعة المواجهة .

## وسائل الاعلام الاجنبية وطبيعة المواجهة

على ضوء التحليل الموجز الذي اوردناه لنصل به الى الوضعية الحالية كخلاصة ، مركزين على ما للمعرفة التكنولوجية ، والاسس العلمية وتنهيج الاختراع واستئناسه وتبسيطه من دور هام فى تنوع وسائل الاعلام ، وبالتالي تنوع ساحات المواجهة الاعلامية بين سمعية وبصرية ومكتوبة مع عدم اغفال جانب لحساب جانب آخر يتضح لنا الدور الهام للاعلام وضرورة التعرف على وسائله وعلى طبيعة مواجهاتها اولا ، ثم كيفية المواجهة من خلالها بعد ذلك وهذا يتطلب استيعاب موضوعي لما يجري حولنا فى الامم المتقدمة ذات اليمين او ذات اليسار ، من تيارات متباينة فى طرقها ومشاربها ، ولكن تكاد تكون متفقة ضمنيا فى هدفها بالنسبة لحصر الاسلام وحصاره . فكما كان الشأن حين ظهور الدعوة الخالدة وتطويقها من الخارج فى محاولة لايقاف مدها من قبل عمالقة عصرها كياسرة وأباطرة آنذاك واضعافها من الداخل بالطفيلات والهوامش ، وصمود رسول الامة ( ص ) برجاله ، صمود الواثق من صحة ، وسلامة ،

وصواب ، ما يدعو اليه وصلاحيته ؛ نحن اليوم وان اختلفت الظروف والازمنة التاريخية على نفس الحال ، فضلا عن تساحنا بتجربة امة رائدة رغم معاناتها ونكساتها . وعليه فخير اعلام لدعوتنا هو سلوكنا أولا ، واصرارنا ثانيا ، المرتكز على ثقتنا فى رسالتنا على انها رسالة خالدة لخير امة أخرجت للناس .

والا لا فائدة ترجى من اعلام ـ والحق احق ان يتبع ـ تقوم به او تسانده نماذج غير صالحة هي فى حاجة الى اعلام ، لانها غير واثقة فيما لديها ، غير متأكدة من النصر ، تقول ما لا تفعل ، فتضعف الرآية فى يدها او تستكين ، وانما نماذج صالحة قولا وفعلا ، لا تكتفي بطرح نفسها كمواجهة بل ترتقي واثقة لتطرح نفسها على مستوى البديل . بديل لعصر الزيف والنفاق الجماعي ، والشهوات واستلاب الانسان بما صنعت يداه، علينا ان ندعم النموذج الصالح الذي يتصدى للمواجهة وحمل راية الدفاع عن الدعوة ، نموذج المسلم المستوعب لاصالته ؛ تاريخها وقيمها ؛ الملتزم بمبادئه سلوكيا ؛ المتعرف على وسائل الآخرين ومكرهم واهدافهم ؛ القادر على الحوار الحق أيضا دون انفعال او تشنج ؛ المرتبط بواقع المسلم . الفخور به فى معاناته وفى اشراقه . ورب فئة قليلة من هذا النموذج تمكث فى الارض انفع للناس واخير ؛ وافضل من زبد يذهب جفاء ، تحت شعار العفوية العشوائية السطحية التي لا مكان لها فى عصر المكر العلمي والدهاء الممنهج .

تأتي بعد ذلك قضية الوسائل فى حد ذاتها بمعنى امكاناتنا فى مواجهة امكاناتهم ، وخير سبيل الى ذلك هو نقل المواجهة الى عقر دارهم بخلق قنوات فى صفوفهم ، منهم واليهم ، فالدول الاسلامية ولله الحمد ، لا ينقص بعضها الامكانيات المادية فهي قادرة على تصيد هذه القنوات القابلة للتعامل مع غيرنا ومعنا حينما ترى فى ذلك فائدة مادية لها. وعلينا ان ندعمها بالوثائق والبراهين ودعوة المفكرين المخلصين ليتحاوروا من خلالها مع الآخرين . وحتى بالنسبة للابواق المرتزقة التي ترتفع تشهيرا بالاسلام يمكن احتواءها توطئة لاعادة ترشيدها لتنقلب تشهيرا بمن شهر بنا لان تشهيرها لا يبنى على اساس ، بل هو مبني على العمالة والكسب لا عن قناعة واقتناع ، والحرب خدعة ...

يبقى فى النهاية واقع مواجهة الخصم الذي لا يتصدى لنا من منطلق الارتزاق وانما من عداء جذري ، وخير وسيلة مع هذا تبني « مبدأ الهجوم كأفضل قدرة للدفاع » ونعني بذلك فضح دسائسه المبيتة لامتنا بكل الوسائل وبدون هوادة ، والاصرار على أن الاسلام كل لا يتجزأ ، وعبور متكامل فى حركة التاريخ ، وليس هناك اسلام واسلام وانما راية واحدة، واضحة ، ومتجانسة ، لا بقاء لنا فى غيبتها .

ومن ثم هذه الجهود لا يمكن ان تتم فى شكل مواقف مفتتة ارتجالية، وانما بفضل مخطط مرسوم يتخطى مختلف وسائل الاعلام الاجنبية وتعددها فمن ناحية تكثيف الاعلام المكتوب بتزويده بالتأليف الموجز المختصر للغاية ، فى عصر السرعة ، وباللغات الاجنبية يتناول القضايا الحية النشيطة والفورية . كما يتناول القضايا الاساسية فى الاسلام بأسلوب مبسط للغاية ، ثم تأمين انتشار وتوزيع هذا التأليف على أوسع نطاق فى العالم خصوصا المناطق التي تعنينا فى الصدارة ، هذا الى جانب نشر الاحاث والتعاليق والمقالات العلمية فى المجالات المتخصصة التي تصدر عن مراكز البحث العلمي الشهيرة فى العالم . وكذا الصحف الذائعة الصيت . أما الاعلام السمعي والبصري فغني عن التعريف ما له من أهمية بالغة الآن فى خلق رأي عام عالمي او ترشيده او تطويعه ، ومن ثم علينا ان نشجع التسجيلات باللغات الاجنبية عن الاسلام بما فى ذلك الحلقات المتلفزة أو المذاعة والافلام الوثائقية، واللغات الاجنبية ليس فقط التاريخية والاثرية ، ولكن أفلام تعالج المبادىء والقيم الاسلامية الخالدة وقضايانا الكبرى : البر ، الاحسان ، الحرية ، المساواة ، العدل ، الانسانية ، التضحية ، الوفاء ، ولنا فى عصور الاسلام المشرقة امثلة ونماذج خالدة ونحرص على ان تكون هذه التسجيلات عقلانية وموضوعية ومبسطة بعيدة عن الدعاية المفتعلة الرخيصة ، التي لا تمثل سلاحا للاسلام وانما سلاح عليه .

وفى النهاية ، موقف وسائل الاعلام الاجنبية من الاسلام ومواجهته تحتاج منا أولا لنواجهه على مستوى المسلم فى حد ذاته لنجعل منه قدوة وصورة صالحة مقنعة ليدافع عنها ، وذلك بالمواءمة بين القيم والسلوك ، بين ما نفعل وما نقول ، كما تحتاج بعد ذلك الى استيعاب شعاره التعمق والعمق ، لا الاكتفاء بتكرار واجترار بعض التعبيرات الانشائية الحماسية

التي لا مكان لها فى عصر التنهيج الفكري وصرامة الحوار والبرهـــان ، وتحتاج أيضا لتصيد قنوات التأشير سمعيا وبصريا ومكتوبة لتكون ولـــو نسبيا لنا لا كليا علينا . وهذه قضية امكانات مادية وعطاء ، وهذا متوفـر لدى البعض منا ، الى جانب نواياه الصادقة لرفعة الاسلام واعــلاء شأن المسلمين ، على ان يكون الهدف فى المرحلة الاولى حصر موجات العداء للاسلام لتنحصر فى حجمها الحقيقي توطئة لحصارها بما فى ذلك موجات المتربصين لتدميره كعقيدة أو الطامعين فى أرضه وخيراتــه . لننـــازل الدعى والخصم والعدو بمنهج رسولنا الاكرم ( ص ) وصحبه الموحى اليه به من ربه في دستورنا المقدس القرءان ، وأعدوا لهم ما استطعتـــم ... سواء فى ذلك العدة بالعقل والجسد والاصرار على الحـــق ، والتلاحـــم والالتحام ، والثقة فى نصر الله .



# موقف اليهود من الاسلام والمسلمين

للأستاذ سعيد بوركبة

## مدخـــــل :

قبل ان اتحدث عن موقف اليهود من الاسلام والمسلمين بعد وفاة رسول الله ( ص ) ، ارى من الضروري ان اتحدث عن موقفهم منه ، في حياته كمدخل الى هذا الموضوع .

وعليه فلا بأس ان ارجع الى زمان هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، لالقي اضواء على بعض ما قام به عقب هذه الهجرة ..

**1 ) حدثنا التاريخ : ان اول ما قام به النبي ( ص ) في مهاجره ، كان : صهر مختلف العناصر الموجودة فيها في بوتقة وحدة منسجمة .. فانشا من اجل ذلك : عهدا وميثاقا ، اعلن بموجبه عن مولد الدولة الاسلامية ، وقد ضمنه حقوقا وواجبات كل من المومنين ، واليهود والمشركين ، وغيرهم ..**

وكان ذلك العهد ، تجسيدا لحسن الجوار ، وتركيزا للتحالف الدفاعي ، وتمتينا للتعاون والتآزر ضد العدوان الخارجي ، أيا كان مصدر ذلك العدوان — كل ذلك ، من أجل أن يتمتع المنضوون تحت هذا العهد ، بسيادتهم الخاصة على قومهم ، وبحرية الدعوة لدينهم ، ويتكافل الموقعون عليه ، على نصرة بعضهم بعضا ، وحماية عقائدهم ممن يريد أوطانهم أو جماعاتهم بسوء ...

وقد بلغت مواد ذلك الميثاق : **47 مادة** .. وكان نصيب اليهود من هذه المواد : ما يقارب الثلث ، مما يدل دلالة خاصة على ان النبي ( ص )، كان يوليهم عناية خاصة ، ولم يكن ينظـــر اليهـــم ، ولا الـى غيرهـــم ، **نظرة عرقية عنصرية مثلما ينظر اليهود بها الى غيرهم من بني الانسان ..**

2 ) وبالرغم عن هذه العناية الخاصة بهم ، فانهـــم لـــم يكونـــوا ليحتفظوا بذلك العهد الذي اخذه الرسول عليهم ، ولا بتلك الالتزامـــات التي التزموا بها عن طواعية واختيار ، بل أخذوا فى التنكر لكل ما جاء به من آيات بينات ، تهدف الى صلاح الامة ، وتوفير الهناء لها والاستقرار ، وقابلوه بالتعنت والاستكبار ، مثلما فعله اجدادهم مع انبيائهم السابقين ..

3 ) ناهيك بما حبكوه من دسائس ومؤامرات فى طريقـــه ( ص ) ، حتى يحولوا فيما بينه وبين تبليغ رسالة ربه ونشر دعوته ..

وعلاوة على ذلك : فقد حاولوا فيما بعد ، تشكيك المسلميـــن فى عقيدتهم ، واحداث البلبلة فى صفوفهم ، متحالفين مع عنصـــري الشرك والنفاق .. ولم يكتفوا بهذا ، بل سلقوا الرسول ( ص ) بألسنة حـداد ، مثلما سلقوا المسلمين ، وقاموا بتحرشات وتحريض لكفـــار قـــريش على مقاتلتهم ، ولا سيما بعد وقعة بدر الكبرى التي حصـــدت رؤوس الكفـــر والطغيـــــان ..

وكان على راس اولئك اليهود الذين وقفوا فى مواجهة الرسول (ص) فيما جاء به ومواجهة المسلمين : **بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة، ويهـــــود خيبـــــر .**

4 ) **اما بنو قينقاع** ، فقد ابدوا حقدا دفينا على ما أتى بـــه رسول الله ( ص ) من اسلام ..

وازداد حقدهم عليه بعد انتصاره الساحق على كفار قريش يوم بدر الكبرى ، وابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يرسل كلا من زيد بن حارثة الى المدينة ليبشر المسلمين بنصر الله ..

فاخذ عبد الله بن رواحة يذكر اسماء قتلى المشركين ، وزيد بـــن حارثة يصدقه فيما يقول : وهو يمتطي القصواء : ناقة رسول الله ( ص )،

بيد ان اليهود لم يصبروا على هذا ، فأفزعتهم هذه الانباء السارة ، وتصدى بعضهم لتكذيب هذا .. واخذ احد شعرائهم فى سب النبي ( ص ) ، وهجوه مع المومنين ويرثي فى نفس الوقت قتلى كفار قريش .. وقد قام بكل ذلك ، تحريضا منه للكفار على الانتقام من المسلمين ، وبعثا للفتنة من جديد ، فالتحم الفريقان فى معركة أحد الشهيرة بأحداثها ونتائجها (1) ..

5 ) **واما بنو الضير** : فزيادة على نقضهم العهد والميثاق ، وخيانتهم الرسول ( ص ) فقد حاولوا اغتياله ، بالقاء صخرة عليه من فوق سطح حصنهم الذي كان يجلس تحته النبي ( ص ) ، حيث انتدب لتنفيذ هذه الجريمة الشنعاء أحدهم ، وهو عمرو بن جحاش بن كعب النضري ..

فكان جزاؤهم اخراجهم من المدينة المنورة ، وانزل الله فيهم سورة الحشر ، حيث قال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، سبح لله ما فى السموات والارض ، وهو العزيز الحكيم ، هو الذي أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ، ما ظننتم ان يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المومنين ، فاعتبروا يا أولي الابصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله ، فان الله شديد العقاب .... » .



6 ) **واما بنو قريظة** ، فقد امعنوا فى الخيانة ونقض العهود ، وفى القيام بتحرشات وتشويش على المسلمين ، وقد اجتمعوا ذات يوم ، واتفقوا على تشكيل وفد منهم ، وجعلوا مهمته : القيام بدعوة كل من قبائل: **نجد ، وكنانة ، وقريش ، الى انشاء حلف عسكري يدك الارضية الصلبة التي ينطلق منها الاسلام** .. وكان الوفد يتألف من حيي بن أخطب ، بصفته رئيسا ، وسلام بن مشكم ، وكنانة ابن ابي الحقيق ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وابي عامر الفاسق : قائد خونة الاوس فى معركة احد ضد المسلمين (2) ..

---

(1) انظر كتاب : موقف اليهود من الاسلام .. لمؤلفه : السعيد بوركبة .. يوجد الكتاب بمكتبة دار الحديث الحسنية بالرباط ، رقم : 8019 .

(2) انظر : تفصيلا عن ذلك في كتاب : موقف اليهود من الاسلام ... من صفحة : 55 الى 89 .

ذهب هذا الوفد الى مكة ، حيث اتصل فورا بزعمائها وقادتها ، عارضا عليهم مخططا لانشاء حلف عسكري فيما بينهم وبين اليهود ، قصد غزو المدينة ووضع حد لسلطان المسلمين الآخذ فى الازدياد .. وقد قوبل هذا المخطط من زعماء مشركي قريش ، وعلى راسهم : ابو سفيان بن حرب ، بترحيب كبير ، خاصة ، وأن اليهود صدروا لهم فتوى تتضمن : « أن قتال محمد ( ص ) ، حق ، واستئصاله واجب ، لان دينهم خير من دينه ، وتقاليدهم أفضل من تعاليمه » ..

فنشطت هذه الفتوى زعماء مكة ، وجعلتهم يعاهدون اليهود على ان يكونوا معهم فى الزحف على المدينة (3) ، مجمعين على مبدا محاربة الرسول ، ونسف كيان الاسلام .. فحددوا لذلك يوم وقوع الهجوم ..

ثم ذهب الوفد الى ديار غطفان ، فاتصل بقادتها وزعمائها ، وعلى راسهم عيينة بن حصن الفزاري ، والحارث بن عوف : قائد بني مرة ، وابو مسعود بن رخيلة : قائد بني اشجع ، وسفيان بن عبد شمس : قائد بني سليم ، وطليحة بن خويلد : قائد بني اسد ..

وقد استطاع الوفد ، أن يحقق نجاحا باهرا فى مسعاه الخبيث ، ويبلغ فى تحريشه وتأليبه مختلف قبائل غطفان الى ابعد مدى ، خاصة ، وأن اليهود وعدوهم باعطائهم ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع خيبر اذا تم لهم النصر ..

ولم يكن يخفى على المسلمين ما يدبره لهم اليهود من مؤامرات وتحرشات فى الخفاء ، بل كانوا على تيقظ وحذر شديد ، حيث كانت تصلهم الاخبار فى منتهى الدقة من مناطق الاعداء بواسطة عيونهم الساهرة، لذلك ، اجتمعت القيادة العسكرية للمسلمين تحت الرئاسة الفعلية لرسول الله ( ص ) ، فاخذت تقلب النظر فى هذا التحالف العربي الوثني اليهودي، وتبحث عن مخرج للمسلمين من نتائجه الخطيرة ..

وهنا أدلي بعدة آراء واقتراحات فى هذا السبيل .. وكان من بين الآراء التي نالت حظوة لدى القيادة العسكرية : الراي الذي تقدم به سلمان

(3) انظر كتاب : بنو اسرائيل فى القرءان والسنة ، للدكتور محمد سيد طنطاوي ، مطبعة قاصد خير ط، 1 ، السنة 1388 هـ - 1969 م .

الفارسي ، والذي يشير الى حفر خندق حول المدينة يكـــون من شأنـــه تعطيل قوة الاعداء الزاحفة من أن تتسرب الى عاصمة الاسلام ، فأمر رسول الله ( ص ) بالشروع فورا بحفر الخندق ، وكان فى مقدمة من يحفـــر ، خاصة وأن الاعداء الزاحفين يبلغ تعدادهم عشرة آلاف مقاتل ، ستة منها اتت من قبائل غطفان .. واربعة اتت من قبائل قريش وحلفائها ..

ودعيت هذه الموقعة بموقعة الاحزاب .. وشاء الله ان لا تنال مـن الاسلام والمسلمين شيئا ، فكفاهم شرها وجنبهم القتال فيها ..

ونظرا الى أن بني قريظة نقضوا عهد رسول الله ( ص ) ، ـ فتحالفوا مع مشركي قريش ـ فان جزاءهم كان القتل للرجال ، والسبـــي للاولاد والنســـــاء ..

7 ) **وأما يهود خيبر** ، فلم يتعظوا بما وقع لبني قينقاع ، وبنـــي النضير ، وبني قريظة ، بل اخذوا فى طريق العماية ، والخيانة للعهـــد ، وعدم الوفاء بما التزموا به من التزامات نحو الرسول ( ص ) .

وبما انهم اخلوا بهذه الالتزامات ، وتنكروا له ( ص ) ، فانه عزم على اخراجهم من خيبر .. فطلبوا منه أن يبقيهم فيها ليصلحوهـــا ويقومـــوا بمختلف شؤونها العمرانية والزراعية ، على أن يكون لهم نصف انتاجها من الزرع والثمر ، فقال لهم الرسول (ص) : « نقركم فيها على ذلك ما شئنا » .

وحيث صالحهم على نصف انتاج أرض خيبر ، وابقاهم على دينهـــم وعقيدتهم ، وبالرغم مما عاملهم به من معاملات طيبة .. فانهـــم حاولـــوا اغتياله عن طريق امراة يهودية تدعى : زينب بنت الحارث ، امراة سلام بن مشكم ، اذ اهدت اليه شاة مشوية قد سممتها ، وكانت سألت اي اللحـــم احب اليه ؟ فقالوا : الذراع ، فأكثرت السم فيه ، فاكل منه بعض أصحابه .. أما هو فقد لفظ المضغة التي شعر فيها بالسم ، بينما صاحبه : بشر ابن البراء بن معرور ، قد ازدرد اللقمة ، فخر صريعا لافظا بعدها أنفاسه الاخيــــرة (4) ..

(4) انظر تفاصيل الحادثة بتمامها وظروفها في كتابي ( أ ) زاد المعاد في هدي خير العباد ... لابن قيم الجوزية .. ج : 2 ص : 139 ـ 140 ، المطبعة المصرية المؤسسة فى سنة 1921 . ( ب ) حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل ، ص : 391 ، مكتبـــة النهضة المصرية بالقاهرة ، ط : 8 ، السنة 1963 .

8 ) من كل ما سبق ، يتضح لنا مدى نقض اليهود مواثيقهم ؛ ومقدار حقدهم على رسول الاسلام ، وتآمرهم عليه أثناء حياته ( ص ) بل نراهم قد ازدادوا حقدا وتآمرا على الاسلام والمسلمين بعد وفاته .. فكانوا جديرين بالزجر والتأديب ، جزاء على أعمالهم ، ووفاقا لنواياهم ، كما كانوا جديرين بالابعاد والطرد من مساقط رؤوسهم ، بناء على غدرهم وخياناتهم المتلاحقة ..

فذهب بعضهم الى الشام ، وبعضهم الى الفرس .. واخذ الذين ذهبوا الى الفرس يحملون بين ضلوعهم ثارات لا تخبو نارها ، فأصروا على تقويض الاسلام وتمزيق شمل المسلمين ... فبقوا هنالك مدة يستجمعون فيها انفاسهم ؛ ليرتدوا على المسلمين بفتنة عمياء تسحقهم وتذهب بآثارهم ..

9 ) وكان أول عمل قاموا به بعد موت الرسول ( ص ) ؛ وتولي ابي بكر الصديق بعده ؛ أن أوغروا صدور الاعراب الذين يعتبرون حديثي العهد بالاسلام ؛ تمردا على مبادئه وعصيانا ؛ لا سيما وأن صاحب رسالته قد قضى . فانخدعت بذلك دهماؤهم متأثرين فى ذلك بعناصر النفاق ؛ فكان هذا سببا رئيسيا فى امتناعهم عن أداء الزكاة ، فتجلت بسبب هذا ظاهرة الردة فى صفوف المسلمين .

ولم يكن من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، الا أن جهز جيشا جرارا لمقاتلة المرتدين ، رغم اعتراض عمر بن الخطاب عليه فى ذلك ـ فتوجه الجيش اليهم فى اربعة عشر لواء ، وتعقبهم فى كل مكان حتى قضى على الثورة فى مهدها حيث قتل من قتل ورجع الى الاسلام من رجع . وكون اليهود هم العنصر الرئيسي القابع وراء ظاهرة الردة هو ما اشار اليه الاستاذ أحمد وافي فى مقال له تحت عنوان : ( موقف الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه من فتنة الردة ) اذ جاء فى قوله ما يأتي :

« ... ومن الطبيعي كذلك أن تتسع احضان فارس لليهود الذين خرجوا من الجزيرة العربية بعد ما قد كان من خيانتهم ومواقفهم العدائية السافرة من رسول الله ( ص ) والمسلمين .

ولا شك ان اليهود فى فارس ، سواء كانوا من الشام او من الحجاز، قد أصبح يجمع بينهم شعور واحد هو العداء للاسلام : الدين الجديد الذي يعلمون ما فيه من عناصر القوة والانتشار ، فهم يعملون على وقف مده واطفاء مشاعله ، وكانت وسيلتهم وهم فى المنفى الفارسي ، ان يكيدوا له باغراء الاعراب ومعهم مدد فارس وسلاحها ... ) (5) .

10 ) وبالنظر الى هذا النص . يتجلى بكل وضوح : **ان اول فتنة اصيب بها المسلمون بعد النبي ( ص ) ، هي فتنة الردة ، اذ كان القصد من ورائها تفكيك عرى الاسلام ، وخلق البلبلة بين المنتمين اليه ، وكان العنصر الرئيسي فى ابراز هذه الفتنة ، هو عنصر اليهود الموتور ، بيد ان الفتنة لم يقض عليها نهائيا ، لهذا اعادوا الكرة فى نسج المؤامرات على المسلمين مستعينين عليهم فى ذلك بعناصر النفاق والمجوس ومشركي العرب . وكان من مخططاتهم القضاء على الريادة الاسلامية ليسهل القضاء على المجتمع الاسلامي** ، فقد تآمروا على اغتيال كل من عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، واخذوا فى تفجير الفتن والمؤامرات تجاه المسلمين وعقيدتهم السمحة ابان خلافة علي بن ابي طالب ..

ولنتبين مدى تآمرهم على هؤلاء القادة ، يجدر بنا ان نستعرض ــ ولو بايجاز ــ ما قاله الباحثون فى هذا المضمار ، وحتى نصل الى هذه الغاية ، لا بد من معالجة الموضوع فى المباحث الآتية :

**المبحث الاول : التآمر على عمر بن الخطاب .**

**المبحث الثاني : التآمر على عثمان بن عفان .**

**المبحث الثالث : التآمر على الاسلام وعلى العقيدة الاسلامية ابان خلافة علي بن ابي طالب .**

---

(5) انظر العدد : 4 من مجلة منبر الاسلام ، السنة 35 ، ربيع الثاني 1397 هـ ابريل 1977 م ، ص : 114 .

## المبحـــث الاول :

## التآمـــر على عمـــر بـــن الخطـــــاب

11 ) من الثابت تاريخيا ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنـــه ، **ذهب ضحية مؤامرة دنيئة شاركت فيها عناصر اجراميـــة : فارسيـــة ويهودية وغيرهما . ولعل الذي لعب الدور الاكبر فى نسج خيوطها وجرى وراء تنفيذها هو العنصر اليهودي الذي استغل جماعات من الفرس حيث اثار فيها النعرة الفارسية والعصبية العرقية فحملها على الانتقـــام مـــن المسلمين ، أولئك الكماة الذين فتحوا فارسا وغيرها وركـــزوا فيهـــا : عقيدة الاسلام ومبادئـــه .**

وقد استغل اليهود بعض الفارسيين من اجل القضـــاء على الريادة الاسلامية التي تتمثل فى شخصية عمر بن الخطاب ، ليجهزوا على الاسلام الذي انتزع منهم الرئاسة الدينية من جهة ، واخرجهم من الجزيرة العربية من جهـــة أخـــرى .

على أن المسلمين لم يكونوا ليخرجوهم منها لولا خياناتهم المتكررة، ونقضهم المواثيق ، وارتكابهم افظع الجرائم ضد افراد منهم ، وأن عمر بن الخطاب ـ باعتباره راس السلطة التنفيذية ـ لم يكن ليخرجهم منها نهائيا لولا أنه سمع رسول الله (ص) يوصي المومنين قبيل وفاته ويحثهم على الا يبقى دينان فى الجزيرة العربية .

12 ) وحتى نأخذ نظرة مركزة عن المؤامرة الشنيعة التي دبـــرت ضد ابن الخطاب ، يجدر بنا أن نرجع الى المظان التي تعنى بهذا الموضوع. فقد أورد الطبري فى تاريخه (6) وابن الاثير فى تاريخ الكامل (7) بيانـــا شافيا عن الظروف التي اكتنفت اغتيال عمر ، وركـــزا على شخصيتيـــن رئيسيتيـــــن .

**احداهما : قامت بتنفيذ الجريمة ، والاخرى ، انبات عمر بقرب موته بثلاثة ايام بالتحديد .**

---

(6) انظر ج 4 ص : 190 ـ 192 ـ طبعة دار المعارف ، السنة 1963 م .
(7) انظـــر ج 3 ص : 19 ـ 20 .

**اما الشخصية التي قامت بالتنفيذ ، فهي شخصية ابي لؤلؤة الفارسي .**

**واما الشخصية التي انبأته بقرب الوفاة ، فهي شخصية كعب الاحبار (8) الذي دخل الى الاسلام بعد ان كان يهوديا ـ ايام : ابي بكر او عمر على اختلاف في ذلك .**

بالاضافة الى هذين ، **ذكرا شخصيتين اخريين ، هما : الهرمزان وجفينة .**

وقد ساق ابن جرير الطبري في معرض كلامه على مقتل عمر ما مؤاده :

ان ابا لؤلؤة فيروزا غلام المغيرة بن شعبة لقي عمر بن الخطاب فتظلم اليه مما يلقاه من ثقل الخراج المفروض على كاهله يوميا من طرف مولاه المغيرة ، وطلب منه ان ينقص له مقدار هذا الخراج ، فقال له :

« اعدني عن المغيرة بن شعبة : فان علي خراجا كثيرا ، قال : وكم خراجك ؟ قال : درهمان في كل يوم ، قال : وايش صناعتك ؟ قال : نجار نقاش حداد ، قال : فما ارى خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال ، قد بلغني انك تقول : لو اردت ان اعمل رحا تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ، قال : فاعمل لي رحا ، قال : **لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق والمغرب** ، ثم انصرف عنه ، فقال عمر : لقد توعدني العبد آنفا، ثم انصرف عمر الى منزله » .

13 ) فلما كان الغد جاءه كعب الاحبار ، فقال له : يا امير المومنين ، اعهد ، فانك ميت في ثلاثة ايام ، قال : وما يدريك ؟ قال : اجده في كتاب الله عز وجل : التوراة ، قال عمر : آلله انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة : قال : اللهم لا ، ولكني اجد صفتك وحليتك ، وانه

---

(8) هو كعب بن نافع الحميري ابو اسحاق المعروف بكعب الاحبار ثقة في الثانية ، مخضرم كان من اهل اليمن فسكن الشام ، مات في خلافة عثمان وقد زاد على المائة . وليس له في البخاري رواية ، وفي مسلم رواية من طريق الاعمش عن ابي صالح ... انظر تقريب التهذيب للعسقلاني ، ص : 175 ـ 176 ، 13 شعبان 1320 هـ ، ط : الهند ـ دلهي .

قد فني اجلك ، قال : وعمر لا يحس وجعا ولا الما ، فلما كان من الغـد ، جاءه كعب ، فقال : يا امير المومنين ، ذهب يوم وبقي يومان : ثم جاءه من غد الغد ، فقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة ، وهي لك الى صبيحتهـا ، قال : فلما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة ، وكان يوكل بالصفوف رجالا ، فاذا استوت جاء هو فكبر ، قال : **ودخـل ابو لؤلؤة فى الناس في يـده خنجر له راسان ، نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات احداهن تحت سرته ، وهي التي قتلته ، وقتل معه كليب بن ابي البكيـر الليثـي ـ وكان خلفه ـ فلما وجد عمر حر السلاح ، سقط ، وقال : افي النـاس عبد الرحمان بن عوف ؟ قالوا : نعم ، يا امير المومنين ، هـو ذا ، قال : تقدم ، فصل بالناس ، قال : فصلى عبد الرحمن بن عوف ، وعمر طريح ، ثم احتمل فادخل داره (9) .**

14 ) ورغم الحالة المؤسفة والتي كان لها وقع شديد ، والم كبير على عمر ، فانه استطاع ان يوصي النفر الذي توفي رسول الله ( ص ) وهو عنهم راض ، ومن بينهم : علي بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان ، والزبير ، وسعد ، فقد قال لعبد الرحمان بن عوف :

( ادع لي عليا وعثمان والزبير وسعدا ، قال : وانتظروا اخاكم طلحة ثلاثا ، فان جاء ، والا فاقضوا أمركم ) .

ثم توجه بالكلام الى بعض من اولئك النفر ، فقال :

( انشدك الله يا علي ، ان وليت من امور الناس شيئا ، ان تحمل بني هاشم على رقاب الناس ) .

( انشدك الله يا عثمان ، ان وليت من امور الناس شيئا ، ان تحمـل بني أبي معيط على رقاب الناس ) .

( انشدك الله يا سعيد ، ان وليت من امور الناس شيئا ، ان تحمل اقاربك على رقاب الناس ) .

---

(9) انظـــر : ج ، 4 من الطبـــري ، ص : 192 .

قوموا فتشاوروا ، ثم اقضوا امركم ، وليصل بالناس صهيب ، ثم دعا ابا طلحة الانصاري ، فقال له : قم على بابهم ، فلا تدع احداً يدخل اليهم ، واوصي الخليفة من بعدي بالانصار الذين تبوأوا الدار والايمان : ان يحسن الى محسنهم ، وان يعفوا عن مسيئهم ، وأوصى الخليفة من بعدي بالعرب ، فانها مادة الاسلام ، ان يؤخذ من صدقاتهم حقها ، فيوضع في فقرائهم ، واوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ( ص ) ان يوفي لهم بعدهم ، اللهم هل بلغت ، تركت الخليفة من بعدي على انقى من الراحة (10) . ولما فرغ من وصيته امر ابنه عبد الله بأن يبحث عمن قتله فقال :

15) يا عبد الله بن عمر ، اخرج ، فانظر من قتلني ؟ فقال : يا امير المؤمنين ، قتلك ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ، يا عبد الله بن عمر ، اذهب الى عائشة فسلها ان تاذن لي أن ادفن مع النبي ( ص ) وابي بكر ، يا عبد الله بن عمر : ان اختلف القوم ، فكن من الاكثر ، وان كانوا ثلاثة وثلاثة ، فاتبع الحزب الذي فيه عبد الرحمان بن عوف ، يا عبد الله بن عمر ، ايذن للناس ، قال : فجعل يدخل عليه المهاجرون والانصار ، فيسلمون عليه ، ويقول لهم :

اعن ملأ منكم كان هذا ؟ فيقولون : معاذ الله . قال : ودخل كعب ، فلما نظر اليه عمر ، انشا يقول :

فأوعدني كعب ثلاثا اعدها ولا شك ان القول ما قال لي كعب

وما بي حذار الموت ، اني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

قال : فقيل له : يا امير المؤمنين ، لو دعوت الطبيب ، قال : فدعي طبيب من بني الحارث بن كعب ، فسقاه نبيذا ، فخرج النبيذ مشكلا ، قال : فاسقوه لبنا ، قال : فخرج اللبن محضا ، فقيل له : يا امير المؤمنين، اعهد ، قال : قد فرغت .

---

(10) انظر تاريخ الطبري ، ج 4 ، ص : 192 .

وقد أورد الامام ابن عبد البر (11) الكلام حول مقتل عمر بن الخطاب واعطانا نبذة عن هذا الحادث الرهيب، رواية عن عمرو بن ميمون، حيث قال:

شهدت عمر يوم طعن، وما منعني أن أكون في الصف المتقدم الا هيبته، وكان رجلا مهيبا، فكنت في الصف الذي يليه، فأقبل عمر رضي الله عنه، فعرض له أبو لؤلؤة: غلام المغيرة بن شعبة، ففاجأ عمر (ض) قبل أن تستوي الصفوف، ثم طعنه ثلاث طعنات، فسمعت عمر، وهو يقول: **دونكم الكلب، فانه قتلني**، وماج الناس واسرعوا اليه، فجرح ثلاثة عشر رجلا، فانكفأ عليه رجل من خلفه، فاحتضنه، فماج الناس بعضهم في بعض، حتى قال قائل: الصلاة عباد الله، طلعت الشمس، فقدموا عبد الرحمان بن عوف، فصلى بنا بأقصر سورتين من القرءان: « اذا جاء نصر الله ... » و « انا أعطيناك الكوثر ... » واحتمل عمر، ودخل عليه الناس، فقال: يا عبد الله بن عباس، اخرج فناد الناس، ان أمير المؤمنين يقول: أعن ملأ منكم هذا؟ فقالوا: معاذ الله، والله ما علمنا ولا اطلعنا، وقال: ادعوا لي الطبيب، فدعي الطبيب، فقال: اي الشراب أحب اليك؟ قال: النبيذ، فسقي نبيذا، فخرج من بعض طعناته، فقال الناس: هذا دم صديد، قال: اسقوني لبنا، فخرج من الطعنة، فقال له الطبيب: لا أرى أن تمسي، فما كنت فاعلا، (12) فافعل..

فاذا تأملنا هذه النصوص الواردة حول مقتل عمر في كل من الطبري، والكامل لابن الاثير، والاستيعاب، نجد الطبري وابن الاثير يذكران صراحة من قتل عمر، وهو ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ثم يتحدثان: **عن مجيء كعب الاحبار الى ابن الخطاب وقد اخبره بقرب نهايته ناصا، بكيفية محددة، على الوقت الذي بقي له في حياته، ثم مجيئه ثانية، فثالثة، وهذا ـ ان صح ما رويناه ـ يجعلنا نستشعر بان كعبا كان على علم بالمؤامرات التي دبرت ضد عمر، وربما كانت له مشاركة فعلية فيها..**

---

(11) في كتابه: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، القسم الثالث، ص: 1153-1154 ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة.

(12) من رواية الطبري: عبد الله بن عمر، وهنا: عبد الله بن عباس، وفي الطبري طعن عمر ست طعنات، وهنا ثلاثا.

**ويؤيد هذا ما ذهب اليه العقاد (13) ، من ان ما ارتكبه ابو لؤلؤة لـم يكن الا سببا ظاهريا ، لان أبا لؤلؤة لم يكن الا منفذا للكيد الذي اتفق عليه كثيـــــرون ..**

**وقد روى عبد الرحمان بن ابي بكر ، انه راى هذا الرجل مع الهرمزان وجفينة قبل مقتل عمر جالسين يتحدثون ، فلما جاءهم قاموا ، وقوفـا ، فسقط بينهم خنجر له رأسان ، نصابه في وسطه ، وهو الخنجر الـــذي حمله فيروز لقتل عمر ، وقتل نفسه ، اذ اخذ بفعلته ..**

والهرمزان أمير زالت عنه الامارة بعد ذهاب الدولة المجوسيـــة ، وجفينة من أهل الانبار وهم على ولاء للفرس ، ( وأبو لؤلؤة ) فارسي شديد الحقد على المسلمين لم ينس أسره ولم يزل كلما جيء الى المدينة بأسرى من وقعات فارس ، مسح رؤوسهم وتوعد المسلمين أجمعين ..

وقد كان شاركهم فى هذه المؤامرة يهودي مغلوب تظاهـــر بالاسلام وهو المسمى : كعب الاحبار ، ولعله أراد أن يكسب سمعة العلم بالاسرار من علمه بالمؤامرة ، فذهب الى عمر قبل ثلاثة أيام من مقتله ينذره أن يختار ولي عهده ، لانه ميت فى ثلاثة أيام ... ) .

فنحن نرى كيف أن العقاد جزم بمشاركة كعب الاحبـــار فى هـــذا الاجرام ، وان اسلامه هذا كان مطية من اجل تنفيذ التخطيط اليهـــودي للقضاء على الاسلام .

16 ) واذ نورد هذه الرواية ، فانما نوردها ونحن على حذر شديد مما ترمي اليه ، فلا نتسرع فى الحكم على كعب الاحبار ، ونرى أن ما قاله العقاد ، ربما كان صحيحا ، وربما كان غير صحيح ..

ومن الملاحظ فى هذا الصدد ، اننا نجد مفكرين اسلاميين بحثـــا مقتل عمر بن الخطاب ، وتحدثا عن ذلك فى حذر شديد من أمـــر كعـــب

---

(13) انظر موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية : العبقريات الاسلامية ـ المجلد الثاني ص : 525 ـ 526 ، مطبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط 1 ، ربيع الاول : 1391 هـ ـ مايو 1971 م .

الاحبار هذا ، وهذان المفكران هما : احمد امين ، والشيخ محمد الخضري بك ..

**اما الاول** : فقد تعرض لكعب وقال عنه : **انه اكبر من تسربت منهم اخبار اليهود الى المسلمين** .. ثم قال : وقد لاحظ بعض الباحثين : **ان بعض الثقات كابن قتيبة والنووي! ، لا يرويان عنه ابدا ، وابن جرير الطبري يروي عنه قليلا** ، ثم ذكر قصة مقتل عمر التي اخبر بها كعب ، فقال :

وهذه القصة ـ ان صحت ـ دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر ، ثم وضعها فى هذه الصبغة الاسرائيلية ، كما تدل على مقدار اختلاقه فيما ينقل (14) .

**وأما الثاني** : فبعد ان ذكر ما وجهه كعب الاحبار الى عمر بن الخطاب قرب وفاته قال : ولو **صحت هذه الحكاية ، وكنت فيمن يحقق هذه القضية ، ما ترددت لحظة فى أن لكعب يداً فى مقتل عمر ، وانه كان عالما بما تم عليه الاتفاق بين المؤتمرين ( المتآمرين ) على عمر ، وربما يقال : لو كان كذلك . فما يدعو كعبا الى انباء عمر بهذا النبا ؟** والجواب عن ذلك سهل ، فانه ينال بذلك بين المسلمين مركزا عظيما ؛ فان كثيراً منهم يرون بعد ذلك أن توراته فيها علم كل شيء ، وانه صادق فى كل ما يخبر به ، فلا يتردد سامعه لحظة فى تصديقه بما يوحي اليه ، وكعب هذا مما افاض علينا ثروة من الاخبار الاسرائيلية التي لا ندري حقيقتها ، ولا ريب أن فيها شيئا كثيرا ، هو كذب محض ، لان التوراة التي بأيدينا ليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل عنه (15) .

وكون أغلب ما يرويه كعب يتميز بالكذب ، هو ما قاله بعض الصحابة

---

**(14) انظر فجر الاسلام ، ص : 161 ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ، 5 ، القاهرة السنة 1364 هـ ـ 1945 م ، وانظر كذلك : ما ساقه الاستاذ محمد خليفة التونسي في مقدمته لكتاب الخطر اليهودي ، حول مشاركة كعب الاحبار فى قتل عمر بن الخطاب ص : 75 ـ دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط ، 4 .**

**(15) انظر : تاريخ الامم الاسلامية للشيخ محمد الخضري بك ج 2 ، ص : 21 ، ط ، 8ـ السنة 1382 هـ .**

الاجلاء ، وهو معاوية بن أبي سفيان . فقد أورد ابن حجر العسقلاني في كتابه : تهذيب التهذيب ما ياتي (16) :

( وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمان ، أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة ، وذكر كعب الاخبار ، فقال:

( ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وان كنا لنباو عليه الكذب ) .

وقد سبق لعمر بن الخطاب ، ان نهاه ان يتحدث عن أخبار الاولين ، وانذره بنفيه من أرض المسلمين ، حيث قال له :

لتتركن الحديث عن الاول أو لألحقنك بأرض القردة ) . (17) .

واذ ذكر كل من الطبري وابن الاثير قصة مقتل عمر على يد أبي لؤلؤة وحكاية كعب الاحبار له قرب وفاته ، فان ابن عبد البر لم يورد الا قصة القتل فقط ، واعرض عن حكاية كعب لعمر ما حكاه له من قرب اجله (18) .

**17 ) ومهما يكن من صحة قصة كعب الاحبار التي تتنبا بوفاة عمر ، (19) أو عدم صحتها ، فان الذي يجب اعتقاده ، هو أن اصابع اليهود بما جبلوا عليه من الشر ، والخبث في الطوايا ، هي التي اعطت الاشارة الى اغتيال عمر بن الخطاب ، سواء على يد كعب ، بناء على قول من قال به ، أو على يد غيره منهم (20) .**

والذي يجعلنا نتأكد من ذلك ، هو ما قاموا به من تآمر على عثمان بن عفان ، حيث الحقوه بسلفه ، وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي :

---

**(16) انظر ج 8 ، ص : 439 ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند بمحروسية حيدر اباد الدكن ، ط : 1 ـ السنة 1326 هـ .**

**(17) انظر البداية والنهاية لابن كثير ، ج 8 ، ص : 106 .**

**(18) انظر : الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، القسم الثالث ، ص : 1153 ـ 1154 ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة .**

**(19) توفي عمر بن الخطاب ليلة الاربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة 23 هـ ودفن بكرة يوم الاربعاء في بيت عائشة مع النبي ( ص ) وابي بكر هـ ـ الطبري ج 4 ، ص : 193 .**

**(20) انظر : ما ساقه صابر طعيمة في تآمر اليهود على اغتيال كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان في كتابه : الماسونية ، ذلك العالم المجهول ، ص : 6 ـ 22 ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الاولى ، السنة 1975 ، وهذا الكتاب هو دراسة في الاسرار التنظيمية اليهودية العالمية .**

## المبحـــث الثانـــي

## التآمـر علـى عثمـان بـن عفـان

18 ) ما ان استقرت الاوضاع بعد مقتل عمر بن الخطاب ، وتولي عثمان بن عفان الخلافة بعده ، واخذت الامور تسير وفق السياسة التـي رسمها لها ، حتى بدات نزوات الشر القبلية تتحـرك في النفـوس ، واخذت الاهواء الجاهلية تطل على المجتمع الاسلامي بشكـل يستلفـت الانظار ، ولم تلبث تلك النزوات أن تحولت الى فتن داخلية جعلـت مـن بعض الاعراب ، يستنكرون تولية الولاة من قريش ومن الانصار وحدهم ، ويبقون هم انفسهم على هامش الحياة ، فانفت نفوسهم البقاء على هـذه الوضعية التي تؤثر افرادا على آخرين ، لا سيما ، وانهم جميعا مسلمـون وعلى صعيد واحد ، الامر الذي اتاح السبيل لاستفحال الفتـن أن تتحرك بشكـل بيـن (21) .

وكان أول مدينة ظهرت فيها هذه النزعات ، هي مدينة الكوفة .

19 ) ( فقد ثارت فيها جماعة تنكر فضل قريش التي كان زمـام الحكم في أيديها يومئذ ، وعلى رأس تلك الجماعات : مالك بن الحـارث النخعي المعروف بالاشتر ، ولكن سارع الى اخماد الفتنة وتهدئتهـا ولاة عثمان : سعيد بن العاص والي الكوفة ، ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام.

ولم يكن اخماد هذه الفتنة عن طريق القمع والقوة ، وانما كان عـن طريق الاقناع والحكمة والمرونة السياسية ، حتى خفت صوتها ، وكمنت على غش ودخن (22) ... )

---

(21) انظر مزيدا من الايضاح في هذا الصدد كتاب : اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للشيخ محمد الخضري بك ، ص : 154 ـ 155 ـ دار الاتحاد العربي للطباعة .

(22) مكائد يهودية عبر التاريخ بتصرف ، تاليف الميداني ، ص : 163 ـ دار القلـم ، دمشق ـ بيروت ، ط : 1 ، 1394 هـ ـ 1974 م .

ولم تخمد هذه الفتن فى الكوفة ، حتى ظهرت اعمال عدوانية ، تخل بالامن ، وتنشر الرعب والفزع فى البصرة ، محدثة بلبلة فى النفوس ، وكانت هذه الاعمال تتجه فى اغارة بعض العصابات ـ وعلى راسها ـ حكيم ابن جبلة العبدي ـ على ارض فارس ، وشرعت تعيث فى الارض فسادا ، مما جعل أهل الذمة وغيرهم يرفعون شكوى الى عثمان بما يلقونه من مشاغبات ومن عدوان . فكتب عثمان الى والي البصرة : عبد الله بن عامر، بالقاء القبض على حكيم بن جبلة ، وعلى المشاغبين معه ، وفرض اقامة جبرية عليهم فى مكان معين ، وعدم ترك الحرية الكاملة لهم ، ما عدا اذا تأكد منهم رشدا وصلاحا .

**وفى الوقت الذي تفرض عليهم الاقامة الجبرية ، تتطاير الاخبار الى يهود اليمن الذين يتحفزون للفرص المواتية للنيل من الاسلام والمسلمين ـ ولم يلبث احدهم ـ وهو عبد الله بن سبا المعروف بابن السوداء ، مع ما عرف عنه من دهاء وخبث كبيرين ـ ان سافر من اليمن الى البصرة متظاهرا بالاسلام حتى يستطيع ان ينفث سمومه ، فاتصل توا برئيس العصابة المفروض عليه الاقامة الجبرية ، واخذ يتردد عليه محاولا استقطاب جماعة تحوم حوله للاستعانة بها فى تنفيذ المؤامرة الكبرى .**

**ولم يجد صعوبة ، تحول بينه وبين ما يريد ، بل على العكس وجد مرتعا خصبا لبث افكاره بين هؤلاء .**

**وقد ركز فيما بثه فيهم من سموم على فكرتين اساسيتين :**

1 ـ **ركز على نظرية الرجعة** ، ويزعم فيها : ان محمدا رسول الله ( ص ) ، سيرجع الى الوجود من جديد ويتعجب من تصديق الناس برجوع عيسى عليه السلام ، وعدم تصديقهم برجوع محمد ( ص ) ، ويستدل على رجوعه بقوله تعالى : ( ان الذي فرض القرءان لرادك الى معاد ... ) (23) .

2 ـ **ركز على كون علي بن ابي طالب وصي رسول الله ( ص )** ، واذا كان الامر كذلك ، فانه يكون أحق بالخلافة من عثمان .

---

(23) سورة القصص ، الاية : 85 .

يرجع ، فاستبطأوه ، حتى ظن : انه قد اغتيل ، فلم يلبث الامر الا قليلا ، حتى ورد كتاب والي عثمان بمصر : عبد الله بن سعد بن أبي سرح **يخبرهم فيه ، بان عمارا قد استمالته عصابة بمصر ، وانقطعوا اليه ، وكان من بين افراد العصابة ، بعض من عناصر الاجرام التي شاركت في قتل عثمان بن عفان ، وهم سودان بن حمران ، وكنانة بن بشر التجيبي ، وخالد ابن ملجم ، وعبد الله بن سبأ اليهودي : راس الفتنة ومدبرها .**

22 ) وللتدليل على هذا اورد ما قاله الطبري في تاريخه (24) عن يزيد الفقعسي ، قال : ( وكان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء ، امه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ **بالحجاز** ، ثم **البصرة** ، ثم **الكوفة** ، ثم **الشام** ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر ، فاعتمر فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل : ( ان الذي فرض عليك القرءان لرادك الى معاد ... ) .

**فمحمد احق بالرجوع من عيسى ، قال : فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك : انه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد ، ثم قال لهم : محمد خاتم الانبياء ، وعلي خاتم الاوصياء ، ثم قال بعد ذلك : من اظلم ممن لم يجز وصية رسول** الله ( ص ) ، ووثب على وصي رسول الله ( ص ) ، وتناول أمر الامة . ثم قال لهم بعد ذلك : **ان عثمان اخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ( ص ) فانهضوا في هذا الامر فحركوه ، وابداوا بالطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لتستميلوا الناس ، وادعوهم الى هذا الامر .**

فبث دعاته ، وكاتب من استفسد من الامصار ، وكاتبوه ، ودعوا في السر الى ما عليه رايهم ، واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب اهل كل مصر منهم الى مصر ما يصنعون ، فيقراه اولئك في أمصارهم ، وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك

(24) انظر : ج 5 ، ص : 68 ـ المطبعة الحسينية المصرية ، ط : 1 .

**وكان غرضه من وصف علي بن ابي طالب بوصي رسول الله ( ص ) : ان يجهز على عثمان ، وبالتالي ان يقضي على الخلافة الاسلامية قضاء مبرما.**

**20 ) ولما شاع امره في البصرة ، استدعاه واليها وبحث عن هويته ، فاجابه بانه رجل من اهل الكتاب رغب في الاسلام وفي جوار الوالي ، وكان في جوابه ذل ومسكنة . وبعد التحقيق معه فيما يشاع عنه، طرده من ولايته .**

فاتجه نحو الكوفة مركز الفتنة الآخر ، فأفسد جماعات هنالك ، وترتب عن هذا أن طرده واليها ايضا ، فاتجه الى مصر ، وبها قد استقر . وهناك اخذ يركز لدعوته ، فاستطاع بدهائه ودسائسه واكاذيبه ان يخلق مناخا للفتنة ، ويستحوذ على جماعات كثيرة ، فكون لديه اتباعا ، وربط الصلة بينهم وبين من افسدهم في البصرة والكوفة .

**وبهذا قد انطلق تيار سياسي سري مقنع بقناع ديني ، يطالب ظاهريا باسناد الامر الى علي بن أبي طالب ، لكونه خاتم الاوصياء . وقد نشط في تحريك هذا التيار المعادي بالبدء بالطعن على آراء عثمان ، والتظاهر بالامر المعروف والنهي عن المنكر ، لاستمالة الناس اليه .**

وهكذا اخذت دعوته تتفاقم ويزداد المناصرون له ، اذ ركز فيهم روح الشر والعدوان وروح الفتك والتمرد .

**وقد انهالوا على عثمان وعلى ولاته بمعارضة عنيفة ، ونسبوا اليهم اعمالا لم يعملوها ، فاثاروا السخط في نفوس الناس عليهم ،** وطارت الاخبار بين الامصار الاسلامية فهيأوا هنالك جوا ثائرا على خليفة رسول الله ( ص ) حتى جاء محمد وطلحة يسألانه عما تتناقله الالسنة من اخبار ، فأجابهما : بانه لم يصل اليه شيء . فاقترحا عليه أن يبعث وفودا الى الامصار ، ليتحسسوا الاخبار ، ويقفوا على وجه الحقيقة .

21 ) فبعث كلا من محمد بن مسلمة الى الكوفة ، واسامة بن زيد الى البصرة ، وعمار بن ياسر الى مصر ، وعبد الله بن عمر الى الشام ، وبث برجال غيرهم .

وقد ذهبت هذه الوفود الى المهمة المنوطة بها . ولما رجعوا ، صرحوا : بانهم لا ينكرون شيئا ، ولا اعلام المسلمين ، ولا عامتهم على عثمان ، ولا على سياسته ، الا ان الذي لوحظ : ان عمارا بن ياسر لم

المدينة ، واوسعوا الارض اذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويسرون غير ما يبدون ، فيقول أهل كل مصر : انا لفي عافية مما فيه الناس ، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان ، قالوا : فأتوا عثمان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أياتيك عن الناس الذي ياتينا ؟ قال : والله ما جاءني الا السلامة ، قالوا : فانا أتانا ، واخبروه بالذي أسقطوا اليهم ، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فأشيروا علي ، قالوا : نشير عليك ، أن تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار ، حتى يرجعوا اليك بأخبارهم ، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله الى الكوفة ، وارسل أسامة بن زيد الى البصرة ، وارسل عمارا بن ياسر الى مصر ، وارسل عبد الله بن عمر الى الشام ، وفرق رجالا سواهم ، فرجعوا جميعا قبل عمار .

فقالوا : أيها الناس ، ما أنكرنا شيئا ، ولا أنكره أعلام المسلمين ، ولا عوامهم ، وقالوا جميعا : الامر امر المسلمين ، الا ان امراءهم يقسطون بينهم ، ويقومون عليهم ، واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا انه اغتيل ، فلم يفجأهم الا كتاب عبد الله بن سعد بن ابي سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر ، وقد انقطعوا اليه ، منهم : عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم ، وسودان بن حمران وكنانة بن بشر .

23 ) فنتبين من هذا النص ، كيف استطاع ابن السوداء أن يقوم بدور شيطاني فى تضليل الناس وتأليبهم على عثمان ، وكيف أمكنه أن يصدع الصفوف ويخلخل الافكار ، محاربة منه للاسلام وتفكيكا لعراه الوثقى .

فلم يكن تأليبه الناس على عثمان مقتصرا على مدينة وحدها ، **وانما ألبهم عليه فى كل من الكوفة والبصرة ومصر** ، واستطاع فى النهاية، حملهم على الذهاب بهم الى محاصرة المدينة ، قصد تصفية الحساب مع ابن عفان .

وهكذا نجد عناصر السوء ودهاقنة الاجرام ، يذهبون اشواطا بعيدة فى التآمر على عثمان ، وما ان علم بكثرة الشائعات وتقول القالة عليه ، وعلى ولاته ، حتى كتب الى أهل الامصار قائلا لهم :

---

24 ) ( اما بعد ، فاني آخذ العمال بموافاتي فى كل موسم ، وقد

سلطت الامة منذ وليت على هذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يرفع علي شيء ولا على احد من عمالي الا اعطيته ، وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية الا متروك لهم ، وقد رفع الي اهل المدينة ، ان اقواما يشتمون ، وآخرون يضربون فيا من ضرب سرا ، وشتم سرا ، من ادعى شيئا من ذلك ، فليواف الموسم ، وليأخذ بحقه ، حيث كان مني ، أو من عمالي ، او تصدقوا ، فان الله يجزي المتصدقين ) (25) .

25 ) فلما قرئ هذا الكتاب في الامصار ، ابكى الناس ودعوا لعثمان ، وقالوا : **ان الامة لتمخض بشر** .

ولم يكتب عثمان بهذا فحسب ، بل امر ولاته بالحضور اليه سريعا .

ولما مثلوا بين يديه ، عقد معهم مجلسا استشاريا تطرق فيه الى ما يروج من شائعات ، وما تردده الالسنة من كلام .

وكان هؤلاء الولاة ، هم :

1 ـ **عبد الله بن عامر** .

2 ـ **معاوية بن ابي سفيان** .

3 ـ **عبد الله بن سعد بن أبي سرح** .

وادخل معهم في المشورة كلا من **سعيد وعمرو** . فقال : ويحكم ما هذه الشكاية ، وما هذه الاذاعة ؟ واني والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم ، وما يعصب هذا الا بي ، فقالوا له : الم تبعث ؟ الم نرجع اليك الخبر عن القوم ؟ الم يرجعوا ولم يشافههم احد بشيء ؟ لا ، والله ما صدقوا ، ولا بروا ، ولا نعلم لهذا الامر اصلا ، وما كنت لتاخذ به أحدا ، فيقيمك على شيء ، وما هي الا اذاعة لا يحل الاخذ بها ولا الانتماء اليها ، قال : فأشيروا علي ..

---

(25) انظر هذا في الجزء الخامس من تاريخ الطبري ، ص : 99 .

**فقال سعيد بن العاص : هذا الامر مصنـــوع يصنـــع فى السر** ، فيلقي به غير ذي المعرفة فيخبر به ، فيتحدث به فى مجالسهـم ، قال : فما دواء ذلك ؟ قال : طلب هؤلاء القوم ، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هـــذا من عندهـــم .

**قال معاوية** : قد وليتني ، فوليت قوما لا يأتيك عنهم الا الخيـــر ، والرجلان اعلم بناحيتهما ، قال : فما الراي ؟ قال : حسن الادب .

قال : **فما ترى يا عمرو** ، قال : ارى انك قد لنت لهم ، وتراخيـــت عنهم ، وزدتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيـــك فتشتد فى موضع الشدة ، وتلين فى موضع اللين .

ان الشدة تنبغي لمن لا يألوا الناس شرا ، واللين لمن يخلف الناس بالنصح . وقد فرشتهما جميعا اللين .

وقام عثمان فحمد الله ، واثنى عليه ، وقال :

26 ) **كل ما اشرتم به علي قد سمعت ، ولكل امر باب يوتي منـــه ، ان هذا الامر الذي يخاف على هذه الامة كائن** ، وان بابه الذي يغلق عليه ، فيكفكف به اللين والمواتاة والمتابعة الا في حدود الله تعالى ذكره ، التي لا يستطيع احد أن يبادي بعيب احـــدها ــ فان سده شيء ، فرفـــق ــ **فذاك ، والله ، ليفتحن ، وليست لاحد علي حجة حق ، وقد علم الله انـــي لم آل الناس خيرا ولا نفسي ، والله ان رحا الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها** ، كفكفوا الناس ، وهبوا لهم حقوقهم ، واغتفروا لهم . واذا تعوطيت حقوق الله ، فلا تدهنوا فيها (26) .

27 ) ومما تجدر ملاحظته : أن الثائرين السبئيين ــ امعانا منهم فى تضليل المسلمين وذر الرماد فى أعينهم حتى لا يقفوا على سر المؤامرة ، كان كل فريق منهم يتظاهر بأن هواه مع رجل من الصحابة الاجلاء .

**فالقادمون من مصر ، تظاهروا بان هواهم مع علي بن أبي طالب .**

---

(26) **انظر : تاريـــخ الطبـــري ج 5 ، ص : 99 .**

**والقادمون من الكوفة ، تظاهروا بان هواهم مع الزبير .**

**والقادمون من البصرة ، تظاهروا بان هواهم مع طلحة .**

وقد اخذ كل فريق منهم يقوم بتحريض صاحبه ، بكيفية مباشرة او غير مباشرة .

28 ) ولما علم عثمان بقدومهم ، أرسل اليوم أناسا يستطلعون خبرهم ، فعددوا لاصحاب عثمان ما ينتمون منه ، مما افتراه السبئيون عليه وعلى ولاته ، فأبلغوا عثمان مقالتهم فيه .

فدعاهم عثمان الى المسجد ، مثلما دعا اصحاب رسول الله ، وخطب فيهم وذكر ما يقول المفترون ، ثم اخذ في تكذيب تلك الافتراءات ؛ واحدة ، واحدة ، وكلما فند واحدة منها ، سأل أصحاب رسول الله (ص) وقال لهم : هل ما اقوله صحيح ؟ فيقولون : نعم . ثم أعلن استعداده لكل ما يشير به أصحاب رسول الله ، ( ص ) ، وعزل ما يريدون عزله من عماله ، والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ، وبما كان عليه أبو بكر وعمر ؛ واعلن استعداده ان يعطي المؤمنين ما يرضيهم .

**29 ) ولما سمعت الوفود رده على تلك الافتراءات المدسوسة عليه تراجعوا عما عزموا عليه ، وعادوا الى معسكراتهم ، وقرروا الرجوع من حيث أتوا ، الا أن رؤوس الفتنة لم يعجبهم هذا التحول ، فاختلقوا مكيدة اخرى ، فزوروا كتابا على لسان عثمان ، ودسوه مع البريد الذاهب الى مصر ، وقد كتبوا فيه امرا من عثمان الى والي مصر ، أن يقتل محمدا ابن ابي بكر ، وبعض رؤساء الوفود (27) .**

**ولما اقترب البريد من الركب ، اسرع هؤلاء الى حامل البريد ، فتظاهروا امام افراد الكتيبة القادمة من مصر ، انهم يريدون تفتيش البريد ، فعثروا على الكتاب الذي كانت العناصر السبئية قد زورته ودسته ، فاظهروا الكتاب امام افراد الكتيبة ، واوهموا بذلك ان الخليفة**

---

(27) مكائد يهودية عبر التاريخ ، ص : 165 .

قد غدر بهم ، فكروا راجعين الى المدينة من أجل الانتقـام من عثمـان ، انتقاما لا هوادة فيه ، ولا رجوع (28) .

30 ) ولما عسكروا حول المدينة ، وعلم عثمان بقضية الكتـاب ، وأنكره ، وتبرأ من أن يكون قد كتبه أو علم ما فيـه ، فانكشفت عندئذ دسيسة الاعداء ؛ الا ان السبئيين أرادوها فتنة عمياء فعزموا على تضييق الخناق عليه ، والسير بالمؤامرات الى النهاية .

ومما يجب لفت النظر اليه : أن السواد الاعظم من الوفود الناقمة على عثمان ، كان يريد عزله من الخلافة فقط ، ولا يفكـر فى قتلـه بتاتـا ؛

---

(28) الحقيقة ، أن عثمان أخذت عليه مآخذ كثيرة ، حملت بعض الناس على كرهه ، ومن بين هذه المآخذ :
أ ـ انه عطل حدا من حدود الله ، فلم يقتص من عبيد الله بن عمر حينما قتـل الهرمزان وجفينة لما شاركا فى قتل عمر بن الخطاب عن طريق التآمر عليه .
ب ـ أخذ الزكاة على الخيل وكان النبي ( ص ) قد عفا من زكاة الخيل والرقيق .
ج ـ انه حمى الحمى ، والله ورسوله قد أباحا الهواء والماء والكلأ للناس جميعا .
د ـ انه حمل الناس على مصحف واحد وأحرق ما عداه .
هـ ـ رد عمه الحكم بن أبي العاص وأهلـه الى المدينـة وكـان النبـي ( ص ) قد أخرجهم منها اخراجا عنيفا . وكان بيت الحكم بن أبي الحكـم بن أبـي العـاص فى الجاهلية مجاورا لبيت النبي ( ص ) فكان الحكـم يؤذي جـاره الكريـم أشد الاذى واقبحه . وكان يسعى وراء النبي ، ويقلد حركاته ساخرا منه ، واطلع ذات يوم على النبي فى حجرة من حجراته ، فخرج النبي مغضبا فلما عرفه قال : من عذيري مـن هذا الوزغ ؟ ثم أخرجه من المدينة وقال : ( لا يساكنني فيها أبدا ) وقد شفع عند النبي فى اعادته فلم يعده ، وطلب ذلك الى أبى بكر ، فأبى عليه ، وطلب ذلـك الى عمر ، فلم يكتف بالرفض ، وانما زجر عثمان ، وحرج عليه الا يعاوده فى أمر الحكـم مرة اخرى ، فلما استخلف عثمان رده الى المدينة فانكـر عليه المسلمـون فى ذلـك ولاموه ا هـ من الفتنة الكبرى ج 1 ص : 175 ـ 180 ـ 181 ـ 184 .
واذا رجعنا الى ما قاله بعض المحققين فى هذا المضمار ، فاننا نجد معظم ما أخذ على عثمان ، لا يقف أمام النقد الحقيقي الذي يكشف عن واقعية الامور .
ومن بين من تصدى لهذه المآخذ : الامام أبو بكر ابن العربي فى كتابه ( العواصم من القواصم ) فقد أورد فيه قاصمـة فى المظالـم المكذوبـة على عثمـان ص : 104 واردفها بعاصمة أبطل فيها تلك المظالم المكذوبة عليه ، واحدة واحدة ، مع تبيـان الظروف والاحداث التي قتل فيها عثمان بن عفان ـ رحمه الله ـ فى الصفحـات : 105 ـ 126 ـ المطبعة الجزائرية الاسلامية القسطنطينية ، ط : 1 ، السنة 1347هـ 1928 م .
كما تعرض لهذه المآخذ التي أخذت على عثمان : أبو جعفر أحمد الشهير بالمحـب الطبري وعالج الكلام عنها فى : 19 قضية فى كتابه : الرياض النضرة فى مناقـب العشرة ج 2 ، ص : 137 ـ 152 ـ ط : 1 ، تصحيح السيد محمد بدر الديـن النعسانـي الحلبـي .

**الا أن أصابع الدكر اليهودية ، صممت منذ البداية على اغتيالــه ، تمهيدا لضرب الكيان الاسلامي وتقويضه من الاساس .**

كما يجب لفت النظر : الى أن الثائرين ثاروا على عثمان . وهو على منبر رسول الله ( ص ) يرد على افتراءاتهم فتوعدوه وهددوه .

31 ; ومن بين من هدده : جبلة بن عمرو الساعدي ( رجل مــن الانصار ) فقال : **يا عثمان ، انزل ندرعك عباءة ونحملك على شارف مــن الابل الى جبل الدخان . كما سيرت خيار الناس ! قال عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به ، وكان جبلة هذا يعرض لعثمان ، وينذره بالقتل ، أو بأن يطرح في عنقه ( غلا ) ويحمله على قلوص جرباء ، ويلقيه في جبل الدخان، ان لم يترك بطانته ، وكان يلومه في عماله ، وفي مروان ، وفي آل الحكــم خــاصـــــة .**

ولم يكد عثمان يرد على جبلة حتى قام اليه جهجاه بن سعيد الغفاري ـ رجل من رهط أبي ذر،ومن اصحاب النبي الذين شهدوا بيعة الرضوان ـ **فوثب على المنبر ، فأخذ من عثمان العصا التي كان يخطب عليها النبــي ، وصاحباه من بعده ، فكسرها على ركبتيه ... ثم ثار الناس ، فتحاصبوا وحصب عثمـــان** ( رمي بالحجــارة الصغيــرة وهــو على المنبــر ) **حتى صرع ، واحتمل مغشيا عليه ، فأدخل داره ، فلم يخــرج منهـــا الا مقتــــولا (29) .**

وبعد هذه **الحادثة المفجعة ، حاصر الثائرون عثمان** ـ فيما بعــد ـ **حصارا شديدا في داره ومنعوه** من الصلاة في مسجد الرسول ( ص ) وهو الــذي اشتــرى قطعــة ارضيــة بأمــر مــن الرســول ( ص ) **ووسع بها المسجد ، وقطعوا عنه الماء ، حتى كان لا يشرب هو وعياله الا المــاء المتغيــر .**

وفي هذه الفترة السوداء أرسل عثمان الى ولاته ، يستنجد بهــم ، ولم تكد تصل اليه النجدات ، حتى اقتحموا عليه الدار ، وكان من بين من

---

**(29) انظر : الفتنة الكبرى لطه حسين ، ص : 211 ـ 212 ـ دار المعــارف بمصــر ـ القــاهــــرة .**

اقتحمها عليه : محمد بن أبي بكر الصديق ، يجذبه من لحيته معنفا اياه ، فاستطاع عثمان ، أن يقنعه بالا يمسه بايذاء .

32 ) وصرح الطبري : بان محمد بن ابي بكر ، لما رجع ، وعرفت العصابة المتمردة انكساره ، ثار قتيرة وسودان بن حمران السكونيسان والغافقي ، فضربه الغافقي بحديدة معه ، وضرب المصحف برجله ، فاستدار المصحف ، فاستقر بين يديه ، وسالت عليه الدماء ، وجاء سودان بن حمران ليضربه ، فانكبت عليه نائلة بنت الفرافصة ( زوجة عثمان ) واتقت السيف بيدها فتعمدها ، ونفح أصابعها ، فاطن اصابع يدها ، وولت ، فغمز اوراكها ، وقال : انها لكبيرة العجيزة ! وضرب عثمان ، فقتله ، ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه ، وقد كان عثمان أعتق من كف منهم عن القتال ، فلما رأوا سودان قد ضربه ، أهوى له بعضهم ، فضرب عنقه فقتله ، ووثب قتيرة على الغلام فقتله ، وانتهبوا ما في البيت ، واخرجوا من فيه ، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى ، فلما خرجوا الى الدار ، ووثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله ، ودار القوم فاخذوا حتى تناولوا على النساء ، واخذ رجل ملاءة نائلة ـ والرجل يدعى : كلثوم بن تجيب ـ فتنحت نائلة ، فقال : ويح أمك ، ما أتمك ! ويضربه غلام لعثمان، فقتله وقتل ، وتنادى القوم : ابصر رجل من صاحبه ، وتنادوا في الدار : ادركوا بيت المال ، لا تسبقوا اليه ، وسمع اصحاب بيت المال أصواتهم، وليس فيه الا غرارتان ، فقالوا : النجاء ، فان القوم انما يحاولون الدنيا ، فهربوا ، وآتوا بيت المال ، فانتهبوه ، وماج الناس فيه ، فالناتىء المقيم ، يسترجع ويبكي ، والطارىء يفرح ، وندم القوم (30) .

وهكذا استطاع اليهود ، ان يصلوا بالمؤامرة الى منتهاها ، حيث تركوا المسلمين ، يموجون في فتن دامية ، ونجحوا في القضاء على عثمان بن عفان ، وبقي راس الفتنة يعد الاعداد ، لتدمير الكيان الاسلامي حيث انسل الى صفوف علي بن ابي طالب ، ليتآمر على الاسلام وعلى عقيدة المسلمين من هناك .. وهنا ما سنلقي عليه ضوءا في المبحث التالي .

---

(30) انظر : تاريخ الطبري ج 4 ص : 391 ـ 392 .

## المبحث الثالث

### التآمر على المسلمين وعلى عقيدتهم ايام علي بن أبي طالب

33 ) مما لا جدال فيه ، ان **اخطر عنصر** قاد **الثورة على عثمان بن عفان ، هو عبد الله بن سبأ اليهودي المعروف بابن السوداء والمتظاهر بالاسلام خبثا ونفاقا** . وقد استطاع هذا المخاتل أن يتلاعب بعقول الكثير من الدهماء ، فأخذ في اغوائهم وتحريضهم على عثمان بن عفان ، ونتج عن هذا التحريض ، ان تعرض ذو النورين لابشع اغتيال في عقر داره !

وقد كان القصد من وراء هذا الاغتيال ، تعريض المسلمين لاخطر هزة عنيفة في حياتهم تقودهم نحو الضمور والانكماش .

وبالرغم عن الاستياء العام الذي احدثه قتل الخليفة ، فان الكثرة الساحقة ارتضت عليا بن ابي طالب كخليفة للمسلمين ، بيد انه قد اعترضته احداث جسام ، طوال خلافته ، اذ نشبت بينه وبين المعارضين له معارك دامية ، أحفظت الكثير منهم ، كمعاوية بن ابي سفيان ومن تبعه، وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين والخوارج الذين انعزلوا عنه بعد نكسة التحكيم .

الا ان الاحداث التاريخية لا تهمنا بمقدار ما يهمنا التآمر على الاسلام وعلى العقيدة الاسلامية داخل صفوف المسلمين .

فقد لوحظ ، ان المتمردين على عثمان ، دخلوا تحت طاعة علي بن ابي طالب واندسوا في صفوف جنده ، مثلما اندس رأس الفتنة عبد الله بن سبأ في انصاره ومحبيه ، ثم تسلل الى مكان القرب منه حتى أجلسه تحت درجة منبره (31) .

ومن الغني عن البيان ، ان هذا المنافق ، اخذ يتظاهر بالاسلام ، وحالما احس باطمئنان الناس اليه ، شرع في نسج المؤامرات سرا من اجل تمزيق الامة الاسلامية وتقويض عقائديتها عموما ، ومحاولته التشكيك

(31) مكائد يهودية عبر التاريخ للميداني ، ص : 167 .

في عقيدتها خصوصا ، وقد نشط في بداية أمره أيـــام عثمـــان في نشر فكرتين ضالتين :

**اولاهما : دعوى عودة الرسول سيدنا محمد ( ص ) الى الحياة الدنيا، مثلما سيعود اليها عيسى بن مريم عليهما السلام .**

**ثانيتهما : دعوى ان لكل نبي وصيا ، وان عليا وصـــي لمحمد ، وان محمداً خاتم الانبياء ، وعلي خاتم الاوصياء (32) .**

34 ) اما في عهد علي بن ابي طالب ، فقـــد كانـــت دسائسه على العقيدة الاسلامية تتركز في شيئين :

**1 ـ في النبـــوة .**

**2 ـ في الالوهيـــة .**

**اما فيما يخص النبوة** ، فقد كان يدعي أن عليا بن أبي طالب نبي مـــن الانبياء ، وانه اخذ في نشر هذا الادعاء بين الجهلة من الناس . وكل هذا في نطاق السرية المحكمة .

فقد طعن الاسلام في أهم مصادره . سواء منها القرءان أو السنـــة النبوية ، اذ كل منهما يؤكد على كون رسول الله ( ص ) هو خاتم الانبياء . فقد قال تعالى في حق نبيه ( ص ) : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . ولكن رسول الله وخاتم النبيئين ... » (33) .

وقال رسول الله ( ص ) مخاطبا عليا بن أبي طالب :
( .. انت مني بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبي بعدي ) (34) .

---

(32) وعن عودة الرسول ( ص ) هذه ، عبر الدكتور حسن ابراهيم حسن بمذهب الرجعة. ثم أوضح بانه نشأ عنه مذهب تناسخ الارواح في الاسلام وهو خروج الروح من جسد، وحلولها بجسد آخر . انظر كتابه : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافـــي والاجتماعي ، ج 1 ، ص : 395 ـ مطبعة السعادة بمصر ، ط : 3 ، سنة 1955 .

(33) سورة الاحـــزاب ، الآيـــة : 40 .

(34) ساق الحسيني أحمد الاميني النجفي هذا الحديث 4 مرات في المجلد الاول من كتابه الغدير في الكتاب والسنة والادب ـ دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط : 3، السنـــة 1387 هـ ـ 1967 .

وقال ( ص ) ايضا : مثلي ومثل الانبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وجمله ، الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ ! قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيئين ) (35) .

ولما سرت هذه الدعاية فى نفوس ضعفة العقيدة مسراها ، اخذ فى لفت انظار المنخدعين به الى قضية اخطر من هذه ، وهي **قضية الالوهية.**

فقد الصق بعلي فيما بعد ، صفة الالوهية ، وروج هذه الفكرة الضالة بين المضللين به والمفتونين ، خاصة بين الجاهليين من أهل الكوفة ، فأدى بهم الامر ، أن غلوا فى ابن ابي طالب غلوا فاحشا .

وبعد أن كان المغرضون يروجون لدعوى النبوة والالوهية سرا ، فقد خرجوا عن نطاق السرية الى نطاق الجهر بهما ، مما جعل الخبر يصل الى الخليفة ، فجمع اولئك المنحرفين الضالين ، فوعظهم ونهاهم ودعاهم الى الاسلام ؛ غير أنهم لم ينتهوا ولم يرتدعوا ، لكون دعاية ابن سبأ ، قد اثرت فيهم تأثيرا بالغا ، وما كان من علي الا أن غضب عليهم غضبا شديدا، فامر مولاه قنبرة باعدامهم حرقا بالنار !

والى هؤلاء الغلاة المبتدعين يشير ابن حزم بقوله : (36)

( فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله ، أتوا الى علي بن ابي طالب ، فقالوا مشافهة : انت هو ، فقال لهم : ومن هو ؟ قالوا : انت الله ! فاستعظم الامر ، وامر بنار فأججت واحرقهم بالنار ، فجعلوا يقولون وهم ( يرمون فى النار : الآن صح عندنا انه الله ؛ لانه لا يعذب بالنار الا الله . وفى ذلك يقول رضي الله عنه :

لما رايت الامر ، أمرا منكرا ، اججت نارا ودعوت قنبرا

---

(35) انظر الحديث فى صحيح مسلم بشرح النووي ج 15 ، ص : 51 ـ المطبعة المصرية بالازهر ، ط : 1 ، السنة 1349 هـ ـ 1930 م .
(36) انظر كتابه : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، ج 4 ، ص : 186 ـ دار المعرفة بيروت ـ لبنان ، ط : 2 ـ طبعت بالاوفسيت سنة 1395 هـ ـ 1975 م .

يريد قنبرا مولاه ، وهو الذي تولى طرحهم في النار ....... )

ويجب التنبيه الى ان ابن سبأ لم يكن ضمن اولئك الذين اعدموا ، نظرا لكونه لم يجاهر بما جاهر به اتباعه ، وبالرغم عن هذا ، فقد اهتم علي ابن أبي طالب بقتله لولا ان عبد الله بن عباس نهاه عن ذلك ، لعدم ثبوت ادانته ، لذا اكتفى بنفيه الى المدائن .

35 ) وبالنظر الى ما ساقه ابن حزم عن اولئك الغلاة ، تتجلى لنا خطورة الدعوى التي اختلقها ابن السوداء وروج لها بين اتباعه المضلل بهم ، ولم تكن تلك الدعوى مقتصرة على ابن السوداء وبعض من اتباعه في حياته فحسب ، وانما كتب لها الذيوع والانتشار بعد مماته ، حيث تغلغلت في نفوس بعض الشيعيين . يرشد الى هذا ما ذكره الشهرستاني بقوله (37) :

**( من بين الفرق الشيعية : (البنانية) اتباع بنان بن سمعان النهدي ، قالوا : بانتقال الامامة من ابي هاشم اليه ، وهو من الغلاة القائلين : بالهية امير المؤمنين : علي ، عليه السلام ، قال : حل في علي جزء الهي ، واتحد بجسده ، فبه كان يعلم الغيب اذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار وله النصر والظفر ، وبه قلع باب خيبر ... ثم ادعى بنان : انه ( علي ) انتقل اليه الجزء الالهي بنوع من التناسخ ، ولذلك ، استحق أن يكون اماما وخليفة ... ! )**

36 ) وبنظرة عجلى الى هذا النص ، نتبين كم أثمرت ادعاءات ابن سبأ في الدهماء ، وكم أثرت فيهم ، حتى سلبتهم اهم ما يميز الانسان عن غيره من بقية الحيوانات ، الا وهو الفطرة السليمة التي تبتعد بصاحبها عن الانحراف والاعوجاج !!

**وان دعوى التناسخ ، وانتقال الارواح من جسم الى اجسام اخرى ، لم تكن لتشكل الا عنصرا من تلكم العناصر التي اريد بها هدم كيان الاسلام (38) .**

---

(37) انظر الملل والنحل للشهرستاني ، ج 1 ، ص : 204 ـ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، ط : 2 ، أعيد طبعه بالاوفسيت سنة 1395 هـ ـ 1975 م .

(38) انظر ما ساقه احمد امين في كتابه : فجر الاسلام ، ص : 269 ـ 270 من تعاليم ابن سبا التي أراد بها استئصال تعاليم الاسلام ، وكذلك ما قاله في تاليفه للجمعية السرية .

وهكذا كانت مخططات ابن السوداء التخريبية سببا في زعزعة العقيدة لدى بعض المتذبذبين من المسلمين ، كما كانت سببا في ابراز بعض الحركات المشبوهة في الاسلام ، كالحركة الباطنية ، وغيرها التي انطلق منها المفسدون الى النيل من الاسلام ، ومن معطياته البناءة .

**37 ) ومهما يكن من أمر ، فان السبئية ، وعلى رأسها : ابن السوداء ، قد نفثت سمومها في الامصار الاسلامية ، تلك السموم التي تجسدت في مختلف النظريات الضالة ، كنظرية الرجعة ، والوصاية ، والعصمة ، ونظرية الحق الالهي ، وكالقول بنبوة علي بن أبي طالب تارة ، وبألوهيته تارة أخرى ، ثم القول بحلول الله في الاجساد ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !**

وهكذا نرى عصر علي بن ابي طالب كان عصرا أسودا كالحا بسبب المؤامرات والدسائس على الاسلام وعلى عقيدته . كما كان عصر فتن هوجاء ! تتلاطم ، مثلما تتلاطم الامواج في عرض البحار ، ولا أدل على فظاعة هذه الفتن ، اكثر مما وقع بين المسلمين انذاك من اقتتال رهيب !! ذهب ضحيته ما يزيد على ثمانين الف صحابي جليل في كل من :

1 ـ **وقعة الجمل** التي دارت رحاها بين علي بن أبي طالب وبين كل من طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين التي كانت تحرض على مقاتلة علي وأصحابه ؛ بدعوى المطالبة بدم عثمان بن عفان .

2 ـ **وقعة صفين** التي دارت رحاها بين علي بن أبي طالب ، وبين معاوية بن ابي سفيان الذي امتنع عن بيعة علي بن أبي طالب لما بايعه المسلمون بالخلافة اثر مقتل عثمان ، وقد برر موقفه هذا ، بالمطالبة بدم عثمان (39) .

3 ـ **وقعة النهروان** التي دارت رحاها بين علي بن أبي طالب وبين الخوارج الذين ثاروا عليه ، بسبب نكسة التحكيم ، مع العلم ، أن (عليا) بن ابي طالب ، قد اكره على التحكيم من طرف الاغلبية الساحقة منهم .

---

**(39) انظر : بحثا مختصرا من كتاب : الماسونية اقدم الجمعيات السرية واخطرها ، ص : 14 ، اعداد وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة الاردنية الهاشمية ، وانظر ما جاء في تعليق نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد امين القابلي على اسرار الماسونية ، تاليف الجنرال جواد رفعت آتلخان ، ص : 13 .**

وهذه الوقائع الثلاث كان السبب الرئيسي فيها ، هو التآمر اليهودي من طرف العصابات التي تعمل فى الخفاء ، تلك العصابات التي تتجسد فى الجمعية السرية التي أحكم تنظيمها من طرف ابن السوداء ، فتسللت الى مختلف الامصار الاسلامية ، ولم ينته تآمر اليهود عند هذا الحد ، بل ادى بهم الامر ان تآمروا على قتل كل من علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وعمرو بن العاص فى ليلة واحدة وفى رمضان بالذات سنة اربعين هـ ، وقد نتج عن هذا التآمر : ان قتل علي بن ابي طالب في هذه الليلة من طرف المجرم عبد الرحمان بن ملجم ، حيث أجهز عليه بسيف مسموم : ضربه على دماغه فخر صريعا ، يتخبط فى دمائه ، (40) ونجا كل من معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص .

38 ) وبهذه الجريمة المروعة ! ، والتي كانت نتاجا لدسائس اليهود على الاسلام والمسلمين ، ونتاجا لمؤامراتهم المتلاحقة عليهم . أمكن لليهود ، ان يخلقوا مناخا عصيبا ، كان له أثر فعال فى تحزيب الاحزاب فى صفوف المسلمين ، وتمزيق كلمتهم ، كما كانت له مضاعفات جد جسيمة فى تحويل الخلافة الاسلامية الى ملك عضود !

وانطلاقا من هذا التحويل ، أخذ اليهود فى تركيز دسائسهم على العقيدة الاسلامية بصفة خاصة ، وعلى التراث الاسلامي بصفة عامة ، حيث وجهوا الى ساحة النضال عدة عناصر ، تقوم بكل الادوار التي تخرب الكيان الاسلامي !



يدل على هذا : ما أشار اليه سيد قطب ـ رحمه الله ـ حيث قال :

( ... ان اليهود من خلال القرون المتطاولة دسوا ـ مع الاسف ـ فى التراث الاسلامي ما لا سبيل الى كشفه الا بجهد القرون ! ولبسوا

---

(40) تحدث عن ظاهرة استشهاده هذه محمد جواد مغنية فى كتابه : الشيعة والتشيع ، ص : 23 ـ مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت . فقال : قضى ليلة الجمعة ، لتسع بقين من شهر رمضان المبارك سنة اربعين ، قتيلا بسيف عبد الرحمان بن ملجم ، وكان سنه يوم استشهد 63 ، قضى مع رسول الله 33 ، منها : عشر قبل النبوة و 13 فى مكة قبل الهجرة و 10 فى المدينة بعد الهجرة ، وعاش بعد النبي : 30 سنة الا خمسة أشهر وأياما . ومدة خلافته : خمس سنين ، وثلاثة اشهر ، وسبع ليال ، وتولى غسله وتجهيزه : الحسن والحسين ، وحملاه الى النجف ودفناه هناك ليلا ، وعميا موضع قبره بأمر منه ، فلم يزل مخفيا ، حتى دل عليه الامام الصادق فى الدولة العباسية .

الحق بالباطل في هذا التراث كله ، اللهم الا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه ابد الآبدين ، والحمد لله على فضله العظيم .

ودسوا ولبسوا في التاريخ الاسلامي واحداثه ورجاله ، ودسوا في الحديث النبوي حتى قيض الله له رجاله الذين حققوه وحرروه الا ما نـد عن الجهد الانساني المحدود .

ودسوا ولبسوا في التفسير القرآني ـ وهناك دس جد خطير !!

لقد دسوا رجالا ، وزعامات للكيد لهذه الامة ، فالمئات والالوف كانوا دسيسة في العالم الاسلامي ، وما يزالون في صورة مستشرقين وتلاميذ مستشرقين ، يشغلون مناصب الحياة الفكرية اليوم في البلاد التي يقول اهلها : انهم مسلمون !

والعشرات من الشخصيات المدسوسة على الامة المسلمة في صورة ابطال مصنوعين على اعين الصهيونية ليؤدوا لاعداء الاسلام من الخدمات ، ما لا يملك هؤلاء الاعداء ، ان يؤدوه ظاهرين ! (41) .

وبالنظر الى هذا النص ، نرى كيف سرب اليهود الكثير من الاسرائيليات في التفسير القرآني ، دسا وتلبيسا وتزييفا لشريعة الاسلام ..

واخذوا في زعزعة العقيدة الاسلامية في نفوس الكثير من بسطاء المسلمين بشتى الوسائل والاساليب ..

واستمروا ـ بدون خجل ولا ملل ـ في توهين عقائدية الاسلام ، وتشويهها في العالم الانساني عموما ، والاسلامي خصوصا ..

ودفعوا الى الساحة الاسلامية : عملاء وصنائع ، ليصلوا عن طريقهم الى مآرب ، وليقوموا بتحقيق ما عجزوا عنه من مطامح ..

وصنعوا زعماء وريادات اسلامية صورية ، لتؤدي لهم من الخدمات: ما هم جادون في طلب الحصول عليه ، محاولين من وراء ذلك : اطفاء نور الله بأفواههم .. ولكن يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ..

---

(41) انظر كتاب : معركتنا مع اليهود ، تاليف : سيد قطب ، ص : 45 ـ 48 ـ دار الشروق ، ط : 1 ، السنة 1389 هـ ـ 1970 م .

## مصادر البحث ومراجعه :


1 ـ الكامل فى التاريخ ، لعز الدين ابن الاثير .

2 ـ تاريخ الرسل والملوك ، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري .

3 ـ البداية والنهاية ، لعماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير .

4 ـ الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ، لابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي .

5 ـ زاد المعاد فى هدي خير العباد : خاتم النبيئين والمرسلين ، للامام ابن قيم الجوزية .

6 ـ الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، للامام ابي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري .

7 ـ الملل والنحل ، لابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني .

8 ـ تقريب التهذيب ، لشهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني .

9 ـ تاريخ الامم الاسلامية ، للشيخ محمد الخضري بك .

10 ـ فجر الاسلام ، لاحمد امين .

11 ـ دائرة المعارف النظامية الكائنة فى الهند ، بمحروسية حيدر اباد الدكن .

12 ـ موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية : العبقريات الاسلامية .

13 ـ بنو اسرائيل فى القرءان والسنة ، للدكتور محمد سيد طنطاوي .

14 ـ الغدير فى الكتاب والسنة والادب ، لعبد الحسيني احمد الاميني النجفي .

15 ـ صحيح الامام مسلم ، بشرح النووي .

16 ـ العواصم من القواصم ، للامام أبي بكر محمد ابن العربي .

17 ـ الفتنة الكبرى ، للدكتور طه حسين .

18 ـ مكائد يهودية عبر التاريخ ، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .

19 ـ حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل .

20 ـ اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، للشيخ محمد الخضري بك .

21 ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، للدكتور حسن ابراهيم حسن .

22 ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ، لابي جعفر احمد الشهير بالمحب الطبري .

23 ـ موقف اليهود من الاسلام ... للسعيد بوركبة ... يوجد الكتاب بمكتبة دار الحديث الحسنية تحت رقم : 8049 .

24 ـ مقدمة كتاب : الخطر اليهودي ، للاستاذ محمد خليفة التونسي .

25 ـ الشيعة والتشيع ، لمحمد جواد مغنية .

26 ـ معركتنا مع اليهود ، للشهيد : سيد قطب .

27 ـ الماسونية : ذلك العالم المجهول ، لصابر عبد الرحمن طعيمة .

28 ـ مجلة منبر الاسلام ، العدد : 4 ، ص : 114 ، السنة : 35 ، ربيع الثاني 1397 هـ الموافق لـ : ابريل 1977 م .



# تراجم شخصية



# الامام المسناوي من خلال كتابه صرف الهمة

للأستاذ ادريس خليفة

## تعريف وجيز بالمؤلف :

ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد المسناوي بن محمد بن ابي بكر الدلائي ، جده ابو بكر هو مؤسس زاوية الدلاء الشهيرة التي قامت على تربية المريدين ، وسهرت فترة طويلة على شؤون التعليم في نواحي الاطلس ، ومارست السياسة زمنا ، وبسطت نفوذها على كثير من جهات المغرب حتى قامت الدولة العلوية الشريفة وقضت على الدويلات القائمة ووحدت البلاد في ظل ملوكها بقيادة مولاي رشيد الذي أطاح بهذه الزاوية عام 1079 هـ ـ 1668 م ، وكان المترجم قد ولد بها عام سبعين أو اثنين وسبعين والف للهجرة،ورحل مع والده بعد سقوط زاويتهم الى فاس ، وبها نشأ وتعلم على والده أولا ثم على كبار شيوخها، وعددهم يزيد على الثلاثين، خص منهم بالذكر في اجازات كتبها لبعض تلاميذه (1) نحو العشرة لعلو سندهم وغزارة علومهم ، ومن بين المذكورين فيها : ابو علي اليوسي ، وعم المترجم محمد المرابط الدلائي ، واحمد بن الحاج ، وابو عثمان العميري وغيرهم .

---

(1) منها اجازته للمنور التلمساني ( البدور الضاوية ، مخطوط خ. ع. بالرباط ( 262 د، ا ص 383 ـ 386 ) ، واجازته لاحمد بن مبارك اللطمي ( مخطوط الخزانة الملكية رقم :5812 ) و ( مخطوط المكتبة العامة بتطوان رقم : 536 ص 266 وما بعدها ) .

ولا أريد — فى هذه العجالة التي أقصد بها تقديم كتــاب « صرف الهمة ... » — أن افيض فى التعريف بالمترجم وحياتــه الاجتماعيــة ومشاركته العلمية والقول فى اجتهاده وادبه وغير ذلك مما يتعلق به وانما اكتفي بتوجيه القارىء الذي يريد التعرف الى هذه الشخصية الفذة الى الرسالة التي كتبتها عنه بعنوان : « أبو عبد الله المسناوي الدلائي ، حياته وآثاره والقول فى اجتهاده » واقتصر قبل تقديم كتابه المذكور على ذكــر أسماء مؤلفاته ، وبعض اقوال علماء عصره من تلاميذه وغيرهم فيه ، وقد ذكرت منهم فى الرسالة المشار اليها آنفا خمسة وعشرين من تلاميـــذه الذين كانوا من أعلام علماء العصر ، وترجمت لهم وعرفت بآثارهم .

## مؤلفاتــــــــه :

كان العصر الذي عاش فيه المسناوي عصر المختصرات العلميـــة ، وكان أكثر العلماء يقتصر على قراءة المتون وتحليلها لفظيا ، مبتعدين عــن التعمق فى الشرح والايغال فى البيان وكان اكثر كبار الشيوخ يترك مهمة الكتابة والتدوين لتلاميذهم ، ويؤثرون الاهتمام بالتدريس لانه فى نظرهم اجدى نفعا وابقى اثرا ، ولان كتب العلم الاساسية موجــودة بين أيــدي الطلبة وهم لا يريدون بها بديلا ، وكان المســـناوي احد هؤلاء الشيــوخ الذين لا يميلون للتأليف الا انه أثر عنه مؤلفات كانت فى اكثرها من استدعاء طلبته أو بعض معارفه ، وهي تتعلق بموضوعات خاصة كانــت الكتــب الموجودة بين أيدي الناس لا تتوسع فيها ، ولا تحرر القول فيها ، ومــن هنا اهمية هذه الآثار التي ترمي الى بيان جديد وحل غامـض ومعالجـــة قضايا اجتماعية او علمية لم تدرس من قبل دراسة كافيـــة ، ويمتـــاز المسناوي فى تآليفه بصراحته وقوة بحثه وارتياده ميادين جديدة تجعله فى مصاف المجددين والمصلحين وتقدم لنا ثمرة فكر وقاد نقاد من انبـــه العقول الصافية الصالحة التي ظهرت فى عصرها ، وقد أثرت اتجاهاتــه الدراسية وتحقيقاته فى تلاميذه الذين واصلوا بعده مهمته ، لذلــك كان راس مدرسة فى البحث يمكن رسم خطتها ومنهجها من خلال التعرف الى استاذها البارع .

**وهذه اسماء مؤلفاتـــه :**

1 ــ كتاب صرف الهمة الى تحقيق معنى الذمة (2) .

2 ــ القول الكاشف عن حكم الاستنابة في الوظائف (3) .

3 ــ النـــــــــوازل (4) .

4 ــ رسالة نصرة القبض فى الرد على من زعم عدم مشروعيته فى صـــلاة النفـــل والفـــرض (5) .

5 ــ جهد المقل القاصر فى نصرة الشيخ عبد القادر (6) .

6 ــ نتيجة التحقيق فى بعض اهل الشرف الوثيق (7) .

7 ــ تقاييد مفرقة لم تجمع فى كتاب فى موضوعات مختلفة مـــن انساب وفتاوي وكتابات صوفية وطرر .

8 ــ آثار أدبية شعرية ونثرية ، لم تجمع أيضا ، ومنها مقامة لـــه سماها : « المقامة الفكرية» فى محاسن الزاوية البكرية » (8) وهي من الاثار الهامة التي تدل على تقدم فن المقامة فى هـــذا العصـــــــر .

ونسب له الدكتور محمد الاخضر كتاب « جواهر السماط فى مناقب سيدي عبد الله الخياط » (9) نقل عن ابن سودة من كتابه ( الدليل ) فى حين ان ابن سودة ذكر فى الدليل انه لاحد تلاميذ تلاميذه .

---

(2) يوجد مخطوطا بالمكتبة العامة بتطوان في اثنتين وعشرين صفحة تحت رقم (343/6) وبالخزانة العامة بالرباط رقم ( 2438 د ) وبخزانة القرويين ( 1530 ) .

(3) توجد منه نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط : ( 2055 د ) وبالقروييـــن ( 1530 ) كما يوجد مدمجا فى بعض المؤلفات المخطوطـــة .

(4) طبعت على الحجر بفاس سنة 1345 هـ ــ 1926 م ، وقد جمعها الفقيه ابن ابراهيـــم من تلاميذ المسنـــاوي .

(5) توجد منه نسخة بخزانة القرويين رقم ( 1530 ) وطبع بتطـــوان سنـــة ( 1367 هـ ــ 1948 م ) ــ المطبعة المهدية .

(6) توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط ( 579 د ) وبخزانة القرويين ( 1540 ) .

(7) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ( 310 د ) وطبع على الحجر بفاس .

(8) البدور الضاوية : ( 262 د ) خ. ع. بالرباط . ص : 402 ــ 405 ورسالة الكاتـــب عن المسناوي ص : 330 ــ 332 .

(9) محمد الاخضر : الحياة الادبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية ص : 198 .

## من أقوال الناس فى الثناء عليه :

ذكره أبو القاسم العميري من تلاميذه فى فهرسته ، من بين اعلام اساتذته ، وقال فيه : « وجدته يقرىء صحيح البخاري ، فاذا هو آية الله فى أرضه سكينة ووقارا وحسن القاء وتدقيق نظر وتحقيق مسائل وبلاغة منطق وسلامة الفاظ وتطريز مساق لما ياتي به ، يحضر مجالسه الخاصة والعامة وكل ياخذ منه بنصيب (10) .

وقال فيه مؤلف ( النشر ) : « والحاصل ان صاحب الترجمة عالم الاقطار المغربية فى وقته حجة محقق كبير ، فقيه محدث أصولي بياني ، مفسر اديب مؤرخ ، عالم بالانساب ، صوفي ، آخر النظار بفاس ، وممن كان اليهم المرجع فى العلوم ، واتفق أهل زمانه فى قطره ومصره على الاحتجاج به والتلمذ له » (11) .

وممن تناول مدحه شعرا تلميذه الاديب العلامة علي بن مصباح الزرويلي ، الذي قال فيه عندما ختم المسناوي تدريس كتاب الشفا للقاضي عياض بمحضر تلميذه النجيب المولى محمد ابن اسماعيل ، قصيدة مطلعها (12) :

يا اهل ودي هل لديكم من شفا ... ومما غدا منه الفؤاد على شفا

### قال فيها :

| | |
|---|---|
| والبدر قد دارت به ثرياتي | كمحمد المسناوي اذ ختم الشفا |
| شيخ الجماعة تاج كل سميذع | واجل حبر فى البرية مقتفى |
| لم يال جهدا فى انتشار العلم | حتى عاد منه ربضا ما قد عفا |

* * *

---

(10) الفهرسة مخطوط خ. ع. بالرباط ( 1361 ك ) : 181 .

(11) نشر المثاني 2 : 124 .

(12) المنزع اللطيف : 72 ـ 73 .

علم أغاث به الالـه العالميـــن كما أغاث عبـاده بالمصطفـــى

* * *

حاز العلوم فلا يكـاد عنانهـــا عنه لآخر غيـره ان يصرفـــا

* * *

ومدحه تلميذه الاديب الشاعر المشارك محمد بن الطيب العلمـــي ، فقـــال :

يكاد يسير الطالبـون لعلمـــه على ابل تجري لضرب كبودهـــا
فلا يجدون اليوم فى الارض عالما كعالمنا منسي الكمـاة مبيدهـا
ولله يوم تم فيه ابـن عـــاشر يلوح على الايام طرا كعيدهـــا

توفي الامام المسناوي عام 1136 هـ ـ 1723 م .

## كتاب « صرف الهمة الى تحقيق معنى الذمة » (13)

بحث مهم جدا فى معنى الذمة فى الفقه الاسلامي ، التي يطلق عليها أيضا فى الفقه والقانون الوضعي اهلية الوجوب ، ناقش فيـــه المسناوي الموضوع من خلال تعاريف كبار الفقهاء له ، مبينا ما فى كلامهم من غموض احيانا ، ومن نقول غير صحيحة أحيانا أخرى ، ومن شروح مخطئة او غير ملمة بجوانب الموضوع ، وقارن فى الكتاب بين الذمة وما يسمى فى الفقه والقانون أهلية التصرف والمعاملة .

---

(13) توجد نسخة منه بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم ( 6 ـ 343 ) وهي مكتوبة بخط دقيق ، وسالمة في الجملة من الاخطاء ، وهي التي اعتمدها في هذه الدراسة ، وعدد صفحاتها ( 22 ) صفحة ، ونسخة بالخزانة العامة بالرباط ( رقم 2438 د ) وعليها طرد ، ونسخة بخزانة مكتبة القرويين ( رقم 1540 ) .

## سبب تاليف الكتاب :

بين المؤلف فى المقدمة انه دفعه الى تاليفه ما فى مباحث الذمة من الاشكال ، وما رفع اليه عنها من السؤال (14) ، والسؤال الذي ذكره طرحه عليه تلميذه النجيب الفقيه العلامة محمد التماق (15) الذي كان يوجه اسئلة فى مواضيع دقيقة من الفقه الاسلامي الى اشياخه ، ويوجد نص السؤال آخر الكتاب .

## نظام هذا التاليف :

رتب المؤلف الكتاب على سابقة ومقصدين ولاحقة .

السابقة فى معنى الذمة لغة وشرعا . ذكر فيها أن لها اربعة حدود اصطلاحية وهي :

— حد أو تعريف ابي عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي لها .

— تعريف ابي العباس احمد بن ادريس الصنهاجي المصري المعروف بالقرافي .

— تعريف ابي القاسم قاسم بن عبد الله المعروف بابن الشاط .

وناقش فى المقصد الاول تعريف ابن عبد السلام وابن عرفة لها ولخص فى المقصد الثاني ما للقرافي وابن الشاط فيها .

واشتمل هذا المقصد على أربع مسائل :

— المسألة الاولى في تعريف الذمة .

— المسألة الثانية فى شروطها .

— المسألة الثالثة فى الفرق بين الذمة واهلية المعاملة .

(14) صرف الهمة : 1 .
(15) ترجمته فى رسالتي عن المسناوي ج 1 ص :

— المسألة الرابعة فى ان الذمة واهلية المعاملة ، هل هما من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف .

وخصص اللاحقة فى مسايرة السؤال الموضوع فى المسألة من تلميذه التمساق .

والى القارىء دراسة الكتاب بحسب الترتيب الذي وضعه المؤلف .

## أولا : السابقة فى معنى الذمة لغة وشرعا : (16)

الذمة لغة العهد والكفالة ، أي تستعمل بمعنى العهد تارة وبمعنى الكفالة تارة اخرى ، تقول بالمعنى الاول أعطيت فلانا ذمة أي عهدا ، ومنه الآية : « لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة » (17) والحديث : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » (18) ويسمى العهد ذمة لانه يذم على اضاعته اي نقضه ، وتقول بالمعنى الثاني : فلان فى ذمتي أي كفالتي وضماني ، ومنه الحديث : « من صلى الصبح فى جماعة لم يزل فى ذمة الله » أي كفالته والتزامه لحفظه (19) .

وعرفها ابن عبد السلام اصطلاحا بأنها : « أمر تقديري يفرضه الذهن ، وليس ذاتا ولا صفة لها ، فيقدر المبيع وما فى معناه من الاثمان كأنه فى وعاء عند من هو مطلوب منه » (20) .

وقال ابن عرفة تلميذه : « الذمة ملك متمول كلي حاصل او مقدر فيخرج عنه ما أمكن حصوله من نكاح او ولاية او وجوب حق فى قصاص او غيره مما ليس متمولا ، اذ لا يسمى ذمة » (21) .

واعتبر القرافي انها « معنى شرعي مقدر فى المكلف قابل للالتزام او اللزوم » (22) .

---

(16) صرف الهمة ، ص : 1 ـ 2 .
(17) سورة التوبة : 10 .
(18) رواه أحمد وابو داود والنسائي عن علي رضي الله عنه ( نيل الاوطار 7 : 150 ).
(19) رواه الامام مسلم عن جندب البجلي .
(20) صرف الهمة : 1
(21) المصدر السابق : 1 .
(22) المصدر السابق : 1 ـ 2 .

وعند ابن الشاط أن الاولى أن يقال فيها : « ان الذمة قبول الانسان شرعا للزوم الحقوق دون التزامها ، وعلى هذا يكون للصبي ذمة ، أو يقال: الذمة قبول الانسان شرعا للزوم الحقوق والتزامها ، فعلى هذا لا يكون للصبي ذمة » (23) .

وسندرس التعاريف محاذاة للمؤلف في مقصدين :

**ثانيا : المقصد الاول : ويشتمل على نقطتين : تعريف ابن عبد السلام وتعريف ابن عرفة :**

أ ـ **تعريف ابن عبد السلام** : (24) الذمة ـ عنده ـ امر تقديري يفرضه الذهن ، وليس ذاتا ولا صفة لها ، فيقدر المبيع وما في معناه من الاثمان كأنه في وعاء عند من هو مطلوب منه .

« ومفاده أن الذمة من التقادير الشرعية التي اعتبر فيها المعدوم موجودا » (25) ، فهذا التقدير الوجودي تصوري محض ، اريد به معنى في الانسان ، يصلح أن يتعلق به طلب الحقوق المالية ، ويصح ان يكون محلا للايجاب واللزوم .

وقد ناقش ابن عرفة تعريف شيخه ابن عبد السلام ، قاصدا ابطاله، بأنه يلزم عليه ان يكون معنى « ان قام زيد ونحوه ذمة » ، وسلم اعتراضه عدد من الفقهاء ، الا أن الفقيه احمد بن عبد الله اليزناسني التلمساني (26) رد ذلك بأن ما بعد ان الشرطية صفة ذات ، وقد أخرجها ابن عبد السلام بقوله : « ليس ذاتا ولا صفة لها » وأنه ان اراد ابن عرفة بمعنى « ان قام

---

(23) صرف الهمة : 2 .

(24) ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري المنستري التونسي ، ينسب الى المنستير بلدة بين المهدية وسوسة ، ولد سنة 676 هـ ، ومهر في العلوم واشتغل بالتدريس ، واخذ عنه كثيرون منهم الامام محمد بن عرفة ، وتولى قضاء تونس عام 734 هـ واستمر قاضيا حتى توفي سنة 749 هـ ، واشتهر بالعدل والانصاف والتدين. له ( شرح على مختصر ابن الحاجب في الفقه ) وفتاوي ( الديباج المذهب : 336 ) و ( نيل الابتهاج : 242 ) و ( وفيات ابن قنفذ : 354 ) .

(25) صرف الهمة : 3 .

(26) احمد بن عبد الله اليزناسني العبدلوي التلمساني . له وشي المعاصم في شرح تحفة ابن عاصم ، يوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط ( 1393 د ) وتحت ارقام اخرى .

زيد » ما تدل عليه من الفرض والتقدير ، فلا يرد ذلك على ابن عبد السلام لجعله الذمة مفروضة مقدرة وليست عين الفرض .

ويلاحظ المسناوي أنه وقف على ما ذكره اليزناسني في حاشية لابي عبد الله السنوسي (27) على مسلم المسماة ب « مكمل اكمال الاكمال » وعليه لا يكون اليزناسني مبتكرا للجواب ، بل هو مسبوق به ، ولكنه لم ينسب الكلام لقائله .

ويزيد المسناوي بصدد رد اعتراض ابن عرفة ، بأن « آخر كلامه ( ابن عبد السلام ) يخرج ذلك ( رد ابن عرفة ) بتقدير شمول أوله له ، وهو قوله فالذمة هي الامر التقديري الذي يحوي ذلك المبيع او عوضه ، وبالقيد الاخير يرتفع ما أورد عليه ، لو سلم وروده على أوله ، وهذا مما لا يكاد يخفى عن من دون الشيخ ابن عرفة من الاصاغر فضلا عمن هو مثله من الائمة الاكابر » (28) .

وعنده أن ابن عرفة يجني على شيخه هذا بكثرة انتقاده له ، معتقدا أن هناك أسبابا خفية دفعته لهذا السلوك . ومقترحا وضع دراسة لانصاف ما بينهما ، حتى تتضح العلل ، وتسقط الاقنعة عن الحقائق ، ويقول : « ان ولوعه ( ابن عرفة ) رحمه الله بمناقشة شيخه المذكور في النقير والقطمير ، وشغفه بمضايقته والانتقاد عليه في الجليل والحقير ، كما هو معلوم من حاله ، لمطامع كلامه ، ومتأمل مقاله ، غطى عليه سنا اشراقه ، وأمر لديه حلو مذاقه ، حبك الشيء يعمي ويصم ، ما ذاك الا لمضمرات يعلمها العليم الرقيب ، وفي أجوبة الامام أبي عبد الله القوري (29) عن السبعة والعشرين سؤالا الواردة عليه من تلمسان من عند صاحب المعيار ان الناس لم يسلموا لابن عرفة من اعتراضاته على ابن عبد السلام الا القليل ، انتهى ، وما احوجهما الى وضع كتاب انصاف بينهما ، كما وضع بين الزمخشري وابن المنير (30) » (31) .

---

(27) انظر ترجمته في رسالتنا ص : 71 .

(28) صرف الهمة : 3 .

(29) ابو عبد الله محمد بن قاسم اللخمي المكناسي ثم الفاسي الاندلسي الاصل ، شيخ الجماعة بفاس ، عالم نوازلي حافظ ، وله شرح على المختصر ، توفي سنة 872 هـ ومولده سنة 804 ( شجرة النور : 261 ) .

(30) ابو العباس احمد بن محمد الاسكندري المعروف بابن المنير الفقيه الخطيب المتبحر في العلوم ، المقرىء المحدث المفسر . الف كتبا ، منها كتاب في الرد على الزمخشري سماه ( الانتصاف من الكشاف ) . مولده سنة 620 هـ ووفاته عام 683هـ

(31) صرف الهمة : 3 ـ 4 .

على ان ابن عبد السلام يرد على حده – فى نظر المسناوي – شيئان :

1 ) أن قوله فى التعريف « يفرضه الذهن » زيادة بيان بعد قوله « امر تقديري » وليس فيما يظهر بضروري .

2 ) انه جعل الذمة موضوعا للمبيعات وما فى معناها من المتمولات مخرجا بذلك التكاليف الشرعية المترتبة فى ذمة الانسان مثل الصلاة والحج وغيرهما ، ومثل هذه الملاحظة سيوردها اليزناسني على ابن عرفة ، وهي موضوع بحث ولا تسلم لموردها – فى نظر المسناوي – بدون نقاش (32) .

وذكر المسناوي ان الشيخ ميارة نظم حد ابن عبد السلام المذكور حين قال : (33)

الشرح للذمة امر قدرا يفرضه الذهن وليس أن يرى
اذ ليس ذاتا بل ولا وصفا لها بقدر الدين الذي قد حلها
كانه وضع فى ظرف لدى من هو في ذمته قد تفتدى

ب – **تعريف ابن عرفة** : (34) الذمة – عنده – ملك متمول كلي حاصل او مقدر ... وهذا التعريف – فى نظر المسناوي – غامض ، اذ يفتقر الى بيان وتقدير ، لان قوله « ملك » يراد به العندية التقديرية أو ذلك المعنى الافتراضي المقدر فى الشخص ، والذي ذكره ابن عبد

---

(32) صرف الهمة : 4 و 5 .
(33) المصدر السابق : 2 .
(34) ابو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي ( 716 – 803 هـ ) ، وبتو ورغمة بطن من زناتة البربرية . اشتغل بالعلم والرواية ، فصار اماما حافظا للمذهب مجيدا للعربية والفرائض والحساب والمنطق ، وأخذ عن كثيرين من بينهم ابن عبد السلام الهواري الامام ، سمع عليه الموطأ وعلوم الحديث لابن الصلاح وتخرج عليه في الفقه ، ولابن عرفة فضائل جليلة ومؤلفات منها ( مختصر ) فى الفقه فى عشرة أجزاء ، وكتاب فى الحدود الفقهية ، وترجمته واسعة ( الديباج 327 – 340 ) و ( نيل الابتهاج : 274 – 279 ) و ( وفيات ابن قنفذ : 379 – 380 ) .

السلام وحاول ابن عرفة نقضه (35) ، وعندما تناول الرصاع (36) شارح حدود هذا التعريف ، ارتبك فيه واستشكله ، وعمد الى حد الملكية لابن عرفة ، « **استحقاق التصرف فى الشيء بكل امر جائز فعلا او حكما لا بنيابة** » (37) فظن ان الملك فى تعريف الذمة يراد به الاستحقاق وصوبه بانه على حذف مضاف ، تقديره ذات ملك متمول « على أن فى تصويبه زيادة على ما فيه من مجاز الحذف بحثا ، لان حاصل تقديره ان الذمة امر او معنى ينشأ ، ويتسبب عنه الملك ... وهو غير بين لان ذا الذمة وهو المدين لا يستحق التصرف فيما فى ذمته من المتمول بما ذكر ، اذ هو ليس له ، وانما يستحق ذلك رب الدين ، فيتصرف فيه ببيعه او هبته او الابراء منه او الاحالة عليه او اقتضائه من المدين او تاخيره به فلا يصح هنا ذلك التفسير ، ولو بذلك التقدير ... وأيضا فان المتملك ما فى الذمة لا هي وان معناه العندية المذكورة » (38) ، وهكذا يظهر الفرق بين المعنى التقدير السلبى عند الشخص ، التي تترتب عليه الحقوق وتتناوله التكاليف مادية ومعنوية ، وبين الحقوق والتكاليف نفسها التي تقدر فى وعاء تقديري ـ كما عبر ابن عبد السلام ـ « اذ الذي يتصف بالملك انما هو ما في الذمة لا الذمة » (39) .

وقد ناقش اليزناسني تقييد ابن عرفة الحق المترتب على الذمة بالمتمول ملاحظا ان الصلاة تتعلق أيضا بالذمة ، وكذلك الزكاة والصوم ، وكل ذلك ليس بمتمول ، ورد المسناوي بأن قوله الزكاة سهو ، لانها من المتمول ، وكان حريا به يمثل بالحج ونحوه ، وأن الاعتراض ، أن صح ، لا يتناول حد ابن عرفة وحده ، بل يشمل ما ذكره ابن عبد السلام كما سبق .

---

(35) صرف الهمة : 4

(36) ابو عبد الله محمد بن قاسم الانصاري التونسي ، شهر بالرصاع ، احد ائمة تونس وعدولها وقضاتها ، اخذ عن جماعة من اصحاب ابن عرفة كالبرزلي والعبدوسي وغيرهما ، وتولى قضاء المحلة ثم الانكحة ثم الجماعة ثم صرف نفسه واقتصر على امامة جامع الزيتونة وخطابتها ، وله كتب منها شرح على حدود ابن عرفة ، توفي سنة 894 هـ ( نيل الابتهاج 323 ـ 324 ) .

(37) صرف الهمة : 4 .

(38) صرف الهمة : 4 .

(39) صرف الهمة : 4

ويرد المسناوي على هذا الاعتراض بأحد امرين :

1 ) ادعاء المجاز العرفي بتشبيه العبادة التي هي حق الله تعالى على المكلف بالمتول الذي في الذمة بجامع مطلوبية كل منهما .

2 ) « أن ان المقصود بالتعريف انما هو الذمة فى المعاملة ، بدليل ان تعريفهما لها ورد فى باب السلم من المعاملات » (40) ولان التعريف يتقيد بموضوع البحث .

ويعطف المسناوي على ذكر الرصاع ، شارح حدود ابن عرفة ، وينتقده انتقادا مرا على تعاريفه ، ويقول : « كلام الرصاع فيه ( اي حد ابن عرفة للذمة ) جله محلول ، وبعضه غير مقبول ، واذا فهم المقصود من الحد فلا علينا فيما يقول ، وكم له فى شرح الحدود من محلول الكلام وساقطه ، كما لا يخفى على ناقده ومخالطه ، والله يعلم أني لم أقل هذا هضما ، بل لافادة الطالب علما .

«وما علي اذا ما قلت معتقدي دع الجهول يظن الحق عدوانا»(41)

وبعد هذه الملاحظة القوية التي وجهها الرصاع فى تلك الالفاظ الخفيفة الرشيقة الساخرة التي تنم عن اعتداد واعتزاز بالعلم والحقيقة ، وعن رغبة فى ارشاد طلاب البحث والدرس . ورفع القيود الثقيلة التي تغل العقول وتمنعها النظر وتوحي اليها تقديس كل ما هو قديم ، وتنزيه كبار الشيوخ عن الخطأ والسهو والغفلة والقصور ، يلوم الشيخ المنجور (42) الذي نقل كلام الرصاع وسلمه دون بحث ، ولكنه يعتذر عنه بأنه لم يكن مراده ذلك الكلام ، وانما ذكره كالتوطئة لغيره او أن ترك نقده بسبب ما ابتلى به العلماء من طلب الاختصار ، على حساب تحرير المسائل وغربلتها .

---

(40) صرف الهمة : 5 ـ 6 .
(41) صرف الهمة : 7 .
(42) ابو العباس احمد بن علي المنجور الفاسي العلامة الفقيه المفسر المنطقي الموسيقي، له مؤلفات ، منها شرح على قواعد الزقاق ، وله فهرسة حافلة . مولده سنة 926 هـ ووفاته 995 هـ .

**ثانيا : المقصد الثاني في تلخيص ما للشهاب القرافي وابن الشاط في الذمة ، وفيه اربع مسائل :**

— المسألة الاولى في تعريفهما للذمة .

— المسألة الثانية في شروطها .

— المسألة الثالثة في الفرق بين الذمة واهلية المعاملة .

— المسألة الرابعة في أن الذمة واهلية المعاملة هل هما من خطاب الوضع او من خطاب التكليف .

والمسألة الاولى تشتمل على نقطتين :

أ — تعريف القرافي للذمة .

ب — تعريف ابن الشاط لها .

أ — **تعريف القرافي** : (43) عرف القرافي الذمة في الفرق الثالث والثمانين بعد المائة (44) من كتابه « الفروق » بأنها معنى شرعى مقدر في المكلف قابل للالتزام أو اللزوم (45) ، ومعنى كونها معنى شرعيا أنه استفيد من الشرع ، وأنه كسائر الحقائق الشرعية ، مثل الطهارة والاحرام والطلاق والحجر وغيرها صفة حكمية لا حسية ، مثل البياض والسواد ، ولا عقلية كالعلم ، وأن هذا المعنى الشرعى مقرون بالمكلف وهو من تتوفر فيه شروط التكليف » . ويتميز هذا المعنى بانه يقبل اللزوم والالتزام . فقبوله اللزوم هو الصفة السلبية التى لا تحتاج الى الارادة مثل أروش الجنايات وأجور الاجارات وأثمان البياعات ، ويقبل الالتزام عن طريق الاختيار الارادي المتطلب اهلية القبول والايجاب .

---

(43) ابو العباس احمد بن ادريس القرافي الصنهاجي المصري الامام العلامة المحقق ، اخذ عن جماعة منهم عز الدين ابن عبد السلام ، وله مؤلفات كثيرة منها ( التنقيح ) في اصول الفقه ، جعله مقدمة للذخيرة وكتاب ( الفروق ) . توفي سنة 684 هـ .

(44) راجع ( الفروق ) 3 : 226 — 236 . ط بيروت — دار المعرفة .

(45) الفروق 3 : 230 — 231 و ( صرف الهمة : 1 ) .

ب ـ تعريف ابن الشاط : (46) ناقش ابن الشاط تعريف القرافي للذمة ولم يقبل أن تكون الذمة من التقادير الشرعية كما لم يرض ان تشتمل على عنصر الالتزام ، وقال : ان الاولى فى نظره تعريفها بأنها قبول الانسان شرعا للزوم الحقوق دون التزامها ، فعلى هذا لا يكون للصبي ذمة (47) .

ونرى من التعريف انه يستعمل لفظة الانسان بدل المكلف التي استعملها القرافي ، ومنه يبدو انه لا يوافق القرافي على ضرورة وجود شروط التكليف فيمن تقوم به الذمة ، ويلاحظ انه على التعريف الاول باسقاط لفظة الالتزام تكون للصبي ذمة ، لكونها هنا صفة سلبية للانسان تتحمل الحقوق المترتبة عليها ، وتستفيد من الحقوق الواجبة لها ، اما على التعريف الثاني ، فلا تكون للصبي ونحوه ذمة لانه لا يتمتع بأهلية الالتزام ، والتعريف الاول هو الذي يرتضيه ابن الشاط ، وانما ذكر الثاني لاصلاح بعض ما ورد في عبارات القرافي ، واظهارا للفرق بين الحدين .

## المسالة الثانية فى شروطها :

يرى القرافي ان ذلك المعنى الشرعي المقدر فى المكلف والقابل للالتزام واللزوم مسبب عن اشياء خاصة ، منها البلوغ ، ومنها الرشد ، ومنها ترك الحجر ، واقتصر المقري (48) فى قواعده على الشرط الاخير لتضمنه لهما ، ونص على ان الصبي لا ذمة له ، وكون الصبي لا ذمة له فيه

---

(46) ابو القاسم قاسم بن عبد الله ابن الشاط الانصاري السبتي من كبار علماء سبتة المغربية ، موصوف بعلو الشأن والعكوف على العلم وجودة القريحة . اقرأ ببلده سبتة الاصول والفرائض ، وكان مقدما فى العربية والفقه ، وكان أديبا واشتهر بمؤلفاته ، وفى مقدمتها كتاب ( ادرار الشروق على أنواء الفروق ) ناقش فيها القواعد التي ساقها القرافي فى ( الفروق ) وكان دقيقا فى الملاحظات التي أوردها فى هذا الكتاب ، حتى ان ابن غازي روى عن شيخه أبي عبد الله الصغير أنه كان يحكي عن شيخه أبي عبد الله العكي أنه قال : لي الشيخ الصالح الوارع الزاهد أبو حفص عمر الرجراجي : « عليك بقواعد القرافي ولا تقبل منها الا ما قبله ابن الشاط » ، ولد ابن الشاط بسبتة عام 643 هـ وتوفي سنة 723 هـ ( الديباج 225 ـ 226 ) و ( صرف الهمة : 17 ) .

(47) ادرار الشروق على انوار الفروق : الفرق الثالث والثمانون بعد المائة ج 3 ص 237 مطبوع على هامش ( الفروق ) ط بيروت ـ دار المعرفة ، وانظر ( صرف الهمة : 2 ) .

(48) المراد به الجد وقد تقدمت ترجمته .

نظرا على رأي ابن الشاط . ذلك ان الصبي له ذمة لاروش الجنايات وقيم المتلفات ، ويرى الامام المسناوي أن اثباته الذمة للصبي « صحيح في الجملة » (49) ، ويفيد تعبيره هذا عدم الاطلاق ، ويستظهر على ذلك بنصوص الفقهاء في الموضوع – بطريق الاستقراء – ففي باب الغصب من مختصر ان عرفة ما نصه : يتعلق حق المغصوب منه بمال الصبي المميز في حمالتها ، ويلزم الصبي ما كسره من متاع أو افسده أو اختلسه، وما فعله من ذلك ضمنه ، رفيها : من أودعته حنطة فخلطها صبي أجنبي بشعير للمودع ضمن الصبي ذلك في ماله ، فان لم يكن مال ففي ذمته ، وفي دياتها : واذا جنى الصبي أو المجنون عمدا أو خطأ بسيف او غيره فهو كله خطأ تحمله العاقلة ان بلغ الثالث ، وان لم يبلغه ففي ماله ويتبع به دينا في ذمته » (50) وتوافق النصوص الاخرى التي أوردها المسناوي لفقهاء آخرين في الموضوع لهذا النص في أعتبارها ان الصبي يتحمل مسؤولية ما جنى وأتلف ، في ماله ان كان له مال ، وفي ذمته ان كان معدما ، ما عدا اذا تعلق الامر بجناية على النفس ، وكانت المسؤولية جسيمة – كما يعبر اهل القانون – تبلغ الثلث او اكثر ، فعندها تتحمل العاقلة مسؤولية الخطأ الجسيم للتقصير ، ويوضح المسناوي من نقول اخرى ساقها أن الضمان من خطاب الوضع الذي لا يشترط فيه التكليف، وبذلك تكون للصبي والمجنون ذمة مع عدم التكليف ، فالضمان لازم للصبي في أروش الجنايات وقيم المتلفات كما يلزمه « ما يترتب عليه من معاملة من وليه عنه على وجه النظر ، أو منه باذن الولي أو بدونه ولكنه أمضاها نظرا » (51) .

ويتطرق المسناوي بالمناسبة لبحث معاملات الصبي وتحملاته ، مستشهدا بنصوص الفقهاء في الموضوع ، وينتهي الى أن مال المحجور عليه صبيا أو غيره باعتبار الاتباع وعدمه ينقسم الى ثلاثة اقسام : (52)

1 – قسم يتعلق الحق فيه بذمته ، وهو ما اذا اتلف ما لم يسلطه عليه ( ربه ) أو جنى على أحد او ترتب عليه من معاملة لازمة « ويرجع هذا القسم الى اعتداء المحجور على مال غيره أو دمه او معاملة لازمة شرعا ».

(49) صرف الهمة : 2 .
(50) المصدر السابق : 9 .
(51) صرف الهمة : 10 .
(52) المصدر السابق : 12 .

2 ـ « قسم يتعلق الحق فيه بماله وهو ما اذا صون ما سلط عليه ماله ، وصرفه في مصالحه » ومثاله أن يقرض شخص المحجور صغيرا كان أو بالغا سفيها مبلغا من المال ، وانتفع بالمبلغ المذكور في صون بناء يخاف هدمه أو شيء له يخشى تلفه او نقص قيمته ، فالضمان من مال المحجور ، بخلاف ما اذا انفقه في شهواته المستغنى عنها .

3 ـ « وقسم لا يتعلق الطلب فيه ، لا بذمته ولا بماله ، بل يذهب ما اتفله على ربه مجانا ، وهو ما سلط عليه وصرفه في غير مصالحه » ومثاله ان ينفقه في اقامة حفلات يدعو لها أصدقاءه ، او مجالس اللهو والطرب او في سفر غير لازم او في شراء اشياء البذخ والترف مما هو غير ضروري .

هذا بخصوص الشرط الاول الذي هو البلوغ .

وبخصوص الشرط الثاني ، وهو الرشد ، الذي يخرج بمقتضاه السفيه ويعتبر عديم الذمة ، يرى المسناوي انه « يجري فيه بحث ابن الشاط السابق في الصبي من باب أولى » (53) وبه تتقرر له ذمة .

ويرى المسناوي بصدد الشرط الثالث ، وهو عدم الحجر ، والذي ينتج عنه عدم وجود الذمة للعبد والمفلس ، ان نصوص الفقهاء لا تساعد على ذلك ، وحتى القرافي نفسه قرر في بعض مباحثه (54) ان العبد يطالب بما في الذمة اذا اعتق ، فيكون هذا من باب تقدم السبب واللزوم ، وان تأخر في المطالبة الى حين العتق .

وفيما يتعلق بالمفلس ذهب الفقهاء الى تقرير الذمة له ، وأباحوا له الالتزام على ذمته اذا أيسر ، لا في ماله الذي منع من التصرف فيه ، اذ ان ذمة المفلس باقية ، وقولهم بمنعه من التصرف في ماله لخراب ذمته، لا يراد به ذهابها وانتهاؤها وانما مرادهم انه لعدم قدرته على أداء الديون صار كمن لا ذمة له على المجاز ، لاختلالها باستفراق الديون وذهاب ماله، بخلاف الميت الذي تزول ذمته اصلا بالموت (55) .

---

(53) صرف الهمة : 13 .
(54) الفروق : الفرق الثالث والثمانون بعد المائة 3 : 228 .
(55) صرف الهمة : 14 .

ويترتب على ذلك انه اذا مات الميت ينتظر حضور كل الغرماء ــ ان عرف بالدين ــ لقسم تركته واخراج الديون منها ، ولا ينتظر حضور جميع دائني المدين المعسر لتفريق ماله الموجود عليهم ، فمن حضر منهم يأخذ نصيبه منه ، ومن غاب يكون ماله فى ذمة المدين ، يطالب به متى أيسر ، وعلى هذا يرى الشافعي (56) ــ فى احد قوليه ــ أن التفليس لا يوجب حلول الدين المؤجل ، على خلاف المالكية القائلين بحلول دين المفلس المؤجل ، ويعبرون عنه بخراب الذمة مجازا ، لعدم القدرة على التحمل والوفاء لا لعدمها أصلا (57) .

## المسألة الثالثة فى الفرق بين الذمة وأهلية المعاملة فى التصرف :

ينقل المسناوي في الموضوع تعريف اهلية المعاملة والتصرف عن القرافي وهو قوله : « حقيقتها قبول يقدره الشرع فى المحل ، وسببها عندنا التمييز ، وعند الشافعي التمييز مع التكليف » (58) فعنده ان الصبيان لهم أهلية المعاملة على مذهب مالك ، لكن عقودهم موقوفة على اذن وليهم ، والاهلية توجد فيما لا يثبت فى الذمم كالنكاح ونحوه لتصرف الاولياء فيمن لهم عليهم الولاية . وعنده أن « الذمة ( توجد ) وحدها فى العبيد ، فانهم محجورون عليهم لحق السادات » (59) وليس للمفلس فى نظر القرافي أهلية التصرف فى المال الذي أخذه الحاكم ، لكن له أهلية التصرف فى مال استدانه من قوم آخرين او ورثه او وهب له ، ومعناه ان اهلية المفلس تتجزأ وتقبل الوجود من ناحية الاموال الحادثة بعد الافلاس من مصدر أجنبي ، بينما تكون معدومة بالنسبة للمال المحجوز لمصلحة الغرماء (60) .

ويذهب المسناوي الى انه لا يسلم عدم وجود اهلية التصرف للعبيد ، وذلك لانها بحسب تعبير القرافي انما يشترط فيها التمييز ، وهو

---

(56) أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي الهاشمي القرشي المطلبي ، احد الائمة الاربعة . ولد فى غزة بفلسطين سنة 150 هـ وتوفي بمصر سنة 204 هـ ، وفضائله جليلة ، وهو اشهر من أن يعرف ، وله مصنفات كثيرة فى الفقه وغيره .

(57) صرف الهمة : 14 .

(58) صرف الهمة : 15 .

(59) صرف الهمة : 16 .

(60) صرف الهمة : 16 .

احرى ان يكون فى العبد الكبير البالغ من الصبي القاصر ، لكنه يرى ان معاملات العبد مثل الصغير موقوفة على نظر من اليه الامر من سيد أو ولي، و « المفلس لا يصح نفي ما ذكر من الاهلية عنه حتى فى المال الذي حازه الحاكم ، لان تصرفه فيه بعد الحجر صحيح ، وان كان موقوفا على من له النظر فى ذلك من الحاكم والغرماء » (61) .

وبعد تقرير هذه العلاقة يعجب المسناوي من سكوت ابن الشاط عن مناقشة القرافي فيما قرره فى مسألة اهلية التصرف والمعاملة على خلاف عادته فى تعقبه وانتقاده ، وتصويب أخطائه ، وتحرير المقال فى فروقه ، ويضمن هذا النقد الموجه لابن الشاط هنا كلاما فى فضله ومقامه من التحقيق والتدقيق ، ولنفاسة هذا النقد وخطره ، أسوق بعضه بيانا لاهمية بحث المسناوي وتحقيقه : « أضرب ابن الشاط صفحا عما في كلام الشهاب فى هذه المسألة والتي قبلها من الاشكال مع انه أمر واضح ، واغفل التعرض لما بين كلامه فيهما من التعارض مع انه جلى لائح ، وقد علم من عادته معه انه يناقشه على النقير والقطمير . ويبحث معه في الجليل والحقير ان هذا الشيء عجاب ؛ ولكن شائبة النقصان من لوازم الانسان ؛ وليس ينبغي اتصاف بالكمال الا لربنا الكبير المتعال ، والا فهو من ذوي التحقيق والاتقان ، مما لا يختلف فى جلال منصبه اثنان ، وكيف وقد قال في حقه الحافظ الرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري السبتي : (62) « ما رايت عالما بالمغرب الا رجلين ابن البنا (63) بمراكش وابن الشاط بسبتة ... وقد جعلناه بالتقييد عرضة للنظر ، فليتأمله بانصاف من طاب شيمه ، وسلم من داء الحسد أديمه ، ولا يستبعد عروض الوهم للاكابر ، كما هو شأن اهل التقليد الرديء ، والجمود الظاهر ، فليس الخطأ بعيب على الراسخ فى العلم ، ولا بقادح فيمن عرف بجود النظر وثقوب الفهم ، « ففهمناها سليمان وكلا آتيناه حكما وعلما » (*) .

(61) صرف الهمة : 17 .

(62) أبو عبد الله محمد بن عمر ابن رشيد الفهري السبتي ، رحالة شهير ، وعالم حافظ. ولد بسبتة سنة 657 هـ وبها نشأ ، وتوفي بفاس عام 721 هـ . له الرحلة المشهورة المسماة ( مل ء العيبة ) وكتب أخرى .

(53) أبو العباس احمد بن محمد الازدي المراكشي ، علامة فلكي حيسوبي ، ولد بمراكش سنة 654 هـ ودرس فيها ثم بفاس ، وبرع فى العلوم الشرعية والرياضية وله كتب كثيرة . توفي بمراكش سنة 721 هـ .

(*) سورة الانبياء : 21 .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
ولو كان ـ حاشا المصطفى ـ فائق النبل » (64)

ولا يخلو لكلامه المتقدم من دعوة للاجتهاد وطرح التقليد .

**المسالة الرابعة فى أن الذمة وأهلية المعاملة ، هل هما من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف ؟**

يعرف الاصوليون خطاب التكليف بأنه طلب ما فيه كلفة من فعل أو ترك،واقسامه خمسة : الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والاباحة.

واما خطاب الوضع فهو كون شيء سببا لآخر أو شرطا له أو مانعا منه .

ونقل المسناوي فى هذه المسألة تعريف القرافي لهما ، وامثلة من خطاب الوضع ، مع قول القرافي : « أن نصب التقادير الشرعية من خطاب الوضع » مثل « اعطاء الموجود حكم المعدوم كتقدير النجاسة الموجودة فى حكم المعدوم ، وذلك فى صورة الضرورة التي يعسر الاحتراز منها فيها أو المعدوم حكم الموجود كتقدير وجود الملك لمن قال لغيره : اعتق عبدك عني فأعتقه . . . وكتقدير الملك فى دية المقتول خطأ قبل موته حتى يصح فيه الارث مع القطع بعدم ملكه لها حال حياته » (65) .

وذكر المسناوي أن ابن الشاط اعترض مثاليه الاخيرين ، فقال فى الاول منهما : « لا حاجة الى التقدير للملك فى هذه المسالة ، فانه لا مانع من عتق الانسان عبده عن غيره من غير تقدير ملك ذلك الغير للعبد ولا تحفيقه » (66) وظاهر منه أن ابن الشاط يضرب عرض الحائط بالتقديرات الافتراضية التي تعيش فى أذهان العلماء والمفكرين ، ولا توجد فى حال الواقع وفى تفكير الرجل العادي .

---

(64) صرف الهمة : 17 ـ 18 .
(65) صرف الهمة : 18 .
(66) صرف الهمة : 18 ـ 19 .

« وقال ( ابن الشاط ) فى الثاني ما قاله من لزوم تقدير ملك الدية وعدم تحقيقه ، ليس بصحيح ، بل الصحيح ان ( الميت ) يملك الدية تحقيقا عند انفاذ مقاتله وقبل زهوق نفسه ، ولا مانع من ذلك ، وانما يحتاج الى تقدير الملك فى دية العمد ، لتعذر تحقيقه بكون الدية موقوفة على اختيار الاولياء ، وذلك انما يكون بعد موته ، والميت لا يملك » (67).

فابن الشاط يرى ان الميت يملك الدية تحقيقا ، لانه قتل عند وجوبها ، اذ الدية بدليل نفسه ، وبذلك يملكها قبل الموت وتدخل فى تركته وتنتقل لورثته عنه ، وهو يفرق فى هذا بين القتل الخطأ والعمد ، والمسناوي كذلك ، يرى ان الدية تنتقل الى المقتول خطأ تحقيقا لا تقديرا عند انفاذ مقاتله ، لوجوبها شرعا على القاتل خطأ ، دون ان يكون ذلك موقوفا على نظر الاولياء ، لقوله تعالى : « ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبة مومنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا » (68) بخلاف القتل عمدا ، فان لولي الدم احد شيئين القصاص او العفو ، وهو اما على الدية واما على غير الدية ، لقوله تعالى : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل » (69) . اما الشرط الذي يمكن به القصاص فى المقتول فهو ان يكون مكافئا لدم القاتل فى الاسلام والكفر والحرية والعبودية والذكورية والانوثة والواحد والكثير . واذا اختل شرط الكفاءة يصار الى الخلاف بين المذاهب بحسب ما يرى كل مذهب من وجوب القصاص او العفو أيضا مع الدية او دونها ، وذلك في القتل « العمد الذي تكون فيه حرمة المقتول ناقصة عن حركة القاتل مثل الحر والعبد » (70)، ويبدو ان المسناوي كان دقيقا فى هذه التفرقة ، وان ملاحظته واردة على القرافي ، شأنها شأن ما وفق المسناوي فى تحقيقه .

## الذمة والاهلية فى الشريعة والقانون

الاهلية لغة الصلاحية ، يقال فلان اهل لكذا اي صالح له ، ومن ثم يقال بأن هذا الرجل اهل لان يكون اماما او اهل لان يكون مدرسا او سائقا،

(67) صرف الهمة : 19 .
(68) النساء : 92 .
(69) الاسراء : 33 .
(70) بداية المجتهد : 2 : 401 .

وهو أهل لان ينظر فى مصالح نفسه ، ومنه أهلية المعاملة او التصرف ، ويقسم الفقهاء المسلمون الاهلية الى قسمين : اهلية وجوب ، وأهلية اداء (71) .

## أولا : أهليـــة الوجـــوب :

وهي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق والالتزامات له وعليـــه ، أو هي صلاحية الشخص لان تكون له حقوق وعليه واجبات ، ومناط هـــذه الاهلية عند الفقهاء الذمة ، وهي قبول الانسان شرعا للـــزوم الحقـــوق – كما عبر ابن الشاط – وتثبت للانسان بمجرد الحياة فيه ، فمناط اهلية الوجوب هو انسانيته التي تصاحبه طول حياته ، من وقت كونه جنينا فى بطن أمه الى وفاته ، ولذلك لا تثبت الذمة للحيوان .

ولا تقتصر الذمة فى الفقه الاسلامي على شمول الحقوق الماليـــة وحدها دون الحقوق المعنوية مثل الصلاة والصيام والحج ، بل هي وصف تصدر عند الحقوق جميعا مالية وغيرها ، « ومن ثم كان نطاق الذمة واسعا فى الفقه الاسلامي حتى قال فخر الاسلام البزدوي (72) : « ان الذمـــة لا يراد بها الا نفس الانسان » (73) .

وعند المالكية ، كما مر سابقا ، ان ذمة الانسان تنتهـــي بموتـــه ، ووافقهم على ذلك بعض الحنابلة ، بينما يرى الحنفية أن ذمـــة الانســـان تبقى الى وفاء ديونه من تركته ، او الى ان يسددها عنه من يتطوع بذلـــك من أصدقائه أو أقاربه أو ذوي معرفته (74) .

وهذه الاهلية نوعان : كاملة وناقصة .

---

(71) محيي الدين خسرو : مرآة الاصول 2 : 434 .

(72) علي بن محمد البزدوي الحنفي ، امام كبير ، له كتب كثيرة منها ( المبسوط ) فى الفقه ، احد عشر مجلدا ، وشرح الجامع الكبير وشرح الجامع الصغير ، وكتاب كبير فى اصول الفقه ، يعرف باصول البزدوي ، وكتاب فى تفسير القرءان يقال : انه مائة وعشرون جزءا . ولد فى حدود سنة أربعمائة ، وتوفي سنة 482 هـ (الفوائد البهية فى تراجم الحنفية : 124 – 125 ) .

(73) عبد الرزاق السنهوري : مصادر الحق فى الفقه الاسلامي 1 : 20 .

(74) المصدر السابق 1 : 21 .

فأهلية الوجوب الناقصة ؛ هي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق له، بمعنى انه تجب له الحقوق التي لا تفتقر الى القبول كالارث والوصية وغلات الوقف والنسب .

واهلية الوجوب الكاملة هي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق له وعليه ، وتجب بمجرد ولادته حيا ، وتبقى طيلة حياته كما تبقى الى وفاء ديونه بعد مماته على رأي الاحناف .

وقد عرف القانون الوضعي تقسيما مماثلا للاهلية ، اذ هي عند أهل القانون نوعان : اهلية وجوب Capacité de Jouissance واهلية أداء Capacité d'Exercice واهلية الوجوب هي الشخص منظورا اليه من الناحية القانونية ، فكل شخص ينظر اليه القانون على انه أهل لترتب الحقوق والالتزامات له وعليه . وتبدأ هذه الشخصية بولادته حيا ، وتنتهي بعد تصفية تركته ؛ ولاعتبارات خاصة يضفي القانون على الجنين شخصية قانونية محددة حتى تثبت له بعض الحقوق (75) مثل الوصية له ؛ وفي ذلك تقول ( المادة 29 ) من القانون المدني المصري « تبدأ شخصية الانسان بتمام ولادته حيا » ؛ ويشترط القانون الفرنسي أن يولد حيا وأن يكون قابلا للحياة من أجل أن تثبت له تلك الشخصية ، وتقول ( المادة 204 ) من مدونة الاحوال الشخصية المغربية : « ان مات الموصي له بعد ان استهل صارخا استحق وصيته ، وعد ما استحقه من جملة تركته » فهي تشترط لبدء شخصيته ان ينفصل حيا عن بطن امه ، وان يستهل صارخا ، وبذلك تتحقق فيه أهلية الوجوب، ويدخل المال الموصي به في ذمته ، ويورث عنه في حالة وفاته اثر ذلك (76) .

### ثانيا : اهلية الاداء في الشريعة والقانون :

تعرف اهلية الاداء بأنها صلاحية الشخص لصدور التصرفات منه على وجه يعتد به شرعا ، وعبر عنها القرافي بأنها : « قبول يقدره الشرع

---

(75) عبد الرزاق السنهوري : الوسيط 1 : 267 .
(76) ادريس العلوي : المدخل لدراسة القانون 2 : 243 – 244 .

فى المحل » (77) ، وتتوقف المعاملات والتصرفات على تحقق هذه الاهلية، كما تتوقف عليها حقوق الخالق من صلاة وحج وغيرها ، واذا اقترف من

تتوفر فيه جناية على نفس أو عرض ، عوقب على فعله ، ومناطها التمييز، وهي تدور معه وجودا وعدما ، فلا تثبت للجنين فى بطن امه ، ولا تثبت للصبي حتى يبلغ السابعة من عمره (78) .

وهذه الاهلية نوعان : اهلية اداء كاملة ، وأهلية أداء ناقصة .

فاذا كان الشخص كامل العقل والتمييز كانت أهليته كاملة ، ومتى كان ناقص التمييز كانت اهلية ادائه ناقصة ، وهذه الاهلية لا وجود لها فى الطفل غير المميز ، ومثله المجنون ومن فى حكمه ، وينوب عنه فى مباشرة أموره المسؤول من اب أو غيره ، واذا بلغ الطفل سن التمييز صارت له أهلية اداء ناقصة .

وتنقسم تصرفاته فى هذا الطور الى ثلاثة اقسام :

1 ) تصرفات نافعة له نفعا محضا ، مثل قبول الهبات والوصايا والجوائز ، وهي تصرفات صحيحة نافذة ، ولا تفتقر لاجازة وليه .

2 ) تصرفات ضارة ضررا محضا ، كتبرعه على جهات خيرية هبة ووقفا وغيرهما أو اقراضه غيره ، وهي لا تصح ولا تنفذ ولو أجازها الولي، بل ترد على الولي ويضمنها من ماله اذا قام بها نيابة عنه ، لانها ليست من باب النظر والمصلحة ، والولي معزول عن غير المصلحة .

3 ) ما كان دائرا بين النفع والضرر لاحتمال الربح والخسارة ، كالبيع والشراء والتأجير والزواج والشركات وغيرها ، وتتوقف على اذن الولي ، اذا اجازها صحت ولزمت ، واذا رفضها بطلت .

ويرجع تقرير الاهلية الناقصة للطفل فى هذا الطور من عمره الى أنه بلغ السن الذي يبدأ فيه تحمله بعض أنواع المسؤوليات وتعرفه على

---

(77) الفروق 3 : 232 و ( صرف الهمة : 15 ) .
(78) بدران ابو العينين بدران : ( الشريعة الاسلامية ، تاريخها ، ونظرية الملكية والعقود :429 ) ومحمد يوسف : ( الفقه الاسلامي : 224 ) .

المجتمع ونمو مداركه العقلية ، شيئا فشيئا ، وميوله للتأثير فى محيطه والتعبير عن شخصيته ، فناسب ان يظفر فى هذه المرحلة بنوع من الاهلية في التعامل ، وان كانت مقيدة بما يحقق مصلحته ويحفظ ماله ، ويدفع الغبن عنه ، تمهيدا لفترة البلوغ التي هي مظنة الرشد ، والتي أمر الله تعالى فيها باختبار اليتامى لمعرفة حالهم من الرشد وغيره ، بقوله سبحانه : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » (79) .

واذا تحقق رشد الانسان في طور البلوغ كانت اهليته كاملة ، وصحت معاملاته وتصرفاته على وجه الاستقلال ، وعلى هذا فان كمال الاهلية يشترط فيه أمران : البلوغ والرشد ، ويعرف البلوغ بظهور علاماته الطبيعية ، وهي كما نظمها ابن عاشر في « المرشد المعين » :

وكل تكليف بشرط العقل — مع البلوغ بدم او حمل

او بمني أو بانبات الشعر — او بثمان عشرة حولا ظهر

والرشد عند الفقهاء حسن التصرف فى المال ، ولو كان صاحبه فاسقا من الوجهة الدينية ، وقد ساق ابن العربي تعاريفه عند الفقهاء فى « احكام القرءان » وهي كما يلي :

« حقيقة الرشد فيه ثلاثة اقوال :

الاول – صلاح الدين والدنيا ، والطاعة لله ، وضبط المال وبه قال الحسن (80) والشافعي .

الثاني – اصلاح الدنيا والمعرفة بوجوه اخذ المال والاعطاء والحفظ له عن التبذير ، قاله مالك (81) .

---

(79) سورة النساء : 6 .

(80) الحسن بن يسار البصري ، ابو سعيد ، من التابعين ، كان امام البصرة وعالمها ، موصوفا بالزهد والشجاعة والفصاحة . قال الغزالي : كان الحسن البصري اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء ، واقربهم هديا من الصحابة ، وتوفي عام 110 هـ – 728م

(81) مالك بن انس الاصبحي ، امام دار الهجرة ، واحد الائمة الاربعة ، مجمع على امامته وجلالته ، والاذعان له فى الحفظ وتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد بالمدينة عام 91 وقيل 94 وقيل 95 للهجرة ، وسمع الزهري ونافعا مولى عبد الله بن عمر وغيرهم من التابعين ، وكان صلبا فى دينه حتى اضطهد وعذب بسبب ذلك ، وله ( الموطأ ) وغيره . توفي سنة 179 هـ ( الديباج المذهب : 11 – 30 ) و ( وفيات ابن قنفذ 141 – 142 ) .

الثالث ـ بلوغ خمس وعشرين سنة ، قاله أبو حنيفة » (82) .

والمعول عليه تعريف مالك ، لان الغرض هو الرشد الدنيوي بجلب المصالح ودفع المفاسد وتحصين المال و « لان غرض الحفظين مختلف ، اما غرض الدين فخوف الله سبحانه ، واما غرض الدنيا ، فخوف فوات الحوائج والمقاصد وحرمان اللذات التي تنال به » (83) .

وعند ما تثبت اهلية الوجوب للانسان ، المعبر عنها بالذمة ، بولادته حيا ، فانها تظل كذلك ملازمة له فى يقظته ومنامه ، وصحته ومرضه ، وحال جنونه وعقله ، ولا تتأثر بأي عارض كان حتى يموت ، بينما تصيب العوارض اهلية الاداء ، فمنها ما يزيلها مثل الجنون والاغماء والنوم ، ومنها ما ينقص منها فقط مثل العته والرق ، ومنها ما لا يزيلها ولا ينقصها، وانما ينال بالتغيير بعض احكام من اتصف بها مثل السفه والدين والسكر .

وتعرف اهلية الاداء قانونا بانها صلاحية الشخص لاستعمال الحق عن طريق التصرف القانوني ، (84) او هي صلاحية الشخص لممارسة الحقوق والتحمل بالالتزامات على وجه يعتد به قانونا . والاصل فى الشخص كمال الاهلية ما لم يصرح قانون احواله الشخصية بغير ذلك ، ولما كان كمال الاهلية لدى المتعاقد هو الوضع الثابت أصلا ، فان على من يدعي عدم الاهلية ان يثبت ما يدعيه ، واحكام الاهلية لها مساس بالنظام العام ، لذلك لا يمكن الاتفاق على أن يحرم منها من يتمتع بها قانونا ، ولا منحها شخصا لا يتمتع بها بحكم القانون ، وكل اتفاق على عكس ذلك يكون باطلا بقوة القانون .

ويعتبر القانون أن الشخص يكون فاقدا أهلية الاداء فى حالتي الجنون وعدم التمييز بسبب صغر السن ، وتكون تصرفاته باطلة ، الا ان

---

(82) ابو حنيفة النعمان بن ثابت الفارسي الكوفي ، فقيه العراق ، واحد الائمة الاربعة ، ادرك بعض الصحابة ، ولم يلق احدا منهم ولا اخذ عنهم ، وقال عنه الثوري : هو افقه أهل الارض . ولد سنة 80 هـ وتوفي عام 151 هـ .

(83) احكام القرءان 1 : 322 .

(84) د. مامون الكزبري : نظرية الالتزامات 1 : 137 .

الصغير يعتبر محجورا بطبيعته على حين يفتقر المجنون الى حجره قضائيا بعد التأكد من حالته أصولا .

ويعتبر الشخص ناقص الاهلية اذا بلغ سن التمييز ( 12 من عمره ) ولم يبلغ سن الرشد ( 21 سنة من عمره ) او بلغ سن الرشد سفيها .

والتصرفات التي يجريها ناقص الاهلية ثلاثة أنواع :

1 ) التصرفات النافعة نفعا محضا ، كما تقدم فى نظر الشريعة الاسلامية ، ويجوز لناقص الاهلية مباشرتها بنفسه ، ولا تفتقر لاذن من وليه .

2 ) التصرفات الضارة ضررا محضا ، ويمتنع على القاصر مباشرتها بنفسه ولو باذن من وليه الشرعي .

3 ) التصرفات الدائرة بين النفع والضرر ، وتتوقف على اذن الولي .

ويعرف القانون مثل الشريعة حكم المميز المأذون ، وهو من لم يبلغ سن الرشد المحدد باحدى وعشرين سنة كاملة ، وسلمت له بعض أمواله لادارتها قبل الرشد أو قبل ترشيده من قبل القاضي على سبيل تجربته وتدريبه على ادارة شؤونه بنفسه ، وهو يتمتع بكامل الاهلية فيما أذن له فيه وفى التقاضي بشأنه ، ولا يسوغ له طلب ابطال التصرفات التي تحمل بها فى حدود الاذن المذكور ، ويجوز الغاء الاذن الممنوح له فى حالة ما اذا أساء ادارة امواله والحقت به تجارته أو تصرفاته ضررا فادحا ، بعد مثوله أمام القاضي والاستماع لاقواله . (85) .

ويلاحظ ان الشريعة الاسلامية تمد القانون الوضعي بثروة هائلة من الاحكام والتطبيقات الحصيفة الذكية فى مضمار الاهلية وغيرها ، وتساعد بذلك فى أن تكون احكام القانون اقرب الى الدقة ، واوثق صلة بالعدالة ، واكثر انسانية ، ومن الادلة على هذا ما قرره الفقهاء المسلمون من تفصيلات لعوارض الاهلية من جنون واغماء وغيرهما ، وما ذهبت اليه

---

(85) مامون الكزبري : نظرية الالتزامات 1 : 135 ـ 151 .

الشريعة فى باب حماية الايتام والذب عنهم واضفاء الحمايـــة والرعايـــة الكاملة لهم فى وقت كان فيه الايتام فى غير البـلاد الاسلاميـــة يعيشون عيشة البؤس والتشرد والشقاء ، وكان الكبار من الاعمام والحكام وغيرهم، يتطاولون عليهم ، ويقتنصون أموالهم غنيمة باردة ، فجاءت الشريعة بمـــا يذهب تلك المضار ، ويضع حدا لتلك الاخطار : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » (86) .

## اللاحقـــــــــة :

سبق القول ان الامام المسناوي رتب كتابه على سابقة ومقصديـــن ولاحقـــــــة .

وقد خصص اللاحقة لمراجعة الاسئلة التي وجهت اليـــه من تلميذه محمد التماق وتحليلها ، وبين ما أجاب عنه فى السابقـة والمقصديـــن ، وجاءت هذه اللاحقة مختصرة فى صفحتين ، جـرى فيهـــا على عـــادة الاختصار فى نوازل العصر ، وهي مشحونة بملاحظات مفيدة ، مر أكثرها، عدا الابحاث اللفظية ، وختم كتابه هذا بقصيدة من جيد نظمه ، فى موضوع كتابه ، غلبت فيها الطلاوة والرونق الادبي على الجفاف العلمي ، ويتضـــح منها انه كتب جوابه عن المسألة شيئا فشيئا ، بسبب حالة صحية سيئة، لا بسبب اعسار أو ضيق فى سبل العيش ، ويعتبر فى القصيـدة بهـــذا البحث مشيدا بما امتاز به من التحقيق ، ومبينا ان غرضه ابتعاث الهمـــم للزيادة من بحث الموضوع ، ودراسته وتوسيع آفاقه ، واليك جملة مـــن أبيات القصيدة : (87)

فهذا جواب عن غريـم سؤالكـــم ... أتى قاضيا للدين من بعد ما مطل
وما ذاك عن عسر فلله نعمـــــه ... على عبده تترى برغم أبي جهـــل
ولكن لما تدرين من كنه حالتـــي ... من الضعف والسقم المزاحم للشغل
وفترة عزم المرء حينـا فربمـــا ... مضت برهة والنار خامدة الشعل

---

(86) سورة النســـاء : 10 .
(87) صـــرف الهمـــة : 22 ـ 23 .

ولا سيما فى ذا الزمان الذي غدت　　نوازله كالقطر او كحصا الرمل

فلفقته شيئا فشيئا محاولا　　لاتقانه صنعا فجاء على مهل

ولا عتب اذ وفى بمضمون سؤلكم　　وطابقه ما طابق النعل للنعل

فشأن خطير القدر عزة نيله
« ولا بد دون الشهد من ابر النحل » (88)

فشد عليه الكف ضنا فانه　　على مشرع التحقيق علم بما يملي

ولم ادر هل فازت يداه بغرفة　　تبرد من احشائه غلة الجهل

أو انقلبت كفاه صفرا فان يكن　　فلا عجب فالطيش يعرض للنبل

وتنبو لدى الضرب الصوارم فى الوغى　　وتكبو جياد الخيل فى الموطء السهل

« ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها »
ولو كان ـ حاشا المصطفى ـ فائق النبل (89)

وقد سام نفسا بالفضيحة من غدا　　يجاري جياد السبق جهلا على الرجل

ولكنني ابديت ما لاح للحجا　　ليقبل او يلقى له مطرح الزبل

وربتما يا صاح انهض همة　　نجادت بما يعني ويغني ذوي العقل

**تقييم كتاب « صرف الهمة » :**

هو كتاب من امتع كتب المناوي واجلها فائدة ، حقق فيه موضوع الذمة ، التي اكتشفها الفقه الاسلامي ، وترددت على السنة الفقهاء واقلامهم ، ودخلت أبواب الالتزام من أوسع مصاريعها ، اذ تعتبر نظرية الاهلية حجر الزاوية في الابحاث الشرعية والقانونية المتعلقة بالالتزام واحوال المسؤولية التقصيرية والجنائية ، وقد عالجها الفقه الاسلامي مبكرا من أيام الائمة الاربعة ، وعرفت تطبيقاتها فى مختلف كتب الفقه

---

(88) عجز بيت من قصيدة للمتنبي ، وصدره :
تريدين لقيان المعالي رخيصة .
(89) صدر البيت من قصيدة لبشار ، وعجزه قوله :
كفى المرء نبلا ان تعد معايبه .

وفتاواه ، ودخلت ميدان الحياة الاجتماعية لمعالجة النوازل الحادثة بين الناس ، ومع ذلك لم تحظ بما تستحق من عناية فجاءت مباحثها مقطعة مفرقة على أبواب الفقه ، مرة تدرس في باب السلم ومرة في الضمانات وأخرى في الجنايات ، وعالجها الاصوليون في مباحث الحكم لتوضيح ما بين خطاب الوضع وخطاب التكليف من الاختلاف .

وظللت نظرية الذمة على أهميتها وتطبيقاتها هامشية في أبحاث الفقهاء والاصوليين ، لم تفرد بالتأليف ـ فيما أعلم ـ حتى كان هذا الكتاب الفريد في بابه ، وبه يمكن القول أن النظرية تأخرت في الظهور عن التطبيقات والاحكام .

ولا يشبه هذا الاهمال الواقع في تحرير نظرية الذمة في الفقه الاسلامي الا الاهمال الملحوظ كذلك في افراد نظرية العقود الاسلامية بالتأليف وهي نظرية تعتبر مباحث الذمة جزءا منها لما لها من صلة بأهلية الالتزام ، وذلك لان احدا من الفقهاء ، قبل عصرنا لم يتوجه لكتابة نظرية عامة عن العقد تتناول ما هو مشترك وعام في العقود لوضع اطار عام لصحة التصرفات والمعاملات ، بل كانوا يقتصرون على ذكر حقيقة كل عقد وشروطه بايجاز في مداخل ابواب الفقه الاسلامي مثل البيع والايجار والجعالة وغيرها .



فمن هنا الاهمية الاولى لهذا الكتاب .

وفي الكتاب جوانب اخرى تستحق الاشادة بها ، منها جانبه الادبي ، المتمثل في صفاء اسلوب المؤلف ، وجمال كتابته ، حتى اننا ننسى اننا نقرأ عن موضوع فقهي ، بما فيه من الطرافة والملاحظات التاريخية المتعلقة بتراجم الفقهاء واعمالهم وحالتهم من الاتباع والابتكار ، واعني بذلك ان الفقه الاسلامي عند الفقهاء يعتمد على نقول بعضهم عن بعض ، وكان البعض ، يحترم العلم والمنهج العلمي الاسلامي ، فيعزو ما ينقل الى ذويه ، وكان البعض الآخر يضرب عرض الحائط بذلك ، ويتبنى النظريات وينتحل الاقوال ، وتخفى مصادر نقوله على صغار الفقهاء والطلبة ، ولكنها لم تخف على الشيخ المسناوي الذي فضح بعض قضايا الانتحال في هذا الكتاب ، كما أنه وضع موازين عدل بين الفقهاء المتقدمين ، حين تكلم على

كثرة انتقاد ابن عرفة لشيخه ابن عبد السلام ، وعلى انتقادات لم يسلم له اكثرها لما فيها من غمط الحق وتعمد التنغيص والتكدير والاعتراض ، ومثل موقفه من القرافي وابن الشاط حين وقف وقفات طويلة ــ بحساب الالفاظ ــ لمناقشة كلامهما ومباحثهما .

وهذا الكتاب من الوجهة الوطنية فقه مغربي ، على صعيد المغرب الاقصى وتونس ومصر لان ابن عبد السلام الهواري وابن عرفة تونسيان ، واحمد القرافي مغربي الأصل صنهاجي مصري المولد ، وابن الشاط من فقهاء سبتة المغربية السليبة .

ومن ثم فان لهذا الكتاب قيمته الفكرية ومنزلته في التعريف بأصالتنا وقيمنا الحضارية واسهامنا الفكري في مجال الكشف والدرس والتحقيق . ويتبوأ الامام المسناوي به منزلة عالية في مضمار تراث الفقه الاسلامي باعتباره محرر نظرية الذمة فيه .



# محمد ابن وضاح القرطبي

## مؤسس مدرسة الحديث بالاندلس

## ( 200 - 287 هـ )

د. نوري معمر

هو محمد بن وضاح بن بزيع أبو عبد الله القرطبي .

كان جده بزيع عبدا مملوكا لمؤسس الدولة الاموية بالاندلس الامير عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل ، ثم أعتقه ابتغاء للاجر والثواب .

وقد وجدت وثيقة عتقه في مكتبة حفيده محمد بن وضاح ، فقد ذكر ابن حارث الخشني ما نصه :

« قال بعض اهل العلم : قرات كتاب عتقه - وكان في جملة كتبه - فما رأيت كتابا أشد اختصارا ، ولا اكثر اتقانا منه ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم :

كتاب من عبد الرحمن بن معاوية لزيع مولاه ، أعتقه لله جل وعز ، فليس لاحد عليه سبيل وان ولاءه لي ولعقبي » (1) .

ولد ابن وضاح - حسبما رواه بعض تلامذته عنه - سنة 199 او 200 للهجرة بقرطبة (2) .

---

(1) ابن حارث مخطوط المكتبة الملكية ( رقم : 6916 ) .

(2) تاريخ ابن الفرضي ج 2 ص : 19 ، ترتيب المدارك 4 / 440 ، تذكرة الحفاظ 2 / 646 ، الديباج المذهب ص : 241 .

## بدايــة طلبــه للعلــم :

ليس بامكاننا أن نحدد الزمن الذي ابتدأ فيه ابن وضاح طلبه للعلـم كما انه ليس بامكاننا أيضا أن نعين اول شيخ جلس اليه ، وكل ما نعلمـه انه اخذ العلم عن عدة شيوخ بالاندلس فى قرطبة ، وسرقسطة او طليطلة وغيرهـا ...

وبلغ عدد شيوخه بالاندلس خمسة عشر ، وهم :

محمد بن عيسى الاعشى (3) ومحمد بن خالد الاشبح (4) وابو محمد يحيى بن يحيى الليثي (5) وسعيد بن حسان (6) وعبد الملـك بن الحسن ( زونان ) (7) وعبد الملك بن حبيب الالبيري (8) وعبد الاعلى بن وهب (9) وابان بن عيسى بن دينار ابو القاسم القرطبي (10) وداود بن جعفر بن أبي صغير القرطبي (11) .

---

(3) ابن حارث ورقة 154 ب ، مخطوط المكتبة الملكية رقم : 6916 ، تاريخ ابن الفرضي 2 / 17 ، ترتيب المدارك 4 / 435 ، الديباج المذهب ص : 239 .

(4) ابن حارث نفس المخطوط والورقة ، ابن الفرضي 2 / 17 ، ترتيب المدارك 4 / 434، الديباج المذهب ص : 239 ، شجرة النور الزكية ص : 76 ، وفيــه ( الانيــج ) وهــو تصحيــف .

(5) ابن حارث نفس المخطوط والورقة ، ابن الفرضي 2 / 17 ، جذوة المقتبس ص :94، بغية الملتمس ص : 133 ، ترتيب المدارك 4 / 435 ، الديباج المذهب ص : 240، شجرة النور الزكية ص : 76 .

(6) ابن حارث ورقة 154 ب ، ابن الفرضي 2 / 17 ، ترتيب المدارك 4 / 435 ، الديباج المذهــب ص : 240 .

(7) ابن حارث نفس المخطوط والورقة ، ابن الفرضي 2 / 17 ، ترتيب المدارك 435/4، الديباج المذهب ص : 240 ، شجرة النور الزكية ص : 76 .

(8) ابن حارث نفس المخطوط والورقة ، ابن الفرضي 2 / 17 ، ترتيب المدارك 435/4، الديباج المذهب ص : 240 ، لسان الميزان 5 / 417 ، شجرة النور الزكية ص:76.

(9) ابن حارث نفس المخطوط والورقة ، ابن الفرضي 2 / 17 ، ترتيب المدارك 435/4، الديبــاج المذهــب ص : 240 .

(10) ترجمته فى ابن الفرضي 1 / 22 ، جذوة المقتبس ص : 172 ، بغيــة الملتمس ص : 238 ، ترتيب المدارك 4 / 259 .

(11) ابن حارث ورقة 153 ب ، المخطوط السابق وترجمته فى ابن الفرضي 1 / 169 ، جذوة المقتبس ص : 214 ، بغية الملتمس ص : 292 ، ترتيب المدارك 3 / 346 .

ودحيم الاندلسي (12) وعباس المعلم القرطبي (13) وعبد الله بن محمد بن زرقون المرادي ابو محمد السرقسطي (14) ومؤمل بن سليمان ابو عبد الله الاندلسي نزيل القيروان (15) ويحيى ابن يزيد الازدي القرطبي (16) وعبد الله بن يحيى القيسي ( ابن الخشاب ) ابو محمد السرقسطي (17) .

## رحلتـــــه الاولـــــى :

رحل ابن وضاح الى المشرق رحلته الاولى ، ولما يتجاوز عمـــره تسع او ثماني عشرة سنة ، ويجزم ابن الفرضي ( 18) بأن رحلته هـــذه كانت سنة ثماني عشرة ومائتين للهجرة ( 833 م ) واقتفاه فى ذلك القاضي عياض (19) وابن فرحون (20) أما ابن حارث ، فلم يكن متأكـــدا بسنـــة بعينها مما تفيده عبارته التالية :

« سمع ابن وضاح من فقهاء الاندلس ، ثم رحل الى المشرق قبـــل سنة عشرين ومائتين » (21) ثم اننا نجدهم متفقين جميعا على ان رحلته هذه ، كانت قبل رحلة قرينه : « بقي بن مخلد وان قصده فيها لم يكـــن طلب الحديث وروايته . بل كان فقط الاتصال بالعباد والزهاد فكان جـــل اخذه لا قائق » ـ حسب تعبير محمد بن حارث الخشني ـ (22) .

---

(12) ترجمته فى ابن الفرضي 1 / 172 .
(13) نـــفس المرجـــع والجـــزء ص 340 .
(14) قال ابن الفرضي : « كانت الرحلة الى سرقسطة للسماع منه ، والرواية عنه ، وكان ابن وضاح لحسن الثنـــاء عليـــه » . وقد بن وضاح عنه رواية فى كتابه « البدع والنهي عنها » ص : 18 ـ 20 ـ 83 . له ترجمة فى تاريخ ابن الفرضي 1 / 252 ، جذوة المقتبس ص : 249 ، بغية الملتمس ص : 329 .
(15) قال ابن الفرضي : « استوطن القيروان ، ولقيه بها محمد بن وضاح ، وسمع منه » له ترجمة فى ابن الفرضي 2 / 551 .
(16) هو امام زياد شبطون ، روى عنه ابن وضاح حديثا قبل الكسوف ، وكـان الكسوف سنة 218 للهجرة ، وكان يحيى هذا مشهودا له بالفضل والورع . له ترجمة فى ابن الفرضـــي 2 / 177 .
(17) كان رفيق ابن وضاح في رحلته الى المشرق ، وكان يثني عليـــه ويصفه بالفضل والامانة وقد روى عنه ، كان يرحل الى سرقسطة للسماع منه . له ترجمـــة فى ابـــن الفرضـــــي 2 / 252 .
(18) تاريـــخ علمـــاء الانـــدلس 2 / 17 .
(19) ترتيـــب المـــدارك 4 / 436 .
(20) الديبـــاج المذهـــب ص : 240 .
(21) ورقة 25 أ ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 6916 .
(22) نـــفس المخطـــوط والورقـــة .

والواقع انها كانت رحلة مبكرة بالامكان ان تعطي نتائج طيبة مثمرة للغاية ، لو أن ابن وضاح احسن استغلالها وعرف كيف يستفيد منها ، فلو وفق واتصل بشيوخ الحديث والرواية الذين كانوا ينعمون بالحياة على ذلك العهد وروى عنهم حديثهم ، واخذ روايتهم ، لكان قد شارك البخاري ومسلما وأبا داود ، وغيرهم من اصحاب الكتب الستة في اكثر شيوخهم، ولكان ـ كما قال ابن الفرضي ـ « ارفع اهل زمانه درجة واعلاهم اسنادا » (23) .

ولتفوق على زميله في الرواية : « بقي بن مخلد » ، ولكن شاء الله أن يظل فارس هذا الميدان وبطله بالاندلس « بقي بن مخلد » ، رغم أنه رحل بعده بسنوات .

ويظهر ان رحلة ابن وضاح هذه كانت قصيرة ، ذلك لان عدد شيوخه فيها قليل لا يكاد يتجاوز اربعة عشر شيخا ، ومن هنا نعتقد أن ما ذكره الدكتور حسين مؤنس (24) من ان ابن وضاح « سمع فيها سماعا كثيرا من عدد كبير من شيوخ الحديث » غير صحيح كما نعتقد انه قد جانب الصواب فيما يحاول به ان يشكك هو من قبيل حقيقة ثابتة تداولتها كل المصادر القديمة (25) وتلك الحقيقة هي أن ابن وضاح ـ كما سلف ـ كان غرضه في الرحلة الاولى فقط لقاء العباد والزهاد . ان الدكتور حسين مؤنس يحاول ان يقوض هذا الواقع بمجرد ظن وتخمين ، ومن غير أي مستند ولا حجة ، انما يكتفي بقوله :

« ويقال : ان هدفه في هذه الرحلة لم يكن الحديث ، وانه كان شأنه الزهد وطلب العباد ، ولكن يبدو أن هذا تعليل وضع فيما بعد ، لان الذين سمع منهم كانوا محدثين » (26) .

واظن ان من الواضح جدا انه لا يلزم من كون شيوخه محدثين انه يتعين عليه ان يأخذ عنهم حديثه ، ما دام ان قصده في هذه المرة لم يكن طلب الحديث ، وانما كان الزهد وطلب العباد . وانما لكل امرىء ما نوى .

---

(23) المرجع السابق 2 / 17 .
(24) شيوخ العصر في الاندلس ص : 43 .
(25) ابن حارث الخشني تاريخ ابن الفرضي ، ترتيب المدارك ، الديباج المذهب .
(26) المرجع السابق نفس الصفحة .

## شيوخه في الرحلة الاولــــى :

1 ) ادم بن ابي اياس العسقلاني ( ت 220 او 221 هـ ) (27) .

2 ) القاسم بن سلام ( ابــو عبيــد ) البغــدادي (ت 222 او 223 او 224 هـ ) (28) .

3 ) عبد الله بن صالح ابو صالح المصري ( كاتب الليث ) (ت 223هـ)(29)

4 ) اصبغ بن الفرج المصري ( ت 225 هـ ) (30) .

5 ) سعيد بن منصور الخراساني ( ت 227 هـ ) (31) .

6 ) موسى بن معاوية الصمادحي ابو جعفر القرشي القيرواني ( ت 225 او 226 ) (32) .

---

(27) ابن حارث ورقة 45 ا ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 6916 ، ابن الفرضي 2 / 15. جذوة المقتبس ص : 94 ، بغية الملتمس ص : 133 ، ترتيب المدارك 4 /436 ، الديباج المذهب ص : 240 ، لسان الميزان 5 / 416 .

(28) ابن حارث نــــفس المخطوط والورقــــة .

(29) ترتيب المدارك 4 / 436 ، الديباج المذهب ص : 240 .

(30) ابن حارث نــــفس المخطوط والورقــــة .

(31) ابن الفرضي 2 / 15 ، ترتيب المدارك 4 / 436 ، الديباج المذهــب ص : 240 ، لسان الميزان 5 / 416 .

(32) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص : 12 ، 61 ، 17 ، 18 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 29 ، 41 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 ، 89 ، 87 ، 89 ، 90 ، 91 ، 92 ، 93 . ابن حارث ورقة 154 ب ، مخطوط المكتبة الملكية السابق ، كتاب المحلــى لابــن حزم 1 / 79 ، 90 ، 218 ، 2 / 166 ، 220 ، 221 ، 223 ، 3 / 107 ، 108 ، 151 ، 157 ، 263 ، 4 / 105 ، 5 / 50 72 ، 221 ، 276 ، / 21 ، 25 ، 39 ، 127 ، 232 ، 8 / 477 ، 9 / 355 ، 10 / 411 ، 412 ، 414 ، 422 ، 428 ، 431 ، 433 ، 434 ، 438 ، 447 ، 449 ، 475 ، 508 ، 513 ، 11 / 14 ، 22 ، 31 ، 32 ، 45 ، 47 ، 48 ، 49 ، 58 ، 85 ، 86 ، 123 ، 143 ، 144 ، 173 ، 233 ، 234 ، 242 ، 248 ، 274 ، 277 ، 278 ، 282 ، 284 ، 286 ، 320 ، 322 ، 327 ، 328 ، 329 ، 332 ، 354 ، 356 . كتاب الاحكام في اصول الاحكام لابن حزم 6 / 175 ، 179 7 / 136 ، 158 ، 8 / 33 ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 1 / 149 ، 184 ، 187 ، 191 ، 230 ، 2 / 20 ، 23 ، 35 ، 103 ، 113 ، 119 ، 133 ، 135 ، 136 ، 150 ، 184 ، 223 ، 228 ، 237 ، كتــاب التمهيــد لابن عبــد البــر 1 / 221 ، 2 / 166 ، 4 / 83 ، 133 ، 177 ، 178 ، جلوة المقتبس ص : 94 ، بغية الملتمس ص : 133 ، ترتيب المدارك 4 / 93 ، 436 ، شجرة النور الزكية ص : 68 .

7 ) نعيم بن حماد الخزاعي ابو عبد الله المروزي نزيل مصر ( ت 228 هـ ) (33) .

8 ) يحيى بن معين ابو زكريا البغدادي ( ت 233 هـ ) (34) .

9 ) علي بن نجيح ( المديني ) البصري ( ت 234 ) (35) .

10) زهير بن حرب ابو خيثمة النسائي البغدادي ( ت 234 هـ (36) .

11) احمد بن محمد بن حنبل البغدادي ( ت 241 هـ ) (37) .

12) عبد الله بن ذكوان ( ت 242 هـ ) (38) .

13) محمد بن مصفى الحمصي ( ت 246 هـ ) (39) .

14) ابراهيم بن حسان الاطرابلسي (40) .

### رحلته الثانية :

اذا كنا قد عرفنا تاريخ رحلته الاولى بالضبط ، وهو ـ كما تقدم ـ سنة ( 218 هـ ) فانه لا سبيل الى ذلك بالنسبة لرحلته الثانية ، لان جميع المراجع سكتت ولم تسعفنا بشيء عن ذلك اللهم الا ما كان من ابن حارث الخشني (41) فانه ذكر انها كانت بعد الثلاثين ومائتين ، غير انه لا يخفى ما في هذه « البعدية » من عموم وشمول ، لكن بالامكان التخفيف

(33) البدع والنهي عنها ص : 58 .

(34) ابن الفرضي 2 / 15 ، جذوة المقتبس ص : 93 ، بغية الملتمس ص : 133 ، ترتيب المدارك 4 / 436 ، الديباج المذهب ص : 240 ، شجرة النور الزكية ص76 ابن حارث ورقة 154 ب مخطوط المكتبة الملكية رقم : 6916 .

(35) ترتيب المدارك 4 / 436 ، الديباج المذهب ص : 240 ، شجرة النور الزكية ص76

(36) ابن الفرضي 2 / 15 ، ترتيب المدارك 4 / 436 ، الديباج المذهب ص : 240 ، ابن حارث ورقة 154 ب مخطوط المكتبة الملكية السابق .

(37) ابن حارث ورقة 45 أ ، ابن الفرضي 2 / 15 ، ترتيب المدارك 4 / 436 ، الديباج ص : 240 ، شجرة النور الزكية ص : 76 .

(38) ترتيب المدارك 4 / 436 ، الديباج ص : 240 .

(39) البدع والنهي عنها ص : 44 ، ابن حارث ورقة 45 ، ترتيب المدارك 4 / 436 ، الديباج ص : 240 .

(40) ابن الفرضي 2 / 15 ، الجذوة 94 ، البغية ص : 133 .

(41) ورقة 45 أ مخطوط المكتبة الملكية رقم : 6916 .

بعض الشيء من شمولها وعمومها بهذا النص الذي أورده ابن حارث نفسه عن ابن وضاح في احد شيوخه بمكة هو : ( محرز بن سلمة بن يزواد العدني ثم المكي ) حيث قال ابن وضاح : « لقيته بمكة في سفرتي الثانية وقال لي بهذه الحجة يتم لي ثمانون حجة » (42) اذا أضفنا اليه أن وفاة شيخه المذكور كانت سنة ( 234 هـ ) كانت رحلته الثانية محدودة باحدى وثلاثين وأربعة وثلاثين .

## عدد شيوخه في هذه الرحلة :

ذكر ابن الفرضي في ترجمة ابن وضاح أن عدتهم خمسة وسبعون ومائة رجل ، وسرد من اعلامهم ثلاثين اسما ، مكتفيا عن ذكر الآخرين بقوله : « في جماعة كثيرة من البغداديين ، والمكيين ، والشاميين ، والمصريين ، والقرويين » (43) ، في حين ذكر القاضي عياض (44) وتبعه ابن فرحون (45) « ان عددهم مائة وخمسة وستون رجلا » .

واكتفينا بذكر ثمانية عشر من اعلامهم ، مستغنيين عن الباقين منهم بقولهما :

« في خلق كثير من البغداديين ، والمكيين ، والشاميين ، والمصريين ، والقرويين » .

اما ابن حارث (46) ، فذكرهم بأسمائهم الكاملة موزعا اياهم على البلدان والامصار ، ناصا على عددهم في كل بلد ، وكان توزيعه كالتالي :

(42) نفس المخطوط ورقة 116 ب .
(43) تاريخ علماء الاندلس 2 / 16 .
(44) ترتيب المدارك 4 / 436 .
(45) الديباج المذهب ص : 240 .
(46) ( ورقة 116 ب ، 117 او ب ، 118 ا ، 154 ب ، مخطوط المكتبة الملكية رقم : 6916 ) .

| أسماء البلدان | عدد الشيوخ |
| --- | --- |
| مكة المكرمة | تسعة |
| المدينة المنورة | اربعة |
| بيت المقدس | اثنان |
| اطرابلس | سبعة |
| حمص | سبعة |
| حلب | اثنان |
| ايلة | واحد |
| جدة | اثنان |
| طوسة | واحد |
| صوران | واحد |
| خراسان | واحد |
| انطاكية | ثلاثة |
| اذنة | واحد |
| طرسوس | سبعة عشر |
| المصيصة | اربعة عشر |
| غزة الشام | ثلاثة |
| هيت | اثنان |
| القلزم | واحد |
| عسقلان | ثلاثة |
| مصر | واحد وثلاثون |
| دمشق | ثلاثة عشر |
| الكوفة | اثنان |
| بغداد | احد عشر |
| تاهرت | واحد |
| القيروان | خمسة عشر |

ونذكر هنا ملاحظتين : الاولى : انه وردت فى مخطوط ابن حارث الخنشي بلدة بين حلب وايلة لم نتمكن من قراءتها ، ولا قراءة اسمي الشخصين اللذين اخذ ابن وضاح عنهما بها ، وكل ما تمكنا من قراءته هو عدد ( اثنان ) .

الملاحظة الثانية : ان ابن حارث عندما ذكر شيوخه ابن وضاح موزعين على البلدان والامصار ، كان مضطرا لان يجمع بين شيوخه فى الرحلة الاولى وعددهم كما رأينا ـ وبينهم فى الرحلة الثانية ـ وعددهم ضخم ـ لكن فى نفس الوقت يمكننا ان نستنتج من النص الآتي لابن حارث قاعدة منضبطة للتمييز بين شيوخه فى الرحلة الاولى ، والرحلة الثانية ، حيث يقول بصدد رحلته الاولى ما نصه :

« رحل الى المشرق قبل عشرين ومائتين ، فكان شانه حينئذ العبادة والزهد ، وكان جل اخذه ببرقائق ، وحينئذ سمع من آدم بن ابي اياس العسقلاني ، وادرك ابا عبيد ابن حنبل ، واصبغ بن بن الفرج ، وغيرهم ممن قدم موته ، ثم انصرف » (47) .

وهكذا يكون كل من توفي قديما ( اى بعد سنة 218 هـ ) ( الى قبل سنة 234 هـ ) من الشيوخ ، كان من شيوخ الرحلة الاولى .

وقد اعطانا البحث الدقيق الشامل لشيوخ ابن وضاح أن عددهم فى الرحلة الثانية 165 مائة وخمسة وستون شيخا ، خلافا لابن الفرضي الذي جعل عددهم 175 خمسة وسبعين ومائة ، وخلافا ايضا للزميل الاستاذ ابراهيم ابن الصديق الذي قال : « عددهم يقارب المائتين» (48) ، وتأييدا للقاضي عياض ، وابن فرحون اللذين ذكرا أن عددهم فقط 165 خمسة وستين ومائة ، وذلك لانه اذا اضفنا الى العدد الذي ذكره القاضي عياض وابن فرحون ، وهو ( 165 ) : خمسة عشر من شيوخه الاندلسيين ، واربعة عشر من شيوخه فى الرحلة الاولى ، كان مجموع العدد ( 194 ) اربعة وتسعين ومائة شيخ ، وهو ما يحتوي عليه المعجم الذي افردناه لشيوخ ابن وضاح بنقص واحد فقط .

---

(47) ابن حارث ورقة 45 ب مخطوط المكتبة الملكية رقم : 6916 .

(48) ( مجلة الاعتصام ، لعلماء خريجي دار الحديث الحسنية ـ العدد الاول ـ ص : 13)

## شيوخ ابن وضاح وبقي بن مخلد :

قد شارك ابن وضاح زميله القرطبي الحافظ المجتهد : بقي بن مخلد (201 ـ 276 هـ ) في كثير من شيوخه ، او رجالي ـ على حد تعبير ابن الفرضي ـ (49) وبعد التتبع واستقصاء البحث الفينا تعدادهم ستة واربعين شيخا ، نذكرهم فيما يلي :

1 ـ ابراهيم بن محمد ابو اسحاق الشافعي المكي ( ت 237 هـ ) .

2 ـ ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي ابو اسحاق المقدسي .

3 ـ ابراهيم بن المنذر الحزامي ابو اسحاق المدني ( ت 236 هـ ) .

4 ـ احمد بن ابي بكر ابو مصعب الزهري المدني ( ت 242 هـ ) .

5 ـ احمد بن سعيد بن الحكم بن ابي مريم أبو جعفر المصري (ت 253هـ)

6 ـ احمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح أبو الطاهر المصري ( ت 20 هـ ) .

7 ـ احمد بن محمد بن حنبل المروزي ثم البغدادي ( ت 241 هـ ) .

8 ـ اسحاق بن أبي اسرائيل المروزي أبو يعقوب نزيل بغداد ( ت 245 او 246 هـ ) .

9 ـ الحارث بن مسكين المصري ( ت 250 هـ ) .

10 ـ حرملة بن يحيى التجيبي ابو جعفر المصري ( ت 243 هـ ) .

11 ـ الحسن بن مدرك بن بشير السدوسي ابو علي البصري .

12 ـ حكيم بن سيف بن حكيم ابو عمر الرقي .

13 ـ زهير بن حرب ابو حيثمة النسائي نزيل بغداد ( ت 234 هـ ) .

41 ـ زهير بن عباد الرؤاسي الكوفي نزيل مصر ( ت 238 هـ ) .

15 ـ سريج بن يونس ابو الحارث المروزي نزيل بغداد ( ت 235 هـ ) .

---

(49) تاريخ علماء الاندلس 2 / 17 .

16 ـ عبد الرحمن بن ابراهيم ( دحيم ) أبو سعيد الدمشقي (ت 245 هـ)

17 ـ عبد السلام بن سعيد ( سحنون ) أبو سعيد القيرواني (ت 240هـ)

18 ـ عبد الله بن محمد ( أبو بكر بن أبي شيبة ) الكوفي ( ت 235 هـ ).

19 ـ عبد الملك بن حبيب السلمي الالبيري أبو مروان نزيل قرطبة ( ت 238 هـ ) .

20 ـ عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار أبو حفص الحمصي ( ت 250 هـ ) .

21 ـ عون بن يوسف الخزاعي القيرواني ( ت 239 هـ ) .

22 ـ عيسى بن حماد ( زغبة ) أبو موسى المصري ( ت 248 هق ) .

23 ـ فضيل بن حسين بن طلحة ( أو كامل الجحدري ) البصري ( ت 237 هـ ) .

24 ـ كثير بن عبيد المذحجي أبو الحسن الحمصي ( ت 247 أو 250 هـ)

25 ـ محرز بن سلمة بن يزداد العدني ثم المكي ( ت 234 هـ ) .

26 ـ محمد بن بكار الريان أبو عبد الله الحمصي ثم البغدادي ( ت 238 هـ ) .



27 ـ محمد بن رمح أبو عبد الله المصري ( ت 242 أو 243 ، وقيل 248 هـ ) .

28 ـ محمد بن سليمان بن أبي داود أبو هارون الانباري ( ت 234 هـ ).

29 ـ محمد بن عبد الله بن نمير الهمذاني الخارفي أبو عبد الرحمن الكوفي ( ت 234 هـ ) .

30 ـ محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري ( الاعشى ) أبو عبد الله القرطبي ( ت 221 أو 222 هـ ) .

31 ـ محمد بن المتوكل بن أبي السري أبو عبد الله العسقلاني ( ت 238 هـ ) .

32 ـ محمد بن مصفى بن بهلول أبو عبد الله الحمصي ( ت 246 هـ ) .

33 ـ محمد بن يحيى بن ابي عمر العدني نزيل مكة ( ت 243 هـ ) .

34 ـ محمود بن خالد بن يزيل ابي خالد السلمي أبو علي الدمشقي ( ت 249 هـ ) .

35 ـ منصور بن ابي مزاحم بشير التركي أبو نصر البغدادي ( ت 235 هـ ) .

36 ـ هارون بن سعيد ابو جعفر الايلي نزيل مصر ( ت 253 هـ ) .

37 ـ هارون بن عبد الله ( الحمال ) البزاز ابو موسى البغدادي ( ت 243 هـ ) .

38 ـ هشام بن خالد الازرق ابو مروان الدمشقي ( ت 249 هـ ) .

39 ـ هشام بن عمار بن نصير السلمي أبو الوليد الدمشقي ( ت 245 هـ ) .

40 ـ الوليد بن عتبة الاشجعي ابو العباس الدمشقي ( ت 240 هـ ) .

41 ـ يحيى بن سلمان الجعفي الكوفي أبو سعيد نزيل مصر ( ت 239 هـ ) .

42 ـ يحيى بن معين ابو زكريا البغدادي ( ت 233 هـ ) .

43 ـ يحيى بن يحيى الليثي المصمودي أبو محمد القرطبي ( ت 233 او 234 هـ ) .

44 ـ يزيد بن خالد بن موهوب الهمذاني ابو خالد الرملي ( ت 232 هـ ).

45 ـ يعقوب بن حميد بن كاسب المدني ابو يوسف نزيل مكة ( ت 240 او 241 هـ ) .

46 ـ يوسف بن عدي البكري ابو يعقوب الكوفي نزيل مصر ( ت 232 هـ)

**شيوخ ابن وضاح والبخاري :**

وقد استقصينا البحث في شيوخه مع امير المومنين في الحديث : ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ( 194 ـ 256 هـ ) فالفيناه يشترك معه في تسعة وعشرين شيخا ، وهم كما يلي :

1 ـ آدم بن أبي اياس العسقلاني ( ت 220 أو 221 هـ ) .

2 ـ ابراهيم بن المنذر الحزامي المدني ( ت 236 هـ ) .

3 ـ أحمد ان ابي بكر مصعب الزهري المدني ( ت 242 هـ ) .

4 ـ أحمد بن محمد حنبل المروزي ثم البغدادي ( ت 241 هـ ) .

5 ـ اسحاق بن ابي اسرائيل المروزي ابو يعقوب نزيل بغداد ( ت 245 او 246 هـ ) .

6 ـ اسحاق بن منصور ابو يعقوب الكوسج المروزي النيسابوري ( ت 251 هـ ) .

7 ـ اسماعيل بن عبد الله بن ابي اويس ابو عبد الله المدني ( ت 226 او 227 هـ ) .

8 ـ اصبغ بن الفرج ابو عبد الله المصري ( ت 225 هـ ) .

9 ـ الحسن بن مدرك السدوسي ابو علي البصري .

10 ـ الحكم بن موسى القنطري ابو صالح البغدادي ( روى له البخاري تعليقا ) ( ت 232 هـ ) .

11 ـ زهير بن حرب ابو خيثمة النسائي ثم البغدادي ( ت 234 هـ ) .

12 ـ سريج بن يونس ابو الحارث المروزي نزيل بغداد ( روى له البخاري حديثا واحدا ) ( ت 235 هـ ) .

13 ـ سعيد بن الحكم ابو محمد ( ابن مريم ) المصري ( ت 224 هـ ) .

14 ـ سعيد بن منصور ابو عثمان البخلي نزيل مكة ( له حديث واحد فى الجامع الصحيح ) ( ت 227 هـ ) .

15 ـ عاصم بن علي بن عاصم ابو الحسن الواسطي ( روى عنه البخاري مباشرة وبواسطة ) ( ت 221 هـ ) .

16 ـ عبد الرحمن بن ابراهيم ( رحيم ) ابو سعيد الدمشقي ت 245 هـ )

17 ـ عبد الله بن صالح ( كاتب الليث ) ابو صالح المصري ( روى عنه البخاري وكان يدلسه ) ( ت 223 هـ ) .

18 ـ عبد الله بن محمد ( ابو بكر بن ابي شيبة ) الكوفي ( 235 هـ ) .

19 ـ علي بن عبد الله بن نجيح ( المديني ) البصري ( ت 234 هـ ) .

20 ـ فضيل بن حسين ابو كامل ( الجحدري ) البصري ( روى عنه البخاري تعليقا ) ( ت 237 هـ ) .

21 ـ القاسم بن سلام ( ابو عبيد ) البغدادي ( روى عنه البخاري فى التاريخ ) ( ت 222 هـ أو 223 او 224 هـ ) .

22 ـ محمد بن عبد الله بن نمير الهمذاني الخارفي ابو عبد الرحمن الكوفي ( ت 234 هـ ) .

23 ـ نعيم بن حماد الخزاعي ابو عبد الله المروزي نزيل مصر ( روى عنه البخاري تعليقا ومقروتا بآخر ) ( ت 228 هـ ) .

24 ـ هشام بن عمار ابو الوليد السلمي الدمشقي ( ت 245 هـ ) .

25 ـ يحيى بن ايوب المقابري ابو زكرياء البغدادي ( روى عنه البخاري فى كتابه : « خلق افعال العباد » ) ( ت 234 هـ ) .

26 ـ يحيى بن سليمان الجعفي ابو سعيد الكوفي نزيل مصر ( ت 239 هـ ) .

27 ـ يحيى بن معين ابو زكريا البغدادي ( روى عنه البخاري مباشرة ، وبواسطة ) ( ت 233 هـ ) .

28 ـ يعقوب بن حميد بن كاسب ابو يوسف المدني نزيل مكة ( ت 240 او 241 هـ ) .

29 ـ يوسف بن عدي ابو يعقوب الكوفي نزيل مصر ( روى عنه البخاري مباشرة ، بواسطة علي بن عبد الرحمن بن المغيرة ) ( ت 232 هـ )

## شيوخ ابن وضاح ومسلم :

يشترك ابن وضاح مع حجة الاسلام الامام الحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري ( 204 ـ 261 هـ ) فى سبعة وعشرين شيخا ، منهم : الامام

احمد بن حنبل ، وزهير ابن حرب ، وابو بكر بن ابي شيبة ، ويحيى بن معين ، وهارون بن سعيد الايلي ، وهارون الحمال ، وابو كامل الجحدي .

## شيوخ ابن وضاح وابي داود :

يشترك ابن وضاح مع سيد الحفاظ الامام الثبت : ابي داود سليمان ابن الاشعث السجستاني ( 202 ـ 275 هـ ) في ثلاثة وخمسين شيخا ، منهم الامام احمد بن حنبل ، وأصبغ بن الفرج المصري ، والحارث مسكين ، وزهير بن حرب ، ودحيم الدمشقي ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث ، وابو بكر بن ابي شيبة ، وعلي المديني ، وابو عبيد القاسم بن سلام ، وهشام بن عمار ، ويحيى بن معين .

## شيوخ ابن وضاح والترمذي :

ويشترك ابن وضاح مع الامام الحافظ ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي : صاحب الجامع الصحيح ، وكتاب العلل ( ت 279 هـ ) في ستة عشر شيخا كلهم روى عنهم ابن وضاح مباشرة ، بينما الترمذي روى عن بعضهم بواسطة ، الامر الذي يجعل ابن وضاح اعلى سندا من الترمذي ، منهم : ابراهيم بن المنذر الحزامي ، وعاصم بن علي ابن عاصم الواسطي ، وكاتب الليث ، وابو عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بن عبد الله بن نمير الخارقي الكوفي ، والاعين ، وهشام بن عمار ، ويحيى بن سليمان ، ويحيى ابن معين ، وكل هؤلاء روى عنهم الترمذي بواسطة ، وروى عنهم ابن وضاح مباشرة . واسحاق بن منصور الكوسج النيسابوري ، وأصبغ بن الفرج المصري ، وعلي المديني ، وهارون الحمال .

## شيوخ ابن وضاح وابن ماجة :

ونجد ابن وضاح يشترك مع الحافظ الكبير : صاحب « السنن » و « التفسير » و « التاريخ » ابي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ( 209 ـ 273 هـ ) في اربعة وثلاثين شيخا ، قد روى عنهم كلهم ابن وضاح مباشرة ، في حين روى ابن ماجة عن بعضهم بواسطة ، مما يجعل ابن وضاح اعلى رواية وسندا من ابن ماجة ، منهم ابراهيم الشافعي المكي ، وابراهيم الفريابي ، واحمد بن عمرو بن السرح المصري ، وحرملة ابن يحيى التجيبي ، والحسن بن مدرك ، وزهير بن حرب ، وابو بكر بن

ابي شيبة ، وعلي المديني ، وهارون الايلي ، وهارون الحمال ، وهشام بن عمار ، ويعقوب بن حميد بن كاسب .

## شيوخ ابن وضاح والنسائـــي :

ويشترك ابن وضاح مع الامام : ابي عبد الرحمن احمد بن شعيـــب النسائي ( 215 ــ 303 هـ ) فى ثمانية وثلاثين شيخا ، وقـد روى ابـــن وضاح عن جميع هؤلاء الشيوخ مباشرة ، في حين نجد النسائي يروي عن اربعة عشر منهم بواسطة ، وحينئذ يكون ابن وضاح اعلـى اسنادا مـــن النسائي منهم : ابن ابي مريم المصري ، واحمـــد بن عمـــرو بن السرح المصري ، واسحاق الكوبح ، والحارث ابن مسكين ، وحرملة بن يحيـــى التجيبي ، والحسن بن مدرك ، ودحيم الدمشقي ، وعلي الديني ، ولويـــن المصيصي ، وهشام بن عمـــار .

## درجـــة شيوخ ابن وضـــاح :

هناك ظاهرة خاصة تميز بها الشيخان الاندلسيـــان : ( محمد بـــن وضاح ، وبقي بن مخلد ) ؛ هي انهما كانا لا يأخذان الا عن الثقـــات مـــن الشيوخ ، فشيوخهما من طبقة معينة ، ذلك نجد شيوخهما قلائل بالنسبة لاقرانهما من أصحاب الكتب الستة ، كأبي داود ــ مثلا ــ الذي بلغ عـدد شيوخه الفا ، ذلك لان ابا داود لم يلتزم فى شيوخه ما التزمه ابن وضاح وبقي بن مخلد ، فهو كما كان يأخذ عن الثقات ، كان يأخذ عن المقبوليـــن فهما ــ اى ابن وضاح وبقي بن مخلد ــ أشبها الامام مالك ــ مثلا ــ الذي كان منتخبا لشيوخه ، فالشيخان الاندلسيان كان لا يهمهما فى شيوخهمـا الكم بقدر ما يهمهما الكيف .

وقد نص ابن حجر العسقلاني فى مواضع كثيـــرة مـــن تهذيـــب التهذيب على هذه النقطة ، ونص عليها ايضا فيما يتعلق بابن وضاح ــ ابن حارث الخشني ، حيث قال : « قال لي احمد بن عبادة : كان ابن وضاح منتخبا للرجال ، لا ياخذ شيئا من روايته الا عن الثقة » (50) .

---

(50) مخطـــوط المكتبـــة الملكيـــة ورقـــة 45 ا .

# ندوة الامام مالك

في اطار الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري وتحت رعاية جلالة الملك الحسن الثاني انعقدت بمدينة فاس أيام الجمعة والسبت والاحد والاثنين 9 – 10 – 11 – 12 جمادى الثانية 1400 الموافق ل 25 – 26 – 27 – 28 ابريل 1980 بقاعة المؤتمرات بمدينة فاس ندوة الامام مالك التي نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، وذلك بمشاركة حوالي 300 عالم ومفكر اسلامي قدموا من مختلف الدول العربية والاسلامية : المغرب – السعودية – الاردن – الكويت – تونس – السنغال – نيجيريا – النيجر – بالاضافة الى ممثلين عن عدد من المنظمات والجمعيات الاسلامية فى البلاد العربية والاسلامية حيث اكتست الندوة صبغة عالمية بالنظر الى حجم المشاركة الاسلامية والعربية فيها . وقد افتتح الندوة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بكلمة اعلن فيها أن الندوة، تنعقد بامر من صاحب الجلالة .. ثم القى السيد مستشار صاحب الجلالة الاستاذ احمد بنسودة الكلمة الملكية التي وجهها جلالته الى الندوة اشتملت على توجيهات سديدة للمشاركين فى الندوة .. وقد اقترح السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية على المشاركين أن تكون الرسالة الملكية وثيقة عمل، فوافق المشاركون على ذلك .. والهدف من انعقاد هذه الندوة هو : ابراز الشخصية المغربية من خلال التزامها بمذهب أمام دار الهجرة واستيعابها لمضامينه الفقهية وتحملها رسالة المحافظة على التراث الاسلامي ونشره فى افريقيا وقد القيت فى الندوة

محاضرات وعروض علمية تناولت الفقه المالكي واثره فى القوانين الغربية، والتعريف بالامام مالك ومنهجيته العلمية واصول مذهبــه وقواعــده ، وانتشـار مذهبه ، كما نظمت على هامش المؤتمر ثلاث ندوات ..

وكانت مشـاركة دار الحديث الحسنية فى هذه النـدوة مشاركــة فعالة اذ تقدم بعض خريجها الى الندوة بخمسة عشر بحثا مــن أصــل ثلاثيــن قدمــت للندوة ...




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



# رسائل جامعية

| الاسم والنسب | الموضوع | المشرف |
|---|---|---|
| عز الدين فرج | التفسير عند الصوفية | د. محمد حجي |
| محمد العربي الشاوش | الظاهرة الاسلامية للمسيرة الخضراء | د. محمد بلبشير |
| حيرت منصور | عناصر السرقة في الفقه الاسلامي | د. احمد الخمليشي |
| عبد الحميد زويتن | صحيح البخاري من خلال شرطه | د. محمد المنوني |
| اللويزي الحسن | حلية الجواهر المكنونة ( دراسة وتحقيق ) | د. عبد العزيز بنعبد الله |
| فرميني عبد السلام | دراسة عن اقطاع الاراضي | د. ابراهيم حركات |
| عبد العزيز العيادي | التربية الاسلامية في المدارس الثانوية | د. محمد بلبشير |
| عبد الله غاني | دخول العقيدة الاشعرية الى المغرب | د. علي سامي النشار |
| خيرهم ابراهيم | رسم القرءان العظيم | د. التهامي الراجي |
| عبد الفتاح السليمان | منهجية التعليم الاسلامي في المغرب | د. محمد بنشقرون |
| محمد خبيزة | منهج الاجتهاد والفتوى في المذهب المالكي | د. علي سامي النشار |
| محمد الكرافص | مسالك العلة وقوادحها | د. علي سامي النشار |
| محمد الفاضلي | الموازنة بين الشيخين | د. محمد المنوني |
| أحمد الرداح | ابن رحال وآراؤه | د. محمد المنوني |
| سلام بلحاج | خلف ابن القاسم الادلسي | د. نوري معمر |
| احمد اليزيدي | أبو الوليد ابن الفرضي | د. نوري معمر |
| عبد القادر العواد | الاصلاح الديني في عهد السعديين | د. محمد المنوني |
| آمنة امزيان | أم المؤمنين أم سلمة | د. محمد المنوني |
| محمد الكتاني | الداهي المذهبية ( دراسة وتحقيق ) | د. محمد الكتاني |
| مصطفى بلقات | عناية الاستعانة ( دراسة وتحقيق ) | د. علي سامي النشار |
| أحمد العلمي | عمل من طب لمن حب ( دراسة وتحقيق | د. علي سامي النشار |
| عبد الغفور الناصر | القضاء في شمال المغرب | د. عبد العزيز بنعبد الله |
| صالح أكناو | حكم البردة | د. عبد السلام الادغيري |
| عبد القادر البوشيخي | نظرية الاكراه | د. خالد عيد |
| حسن اليندوزي | حقوق الاجير في الاسلام | د. أحمد شكري |
| مصطفى ماء العينين | مدرسة سمارة | د. ابراهيم حركات |
| لاراباس ماء العينين | ماء العينين وآثره | د. ابراهيم حركات |
| محمد الشعباني | البرهان في ترتيب سورة القرءان | د. عبد السلام الهراس |

# الأطروحات المناقشة

## 1 ) «ابو عبد الرحمن بقي بن مخلد ( ت 276 هـ ) »

تقدم بها الاستاذ نوري معمر لنيل درجة دكتوراه دولة فى العلوم الاسلامية . . . . . . . . والبحث يقع فى 618 صفحة ، وهو مقسم الى أربعة أقسام : قسمين للدراسة وقسم للشيوخ وقسم للاحاديث ، يقع قسم الدراسة فى مقدمة وتمهيد وخمسة ابواب واثنين وثلاثين فصلا وخاتمة . الباب الاول : تناول فيه الحديث عن اسمه وأسرته ، والباب الثاني عن رحلته وشيوخه ، والباب الثالث عن معاصريه وتلاميذه ، والباب الرابع عن علاقته بالامراء ، والخامس عن آثاره ووفاته .

## 2 ) «حكم الاسرى في الاسلام ومقارنته بالقانون الدولي العام »

قدمها الاستاذ عبد السلام الادغيري لنيل دكتوراه دولة فى العلوم الاسلامية ، يقع البحث في 557 صفحة ، وهو مقسم الى قسمين رئيسين: الاول يتعلق بحكم الاسرى فى الاسلام ، والثاني يتعلق بمقارنة حكم الاسرى بالقانون الدولي العام ، والقسمان معا مرتبان على مقدمة ومدخل وستة فصول وثمانية عشر مبحثا ، تتخللها مطالب وخاتمة ؛ تناول في الفصل الاول حكم اسرى الحرب زمن الرسول ( ص ) ، والثاني حكم الاسرى زمن الخلفاء الراشدين ، والرابع التعريف بالقانون الدولي العام ومعرفة مصادره وطبيعته ، والخامس مقارنة حكم الاسلام فى الاسرى لمعاهدة جنيف لسنة 1949 ، والسادس تأثر القانون الدولي العام بأحكام الاسلام في اسرى الحرب . . .

**3 ) « عمل اليوم والليلة للامام النسائي » ( دراسة وتحقيق ) :**

للاستاذ فاروق حمادة ، تناول المحقق دراسة الكتاب من حيث منهجية الامام النسائي فى تاليفه .. بحث المحقق في تقديمه للكتاب : الرحلة الثقافية في المجتمع العربي عند ظهور الاسلام ، ثم حياة النسائي من حيث رحلاته وشيوخه وتلامذته وسلوكه وعقيدته ووفاته ومؤلفاته ومنهجيته في التصنيف وموازنته وشروطه في الرجال ومقاصده فى سننه.

**4 ) « الناسخ والمنسوخ في القرءان الكريم لابي بكر ابن العربي »**

( دراسة وتحقيق ) : للاستاذ عبد الكريم المدغر( ، تناول الباحث في دراسته للكتاب : التعريف بابن العربي من حيث سيرته وشخصيته وآراء العلماء فيه وشيوخه ومروياته وما حمله الى المغرب من علم المشارقة من مصنفات في علوم القرءان والحديث والسيرة وكتب اللغة والادب ، ثم عرف بتصانيفه وتلاميذه . والحديث عن الناسخ والمنسوخ اهميته وموضعه فى كتب الفقه والاحكام ومعنى النسخ في اصطلاح علماء السلف وحكمه وشروطه والمؤلفات في هذا الباب .

**5 ) « مدرسة الامام البخاري فى المغرب »**

للاستاذ يوسف الكتاني ، تقع الدراسة فى حوالي 800 صفحة ، مقسمة الى ثلاثة ابواب وتسعة فصول ، خصص الباحث الباب الاول لنشأة مدرسة البخاري في المغرب وتطورها وكيفية وصول صحيح البخاري الى المغرب واول من ادخله اليه وعن اوائل رواته والروايات الاولى للصحيح بالمغرب مترجما لشيوخ مدرسة البخاري فى المغرب ، بدأ بالامام الاصيلي ومن تلاه وعن اشهر نسخ الصحيح والمجالس الحديثية في مختلف العصور والدول التي تعاقبت على حكم المغرب ، متحدثا عن الزوايا والجوامع والمساجد والربط ودورها فى نشر الصحيح وروايته بالاضافة الى الحديث عن الاجازات من حيث الفاظها وشروطها واحكامها واقسامها وآراء العلماء فيها والشروح المغربية لصحيح البخاري داحضا الفكرة القائلة بأن المغاربة اهتموا بالفروع وتركوا الاصول ، مذيلا الدراسة

بخمسة فهارس ... وهكذا قدم صورة حية مركزة لمدرسة البخاري مبرزا جهود المغاربة في هذا الميدان ...

### 6 ) « العرف في المذهب المالكي ومفهومه لدى علماء المغرب »

تقدم بها لنيل دكتوراة دولة في العلوم الاسلامية الاستاذ عمر الجيدي .. تقع الدراسة في 553 صفحة ، مقسمة الى اربعة ابواب وسبعة عشر فصلا تتخللها مباحث وفروع عديدة .. عرف في هذه الدراسة بالعرف والعادة والنسبة بينهما ثم العرف كمصدر للتشريع ومدى ارتباط بعض الاعراف المغربية بالاحكام الشرعية مبرزا نشأة هذه الاعراف وتطورها وآراء العلماء فيها وعلاقة هذا المصدر بغيره من المصادر التشريعية الاخرى مستعرضا الادلة لتحكيم العرف من الكتاب والسنة وآراء الصحابة والائمة المجتهدين ، ثم انتقل الى الحديث عن العمل موضحا معنى العمل والاسباب الداعية الى الاخذ به والدليل على حجيته وآراء الفقهاء فيه معرجا على عمل المغاربة من حيث نشأته وتطوره ومنهجيتهم في اثباته مبينا الشروط التي اشترطوها فيه ومجليا موقف بعض الفقاء منه ملاحظا ان ما جرى به العمل أصبح مصدرا رسميا للتشريع لذلك اكثر منه المغاربة واقبلوا عليه ، وتنافسوا في الاخذ به ، حتى غدا الحكم يجري طبقا لما جرى به العمل ولو خالف المشهور ، مشيرا الى العلاقة بينه وبين العرف وبقية المصادر الاخرى كالمصالح المرسلة ، والاستحسان ، وتشريع اولي الامر ، مسجلا تطور الفقه المالكي من خلال ما جرى به العمل على الرغم من المآخذ التي اخذت على هذا اللون من التشريع ، وفي الاخير قدم فصلا مسهبا عن تأثير العرف والعمل في الاحكام الشرعية من خلال التطبيقات .

# فهرس

الصفحة



## دراسات قرآنية :



## دراسات حديثية :

الصفحة



## دراسات فقهية :



## دراسات اسلامية :

الصفحة



## تراجم شخصية :





## رسائل جامعية :


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی